أهل القبلة وحقوقهم الشرعية

إعداد الطالب: الشيخ محمد عبد الكريم الشيخ محمد
بكالوريوس دراسات إسلامية – جامعة الملك عبدالعزيز بجدة - 199م
ماجستير دراسات إسلامية – جامعة الخرطوم - يوليو 2003م

بحث مقدم إلى كلية (الدراسات العليا) جامعة الخرطوم لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في الدراسات الإسلامية

إشراف: د. الحبر يوسف نور الدايم
قسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب

فبراير 2009م

فهرس الموضوعات

الباب الثاني

أمارات الدخول في أهل القبلة

الباب الثالث

الحقوق الشرعية لأهل القبلة .

الباب الرابع

الموقف الشرعي من مبتدعة "أهل القبلة" والبغاة .

الباب الخامس

وجوب اجتماع "أهل القبلة"

مستخلص البحث

عنوان البحث : أهل القبلة وحقوقهم الشرعية.

الهدف من الدراسة : بيان أهمية" مصطلح أهل القبلة"،من خلال آيات القبلة في القرآن الكريم ،والأحاديث الواردة ، وتداوله في كلام السلف ، ثم التحقيق في حقيقة الدخول في أهل القبلة :وذلك من خلال دراسة الأمارات الأصلية : كالنطق بالشهادتين ،والإقرار بالإسلام ، والأمارات الفرعية كالتبعية للوالدين المسلمين أوالتبعية لدار الإسلام مع الرد على المخالفين في هذا الباب ، من الخوارج، ومذهب التوقف والتبين ،ومذاهب المرجئة.ثم معرفة الحقوق الشرعية لأهل القبلة ، بدراسة ما يختصون به من الموالاة ،والنصح لهم ، ومعاملتهم بمكارم الأخلاق ،مع كف الأذى عنهم ،ولزوم الدعاء لهم.

ثم تجلية الموقف من مبتدعة "أهل القبلة" ببيان منهج الإسلام في معاملتهم،مع التنبيه إلى الطوائف المنتسـبة إلى أهل القبلــة. وأخيراً : العناية بتوحيد "أهل القبلة" لتحقيق عقيدة الولاء والبراء، وقيام التعاون بين المسلمين أفراداً وجماعات.عن طريق بيان الأدلة الشرعية في وجوب توحيد "أهل القبلة" .وجهود علماء المسلمين في جمعهم ،مثل السيد الحسن بن علي رضي الله عنه ،وصلاح الدين الأيوبي رحمه الله ،وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

المنهج المعتمد: اعتمدت دراسة مباحث هذه الرسالة على منهجي الاستقراء والتحليل.

أهم نتائج الدراسة :

1) أهل القبلة هم أهل الإسلام وأمة الإجابة، وإن كانوا من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم.

2)كل من كان ظاهره الإسلام ولا يعرف عنه ناقض من نواقضه.فإنه يحكم بإسلامه ولا يجب البحث عن عدالته الباطنة إلا فيما تشترط له العدالة.

3) لأهل القبلة حقوق شرعية انفَرد الشارِع بمعانِيها وهي من أهم ما ينبغي أن يتعرف عليها المسلم ويعمل بموجِبِها .

4) حرص المصلحين من أمراء المسلمين وعلماءهم على وحدة المسلمين، ولَمّ شعثهم، وجمع كلمتهم .

أهم توصياته:

أن تقوم هيئات الدعوة الإسلامية ومؤسسا ا والجامعات في العالم الإسلامي بجهود علمية نشطة في دراسة أوضاع "أهل القبلة" وتشخيص أسباب تفرقهم وتخلفهم وولاء بعضهم لأعدائهم وإتباعهم في مذاهبهم وسياستهم، وبيان سبل إصلاح هذه الأوضاع ودعوة المسلمين إليها شعوبا، وحكومات للأخذ ا والعودة إلى ما يجب أن يكونوا عليه أمة مسلمة واحدة تقوم على التوحيد الخالص في العقيدة والعبادة، والسير على ج السلف الصالح خير القرون من الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان.

Abstract

The title: The people of the Qiblah and their rights in Islamic Law

The main goals of the research:
To show the importance of the term "the People of the Qiblah" from the verses of the Noble Qu'ran, the Hadiths which mention the people of the Qiblah and this term in the statements of the scholars of Islam.

Then the research will examine the signs of when a person is considered to be from the people of the Qiblah by research the basic signs such as the two testimonies of faith, recognition of Islam and doing different Islamic rituals such as prayer and the Adhaan (the call to prayer) and then the different secondary signs such as following ones parents or being part of an Islamic state and a Muslim man testifying for another that he is a Muslim. The research will also cover refutations of those sects that have gone astray regarding this issue like the Khwaarij, the people of Tawaquf and Tabyeen and the different sects of the Murjiyah.

This research will then cover the different Islamic rights of the people of the Qiblah, the definition of these rights, the different types of rights in the Islamic text, the special right of allegiance and advising the people of the Qiblah, while dealing with them in the best of manners, not harming them and constantly making supplication for the Muslims "the People of the Qiblah".
The research will then look into the people of Bid'ah (innovation) from the people of the Qiblah and how they should be treated. It will also look into the sects that claim to be from the people of the Qiblah.

Finally, the research will discuss the importance of the people of the Qiblah coming together to work with each other and implement the belief of alliance to Islam and the Muslims and freeing oneself from disbelief and the disbelievers using the evidence from the Islamic text proving this point and the efforts of the scholars of Islam regarding this such as al-Hasan ibn Ali, Salaah ad-Deen al-Iyoobee and shaykh al-Islam ibn Taymiyah.

The methodology of research:
While writing this thesis I examined and analyzed all the subject matter to reach the conclusions in this research.

The most important conclusions:

1- The People of the Qiblah they are the nation of Muslims that have surrendered to Islam even if they are from the people of desires and evil deeds as long as they do not reject anything that the Prophet –peace be upon him- came with.

2- We consider everyone who appears to follow Islam to be a Muslim if it is not known that he has performed an action that nullifies his Islam and it is not a must that we search to see if he is honest except in situations where it is a condition to be upright.

3- The People of the Qiblah have Islamic rights that have been defined by Islamic law and they are from the most important things a Muslim should learn in order to implement them.

4- All reformers from the scholars and leaders of the Muslims must strive to unify the Muslims and help them come together as one.

Recommendations:

As for the recommendations I recommend that all Da'wah organizations and universities throughout the Islamic world should make great efforts to study the situation of "the People of the Qiblah" to find the reasons behind their separation, backwardness and why some of them serve as allies to their enemies following them in their ideologies and politics. Thus, showing the means of correcting their situation and calling the Muslims as individuals and governments to return to what they must be upon as one Muslim nation built on pure belief in their creed and worship while following the way of the pious predecessors from the companions of the Prophet Muhammad –peace be upon him- and those who followed in their footsteps.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المحمود بجميع المحامد تعظيمًا وتشريفًا وثناءً، أحمده سبحانه وأشكره، لا تحصى آلاؤه عدداً، ولا تنقطع فضائله مدداً، الذي شرفنا بالإسلام، وتابع علينا الإحسانَ والإنعام، وتفضل فألّف بين قلوب عباده المؤمنين، فجعل المسلمين "أهل القبلة" إخوة متحابين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمرنا أن نعتصم بحبل الله أجمعين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين، الذي آخى بين الأنصار والمهاجرين، فصاروا إخوة في الدين. صلى الله وبارك عليه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين في كل آن وحين. أما بعد:

فهذا البحث عن أهل القبلة وحقوقهم من القضايا المهمة التي يحتاج إليها جميع المسلمين، في كل بلدانهم وأوطانهم ،وخاصة الدعاة إلى الله منهم والمصلحين، لأن أهل القبلة يمثلون سواد كل الموحدين الذين رضوا بالله رباً ،وبالإسلام ديناً،وبنبينا محمد ﷺ نبياً.

وفي خضم انشغال المصلحين بخصوصيتهم ورؤاهم، واهتمام كل بمذهبه أو مدرسته ، يغفل كثيرون عما لأهل القبلة من واجبات وحقوق .

ولقد تحدث كثير من الباحثين عن منهج معاملة أهل السنة لأهل البدع والزيغ ، مفارقة ومفاصلة ، أو محاورة ومجادلة ، ولكن منهج التعامل مع (أهل القبلة) لم يكتب فيه باستفاضة ، بل إن معالمه غير واضحة عند كثير من المهتمين بشأن توحيد أهل القبلة ، وجمع صفهم ، خاصة إزاء ما يهدد بيضة الإسلام .

ولا أدل على أهمية مصطلح (أهل القبلة) من تواطؤ المسلمين من السابقين واللاحقين عليه ، وهو مصطلح شرعي ، مستنبط من قول الرسول ﷺ : "من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا،وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته"[1] وفي لفظ: "فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا"

- ## أهمية الموضوع وسبب الاختيار:

إن الكتابة في هذا الموضوع مهم ومفيد غاية الفائدة للأسباب التالية :

أولا: لتحقيق عقيدة الولاء والبراء ، فمن كان من أهل القبلة فله علينا موالاته بقدر ما فيه من طاعة الله وامتثال دينه ، ومن لا يعد من أهل القبلة فإنا نتبرأ منه ولا نواليه .

ثانيا : التوحد والتعاون بين المسلمين أفراداً وجماعات واجب شرعي تمليه عليهم العقيدة والشريعة؛ ذلك لأن التفرق أخو الكفر والتوحد أخو الإيمان. والإسلام كما أنه دعا إلى كلمة التوحيد فإنه كذلك دعا إلى توحيد الكلمة، ولا تتحقق كلمة التوحيد على أكمل وجهها إلا بتوحيد الكلمة، وهذا ما جاءت النصوص

---

1) رواه البخاري (391) من حديث أنس رضي الله عنه ،وسيأتي تخريجه في مبحث الأحاديث الواردة في أهل القبلة.

القرآنية والنبوية تؤكده، ومن ذلك: قوله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)[1] ، و قوله تعالى: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)[2].

وحتى تدرك الجماعات الإسلامية هذا المبدأ، وتتعاون حول قضايا الوفاق، لا بد من إشاعة فقه التعامل مع أهل القبلة سنيهم وبدعيهم ، وبرهم وفاجرهم .والوحدة لا تكون إلا إذا والى المؤمن أخاه المؤمن مهما كان مذهبه الفقهي ، أوجماعته، أو قبيلته، أو إقليمه الذي انحدر منه، يواليه ويحبه، ويبغض أعداء الله ويتبرأ منهم حيثما وجدوا، وأينما كانوا، قال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)[3].

ولكيلا يتهاون المسلم في أمر الموالاة لإخوانه المسلمين، ويتشاغل عنها بما هو دو ا،قال الله تعالى: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[4]. وفي هذا تنبيه من الله سبحانه وتعالى إلى حال أهل الكفر وعلاقتهم مع بعضهم، وأ م يتوالون ويتآخون ويتناصرون ضد المسلمين، وأنه إذا لم يقابلهم المسلم بما يكافئ هذا الصنيع وهو موالاته لإخوانه، وموادته ومناصرته لهم تقع فتنة في الأرض وفساد كبير.

ثالثاً : من أقوى دواعي الحديث عن أهل القبلة وحقوقهم، تداعي الأمم علينا كتداعي الأكلة إلى قصعتها، وتكالب الطامعين على أوطاننا ، وسعيهم الحثيث لتأجيج نيران الخلاف وإذكائها بين المسلمين ابتداءً من يهود ومنافقين قديماً، وصليبين ومستعمرين ويهود وصهاينة حديثاً،لإدراكهم مكامن الخطر في أمة الإسلام، ومن ذلك وحد م واجتماع كلمتهم، فينبغي أن لا نعطيهم الفرصة، وأن نسد أمامهم الأبواب، وذلك بالدعوة إلى وقوف أهل القبلة صفاً واحداً تجاه مخططا م .

رابعاً : إن طرق هذا الموضوع متميز بأنه علمي دعوي عقائدي .

أما العلمي: فلأن لقب (أهل القبلة) مصطلح نبوي تكرر لدى السلف الصالح من هذه الأمة، ومدلوله غائب أو عائم لدى كثير من الناس.

وأما الدعوي : فلأن تحرير مفهوم "أهل القبلة" مهم في باب فقه الدعوة ، يدرك به الدعاة المنهج السوي في دعوة المسلمين إلى الوحدة والتعاون الشرعي .

وأما العقائدي: فلارتباط المصطلح من قديم بالفرق العقائدية من الخوارج والمرجئة وغيرهم، ومخالفتهم أهل الحق في باب "الأسماء والأحكام ".

لهذه الأسباب وغيرها بدا لي أن يكون موضوع الرسالة هو :

---

1) الأنبياء:92.

2) المؤمنون :52.

3) التوبة:71.

4) الأنفال:72.

(أهل القبلة وحقوقهم الشرعية)

- **منهجي في البحث:**

أولاً: اعتمدت في كتابة مباحث هذه الرسالة على منهجي الاستقراء والتحليل حيث عكفت على آيات القرآن ذات الصلة بأهل القبلة أجمعها وأؤلف بينها تأليفاً موضوعياً واضطررت لذلك أن أرجع إلى كتب التفاسير المختلفة لمعرفة موضوعات الآيات ، وكذلك كان الشأن بالنسبة للأحاديث حيث حرصت على معرفة كلام أهل العلم في شرح تلك الأحاديث ودرجة صحتها.

ثانياً: الحرص على تدعيم البحث بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة، ونصوص العلماء ..

ثالثاً: بيان مواضع الآيات القرآنية الكريمة في المصحف الشريف، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

رابعاً: تخريج الأحاديث النبوية الواردة في ثنايا الرسالة من كتب الأحاديث المشهورة.

خامساً: في ترجمة الأعلام أعتمد غالباً على كتب التراجم مما تيسر لي الوقوف عليه وقد استبعدت في الترجمة من يعدون من أئمة الهدى ومصابيح الدجى ممن أطبق ذكرهم الآفاق كالخلفاء الأربعة وأئمة المذاهب الأربعة وحاولت ترجمة من عداهم قدر الإمكان .

سادساً: في التوثيق أبدأ بذكر الاسم الأشهر للمؤلف كنيةً كان أو لقباً ثم بقية اسمه ومن ثم أورد اسم الكتاب والمعلومات المتعلقة به .

سابعاً: شرحت بعض غرائب الألفاظ في حاشية الرسالة بغية تيسير فهم سياق الكلام .

ثامناً: لتسهيل الاستفادة وضعت فهارس علمية في آخر الرسالة إلا فهرس الموضوعات جعلتها في الأول منها وهي كالآتي:

- فهرس الموضوعات.
- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.

- خطة البحث:

لقد اقتضت طبيعة الموضوع مني جعل الرسالة في:

مقدمة ، وخمسة أبواب ، وخاتمة، وثبت المراجع ، وفهارس .

وتفصيلها على النحو التالي:

المقدمة:

تكلمت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والخطة التي سرت عليها، والمنهج الذي سلكته في معالجة مسائل البحث.

الباب الأول: التمهيد: ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول : تعريف أهل القبلة.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: تعريف "أهل القبلة" لغةً .

المبحث الثاني : تعريف "أهل القبلة" شرعاً.

الفصل الثاني: تاريخ مصطلح أهل القبلة:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: آيات القبلة في القرآن الكريم .

المبحث الثاني :الآيات القرآنية المحمولة على "أهل القبلة" عند المفسرين.

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في "أهل القبلة".

المبحث الرابع : مصطلح "أهل القبلة" في كلام السلف .

الباب الثاني : أمارات الدخول في أهل القبلة :ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول : الأمارات الأصلية للدخول في أهل البقبلة.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: النطق بالشهادتين :

المبحث الثاني :الإقرار بالإسلام .

المبحث الثالث:الإتيان بالشعائر التعبدية كالصلاة والأذان ونحوهما .

الفصل الثاني : الأمارات الفرعية للدخول في أهل البقبلة.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التبعية للوالدين المسلمين أو أحدهما.

المبحث الثاني: التبعية لدار الإسلام.

المبحث الثالث: شهادة الرجل المسلم لأحد بالإسلام.

المبحث الرابع: قرائن وأمارات لا يحكم ا إلا بعد التثبت.

الفصل الثالث : المخالفون لأهل السنة في أمارات الدخول في "أهل القبلة".

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: سبب الاختلاف في الذين يدخلون بالاسم العام في ملة الإسلام.

المبحث الثاني: مذهب الخوارج .

المبحث الثالث: مذهب التوقف والتبين .

8

المبحث الرابع: مذاهب المرجئة .

الباب الثالث : الحقوق الشرعية لأهل القبلة . وفيه فصلان :

الفصل الأول : ما هية الحقوق الشرعية.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: تعريف الحقوق الشرعية :

المبحث الثاني : أنواع الحقوق في النصوص الشرعية .

الفصل الثاني : ما يختص به أهل القبلة من الحقوق الشرعية .

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول: موالا م.

المبحث الثاني: القيام بواجب النصح لهم .

المبحث الثالث: معاملة "أهل القبلة" بمكارم الأخلاق.

المبحث الرابع : كف الأذى عنهم .

المبحث الخامس : مراعاة الحقوق التي دعت إليها السنة .

المبحث السادس : لزوم الدعاء للمسلمين "أهل القبلة".

الباب الرابع : الموقف من مبتدعة "أهل القبلة" والبغاة ، وفيه فصلان :

الفصل الأول : تمهيد .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف البدعة.

المبحث الثاني :ظهور البدع

المبحث الثالث: أقسام البدع / البدعة المكفرة والبدعة المفسقة .

المبحث الرابع : حكم أهل الأهواء والبدع في المسائل الخفية.

المبحث الخامس: المنتسـبون إلى أهل القبلـة وليسوا منهم.

الفصل الثاني : المنهج الشرعي في معاملة أهل البدع والبغاة .وفيه مبحثان :

المبحث الأول:المنهج الشرعي في معاملة أهل البدع

المبحث الثاني :حكم قتال المبتدعة والبغاة من أهل القبلة.

الباب الخامس : وجوب اجتماع "أهل القبلة" ، وفيه فصلان :

الفصل الأول : الأدلة الشرعية في وجوب توحد "أهل القبلة" .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الأدلة الشرعية في وجوب اجتماع كلمة المسلمين.

المبحث الثاني:الأصول التي تعين على وحدة المسلمين واجتماعهم

الفصل الثاني : جهود علماء المسلمين في جمع "أهل القبلة".

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : السيد الحسن بن علي رضي الله عنه :

المبحث الثاني : صلاح الدين الأيوبي رحمه الله .

المبحث الثالث : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

الخاتمة ، وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات .

هذا، وإني بذلت ما في وسعي في معالجة قضايا هذا البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، غير أن قِلّة بضاعتي، ، وتشعب مباحثه حال بيني وبين كثير مما أردت.

ولا يفوتني - في الختام - أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي وشيخي الجليل البروفيسور : الحبر يوسف نور الدايم، الذي أكرمني الله تعالى به للإشراف على هذه الرسالة،والتي قبلها في (الماجستير) ولقد كان - حفظه الله- مثالاً حسنًا للأخلاق الفاضلة، ونموذجًا للتواضع، والكرم، وبشاشة الوجه.

ولقد أفادني بتوجيهاته المفيدة، وآرائه السديدة، فالله أسأل أن يثيبه وأن يجزيه أحسن الجزاء، وأن يطيل عمره في طاعته وأن يبارك له في وقته وأهله وماله.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى جامعة الخرطوم على ما تبذله من عطاء متجدد للباحثين والدارسين، فأسأله سبحانه أن يوفق القائمين عليها إلى كل خير ، وأن يعيننا وإياهم على أداء ما أوجبه الله علينا من العلم والنصح والإرشاد ، إنه سميع قريب.

كما أسأله سبحانه أن يمن علينا بنعمة الإيمان ،والعيش مع القرآن والعمل للإسلام مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، وأن يجعل ما قدمنا حجة لنا لا حجة علينا.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

*** ***

الـبـاب الأول :
تمـهـيـد :
تـعـريـف "أهـل الـقـبـلـة"

الفصل الأول : تعريف أهل القبلة.

الفصل الثاني : تاريخ مصطلح أهل القبلة.

الفصل الأول : تعريف أهل القبلة

المبحث الأول : تعريف "أهل القبلة" لغةً :

"أهل القبلة" تركيب إضافي يتألف من كلمتين :"أهل" وهو المضاف؛ و"القبلة" المضاف إليه ، ويأتي " الأَهلُ " في اللغة : على معان منها :

(1) أهلُ الرجل عشيرته، وذَوو قُرباه، ج أهلونَ [1] قال الشنفَري[2] :

ولي دونكُم أهلُونَ سِيد عملس ... وأرقَطُ زهلُولٌ وعرفاءُ جيأَلُ[3] وأهالٍ وآهالٌ وأهلات، ويحرك. وأهلَ يأهلُ ويأهِلُ أهولاً، وتأهلَ واتهلَ اتخذَ أهلاً.

(2) وأهلُ الأمرِ : ولاته.

(3) و للبيتِ : سكانه.

(4) و للنبي، صلى الله عليه وسلم أزواجه وبناته وصِهره علي، رضي الله تعالى عنه، أو نساؤه، والرجالُ الذين هم آله[4]، و لكل نبي أمته.[5] وفي التنزيل: (إنما يريد اللهُ ليذْهِب عنكُم الرجس أهلَ البيتِ) القراءة " أهل " بالنصب على المدح، كما قال: بك الله نرجو الفضل، وسبحانك الله العظيم، وعلى النداء، كأنه قال: يا أهلَ البيت، وقوله تعالى لنوح عليه السلام: (إنه ليس مِن أهلِك) قال الزجاج[6]: أراد ليس من أهلِك الذين وعدتك أن أنجيتهم، قال: ويجوز أن يكون: ليس

---

1) (الفيروزآبادي) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي" القاموس المحيط والقاموس الوسيط لما ذهب من كلام العرب شماطيط" بيروت ، دار الجيل 53/3

2) الشنفَري: (000 - نحو 70 ق ه = 000 - نحو 525 م)عمرو بن مالك الازدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية.كان من فتاك العرب وعدائيهم.وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. الأعلام للزركلي5/ 85.

3) (الزبيدي) محمد مرتضى" تاج العروس من جواهر القاموس" مكتبة الحياة، بيروت 6857/1.

4) الفرق بين الاهل والآل: أن الاهل يكون من جهة النسب والاختصاص فمن جهة النسب قولك أهل الرجل لقرابته الادنين، ومن جهة الاختصاص قولك أهل البصرة وأهل العلم، والآل خاصة الرجل من جهة القرابة أو الصحبة تقول آل الرجل لاهله وأصحابه ولا تقول آل البصرة وآل العلم وقالوا آل فرعون أتباعه وكذلك آل لوط، وقال المبرد: إذا صغرت العرب الآل قالت أهل، فيدل على أن أصل الآل الاهل) (العسكري) ، أبو هلال الحسن بن عبدالله اللغوي . الفـروق اللغوية . 84/1.

5) القاموس المحيط 53/3

6) الزجاج (241 - 311 ه = 855 - 923 م) ابراهيم بن السري بن سهل، أبو اسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة.ولد ومات في بغداد.كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد.وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولي الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة.وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره.من كتبه (معاني القرآن - خ) و (الاشتقاق) للزركلي1/ 40.

من أهل دينك..[1]

(5) وكل ما أَلِف من الدواب المَنازِلَ: فأهِلِي وأهِلٌ، ككتِفٍ.[2]

(6) وهو أهلٌ لكذا: مستوجِب، للواحِدِ والجميع. وأهله لذلك تأهِيلاً، وآهله: رآه له أهلاً. واستأهله: استوجبه، لُغةٌ جيدةٌ، وإنكار الجوهري باطِلٌ[3] وكذلك الأهلةُ. قال الشاعر:

وأهلَةٍ ود قد تبريت ودهم ... وأبليتهم في الحمد جهدي ونائلي

أي رب من هو أهلٌ للود قد تعرضت له وبذلت له في ذلك طاقتي من نائلي.[4] ومن هذا يقال: فلان أهلُ كذا أو كذا، قال الله جل وعز:)هو أهلُ التقوى وأهل المغفرة(جاء في التفسير أنه جل وعز أهلٌ لأنْ يتقَي فلا يعصى، وهو أهل المغفِرة من اتقاه.

قوله: هو أهل التقوى، أي موضع أنسٍ لأنْ يتقَى، وأهل المغفرة، أي موضع أنس لذلك والداته. وقال اليزيدي[5]: آنست به، واستأنست به، وأهِلت به أهولاً: بمعنى واحد [6]

(7) وأهل المَذْهبِ : من يدين به .[7] ومنه : أهل الإسلام : من يدين به[8] ، وأهلُ القُرآن من يقْرُءوه ويقُوم بِحقُوقِهِ [9]

وهذا المعنى الأخير هو الأليق في لقب " أهل القبلة " ، وسيتضح هذا بعد بيان معنى المضاف إليه: " القبلة".

معنى القبلة :

---

1) (ابن سيده) المحكم والمحيط الأعظم :المحقق: عبد الحميد هنداوي : دار الكتب العلمية - بيروت - 11 جزء - الطبعة الأولى - 1421 هـ - 2000 م 211/2.

2) القاموس المحيط 53/3

3) القاموس المحيط 53/3

4) (الجوهري) اسماعيل بن حماد " الصحاح،تاج اللغة وصحاح العربية"تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا ، القاهرة1982م. 26/1

5) اليزيدي (000 - 225 ه = 000 - 840 م) إبراهيم بن يحيى بن المبارك، أبو اسحاق اليزيدي العدوي: أديب شاعر، من ندماء المأمون العباسي.له أخبار معه في مجالس أنسه.وصنف كتبا، منها (بناء الكعبة وأخبارها) و (النقط والشكل) و (مصادر القرآن) لم يكمله، الأعلام للزركلي1/ 79

6) (الأزهري) تهذيب اللغة، للأزهري. تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين. الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة 1964-1967م. 369/2

7) الجوهرى، ابو نصر اسماعيل بن حماد : تاج اللغة وصحاح العربية: تحقيق احمد عبدالغفور عطار د.م) : (د.ن)، 1982 .26/1

8) (الصاحب بن عباد) المحيط في اللغة 320/1

9) (المطرز)أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيدبن علي بن المطرز: المغرب في ترتيب المعرب: مكتبة أسامة بن زيد – حلب الطبعة الأولى ، 1979 تحقيق : محمود فاخوري و عبدالحميد مختار 87/1.

القبلة في الأصل اسم للحالة التي عليها المقابل، نحو الجلسة والعقدة، ولكنها صارت في العرف اسما للمكان المقابل المتوجه إليه في الصلواة: وإنما سميت ريح الصبا بالقبول لاستقبالها القبلة.[1]

قال ابن عاشور[2] : " والقبلة في أصل الصيغة اسم على زنة فِعلة بكسر الفاء وسكون العين ، وهي زنة المصدر الدال على هيئة فعل الاستقبال أي التوجه اشتق على غير قياس بحذف السين والتاء ثم أطلقت على الشي الذي يستقبله المستقبلُ مجازاً وهو المراد هنا لأن الانصراف لا يكون عن الهيئة قال حسان[3] في رثاء أبي بكر رضي الله عنه:: ... أليس أولَ من صلى لقبلتكم

والأظهر عندي_ الكلام لابن عاشور - أن تكون القبلة اسم مفعول على وزن فِعل كالذبح والطحن وتأنيثه باعتبار الجهة كما قالوا : ما له في هذا الأمر قِبلة ولا دِبرة أي وِجهة " [4] .

والقِبلة : ناحية الصلاة . وقال اللحياني : القِبلة وِجهة المسجد . وليس لفلان قِبلة أي جهة . أين قِبلتك أي أين جِهتك ومن أين قِبلتك أي من أين جهتك .

و القِبلة : التي يصلى نحوها . وفي حديث ابن عمر : (ما بين المشرق والمغرب قِبلة)[5] أراد به المسافر إذا التبست عليه قِبلته فأما الحاضر فيجب عليه التحري والاجتهاد وهذا إنما يصح لمن

---

1) البهاء العاملي :الكشكول : 347/1

2) ابن عاشور (1296 - 1393 ه = 1879 - 1973 م) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس.مولده ووفاته ودراسته ا.عين (عام 1932) شيخا للاسلام مالكيا.وهو من أعضاء ا معين العربيين في دمشق والقاهرة.له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الاسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الاسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وآثاره في الاسلام) و (أصول الانشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء.وكتب كثيرا في ا لات. الأعلام للزركلي6/ 174.

3) حسان بن ثابت (000 - 54 ه = 000 - 674 م) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الانصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام.عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الاسلام.وكان من سكان المدينة.واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الاسلام، وعمي قبيل وفاته.لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهدا، لعلة أصابته.وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه. الأعلام للزركلي2/ 175.

4) (ابن عاشور) محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية ، تونس 1984 م: 10/2.

5)(الترمذي) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: الجامع الصحيح سنن الترمذي: دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ،الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها (314) ، (ابن ماجه)محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: سنن ابن ماجه دار الفكر – بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها(1001) ، (النسائي)أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ا تبى من السنن : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة الثانية ، 1406 – 1986،تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ،الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها(2211)،

(مالك) بن أنس أبو عبدالله الأصبحي : موطأ الإمام مالك: دار القلم - دمشق ،الطبعة : الأولى 1413 هـ - 1991 م تحقيق : د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات العربية المتحدة ،مع الكتاب : التعليق المُمجد لموطّأ الإمام محمد وهو شرح لعبد الحي اللكنوي(413).

كانت القِبلة في جنوبه أو شماله ويجوز أن يكون أراد به قِبلة أهل المدينة ونواحيها فإن الكعبة جنوبها . و القِبلة في الأصل : الجهة . و القَبول من الرياح : الصبا لأنها تستدبِر الدبور و تستقبل باب الكعبة ...الأصمعي[1] : الرياح معظمها الأربع الجَنوب والشمال والدبور والصبا فالدبور التي تهب من دبر الكعبة و القَبول من تِلْقائها وهي الصبا قال الأخطل[2] :

فإن تبخل سدوس بِدِرهميها...... فإن الريح طيبة قَبولُ [3]

وإذا هبت من تلقاء الفجر فهي الصبا تقابل القبلة، فالعرب تسميها القبول، قال الشاعر :

إذا قلت هذا حين أسلو يهيجني ... نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر[4]

قال ثعلب[5] : القَبول ما استقبلك بين يديك إذا وقَفت في القِبلة قال : وإنما سميت قَبولاً لأن النفس تقْبلُها وهي تكون اسماً وصفة عند سيبويه[6] والجمع قَبائل عن اللحياني[1] [2] وجمع قبلة في التكسير : قبل وفي التسليم : قِبلات ويجوز أن تبدل من الكسرة فتحة فتقول قُبلات ويجوز أن تحذف الكسرة وتسكن الباء فتقول قبلات[3]

---

1) الاصمعي (122 - 216 ه = 740 - 831 م) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الاصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان.نسبته إلى جده أصمع.ومولده ووفاته في البصرة.كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة.أخباره كثيرة جدا.وكان الرشيد يسميه " شيطان الشعر ".قال الاخفش: ما رأينا أحدا أعلم بالشعر من الاصمعي.وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظا.وكان الاصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة.وتصانيفه كثيرة، منها " الابل - ط " و " الاضداد - ط " الأعلام للزركلي4/ 162.

2) الأخطل (19 - 90 ه = 640 - 708 م) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك: شاعر، مصقول الالفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع.اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم.وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والاخطل.نشأ على المسيحية، في أطراف الحيرة (بالعراق) واتصل بالامويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره.وكان معجبا بأدبه، تياها، كثير العناية بشعره، ينظم القصيدة ويسقط ثلثيها ثم يظهر مختارها.وكانت إقامته طورا في دمشق مقر الخلفاء من بني أمية.وحينا في الجزيرة حيث يقيم بنو تغلب قومه.وأخباره مع الشعراء والخلفاء كثيرة.له " ديوان شعر - ط " الأعلام للزركلي5/ 123.

3) (ابن منظور)محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب: الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.531/11.

4) (المبرد)أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :الكامل في اللغة والأدب : تحقيق:أبو الفضل إبراهيم 2002 الطبعة رقم: 1 الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية 205/1.

5) ثعلب (200 - 291 ه = 816 - 914 م) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة.كان راوية للشعر، محدثا، مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة.ولد ومات في بغداد.وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس فسقط في هوة، فتوفي على الاثر.من كتبه (الفصيح - ط) و (قواعد الشعر - ط) و (شرح ديوان الاعشى - ط) و (مجالس ثعلب - ط) مجلدان، 1/ 267

6) سيبويه (148 - 180 ه = 765 - 796 م) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو.ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه.وصنف كتابه المسمى " كتاب سيبويه - ط " في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله.ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي.وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم.

ومن الأمثال قولهم :" رأسه في القبلة واسته في الخربة " يضرب لمن يدعي الخير وهو عنه بمعزل[4].
إذن القبلة في اصلها اللغوي هي الجهة ، ثم أطلقت على جهة الصلاة خاصة ، فلما تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أصبحت القبلة علما عليها ، قال الفرزدق[5]:

فلما عتا الجحاد حين طغى بِهِ ... غنىً قالَ إني مرتقٍ بالسلالِمِ
فكانَ كما قالَ ابن نوحٍ سأرتقي ... إلى جبلٍ من خشيةِ الماءِ عاصِمِ
رمى الله في جثمانِهِ مثلَ ما رمى ... عن القبلةِ البيضاءِ ذاتِ المحارِمِ
جنوداً تسوق الفيلَ حتى أعادهم ... هباءً وكانوا مطرخمي الطراخِمِ
نصرت كنصرِ البيتِ إذْ ساق فيله ... إليهِ حشود المشركين الأعاجِمِ6

فالقبلة في اللغة تحتمل كل تلك المعاني وهي : الجهة ، وناحية الصلاة ، والكعبة ، وهذه الأخيرة أصبحت غالبا في المعنى ، وخاصة بعد تحويل جهة الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة ، قال ابن عاشور : والقِبلة : اسم في العربية لجهة الكعبة 7

وعاد إلى الاهواز فتوفي ا، وقيل: وفاته وقبره بشيراز.وكانت في لسانه حبسة.و " سيبويه "بالفارسية رائحة التفاح.وكان أنيقا جميلا، توفي شابا.وفي مكان وفاته والسنة التي مات ا خلاف. الأعلام للزركلي5/ 81.

1) أبو الحسن اللحياني علي بن المبارك وقيل: علي بن حازم أبو الحسن اللحياني. أخذ عنه الكسائي وأبي زيد وأبي عمرو وأبي عبيدة والأصمعي، وعمدته على الكسائي، له كتاب النوادر. سمي اللحياني لعظم لحيته، وقيل: بل لأنه من بني لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس. الوافي بالوفيات6/ 484.

2) لسان العرب 531/11.

3) (القرطبي) محمد بن أحمد الأنصاري " الجامع لأحكام القرآن" تحقيق: عبد الرزاق المهدي، مكتبة الرشد_ الرياض ط2،1420هـ.157/2.

4) (الميداني)أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري : مجمع الأمثال: دار المعرفة – بيروت تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد :1/.139.

5) الفرزدق (..- 110 ه =..- 728 م) همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الاثر في اللغة، كان يقال: لولا شعرالفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس.يشبه بزهير بن أبي سلمى.وكلاهما من شعراء الطبقة الاولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الاسلاميين.وهو صاحب الاخبار مع جرير والاخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر.كان شريفا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه - وكان أبوه من الاجواد الاشراف - وكذلك جده.وفي شرح ج البلاغة: كان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والامراء إلا قاعدا، وأراد سليمان بن عبد الملك أن يقيمه فثارت طائفة من تميم، فأذن له بالجلوس ! للزركلي8/ 93.

6) (ابن ميمون) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون: منتهى الطلب من أشعار العرب/ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية/ فرانكفورت، 1982م: 207/1

7) التحرير والتنوير ابن عاشور54/7.

ومما ورد في القرآن مما يحتمل تلك المعاني آية يونس وهي قوله تعالى : {وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءَا لقومكما بمصر بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلةً وأقيموا الصلاةَ وبشر المؤمنين}1 وسيأتي مزيد بيان لمعناها في الفصل التالي إن شاء الله .

والخلاصة من معرفة معنى طرفي الإضافة " أهل القبلة" أ ا تعني: من يدين الله تعالى ا ويتعبد بالتوجه إلى الكعبة المشرفة قبلة المسلمين.

المبحث الثاني : تعريف "أهل القبلة" شرعاً:

"أهل القبلة " في العرف الشرعي هم: أهل الإسلام، وأمة النبي عليه الصلاة والسلام.

فالمراد م من يدعون الإسلام ويستقبلون الكعبة،فالألف واللام في " القبلة " للعهد ، مقصود ا قبلة الإسلام ، وقد جاء في الكتاب العزيز إضافتها إلى المسلمين كما في قوله تعالى :(ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) "وإضافة القبلة إلى ضمير المسلمين للدلالة على مزيد اختصاصها م إذ لم يستقبلها غيرهم من الأمم لأن المشركين لم يكونوا من المصلين وأهل الكتاب لم يكونوا يستقبلون في صلا م "[2] قال العلماء : أهل القبلة هم أهل الإسلام وإن كانوا من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم-[3]

---

1) سورة يونس (87).

2) التحرير والتنوير ابن عاشور10/2

3) يرى بعض الباحثين أن المسلمين عند أهل السنة مصنفون إلى قسمين كبيرين لا ثالث لهما:

أ. أهل السنة: ويشمل هذا الصنف كل من اعتصم بكتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أجمعت عليه الأمة، وكان على ما كان عليه رسول الله ﷺ في الاعتقاد، والتصور، والعبادة، والسلوك، وقد سئل مالك عن أهل السنة، فقال: كل من سوى الخوارج، والقدرية، والرافضة؛ أوكما قال الشاطبي: (وقال رجل لأبي بكر بن عياش: يا أبا بكر، من السني؟ قال: الذي إذا ذُكِرت الأهواء لم يغضب لشيء منها)*.

ب. وأهل القبلة: وهم من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، وهو اسم شامل لمن عدا أهل السنة من أهل الأهواء، كالخوارج، والرافضة، والمعتزلة، والمرجئة، والقدرية، وغيرهم،.

وهذا التقسيم الذي يعتبر " أهل القبلة" هم من عدا أهل السنة فيه نظر ، وهو خلاف ما اصطلح عليه العلماء قديما وحديثا في اطلاقهم لقب "أهل القبلة" على كل المسلمين.

*(اللالكائي) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (القسم الأول) ، تحقيق د. أحمد الغامدي، الرياض الطبعة الأولى. 72/1، برقم 53.

وهذا المصطلح مستند في أصله إلى حديث أنس – رضي الله عنه - أن الرسول – صلى الله عليه وسلم- قال: "من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا،وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته" وفي لفظ: "فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا" 1

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [2]: " ثم أخذ سبحانه في بيان شرائع الإسلام التي على ملة إبراهيم فذكر إبراهيم الذي هو إمام و بناء البيت الذي بتعظيمه يتميز أهل الإسلام عما سواهم و ذكر استقباله و قرر ذلك فإنه شعار الملة بين أهلها و غيرهم و لهذا يقال أهل القبلة كما يقال من صلى صلاتنا و استقبل قبلتنا و أكل ذبيحتنا فهو المسلم "3

ولهذا قال ألسندي[4] في حاشيته على ابن ماجه[5] عند شرحه لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة . وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)6 (وتفترق أمتي) المراد أمة الإجابة[7] . وهم أهل القبلة . فإن اسم الأمة مضافا إليه صلى الله عليه وسلم يتبادر منه أمة الإجابة . والمراد تفرقهم في الأصول والعقائد لا الفروع والعمليات8

---

1) (البخاري) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي :الجامع الصحيح المختصر: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987 ،تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق (391)

2) ستأتي ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية في آخر الباب الخامس إن شاء الله .

3) (ابن تيمية) أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم" مجموع الفتاوى" جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية 42/14.

4) (السندي)(..- 1138 ه =..- 1726 م) محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي: فقيه حنفي عالم بالحديث والتفسير والعربية.أصله من السند ومولده فيها، وتوطن بالمدينة إلى أن توفي.له (حاشية على سنن ابن ماجه - ط) و (حاشية على سنن أبي داود خ) و (حاشية على صحيح البخاري - ط) و (حاشية على مسند الامام أحمد) و (حاشية على صحيح مسلم - خ) و (حاشية على سنن النسائي - ط) و (حاشية على البيضاوي) وغير ذلك. الأعلام للزركلي6/ 253.

5) بن ماجه (209 - 273 ه = 824 - 887 م) محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجه: أحد الائمة في علم الحديث.من أهل قزوين.رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والرى، في طلب الحديث.وصنف كتابه (سنن ابن ماجه - ط) مجلدان، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة.وله (تفسير القرآن) الزركلي7/ 144.

6) باب في الصلاة على أهل القبلة) ابن ماجه 487/1.

7) يعني: أمة الإجابة الذين ينسبون إلى رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، ، لا أمة الدعوة وهم جميع الإنس عر م وعجمهم أبيضهم وأسودهم، وكذلك الجن ، وأمة الدعوة يدخل فيها اليهود والنصاري، وهم مفترقون، فاليهود إحدي وسبعون فرقة، والنصاري على اثنتين وسبعين فرقة، وهذه الأمة على ثلاث وسبعين، كلها تنسب نفسها إلي الإسلام واتباع رسول الله صلي الله عليه وسلم.

8) (السندى)أبو الحسن لحنفي الشهير بالسندي:حاشية السندي على ابن ماجه دار الجيل الطبعة الثانية2/ 1321.

الفصل الثاني: تاريخ مصطلح أهل القبلة

المبحث الأول : آيات القبلة في القرآن الكريم :

للقبلة مكانة عظيمة في آي القرآن ، ولا أدل على ذلك من كثر ا وتنوع الأسماء التي تدل عليها وهي : القبلة ، البيت ، الكعبة ، مكة ، بكة، المسجد ، أم القرى، البلدة، البلد، والحرم.

1) ذكر القبلة في القرآن الكريم :

أولاً : قول الله تعالى : ﴿سيقُولُ السفَهاء مِن الناسِ ما ولاهم عن قِبلَتِهم الِتي كانوا علَيها قُل للّهِ الْمشرِق والْمغرِب يهدِي من يشاء إِلَى صِراطٍ مستقِيمٍ﴾[1]

قال أبو جعفر[2]: يعني بقوله جل ثناؤه:"سيقول السفهاء"، سيقول الجهال"من الناس"، وهم اليهود وأهل النفاق.

وإنما سماهم الله عز وجل"سفهاء"، لأ م سفِهوا الحق. فتجاهلت أحبار اليهود، وتعاظمت جهالهم وأهل الغباء منهم، عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، إذ كان من العرب ولم يكن من بني إسرائيل، وتحير المنافقون فتبلدوا.[3]

والسفهاء جمع سفيه الذي هو صفة مشبهة من سفه بضم الفاء إذا صار السفه له سجية وتقدم القول في السفه عند قوله تعالى : { ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه }[4] وفائدة وصفهم بأ م من الناس مع كونه معلوماً هو التنبيه على بلوغهم الحد الأقصى من السفاهة بحيث لا يوجد في الناس سفهاء غير هؤلاء فإذا قسم نوع الإنسان أصنافاً كان هؤلاء صنف السفهاء فيفهم أنه لا سفيه غيرهم على وجه المبالغة ، والمعنى أن كل من صدر منه هذا القول هو سفيه سواء كان القائل اليهود أو المشركين من أهل مكة .5

---

1) البقرة:142.

2) أبو جعفر (ابن جرير الطبري) (224 - 310 ه = 839 - 923 م) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الامام.ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي ا.وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى.له (أخبار الرسل والملوك الزركلي6/ 69

3) (الطبري) محمد بن جرير" جامع البيان عن تأويل آي القرآن" دار الفكر 129/2.

4) البقرة :130.

5) التحرير والتنوير ابن عاشور 9/2.

وقال ابن كثير[1] : قيل المراد بالسفهاء هاهنا: المشركون؛ مشركو العرب، قاله الزجاج. وقيل: أحبار يهود، قاله مجاهد[2]. وقيل: المنافقون، قاله ألسدي[3]. والآية عامة في هؤلاء كلهم، والله أعلم.... ولما وقع هذا حصل لبعض الناس -من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود - ارتياب وزيغ عن الهدى وتخبيط وشك، وقالوا: { ما ولاهم عن قِبلتِهم التِي كانوا عليها } أي: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا؟ فأنزل الله جوا م في قوله: { قُلْ لِلهِ المشرق والمغرب } أي: الحكم والتصرف والأمر كله لله، وحيثما تولوا فثم وجه الله، و { ليس البِر أنْ تولوا وجوهكُم قِبلَ المشرق والمغربِ ولكِن البِر من آمن بِاللهِ }[4] أي: الشأن كله في امتثال أوامر الله، فحيثما وجهنا توجهنا، فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة، فنحن عبيده وفي تصريفه وخدامه، حيثما وجهنا توجهنا، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وأمته عناية عظيمة؛ إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم، خليل الرحمن، وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له، أشرف بيوت الله في الأرض، إذ هي بناء إبراهيم الخليل، عليه السلام، ولهذا قال: { قُلْ لِلهِ المشرق والمغرب يهدِي من يشاءُ إِلى صِراطٍ مستقِيمٍ } .5

ثانياً : قول الله تعالى : ﴿ وكذَلِك جعلْناكُم أمةً وسطًا لتكُونواْ شهداء على الناس ويكُونَ الرسولُ عليكُم شهيدًا وما جعلْنا القِبلةَ التِي كُنت عليها إِلا لِنعلَم من يتبِع الرسولَ مِمن ينقَلِب على عقِبيهِ وإِن كانت لَكَبِيرةً إِلا على الذِين هدى اللّه وما كَانَ اللّه لِيضِيع إِيمانكُم إِن اللّه بِالناسِ لَرؤوف رحِيم﴾[6]

يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم، عليه السلام، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع معترفون لكم بالفضل. والوسط هاهنا: الخيار

---

1) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي المعروف بابن كثير ولد بقرية (بصرى) من أعمال دمشق. برع في الفقه والتفسير والحديث، قرأ على ابن تيمية (ت: 728هـ) وانتفع به كثيرا ودرس وأفتى.من تصانيفه :(تفسير القرآن الكريم) والتاريخ المسمى (البداية والنهاية) .توفي سنة 774هـ. المنهل الصافي 2/414

2) مجاهد بن جبر مولى بني مخزوم. أبو الحجاج. كان أحد أوعية العلم، وكان أعلم من بقي بالتفسير. قال عنه الذهبي: إنه شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، وقال عنه الأعمش كان إذا نطق خرج من فمه اللؤلؤ. استقر بالكوفة ومات فيها سنة 103هـ.البداية والنهاية 9 / 224.، (الزركلي) خير الدين ،الأعلام ، بيروت 1980م ، 6 / 161 .

3) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، صاحب التفاسير والمغازي والسير. كان عالما بالوقائع وأيام الناس. تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. توفي سنة 128. الأعلام 1 / 313. .

4) البقرة : 177.

5) (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي" تفسير القرآن العظيم" ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.454/1.

6) البقرة :143.

والأجود، كما يقال: قريش أوسطُ العرب نسباً وداراً، أي: خيرها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه، أي: أشرفهم نسبا، ومنه الصلاة الوسطى، التي هي أفضل الصلوات، وهي العصر، كما ثبت في الصحاح وغيرها، ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، كما قال تعالى: { هو اجتباكُم وما جعلَ عليكُم في الدين مِن حرجٍ مِلةَ أبيكُم إبراهِيم هو سماكُم المسلِمين مِن قبلُ وفي هذَا ليكُونَ الرسولُ شهيدًا عليكُم وتكُونوا شهداءَ على الناس }[1]

ولقد كان الحديث عن المسجد الحرام : بنائه وعمارته ، وما أحاط بها من ملابسات؛ والجدل مع أهل الكتاب والمشركين حول إبراهيم وبنيه ودينه وقبلته ، وعهده ووصيته . . كان هذا الحديث الذي سلف في هذه السورة خير تمهيد للحديث عن تحويل قبلة المسلمين من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام بعد هذه الفترة. فتحويل قبلة المسلمين إلى المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم وإسماعيل ، ودعوا عنده ذلك الدعاء الطويل . . يبدو في هذا السياق هو الاتجاه الطبيعي المنطقي مع وراثة المسلمين لدين إبراهيم وعهده مع ربه . فهو الاتجاه الحسي المتساوق مع الاتجاه الشعوري ، الذي ينشئه ذلك التاريخ .

لقد عهد الله إلى إبراهيم أن يكون من المسلمين؛ وعهد إبراهيم بهذا الإسلام إلى بنيه من بعده ، كما عهد به يعقوب - وهو إسرائيل - ولقد علم إبراهيم أن وراثة عهد الله وفضله لا تكون للظالمين .

ولقد عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل بإقامة قواعد البيت الحرام . . فهو تراث لهما ، يرثه من يرثون عهد الله إليهما . . والأمة المسلمة هي الوارثة لعهد الله مع إبراهيم وإسماعيل ولفضل الله عليهما؛ فطبيعي إذن ومنطقي أن ترث بيت الله في مكة ، وأن تتخذ منه قبلة .

فإذا اتجه المسلمون فترة من الزمان إلى المسجد الأقصى ، الذي يتجه إليه اليهود والنصارى ، فقد كان هذا التوجه لحكمة خاصة هي التي أشار إليها السياق ، وبيناها فيما سبق . فالآن وقد شاء الله أن يعهد بالوراثة إلى الأمة المسلمة ، وقد أبى أهل الكتاب أن يفيئوا إلى دين أبيهم إبراهيم - وهو الإسلام - فيشاركوا في هذه الوراثة . . الآن يجيء تحويل القبلة في أوانه . تحويلها إلى بيت الله الأول الذي بناه إبراهيم . لتتميز للمسلمين كل خصائص الوراثة . حسيها وشعوريها ، وراثة الدين ، ووراثة القبلة ، ووراثة الفضل من الله جميعاً .

إن الاختصاص والتميز ضروريان للجماعة المسلمة : الاختصاص والتميز في التصور والاعتقاد؛ والاختصاص والتميز في القبلة والعبادة . وهذه كتلك لا بد من التميز فيها والاختصاص. وقد

---

1) الحج : 78.

يكون الأمر واضحاً فيما يختص بالتصور والاعتقاد؛ ولكنه قد لا يكون بهذه الدرجة من الوضوح فيما يختص بالقبلة وشعائر العبادة . . هنا تعرض التفاتة إلى قيمة أشكال العبادة .

إن الذي ينظر إلى هذه الأشكال مجردة عن ملابساتها ، ومجردة كذلك عن طبيعة النفس البشرية وتأثراتها . . ربما يبدو له أن في الحرص على هذه الأشكال بذاتها شيئاً من التعصب الضيق ، أو شيئاً من التعبد للشكليات ولكن نظرة أرحب من هذه النظرة ، وإدراكاً أعمق لطبيعة الفطرة ، يكشفان عن حقيقة أخرى لها كل الاعتبار .

إن في النفس الإنسانية ميلاً فطرياً - ناشئاً من تكوين الإنسان ذاته من جسد ظاهر وروح مغيب - إلى اتخاذ أشكال ظاهرة للتعبير عن المشاعر المضمرة .

فهذه المشاعر المضمرة لا تهدأ أو لا تستقر حتى تتخذ لها شكلاً ظاهراً تدركه الحواس؛ وبذلك يتم التعبير عنها . يتم في الحس كما تم في النفس . فتهدأ حينئذ وتستريح؛ وتفرغ الشحنة الشعورية تفريغاً كاملاً؛ وتحس بالتناسق بين الظاهر والباطن ، وتجد تلبية مريحة لجنوحها إلى الأسرار والمجاهيل وجنوحها إلى الظواهر والأشكال في ذات الأوان .

وعلى هذا الأساس الفطري أقام الإسلام شعائره التعبدية كلها . فهي لا تؤدى بمجرد النية ، ولا بمجرد التوجه الروحي . ولكن هذا التوجه يتخذ له شكلاً ظاهراً : قياماً واتجاهاً إلى القبلة وتكبيراً وقراءة وركوعاً وسجوداً في الصلاة . وإحراماً من مكان معين ولباساً معيناً وحركة وسعياً ودعاء وتلبية ونحراً وحلقاً في الحج . ونية وامتناعاً عن الطعام والشراب والمباشرة في الصوم . . وهكذا في كل عبادة حركة ، وفي كل حركة عبادة ، ليؤلف بين ظاهر النفس وباطنها ، وينسق بين طاقاتها ، ويستجيب للفطرة جملة بطريقة تتفق مع تصوره الخاص .

ولقد علم الله أن الرغبة الفطرية في اتخاذ أشكال ظاهرة للقوى المضمرة هي التي حادت بالمنحرفين عن الطريق السليم . فجعلت جماعة من الناس ترمز للقوة الكبرى برموز محسوسة مجسمة من حجر وشجر ، ومن نجوم وشمس وقمر ، ومن حيوان وطير وشيء . . حين أعوزهم أن يجدوا متصرفاً منسقاً للتعبير الظاهر عن القوى الخفية . . فجاء الإسلام يلبي دواعي الفطرة بتلك الأشكال المعينة لشعائر العبادة ، مع تجريد الذات الإلهية عن كل تصور حسي وكل تحيز لجهة . فيتوجه الفرد إلى قبلة حين يتوجه إلى الله بكليته . . بقلبه وحواسه وجوارحه . . فتتم الوحدة والاتساق بين كل قوى الإنسان في التوجه إلى الله الذي لا يتحيز في مكان؛ وإن يكن الإنسان يتخذ له قبلة من مكان!

ولم يكن بد من تمييز المكان الذي يتجه إليه المسلم بالصلاة والعبادة وتخصيصه كي يتميز هو ويتخصص بتصوره ومنهجه واتجاهه . . فهذا التميز تلبية للشعور بالامتياز والتفرد؛ كما أنه بدوره ينشىء شعوراً بالامتياز والتفرد .

ومن هنا كذلك كان النهي عن التشبه بمن دون المسلمين في خصائصهم ، التي هي تعبير ظاهر عن مشاعر باطنة كالنهي عن طريقتهم في الشعور والسلوك سواء . ولم يكن هذا تعصباً ولا تمسكاً بمجرد شكليات . وإنما كان نظرة أعمق إلى ما وراء الشكليات . كان نظرة إلى البواعث الكامنة وراء الأشكال الظاهرة . وهذه البواعث هي التي تفرق قوماً عن قوم ، وعقلية عن عقلية ، وتصوراً عن تصور ، وضميراً عن ضمير ، وخلقاً عن خلق ، واتجاهاً في الحياة كلها عن اتجاه .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن اليهود والنصارى لا يصبغون ، فخالفوهم »[1] .

وقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - وقد خرج على جماعة فقاموا له « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها »[2] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه - : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله »[3] .

ى عن تشبه في مظهر أو لباس . و ى عن تشبه في حركة أو سلوك . و ى عن تشبه في قول أو أدب . . لأن وراء هذا كله ذلك الشعور الباطن الذي يميز تصوراً عن تصور ، ومنهجاً في الحياة عن منهج ، وسمة للجماعة عن سمة .

---

1) "البخاري" 5899 و"مسلم" بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري :صحيح مسلم : دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي 5561،و"أبو داود" سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي سنن أبي داود: دار الفكر تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد: تعليقات كمال يوسف الحوت ،والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها (4203). و"ابن ماجة" 3621 و"النسائي" 137/8 ، وفي "الكبرى" "النسائي" أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي :سنن النسائي الكبرى: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1411 - 1991تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن 9290.

2) أخرجه (أحمد)بن حنبل أبو عبدالله الشيباني :مسند الإمام أحمد بن حنبل: مؤسسة قرطبة - القاهرة ،الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها 253/5(22534. و"أبو داود" 5230.

3) أخرجه البخاري برقم : 3445 ، 6829 ، و(الحميدي) أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي مسند الحميدى مصدر الكتاب : موقع وزارة الأوقاف المصرية: http://www.islamic-council.com برقم : 27 ، و(الدارمي)عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي: سنن الدارمي: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، 1407 تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ،الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها: 2 / 320 ، و أحمد في المسند : 1 / 23 ، 24 ، 27 ، 55

ثم هو ى عن التلقي من غير الله ومنهجه الخاص الذي جاءت هذه الأمة لتحققه في الأرض . ى عن الهزيمة الداخلية أمام أي قوم آخرين في الأرض . فالهزيمة الداخلية تجاه مجتمع معين هي التي تندسس في النفس لتقلد هذا ا تمع المعين . والجماعة المسلمة قامت لتكون في مكان القيادة للبشرية؛ فينبغي لها أن تستمد تقاليدها - كما تستمد عقيد ا - من المصدر الذي اختارها للقيادة . . والمسلمون هم الأعلون . وهم الأمة الوسط . وهم خير أمة أخرجت للناس . فمن أين إذن يستمدون تصورهم ومنهجهم؟ ومن أين إذن يستمدون تقاليدهم ونظمهم؟ إلا يستمدوها من الله فهم سيستمدو ا من الأدنى الذي جاءوا ليرفعوه!

ولقد ضمن الإسلام للبشرية أعلى أفق في التصور ، وأقوم منهج في الحياة . فهو يدعو البشرية كلها أن تفيء إليه . وما كان تعصباً أن يطلب الإسلام وحدة البشرية على أساسه هو لا على أي أساس آخر؛ وعلى منهجه هو لا على أي منهج آخر؛ وتحت رايته هو لا تحت أية راية أخرى . فالذي يدعوك إلى الوحدة في الله ، والوحدة في الأرفع من التصور ، والوحدة في الأفضل من النظام ، ويأبى أن يشتري الوحدة بالحيدة عن منهج الله ، والتردي في مهاوي الجاهلية . . ليس متعصباً أو هو متعصب . ولكن للخير والحق والصلاح!

والجماعة المسلمة التي تتجه إلى قبلة مميزة يجب أن تدرك معنى هذا الاتجاه . إن القبلة ليست مجرد مكان أو جهة تتجه إليها الجماعة في الصلاة . فالمكان أو الجهة ليس سوى رمز . رمز للتميز والاختصاص . تميز التصور ، وتميز الشخصية ، وتميز الهدف ، وتميز الاهتمامات ، وتميز الكيان . والأمة المسلمة - اليوم - بين شتى التصورات الجاهلية التي تعج ا الأرض جميعاً ، وبين شتى الأهداف الجاهلية التي تستهدفها الأرض جميعاً ، وبين شتى الاهتمامات الجاهلية التي تشغل بال الناس جميعاً ، وبين شتى الرايات الجاهلية التي ترفعها الأقوام جميعاً . . الأمة المسلمة اليوم في حاجة إلى التميز بشخصية خاصة لا تتلبس بشخصيات الجاهلية السائدة؛ والتميز بتصور خاص للوجود والحياة لا يتلبس بتصورات الجاهلية السائدة؛ والتميز بأهداف واهتمامات تتفق مع تلك الشخصية وهذا التصور؛ والتميز براية خاصة تحمل اسم الله وحده ، فتعرف بأ ا الأمة الوسط التي أخرجها الله للناس لتحمل أمانة العقيدة وتراثها . .

إن هذه العقيدة منهج حياة كامل . وهذا المنهج هو الذي يميز الأمة المستخلفة الوارثة لتراث العقيدة ، الشهيدة على الناس ، المكلفة بأن تقود البشرية كلها إلى الله .

وتحقيق هذا المنهج في حياة الأمة المسلمة هو الذي يمنحها ذلك التميز في الشخصية والكيان ، وفي الأهداف والاهتمامات ، وفي الراية والعلامة . وهو الذي يمنحها مكان القيادة الذي خلقت له ،

وأخرجت للناس من أجله . وهي بغير هذا المنهج ضائعة في الغمار ، مبهمة الملامح ، مجهولة السمات ، مهما اتخذت لها من أزياء ودعوات وأعلام![1]

ثالثاً : قول الله تعالى :{قَد نرى تقلب وجهك فِي السماء فَلنولينك قِبلةً ترضاها فَول وجهك شطْر الْمسجِدِ الْحرامِ وحيثُ ما كُنتم فَولوا وجوهكُم شطْره وإِن الذِين أوتوا الْكِتاب لَيعلَمونَ أنه الْحق مِن ربهم وما اللّه بِغافِلٍ عما يعملُونَ .ولَئِن أتيت الذِين أوتوا الْكِتاب بِكُل آيةٍ ما تبِعوا قِبلتك وما أنت بِتابِعٍ قِبلتهم وما بعضهم بِتابِعٍ قِبلةَ بعضٍ ولَئِنِ اتبعت أهواءهم من بعدِ ما جاءك مِن الْعِلْمِ إِنك إِذاً لمِن الظالِمِين} [2]

قال العلماء : هذه الآية مقدمة في الـ ول على قوله تعالى : { سيقول السفهاء من الناس } ومعنى { تقلب وجهك } : تحول وجهك إلى السماء قاله الطبري الزجاج : تقلب عينيك في النظر إلى السماء والمعنى متقارب وخص السماء بالذكر إذ هي مختصة بتعظيم ما أضيف إليها ويعود منها كالمطر والرحمة والوحي ومعنى { ترضاها } تحبها قال ألسدي : كان إذا صلى نحو بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر به وكان يحب أن يصلي إلى قبل الكعبة فأنزل الله تعالى : { قد نرى تقلب وجهك } في السماء } وروى أبو إسحاق [عن البراء[3] قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله تعالى : { قد نرى تقلب وجهك في السماء }[4] قوله تعالى : { فول } أمر { وجهك شطر } أي ناحية { المسجد الحرام } يعني : الكعبة ولا خلاف في هذا قيل : حيال البيت كله عن ابن عباس[5] وقال ابن عمر[1]: حيال الميزاب من الكعبة قاله ابن عطية[2] والميزاب : هو قبلة المدينة وأهل الشام وهناك قبلة أهل الأندلس..

---

1) (سيد) قطب " في ظلال القرآن" دار العلم للطباعة والنشر بجدة 99/1.

2) سورة البقرة ((144-145) .

3) البراء بن مالك (000 - 20 ه = 000 - 641 م) البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي: صحابي، من أشجع الناس.شهد أحدا وما بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب عمر إلى عماله: (لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين فانه مهلكة، يقدم م !) وكان في مظهره (ضعيفا متضعفا) قتل مئة شخص مبارزة، عدا من قتل في المعارك.نقل ابن الجوزي (أن المسلين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه، فيه رجال من المشركين، فجلس البراء بن مالك على ترس، وقال: ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم، ففعلوا، فأدركوه وقد قتل منهم عشرة) وكان على ميمنة أبي موسى الاشعري يوم فتح (تستر) فاستشهد على با ا الشرفي.وقبره فيها.وهو أخوأنس بن مالك. الأعلام 2 / 47. .

4)رواه البخاري في التفسير (2: 18).

5) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي. أبو العباس، ابن عم رسول الله ε صحابي جليل القدر يلقب بحبر هذه الأمة توفي فيها عن واحد وسبعين سنة الأعلام 4 / 228 - البداية والنهاية 8 / 295، 299

الشطر له محامل : يكون الناحية والجهة كما في هذه الآية وهو ظرف مكان كما تقول : تلقاءه وجهته وانتصب الظرف لأنه فضلة بمنزلة المفعول به وأيضا فإن الفعل واقع فيه وقال داود بن أبي هند [3]: إن في حرف ابن مسعود[4] فول وجهك تلقاء المسجد الحرام وقال

(أقول لأم زنباع أقيمي ... صدور العيس شطر بني تميم)

وقال آخر :

(وقد أظلكم من شطر ثغركم ... هول له ظلم يغشاكم قطعا)

وقال آخر :

(ألا من مبلغ عمرا رسولا ... وما تغني الرسالة شطر عمرو)

وقوله تعالى : { وإن الذين أوتوا الكتاب } يريد اليهود والنصارى { ليعلمون أنه الحق من ربهم } يعني تحويل القبلة من بيت المقدس فإن قيل : كيف يعلمون ذلك وليس من دينهم ولا في كتابهم ؟ قيل عنه جوابان : أحدهما : أنهم لما علموا من كتابهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي علموا أنه لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا به الثاني : أنهم علموا من دينهم جواز النسخ وإن جحده بعضهم فصاروا عالمين بجواز القبلة

قوله تعالى : { وما الله بغافل عما يعملون } تقدم معناه وقرأ ابن عامر وحمزة و الكسائي تعملون بالتاء على مخاطبة أهل الكتاب أو أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الوجهين فهو إعلام بأن الله تعالى لا يهمل أعمال العباد ولا يغفل عنها وضمنه الوعيد وقرأ الباقون بالياء من تحت

---

1) عبد الله بن عمر (10 ق ه - 73 ه = 613 - 692 م) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية.كان جريئا جهيرا.نشأ في الاسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة.ومولده ووفاته فيها. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة.له في كتب الحديث 2630 حديثا. الأعلام 4 / 108

2) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عبد الرءوف بن تمام بن عطية، يكنى أبا محمد، وهو من نسل زيد ابن محارب، وكان فقيها عالما بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة، توفي عام 546هـ، انظرالديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، ص174، 175.

3)داود بن أبي هند واسمه: دينار، وقيل طهمان بن عدافر، أبو بكرٍ ويقال: أبو محمدٍ القشيري مولاهم البصري. قال ابن جريج: ما رأيت مثل داود بن أبي هند، إن كان ليفرع العلم فرعاً.وكان خياطاً رجلاً صالحاً ثقة حسن الإسناد، وكان يقال له: داود القاري وصام داود أربعين سنةً ولا يعلم به أهله، وكان يحمل غداءه معه ويتصدق به. وتوفي سنة تسع وثلاثين ومائةٍ منصرف الناس من الحج أو سنة أربعين ومائة بطريق مكة. وروى له مسلم والأربعة، وروى له البخاري في التاريخ. الوافي بالوفيات: الصفدي 4/ 417.

4) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، حليف بني زهرة.أبو عبد الرحمن.صحابي من أول الناس إسلاما ومن العشرة المبشرين بالجنة، ولي بعد وفاة ε بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان بن عفان فتوفي فيها، الأعلام 4 / 280 .البداية والنهاية 7 / 162

قوله تعالى : { ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك } لأ م كفروا وقد تبين لهم الحق وليس تنفعهم الآيات أي العلامات[1]

إ م لن يقتنعوا بدليل ، لأن الذي ينقصهم ليس هو الدليل؛ إنما هو الإخلاص والتجرد من الهوى ، والاستعداد للتسليم بالحق حين يعلمونه :

{ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك } . .

فهم في عناد يقوده الهوى ، وتورثه المصلحة ، ويحدوه الغرض . . وإن كثيراً من طيبي القلوب ليظنون أن الذي يصد اليهود والنصارى عن الإسلام أ م لا يعرفونه ، أو لأنه لم يقدم إليهم في صورة مقنعة . . وهذا وهم إ م لا يريدون الإسلام لأ م يعرفونه! يعرفونه فهم يخشونه على مصالحهم وعلى سلطا م؛ ومن ثم يكيدون له ذلك الكيد الناصب الذي لا يفتر ، بشتى الطرق وشتى الوسائل . عن طريق مباشر وعن طرق أخرى غير مباشرة . يحاربونه وجهاً لوجه ، ويحاربونه من وراء ستار . ويحاربونه بأنفسهم ويستهوون من أهله من يحاربه لهم تحت أي ستار . . وهم دائماً عند قول الله تعالى لنبيه الكريم : { ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك } .

وفي مواجهة هذا الإصرار من أهل الكتاب على الإعراض عن قبلة الإسلام ومنهجه الذي ترمز هذه القبلة له ، يقرر حقيقة شأن النبي - صلى الله عليه وسلم - وموقفه الطبيعي :

{ وما أنت بتابع قبلتهم } . .

ليس من شأنك أن تتبع قبلتهم أصلاً . واستخدام الجملة الاسمية المنفية هنا أبلغ في بيان الشأن الثابت الدائم للرسول - صلى الله عليه وسلم - تجاه هذا الأمر .

وفيه إيحاء قوي للجماعة المسلمة من ورائه . فلن تختار قبلة غير قبلة رسولها التي اختارها له ربه ورضيها له ليرضيه؛ ولن ترفع راية غير رايتها التي تنسبها إلى ر ا؛ ولن تتبع منهجاً إلا المنهج الإلهي الذي ترمز له هذه القبلة المختارة . . هذا شأ ا ما دامت مسلمة؛ فإذا لم تفعل فليست من الإسلام في شيء . . إنما هي دعوى . .

ويستطرد فيكشف عن حقيقة الموقف بين أهل الكتاب بعضهم وبعض؛ فهم ليسوا على وفاق ، لأن الأهواء تفرقهم :

{ وما بعضهم بتابع قبلة بعض } . .

والعداء بين اليهود والنصارى ، والعداء بين الفرق اليهودية المختلفة ، والعداء بين الفرق النصرانية المختلفة أشد عداء .

---

1) تفسير القرطبي :157/2.

وما كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا شأنه وهذا شأن أهل الكتاب ، وقد علم الحق في الأمر ، أن يتبع أهواءهم بعدما جاءه من العلم :

{ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين } . .

ونقف لحظة أمام هذا الجد الصارم ، في هذا الخطاب الإلهي من الله سبحانه إلى نبيه الكريم الذي حدثه منذ لحظة ذلك الحديث الرفيق الودود . .

إن الأمر هنا يتعلق بالاستقامة على هدي الله وتوجيهه؛ ويتعلق بقاعدة التميز والتجرد إلا من طاعة الله و جه ومن ثم يجيء الخطاب فيه ذا الحزم والجزم و ذه المواجهة والتحذير . . { إنك إذاً لمن الظالمين } . .

إن الطريق واضح ، والصراط مستقيم . . فإما العلم الذي جاء من عند الله . وإما الهوى في كل ما عداه . وليس للمسلم أن يتلقى إلا من الله . وليس له أن يدع العلم المستيقن إلى الهوى المتقلب . وما ليس من عند الله فهو الهوى بلا تردد .

وإلى جانب هذا الإيحاء الدائم نلمح كذلك أنه كانت هناك حالة واقعة من بعض المسلمين ، في غمرة الدسائس اليهودية وحملة التضليل الماكرة تستدعي هذه الشدة في التحذير ، وهذا الجزم في التعبير .[1]

رابعاً : قول الله تعالى : ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلةً وأقيموا الصلاةَ وبشر المؤمنين﴾ [2]

{ واجعلوا بيوتكم قبلةً } فيه أربعة أقاويل:

أحدها : واجعلوها مساجد تصلون فيها ، لأ م كانوا يخافون فرعون أن يصلّوا في كنائسهم ومساجدهم ، قاله الضحاك[3] **وابن زيد**[4] **والنخعي**[5] **.**

---

1) في ظلال القرآن 105/1

2) سورة يونس (87).

3) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم، ويقال أبو محمد، الخراساني، كان يكون ببلخ وسمرقند ونيسابور، وهو تابعي جليل وكان الضحاك إماما في التفسير، قال الثوري: خذوا التفسير عن أربعة، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك ، وقيل إنه مات سنة خمس وقيل سنة ست ومائة والله أعلم. البداية والنهاية 9/ 249.

4) عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم العمري المدني، أخو أسامة، وعبد الله، وفيهم لين.وكان عبدالرحمن صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرا في مجلد، وكتابا في الناسخ والمنسوخ.وحدث عن أبيه، وابن المنكدر.روى عنه أصبغ بن الفرج، وقتيبة، وهشام بن عمار، وآخرون.توفي سنة اثنتين وثمانين ومئة. سير أعلام النبلاء8/ 349.

5) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو الكوفي النخعي. أبو عمران. فقيه العراق، وأحد الأئمة المشهورين. تابعي، أدرك الصحابة وأخذ عن فقهاء التابعين، وهو الذي تزعم مدرسة الكوفة بعد ابن مسعود. توفي سنة 96هـ . الأعلام 1 / 76.

الثاني : واجعلوا مساجدكم قِبل الكعبة ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة[1] .
الثالث :واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة فهي قبلة اليهود إلى اليوم قاله ابن بحر [2].
الرابع : واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً ، قاله سعيد بن جبير[3] [4]

قال أكثر المفسرين: كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا في مساجدهم وكنائسهم وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلاة، فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتخذا لبني إسرائيل بيوتا بمصر، أي مساجد، ولم يرد المنازل المسكونة.
هذا قول إبراهيم وابن زيد والربيع[5] وأبي مالك [6]وابن عباس وغيرهم.

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن المعنى: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا.
والقول الأول أصح، أي اجعلوا مساجدكم إلى القبلة، قيل: بيت المقدس، وهي قبلة اليهود إلى اليوم، قاله ابن بحر. وقيل الكعبة.
عن ابن عباس قال: وكانت الكعبة قبلة موسى ومن معه، وهذا يدل على أن القبلة في الصلاة كانت شرعا لموسى عليه السلام، ولم تخل الصلاة عن شرط الطهارة وستر العورة واستقبال

1) هو قتادة بن دعامة بن عزيز أبو الخطاب السدوسى الأعمى الحافظ المفسر، عالم أهل البصرة، مات بواسط سنة 117هـ ، انظر: تذكرة الحفاظ (122/1).

2) القطان الحافظ الإمام القدوة أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة ابن بحر القزويني.محدث قزوين وعالمها. ولد سنة أربع وخمسين ومائتين ورحل وسمع ابن ماجه وأبا حاتم وكان شيخاً عالماً بجميع العلوم: التفسير والفقه والنحو واللغة زاهداً.قال ابن فارس سمعته يقول: كنت حين رحلت أحفظ مائة ألف حديث.مات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة. طبقات الحفاظ1/ 70.

3) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء. حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث، من بني أسد. أبو عبد الله. سكن الكوفة ونشر العلم فيها وكان أعلم التابعين على الإطلاق. أخذ العلم عنعبد الله بن عباس وعن عبد الله بن عمر في المدينة.توفي سنة 94. الأعلام 3 / 145 البداية والنهاية 9 / 96 - 99 .

4) (الماوردي)أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (النكت والعيون)تحقيق: السيد عبد المقصود ،الطبعة رقم: الأولى: دار الكتب العلمية 179/2.

5) الربيع بن أنس البكري الحنفي البصري. نزل مرو هاربا من الحجاج ثم تحول فسكن ببعض القرى فلما ظهرت دعوة بني العباس تغيب فوقع به عبد الله بن المبارك فسمع مه وقيل إنه حبس بمرو مدة في الربيع إلى سنة وثلاثين ومائة وروى كثيرا من التفسير والمقاطيع. تاريخ الإسلام 996/1

6) أبو مالك: هو الغفاري ، واسمه غزوان . وهو تابعي كوفي ثقة . ترجمه البخاري في الكبير 4 / 1 / 108 ، وابن سعد في الطبقات 6 : 206 ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل 3 / 2 / 55 ، وروى توثيقه يحيى بن معين .

القبلة، فإن ذلك أبلغ في التكليف وأوفر للعبادة.1
وقوله : { واجعلوا بيوتكم قبلة } أي هذه الخيام أو الأخصاص التي تتخذو ا تجعلو ا مفتوحة إلى القبلة . قاله ابن عطية عن ابن عباس .
والقِبلة : اسم في العربية لجهة الكعبة . وتلك الجهة هي ما بين المشرق والمغرب لأن قبلة بلاد مصر كقبلة المدينة ما بين المشرق والمغرب وهي الجنوب ، فيجوز أن يكون التعبير عن تلك الجهة بالقبلة في الآية حكاية لتعبير موسى عنها بما يدل على معنى التوجه إلى الجهة التي يصلون إليها ، وهي قبلة إبراهيم ، فيكون أمر بني إسرائيل يومئذٍ جارياً على الملة الحنيفية قبل أن ينسخ بالاستقبال إلى صخرة القدس ويجوز أن يكون موسى قد عبر بما يفيد معنى الجنوب فحكيت عبارته في القرآن باللفظ المرادف له الشائع في التعبير عن الجنوب عند العرب وهو كلمة قبلة .
والحكمة في جعل البيوت إلى القبلة أن الشمس تدخلها من أبوا ا في غالب أوقات النهار في جميع الفصول وفي ذلك منافع كثيرة
والذين فسروا البيوت بأ ا بيوت السكنى فسروا قبلة : إما بمعنى متقابلة ، وإما بمعنى اجعلوا بيوتكم محل صلاتكم ، وكلا التفسيرين بعيد عن الاستعمال .
وأما الذين تأولوا البيوت بالمساجد فقد فسروا القبلة بأ ا قبلة الصلاة ، أي جهة الكعبة .
وعن ابن عباس : كانت الكعبة قبلة موسى . وعن الحسن : كانت الكعبة قبلة كل الأنبياء .
وهذا التفسير يلائم تركيب { اجعلوا بيوتكم قبلة } لأن التركيب اقتضى أن ا عول قبلة هو البيوت أنفسها لا أن تجعل الصلاة فيها إلى جهة القبلة فإذا تفقدنا التأويلات كلها لا نجدها إلا مفككة متعسفة خلا التفسير الذي عولنا عليه ، وقد اختلفوا فيه فهدانا الله إليه .
وأسند فعل { اجعلوا } إلى ضمير الجماعة لأن ذلك الجعل من عمل موسى وأخيه وقومهما إذ كل أحد مكلف بأن يجعل بيته قبلة .2أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة ، وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول الأمر مأمورين بأن يصلوا في بيو م في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الإسلام بمكة3

1) تفسير(القرطبي) 371/8
2) التحرير والتنوير54/7.
3) (النسفي)" أحمد محمود النسفي :تفسير النسفي (مدارك التن يل وحقائق التأويل) ، دار الكتب العلمية / بيروت 2/2.

واعترض القول بحمل القبلة على المساجد المتوجهة إلى الكعبة بأن المنصوص عليه في الحديث الصحيح أن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس ولم يشتهر أن موسى عليه السلام كان يستقبل الكعبة في صلاته فالقول به غريب ، وأغرب منه ما قاله العلائي: من أن الأنبياء عليهم السلام كانت قبلتهم كلهم الكعبة ، قيل : وجعل البيوت مصلى ينافيه ما في الحديث « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » من أن الأمم السالفة كانوا لا يصلون إلا في كنائسهم ، وأجيب عن هذا بأن محله إذا لم يضطروا فإذا اضطروا جازت لهم الصلاة في بيو م كما رخص لنا صلاة الخوف ، فإن فرعون لعنه الله تعالى خرب مساجدهم ومنعهم من الصلاة فأوحى إليهم أن صلوا في بيوتكم كما روي عن ابن عباس . وابن جبير ، وقد يقال : إنه لا منافاة أصلاً بناءً على أن المراد تعيين البيوت للصلاة وعدم صلاحه الصلاة في غيرها فيكون حكمها إذ ذاك حكم الكنائس اليوم وما هو من الخصائص صحة الصلاة في أي مكان من الأرض وعدم تعين موضع منها لذلك فلا حاجة إلى ما يقال : من أن اعتبار جعل الأرض كلها مسجداً خصوصية بالنظر إلى ما استقرت عليه شريعة موسى عليه السلام من تعين الصلاة في الكنائس وعدم جوازها في أي مكان أراده المصلى من الأرض ، وما تقدم من استقبال من تعين الصلاة في الكنائس وعدم جوازها في أي مكان أراده المصلي من الأرض ، وما تقدم من استقبال اليهود الصخرة فالمشهور أنه كان في بيت المقدس وأما قبل بعد نزول التوراة فكانوا يستقبلون التابوت وكان يوضع في قبة موسى عليه السلام ، على أنه قد قيل : إن الاستقبال في بيت المقدس كان للتابوت أيضاً وكانوا يضعونه على الصخرة فيكون استقباله استقبالها ، وأما استقبالهم في مصر فيحتمل أنه كان للكعبة كما روي عن الحسن وما في الحديث محمول على آخر أحوالهم ، ويحتمل أنه كان للصخرة حسبما هو اليوم ويحتمل غير ذلك والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ، وقيل : معنى { بِيُوتَكُمْ قِبْلَةً } متقابلة ورواه ابن أبي حاتم[1] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أي اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً { وَإِذْ أَخَذْنَا } فيها ، قيل : أمروا بذلك في أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذو م ويفتنو م في دينهم ، وهو مبني على أن المراد بالبيوت المساكن أما لو أريد ا المساجد فلا يصح كما لا يخفى ، ولعل التوجيه على ذلك هو أ م أمروا بالصلاة ليستعينوا ببركتها على مقصودهم فقد قال سبحانه : { واستعينوا بالصبر والصلاة }[2] وهي في المساجد أفضل فتكون أرجى للنفع1

---

1) (ابن أبي حاتم) * (240 - 327 ه = 854 - 938 م) عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم.كان م له في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته.له تصانيف، منها (الجرح والتعديل - ط) ثمانية مجلدات منه، و (التفسير) عدة مجلدات، الأعلام 3 / 324.

2) البقرة : 45.

خامساً : قول الله تعالى : ﴿ولِلّهِ الْمشرِق والْمغرِب فَأَينما تولُّواْ فَثَم وجه اللّهِ إِن اللّه واسِع علِيم﴾[2]

وقد فسرت هذه الآية بأ ا المراد ا القبلة في الصلاة .[3]

وهذا - والله أعلم - فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أخرجوا من مكة وفارقوا مسجدهم ومصلاهم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكةَ إلى بيت المقدس والكعبةُ بين يديه. فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، ثم صرفه الله إلى الكعبة بعد، ولهذا يقول تعالى: { ولِلهِ الْمشرِق والْمغرِب فَأَينما تولُّوا فَثَم وجه اللهِ }

قال أبو عبيد القاسم بن سلام[4]**، في كتاب الناسخ والمنسوخ: عن ابن عباس، قال: أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا - والله أعلم - شأنُ القبلة: قال تعالى: { ولِلهِ الْمشرِق والْمغرِب فَأَينما تولُّوا فَثَم وجه اللهِ } فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى نحو بيت المقدس، وترك البيت العتيق، ثم صرفه إلى بيته العتيق ونسخها، فقال: { ومِن حيثُ خرجت فَولِّ وجهك شطْر الْمسجِدِ الْحرامِ وحيثُما كُنتم فَولُّوا وجوهكُم شطْره }.**

وقال علي بن أبي طلحة[5]**، عن ابن عباس قال: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة. وذلك أن رسول صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة - وكان أهلُها اليهود - أمره الله أن يستقبل بيت المقدس. ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله: { قَد نرى تقَلُّب وجهِك فِي السماءِ [فَلَنولِّينك قِبلَةً ترضاها] } إلى قوله: { فَولُّوا وجوهكُم شطْره**

---

1)(الألوسي) شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار إحياء التراث العربي – بيروت 92/8.

2) البقرة :115.

3) التحرير والتنوير 450/1.

4) أبو عبيد القاسم بن سلام - بتشديد اللام - أبو عبيد: كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة.اشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقه، وكان ذا دين وسيرة جميلة، ومذهب حسن وفضل بارع.قال إبراهيم الحربي: كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح، يحسن كل شيء. وولي القضاء بمدينة طرسوس ثمان عشرة سنة، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين. الوافي بالوفيات7/ 200.

5) على بن أبى طلحة مولى بنى هاشم واسم أبى طلحة سالم كنيته أبو الحسن لم يلق أحدا من الصحابة وهو الذي يروى عن بن عباس الناسخ والمنسوخ ولم يره مشاهير علماء الأمصار: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: دار الكتب العلمية - بيروت ، - 1959تحقيق : م. فلايشهمر 182/1.

} فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فأنزل الله: { قُلْ لِلهِ المشرق والمغرب [يهدِي من يشاءُ إلى صِراطٍ مستقِيمٍ] } وقال: { فَأينما تولوا فَثَم وجه اللهِ } وقال عكرمة عن ابن عباس: { فَأينما تولوا فَثَم وجه اللهِ } قال: قبلة الله أينما توجهت شرقًا أو غربًا. وقال مجاهد: { فَأينما تولوا فَثَم وجه اللهِ } [قال: قبلة الله] حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلو ا: الكعبة.[1]

فهي توحي بأ ا جاءت رداً على تضليل اليهود في ادعائهم أن صلاة المسلمين إذن إلى بيت المقدس كانت باطلة ، وضائعة ولا حساب لها عند الله! والآية ترد عليهم هذا الزعم ، وهي تقرر أن كل اتجاه قبلة ، فثم وجه الله حيثما توجه إليه عابد . وإنما تخصيص قبلة معينة هو توجيه من عند الله فيه طاعة ، لا أن وجه الله - سبحانه - في جهة دون جهة . والله لا يضيق على عباده ، ولا ينقصهم ثوا م ، وهو عليم بقلو م ونيا م ودوافع اتجاها م . وفي الأمر سعة . والنية لله { إن الله واسع عليم } . . .[2]

سادساً : قول الله تعالى : {ليس البِر أن تولواْ وجوهكُم قِبلَ المشرق والمغربِ ولكِن البِر من آمن بِاللّهِ واليومِ الآخِرِ والملائكة والكِتابِ والنبِيين وآتى المالَ على حبهِ ذَوِي القُربى واليتامى والمساكِين وابن السبِيل والسآئِلِين وفِي الرقَابِ وأقَام الصلاةَ وآتى الزكَاةَ والموفُونَ بِعهدِهِم إِذَا عاهدواْ والصابِرين فِي البأساء والضراء وحِين البأسِ أولَئِك الذِين صدقُوا وأولَئِك هم المتقُونَ}[3]

لما بين سبحانه وتعالى كفر أهل الكتاب الطاعنين في نسخ القبلة بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وكتمان الحق وغير ذلك إلى أن ختم بكفرهم بالاختلاف في الكتاب وكتمان ما فيه من مؤيدات الإسلام اتبعه الإشارة إلى أن أمر الفروع أحق من أمر الأصول لأن الفروع ليست مقصودة لذا ا ، والاستقبال الذي جعلوا من جملة شقافهم أن كتموا ما عندهم من الدلالة على حقيته وأكثروا الإفاضة في عيب المتقين به ليس مقصوداً لذاته ، وإنما المقصود بالذات الإيمان فإذا وقع تبعته جميع الطاعات من الصلاة المشترط فيها الاستقبال وغيرها فقال تعالى : { ليس البر } أي الفعل المرضي الذي هو في تزكية النفس كالبر في تغذية البدن { أن تولوا وجوهكم } أي في الصلاة { قبل المشرق } الذي هو جهة مطالع الأنوار { والمغرب } الذي هو جهة أفوالها أي

1) ابن كثير 391/1.
2) في ظلال القرآن 179/1.
3) البقرة: 177.

وغيرهما من الجهات المكانية ، فإن ذلك كله لله سبحانه وتعالى كما مضى عند أول اعتراضهم التصريح بنسبة الكل إليه { فأينما تولوا فثم وجه الله }[21]

قال أبو جعفر: وأولى هذين القولين بتأويل الآية، القول الذي قاله قتادة والربيع بن أنس =: أن يكون عنى بقوله:"ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب"، اليهود والنصارى. لأن الآيات قبلها مضت بتوبيخهم ولومهم، والخبر عنهم وعما أعد لهم من أليم العذاب. وهذا في سياق ما قبلها، إذْ كان الأمر كذلك، -"ليس البر"، - أيها اليهود والنصارى، أنْ يولي بعضكم وجهه قبل المشرق وبعضكم قبل المغرب،"ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب" الآية.[3]

والآية/ نزلت رداً عليهم حيث أكثروا الخوض في أمر القبلة وادعى كل طائفة حصر البر على قبلته رداً على الآخر فرد الله تعالى عليهم جميعاً بنفي جنس البر عن قبلتهم لأ ا منسوخة ، فتعريفه للجنس لإفادة عموم النفي لا للقصر إذ ليس المقصود نفي القصر أو قصر النفي . ويحتمل أن يكون الخطاب عاماً لهم وللمسلمين فيكون عوداً على بدء فإن الكلام في أمر القبلة وطعنهم في النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كان أساس الكلام إلى هذا القطع ، فجعل خاتمة كلية أجمل فيها ما فصل .4

وهكذا " يصل السياق إلى تقرير الحقيقة الكبرى حول هذه القضية وحول سائر القضايا الجدلية التي يثيرها اليهود حول شكليات الشعائر والعبادات ، وكثيراً ما كانوا يثيرون الجدل حول هذه الأمور .

إنه ليس القصد من تحويل القبلة ، ولا من شعائر العبادة على الإطلاق ، أن يولي الناس وجوهم قبل المشرق والمغرب . . نحو بيت المقدس أو نحو المسجد الحرام . . وليست غاية البر - وهو الخير جملة - هي تلك الشعائر الظاهرة . فهي في ذا ا - مجردة عما يصاحبها في القلب من المشاعر وفي الحياة من السلوك - لا تحقق البر ، ولا تنشئ الخير . . إنما البر تصور وشعور وأعمال وسلوك . تصور ينشئ أثره في ضمير الفرد والجماعة؛ وعمل ينشئ أثره في حياة الفرد والجماعة . ولا يغني عن هذه الحقيقة العميقة تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب . . سواء في التوجه إلى القبلة هذه أم تلك؛ أو في التسليم من الصلاة يمينا وشمالاً ، أو في سائر الحركات الظاهرة التي يزاولها الناس في الشعائر .

---

1) البقرة : 115

2) (البقاعي) أبو الحسن إبراهيم بن عمر " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" دار المعارف / الهند- 1971م.254/1

3) تفسير الطبري 337/3

4) الألوسي 104/2.

{ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين . . . الآية } . ذلك هو البر الذي هو جماع الخير . . فماذا في تلك الصفات من قيم تجعل لها هذا الوزن في ميزان الله؟

ما قيمة الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين؟

إن الإيمان بالله هو نقطة التحول في حياة البشرية من العبودية لشتى القوى ، وشتى الأشياء ، وشتى الاعتبارات . . إلى عبودية واحدة لله تتحرر ا النفس من كل عبودية ، وترتفع ا إلى مقام المساواة مع سائر النفوس في الصف الواحد أمام المعبود الواحد؛ ثم ترتفع ا فوق كل شيء وكل اعتبار . . وهي نقطة التحول كذلك من الفوضى إلى النظام ، ومن التيه إلى القصد ، ومن التفكك إلى وحدة الاتجاه . فهذه البشرية دون إيمان بالله الواحد ، لا تعرف لها قصداً مستقيماً ولا غاية مطردة ، ولا تعرف لها نقطة ارتكاز تتجمع حولها في جد وفي مساواة ، كما يتجمع الوجود كله ، واضح النسب والارتباطات والأهداف والعلاقات . ."[1]

سابعاً : قول الله تعالى : {وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[2]

قد اختلفوا في حكمة هذا التكرار ثلاث مرات، فقيل: تأكيد لأنه أول ناسخ وقع، في الإسلام على ما نص عليه ابن عباس وغيره، وقيل: بل هو م ل على أحوال، فالأمر الأول لمن هو مشاهد الكعبة، والثاني لمن هو في مكة غائبًا عنها، والثالث لمن هو في بقية البلدان، هكذا وجهه فخر الدين الرازي. وقال القرطبي[3]: الأول لمن هو بمكة، والثاني لمن هو في بقية الأمصار، والثالث لمن خرج، في الأسفار، ورجح هذا الجواب القرطبي، وقيل: إنما ذكر ذلك لتعلقه بما قبله أو بعده من السياق، فقال: أولا { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا } إلى قوله: { وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } فذكر في هذا المقام إجابته إلى طلبته وأمره بالقبلة التي كان يود التوجه إليها ويرضاها؛ وقال في الأمر الثاني: { وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } فذكر أنه الحق من الله وارتقى عن المقام الأول، حيث كان موافقًا لرضا الرسول صلى

---

1) في ظلال القرآن 131/1.

2) سورة البقرة(150- 149).

3) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجي الأنصاري القرطبي أبو عبد الله من أهل قرطبة وإليها نسبته.رحل إلى المشرق واستقر في (منية ابن خصيب) شمال أسيوط وتوفي فيها. من تصانيفه: (الجامع لأحكام القرآن) المعروف بتفسير القرطبي. وله (الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) و (التذكار في أفضل الأذكار) .توفي في منيه بني خصيب سنة 671هـ. الأعلام 6 / 217

الله عليه وسلم فبين أنه الحق أيضًا من الله يحبه ويرتضيه، وذكر في الأمر الثالث حكمة قطع حجة المخالف من اليهود الذين كانوا يتحججون باستقبال الرسول إلى قبلتهم، وقد كانوا يعلمون بما في كتبهم أنه سيصرف إلى قبلة إبراهيم، عليه السلام، إلى الكعبة، وكذلك مشركو العرب انقطعت حجتهم لما صرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن قبلة اليهود إلى قبلة إبراهيم التي هي أشرف، وقد كانوا يعظمون الكعبة وأعجبهم استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم إليها، وقيل غير ذلك من الأجوبة عن حكمة التكرار، وقد بسطها فخر الدين [1] وغيره، والله -سبحانه وتعالى- أعلم.

2) ذكر البيت في القرآن الكريم :

قد ورد ذكر البيت في أحد عشر موضعا ، الذي ورد منها بمعنى القبلة مايلي :

أولاً : قول الله تعالى :{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}[2]

قال الله تعالى { وإذ جعلنا البيت } يعني الكعبة { مثابة للناس } مرجعا لهم قال مجاهد و سعيد بن جبير : يأتون إليه من كل جانب ويحجون وقال ابن عباس رضي الله عنهما : معاذاً وملجأ وقال قتادة و عكرمة[3] : مجمعا { وأمنا } أي مأمنا يأمنون فيه من إيذاء المشركين فإ م ما كانوا يتعرضون لأهل مكة ويقولون : هم أهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال الله تعال : { أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم }[4] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : [إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس[5] : يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيو م : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا الإذخر] [1]

---

1) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي الطبرستاني. أصله من طبرستان وولد بالري وإليها نسبته. قرشي النسب من تيم، يلقب بفخر الدين ويعرف بالفخر الرازي كما يعرف بابن خطيب الري. الإمام المفسر والمؤرخ. توفي سنة 605. الأعلام 7 / 203.

2) البقرة: 125.

3) عكرمة - مولى ابن عباس - أبو عبد الله المدني. أصله من البربر من أهل المغرب.قال: طلبت العلم أربعين سنة وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار.قال أبو الشعثاء: عكرمة أعلم الناس.وقيل لسعيد بن جبير: تعلم أعلم منك؟ قال: عكرمة.
وقال قتادة: أعلم التابعين أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير وكان عكرمة أعلمهم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام. طبقات الحفاظ: السيوطي 1/ 5

4) العنكبوت) (67).

5) العباس)(51 ق ه - 32 ه = 573 - 653 م) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل: من أكابر قريش في الجاهلية والاسلام، وجد الخلفاء العباسيين.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصفه: أجود قريش كفا وأوصلها،

قوله تعالى { واتخذوا } قرأ نافع [2] و ابن عامر [3] بفتح الخاء على الخبر وقرأ الباقون بكسر الخاء على الأمر { من مقام إبراهيم مصلى } قال ابن يمان [4] : المسجد كله مقام إبراهيم وقال إبراهيم النخعي : الحرم كله مقام إبراهيم وقيل : أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد

والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يصلي إليه الأئمة وذلك الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت وقيل : كان أثر أصابع رجليه بينا فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي قال قتادة و مقاتل و السدي : أمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله [5]

<u>ثانياً : قول الله تعالى</u> :{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [6]

القواعد : أساسه في قول أبي عبيدة و الفراء [7] وقال الكسائي [8] : هي الجدر والمعروف أ ا الأساس : وفي الحديث

هذا بقية آبائي !.وهو عمه. أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين.ثم هاجر إلى المدينة، وشهد وقعة (حنين) فكان ممن ثبت حين ا زم الناس.وشهد فتح مكة.وعمي في آخر عمره. وكان إذا مر بعمر في أيام خلافته ترجل عمر إجلالا له، وكذلك عثمان.وأحصي ولده في سنة 200 ه، فبلغوا 33000 وكانت وفاته في المدينة عن عشرة أولاد ذكور سوى الاناث.وله في كتب الحديث 35 حديثا (1) الأعلام 3 / 262.

1) أخرجه البخاري ومسلم. أنظر(ابن الأثير) أبو السعادات مجد الدين إبن الأثير: جامع الأصول من أحاديث الرسول:تحقيق: أيمن صالح شعبان: الطبعة الأولى: دار الكتب العلمية 1997- ر9/ 6900.

2) هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني أخذ القراءة عن أبي جعفر القاري وعن سبعين من التابعين وهم أخذوا عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة عن أبي بن كعب عن رسول الله وانتهت إليه رياسة الإقراء بالمدينة المنورة توفي سنة 169 تسع وستين ومائة. مناهل العرفان في علوم القرآن 1/ 318

3) " ابن عامر الشامي " هو عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ويكنى أبا عمران، وهو من التابعين، وتوفي بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة/5.

4) هو يحيى بن يمان العجلي الكوفي، وقد ذكر في الرواة عن أشعث، وترجمه البخاري في الكبير 4\2: 313 وقال: "سمع سفيان الثوري وأشعث القمي".

5) (البغوي)الحين ابن مسعود الفراء " تفسير البغوي (معالم التنـ يل)" تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، مروان سوار ط:2،بيروت، دار المعرفة 1407هـ 1/146.

6) البقرة : 127.

7) يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي مولاهم الكوفي نزيل بغداد الفراء النحوي المشهور صدوق من التاسعة مات سنة سبع ومائتين تقريب التهذيب 2/ 303

8) الكسائي (000 - 189 ه = 000 - 805 م) علي بن حمزة بن عبد الله الاسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: أمام في اللغة والنحو والقراءة.من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها.وتعلم ـا. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، عن سبعين عاما. الأعلام 4 / 283.

[إن البيت لما هدم أخرجت منه حجارة عظام] فقال ابن الزبير [1]: هذه القواعد التي رفعها إبراهيم عليه السلام وقيل : إن القواعد كانت قد اندرست فأطلع الله إبراهيم عليها ، وقال ابن عباس : وضع البيت على أركان رآها قبل أن تخلق الدنيا بألفي عام ثم دحيت لأرض من تحته والقواعد واحد ا قاعدة والقواعد من النساء واحدها قاعد[2]

ثالثاً : قول الله تعالى :{إِن الصفَا والْمروةَ مِن شعآئِرِ اللّهِ فَمن حج الْبيت أَوِ اعتمر فَلاَ جناح علَيهِ أَن يطَّوف بِهِما ومن تطَوع خيرًا فَإِن اللّه شاكِر علِيم} [3]

إن الصفا والمروة } وهما جبلان معروفان بمكة { من شعائر الله } أي : متعبداته { فمن حج البيت } زاره معظما له { أو اعتمر } قصد البيت للزيارة { فلا جناح عليه } فلا إثم عليه { أن يطوف بهما } بالجبلين وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما وعليهما صنمان يمسحو نهما فكره المسلمون الطواف بينهما فأنزل الله تعالى هذه الآية { ومن تطوع خيرا } فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة وطاعة { فإن الله شاكر } مجاز له بعمله { عليم[4]

رابعاً : قول الله تعالى :{ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين}[5]

ثبت في صحيح مسلم[6] [عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض قال : المسجد الحرام قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون عاما ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل][7] قال مجاهد و قتادة : لم يوضع قبلة بيت قال علي رضي الله عنه : كان قبل البيت بيوت كثيرة والمعنى أنه أول بيت وضع للعبادة وعن مجاهد قال : تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود : بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة وقال المسلمون : بل الكعبة أفضل

---

1) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى أول مولود فى المدينة بعد الهجرة بويع له بالخلافة سنه 64 هجرية وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة انتهت بقتله وصلبه، سنة 73 هجرية رضى الله عنه موسوعة الإعلام 1/ 245

2) تفسير القرطبي :119/2.

3) البقرة :158.

4) الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد (ت 468 هـ): الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، 1415 هـ، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، تحقيق صفوان عدنان داوودي: 140/1.

5) آل عمران (96).

6) ا لامام مسلم (204 - 261 ه = 820 - 875 م) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابوري، أبو الحسين: حافظ، من أئمة المحدثين.ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور.أشهر كتبه (صحيح مسلم - ط) جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمسة عشر سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة، في الحديث، وقد شرحه كثيرون.ومن كتبه (المسند الكبير) رتبه على الرجال، و (الجامع) الأعلام 7 / 221.

7) صحيح مسلم 1190.

فأنزل الله هذه الآية وقد مضى في البقرة بنيان البيت وأول من بناه قال مجاهد : خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفي سنة وأن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى[1]

خامساً : قول الله تعالى :{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } [2]

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وفرض واجب لله - على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حج بيته الحرام - الحج إليه[3]

سادساً : قول الله تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[4]

وقوله : { ولا آمين البيت الحرام } عطف على { شعائر الله } : أي ولا تحلّوا قاصدي البيت الحرام وهم الحجاج ، فالمراد قاصدوه لحجه ، لأنّ البيت لا يقصد إلاّ للحج ، ولذلك لم يقل : ولا آمين مكة ، لأنّ من قصد مكة قد يقصدها لتجر ونحوه ، لأنّ من جملة حرمة البيت حرمة قاصده . ولا شك أنّ المراد آمين البيت من المشركين؛ لأنّ آمين البيت من المؤمنين محرم أذاهم في حالة قصد البيت وغيرها من الأحوال[5] وهذه الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا } فالمشرك لا يمكن من الدخول إلى الحرم.

والتخصيص في هذه الآية بالنهي عن التعرض لمن قصد البيت ابتغاء فضل الله أو رضوانه - يدل على أن من قصده ليلحد فيه بالمعاصي، فإن من تمام احترام الحرم صد من هذه حاله عن الإفساد ببيت الله، كما قال تعالى: { وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ }[6] [7].

---

1) تفسير القرطبي 134/4.

2) سورة آل عمران(97)

3) الطبري 357/3.

4) سورة المائدة(2)

5) التحرير والتنوير121/4

6) الحج : 25.

7) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376 هـ):تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الطبعة السابعة، 1418 هـ ـ 1997 م، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، لبنان 218/1.

{ أنْ صدوكُم عن الْمسجِدِ الْحرامِ } قرأ ابن كثير [1] وأبو عمرو [2] بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الآخرون بفتح الألف، أي: لأن صدوكم، ومعنى الآية: ولا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأ م صدوكم. وقال محمد بن جرير: لأن هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية، وكان الصد قد تقدم، { أنْ تعتدوا } عليهم بالقتل وأخذ الأموال [3]

سابعاً : قول الله تعالى :{ربنا ِإني أسكَنت ِمن ذُريتِي ِبوادٍ غَير ذِي زرعٍ ِعند بيتِك الْمحرمِ ربنا ِليقِيموا الصلاَة فَاجعلْ أَفْئِدةً من الناسِ تهوِي ِإلَيهِم وارزقْهم من الثمراتِ لَعلهم يشكُرونَ}4

{ ربنا ِإنى أسكَنت ِمن ذُريتِى } أي بعضها وهو (إسماعيل) مع أمه (هاجر) { ِبوادٍ غَير ذِى زرعٍ } هو مكة { ِعند بيتِك المحرم } الذي كان قبل الطوفان { ربنا ِليقِيموا الصلاوة فاجعل أَفْئِدةً } قلوباً { من الناس تهوى } تميل وتحن { ِإلَيهِم } قال ابن عباس لو قال (أفئدة الناس) لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم { وارزقهم من الثمرات لَعلهم يشكُرونَ } وقد فعل بنقل الطائف إليه5 .

ثامناً : قول الله تعالى :{جعلَ اللّه الْكَعبةَ الْبيت الْحرام ِقياما للناسِ والشهر الْحرام والْهدي والْقَلاَئِد ذَلِك ِلتعلَموا أن اللّه يعلَم ما ِفي السماواتِ وما ِفي الأَرضِ وأن اللّه ِبكُلِّ شيءٍ ِعلِيم}6

{ قياماً } معناه أمر يقوم للناس بالأمنة والمنافع كما الملك قوام الرعية وقيامهم ... وذهب بعض المتأولين إلى أن معنى قوله تعالى { قياماً للناس } أي موضع وجوب قيام بالمناسك والتعبدات وضبط النفوس في الشهر الحرام ، ومع الهدي والقلائد ، وقرأ ابن عامر وحده « قيماً » دون ألف ، وهذا إما على أنه مصدر كالشبع ونحوه7

تاسعاً : قول الله تعالى :{وما كَانَ صلاَتهم ِعند الْبيتِ ِإلا مكَاء وتصدِيةً فَذُوقُوا الْعذَاب ِبما كُنتم تكْفُرونَ}8

---

1) ابن كثير هو أبو محمد أو أبو معبد عبد الله بن كثير الداري كان إمام الناس في القراءة بمكة تحفه السكينة ويحوطه الوقار لقى من الصحابة عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك وتوفي سنة 120 عشرين ومائة بمكة المكرمة. مناهل العرفان في علوم القرآن 1/ 316.

2) هو أبو عمرو زبان بن العلا عمار البصري كان من أعلم الناس بالقراءة مع صدق وأمانة وثقة في الدين توفي سنة 154 أربع وخمسين ومائة . مناهل العرفان في علوم القرآن 1/ 317.

3) تفسير البغوي 9/2.

4) سورة إبراهيم (37).

5) تفسير الجلالين 286/4.

6) سورة المائدة(97)

7) (بن عطية)أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي: المحرر الوجيز دار الكتب العلمية 2001 الطبعة رقم: 350/12.

8) سورة الأنفال(35)

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: { وما كانَ صلاتهم عِند الْبيتِ إلا مكَاءً وتصدِيةً } قال: كانت قريش تطوف بالكعبة عراة تصفر وتصفق. والمكاء: الصفير، وإنما شبهوا بصفير الطير وتصدية التصفيق.

قال مجاهد: وإنما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته[1].

عاشراً : قول الله تعالى :{وإِذْ بوأنا لِإِبراهِيم مكَانَ الْبيتِ أن لا تشرِك بِي شيئًا وطَهر بيتِي لِلطائِفِين والْقَائِمِين والركعِ السجودِ}[2] قال الزجاج : معناه : جعلنا مكان البيت مبوأ لإبراهيم ، ومعنى { بوأنا } : بينا له مكان البيت ، ومثله قول الشاعر :

كم من أخ لي ماجد ... بوأته بيدي لحداً[3]

فللتوحيد أقيم هذا البيت منذ أول لحظة . عرف الله مكانه لإبراهيم عليه السلام وملكه أمره ليقيمه على هذا الأساس : { أن لا تشرك بي شيئاً } فهو بيت الله وحده دون سواه .[4]

حادي عشر : قول الله تعالى :{ثُم لْيقْضوا تفَثَهم ولْيوفُوا نذُورهم ولْيطوفُوا بِالْبيتِ الْعتِيقِ}[5]

{ ثم ليقضوا تفثهم } يعني : ما يخرجون به من الإحرام ، وهو أخذ الشارب ، وتقليم الظفر ، وحلق العانة ، ولبس الثوب { وليوفوا نذورهم } يعني : ما نذروه من بر وهدي في أيام الحج { وليطوفوا بالبيت العتيق } القديم . وقيل : المُعتق من أن يتسلط عليه جبار . يعني : الكعبة .[6]

ثاني عشر : قول الله تعالى :{لَكُم فِيها منافِع إِلَى أَجلٍ مسمى ثُم محِلُّها إِلَى الْبيتِ الْعتِيقِ}[7]

{ لكم فيها منافع } الركوب والدر والنسل { إلى أجل مسمى } وهو أن يسميها هدياً { ثم محلها } حيث يحل نحرها عند { البيت العتيق } يعني : الحرم كله .[8]

---

1) تفسير القرآن العظيم 52/4.

2) سورة الحـج(26)

3) (الشوكاني) محمد بن علي "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير " دار الفكر للطباعة والنشر . 109/5.

4) في ظلال القرآن 190/5.

5) سورة الحـج(29)

6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 551/1.

7) سورة الحـج(33)

8) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1/ 552.

ثالث عشر : قول الله تعالى :{فَلْيعبدوا رب هذَا الْبيتِ}1 أخرج ابن جرير ، وابن مردويه [2]عنه أيضاً في قوله : { لإيلاف قُريش . . . } الآية ، قال : اهم عن الرحلة ، وأمرهم أن يعبدوا رب هذا البيت ، وكفاهم المؤنة ، وكانت رحلتهم في الشتاء والصيف ، ولم يكن لهم راحة في شتاء ولا صيف ، فأطعمهم الله بعد ذلك من جوع ، وآمنهم من خوف ، فألفوا الرحلة ، وكان ذلك من نعمة الله عليهم . وأخرج ابن جرير عنه أيضاً في الآية قال : أمروا أن يألفوا عبادة رب هذا البيت كإلفهم رحلة الشتاء والصيف3

3) ذكر الكعبة في القرآن الكريم .

أولا : أصل الكعبة نوع من الاستقبال في ذات المستقبل وأحواله فى مكانه ، ثم صار حقيقة عرفية عامة للجهة المستقبل إليها [4]

ثانياً: لا خلاف بين العلماء أن الكعبة قبلة في كل أفق وأجمعوا على أن شاهدها وعاينها فرض عليه استقبالها وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له وعليه إعادة كل من صلى ذكره أبو عمر وأجمعوا على أن كل من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاءها فإن خفيت عليه فعليه أن يستدل على ذلك بكل ما يمكنه من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك مما يمكن أن يستدل به على ناحيتها ومن جلس في المسجد الحرام فليكن وجهه إلى الكعبة وينظر أليها إيمانا واحتسابا فإن النظر إلى الكعبة عبادة قاله عطاء[5] و مجاهد

ثالثاً : واختلفوا هل فرض الغائب استقبال العين أو الجهة فمنهم من قال بالأول قال ابن العربي[6] : وهو ضعيف لأنه تكليف لما لا يصل إليه ومنهم من قال بالجهة وهو الصحيح لثلاثة أوجه : الأول

---

1) سورة قريش(3)

2) الحافظ ابن مردويه أحمد بن موسى بن مردويه أبو بكر الأصبهاني والحافظ العلاّمة.صنف التفسير والتاريخ والأبواب والشيوخ، وخرج حديث الأئمة وسمع الكثير بأصبهان والعراق. وتوفي سنة عشر وأربعمائة. الوافي بالوفيات 3/ 90.

3) فتح القدير 8/ 65.

4) (اطفيش) محمد بن يوسف اطفيش :تفسير اطفيش (تيسير التفسير). ط2 مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، نشر وزارة التراث القومي و الثقافة ، عمان من سنة 1982م إلى 1987 م

5) عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان، مولى قريش. أبو محمد. تابعي من أجلاء الفقهاء. أخذ العلم والحديث عنه خلق كثيرون. كان عبدا أسود، أبوه نوبي. ولد في اليمن ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم. توفي بمكة سنة 114. الأعلام 5 / 29. البداية والنهاية 9 / 306.

6) ابو بكر ابن العربي الفقيه محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر ابن العربي المعافري الأندلسي الاشبيلي الحافظ أحد الأعلام، صحب الشاشي والغزالي ورأى غيرهما من العلماء والأدباء ومن تصانيفه: كتاب عارضة الأحوذي في شرح الترمذي والتفسير في خمس مجلدات وغير ذلك وتوفي بمدينة فاس سنة ثلث وأربعين وخمس مابة. الوافي بالوفيات 1/ 431.

: أنه الممكن الذي يرتبط به التكليف الثاني : أنه المأمور به في القرآن لقوله تعالى : { فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم } يعني من الأرض من شرق أو غرب { فولوا وجوهكم شطره}.

الثالث : أن العلماء احتجوا بالصف الطويل الذي يعلم قطعا أنه أضعاف عرض البيت[1]

هذا وقد ذكر الله تعالى "الكعبة " في موضعين من سورة المائدة :

الأول : قول الله تعالى :{يا أيها الذين آمنوا لاَ تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله مِنكُم متعمدًا فَجزاء مثْلُ ما قَتلَ مِن النعمِ يحكُم بِهِ ذَوا عدلٍ منكُم هديًا بالِغَ الْكَعبةِ أو كفارةٌ طَعام مساكِين أو عدلُ ذَلك صِيامًا ليذُوق وبالَ أمرِهِ عفَا اللّه عما سلَف ومن عاد فَينتقِم اللّه مِنه واللّه عزِيز ذُو انتِقَامٍ}[2]

ومعنى { هديًا بالِغَ الكَعبةِ } أي: يذبح في الحرم.

الثاني : قول الله تعالى :{جعلَ اللّه الْكَعبةَ الْبيت الْحرام قِيامًا للناس والشهر الْحرام والْهدي والْقَلائِد ذَلِك لِتعلَموا أن اللّه يعلَم ما فِي السماواتِ وما فِي الأَرض وأن اللّه بِكُل شيءٍ علِيم}[3]

وقد مضت هذه الآية وشيء من معناها آنفاً.

4) ذكر مكة وبكة في القرآن الكريم .

قال الله تعالى :{إِن أولَ بيتٍ وضِع لِلناس لَلذِي بِبكةَ مباركًا وهدًى للْعالَمِين}[4] وسمى بذلك من التباك أي الازدحام لان الناس يزدحمون فيه للطواف، وقيل سميت مكة بكة لأ ا تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم. 5 قال الله تقدس ذكره(للذي ببكة مباركا) لماذا التعبير(ببكة) يقول أهل اللغة منهم الراغب الأصفهاني في مفرداته على القرآن أن البك في اللغة هو شدة التدافع والازدحام وهذه الآية جاءت في سياق الحج في قوله(ولله على الناس حج البيت....) إذ هو مظنة التدافع والازدحام فانظر لجمال الكلمة في القرآن.

وقال الله تعالى : {وهو الذِي كَف أيدِيهم عنكُم وأيدِيكُم عنهم بِبطْن مكةَ مِن بعدِ أنْ أظْفَركُم علَيهِم وكَانَ الله بِما تعملُونَ بصِيرًا }[6] هذا امتنان من الله على عباده المؤمنين حين كف أيدي

---

1) تفسير القرطبي 2/ 154.

2) سورة المائدة(95).

3) سورة المائدة(97).

4) سورة آل عمران(96).

5) الأصفهاني: الحسين بن محمد:المفردات في غريب القرآن، الطبعة الثانية، 1420 هـ ـ 1999 م، دار المعرفة، بيروت، ضبطه وراجعه محمد خليل عيناني. 57/1.

6) سورة الفتح(24).

المشركين عنهم، فلم يصل إليهم منهم سوء، وكف أيدي المؤمنين من المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام، بل صان كلا من الفريقين، وأوجد بينهم صلحا فيه خيرةٌ للمؤمنين، وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة.[1]

5) ذكر أم القرى في القرآن الكريم : وقد وردت هذا الاسم في موضعين :

الأول : قول الله تعالى : {وهذَا كِتاب أنزلْناه مبارك مصدق الذِي بين يديهِ ولِتنذِر أم القُرى ومن حولَها والذِين يؤمِنونَ بِالآخِرةِ يؤمِنونَ بِهِ وهم على صلاتِهم يحافِظُونَ}[2]

الثاني : قول الله سبحانه : {وكَذَلِك أوحينا إِلَيك قُرآنا عربِيا لتنذِر أم القُرى ومن حولَها وتنذِر يوم الْجمعِ لَا ريب فِيهِ فَرِيق فِي الْجنةِ وفَرِيق فِي السعِير}[3]

وأم القرى : مكّة ، وأم الشيء استعارة شائعة في الأمر الّذي يرجع إليه ويلتف حوله ، وحقيقة الأم الأنثى الّتي تلد الطفل فيرجع الولد إليها ويلازمها ، وشاعت استعارة الأم للأصل والمرجع حتى صارت حقيقة ، ومنه سميت الراية أماً ، وسمي أعلى الرأس أم الرأس ، والفاتحة أم القرآن .. وإنما سميت مكّة أم القرى لأنها أقدم القرى وأشهرها وما تقرت القرى في بلاد العرب إلاّ بعدها ، فسماها العرب أم القرى ، وكان عرب الحجاز قبلها سكّان خيام .4

6) ذكر البلدة في القرآن الكريم:

وذلك في موضع واحد من سورة النمل: هو في قول الله تعالى :

قول الله تعالى : {إِنما أُمِرت أنْ أعبد رب هذِهِ الْبلْدةِ الذِي حرمها ولَه كُل شيءٍ وأُمِرت أنْ أكُونَ مِن الْمسلِمِين}[5]

(هذِهِ الْبلْدةِ) يعنى مكة التي عظم الله حرمتها، أي جعلها حرما آمنا، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد فيها صيد، ولا يعضد فيها شجر، على ما تقدم بيانه في غير موضع وقرأ ابن عباس: " التي حرمها " نعتا للبلدة وقراءة الجماعة " الذي " وهو في موضع نصب نعت ل " رب ".[6]

---

1) تفسير ابن كثير 342/7.

2)سورة الأنعام (92).

3) سورة الشورى(7).

4) التحرير والتنوير 34/5.

5) سورة النمل(91).

6) تفسير القرطبي 13/ 246.

7) ذكر البلد في القرآن الكريم..

أولاً: قول الله تعالى : {وإِذْ قَالَ إِبراهِيم رب اجعلْ هَذَا بلَدًا آمِنًا وارزق أَهله مِن الثمراتِ من آمن مِنهم بِاللّهِ والْيومِ الآخِرِ قَالَ ومن كَفَر فَأُمتعه قَلِيلاً ثُم أَضطَره إِلَى عذَابِ النارِ وبِئْس الْمصِير}[1]

أي: وإذ دعا إبراهيم لهذا البيت، أن يجعله الله بلدا آمنا، ويرزق أهله من أنواع الثمرات، ثم قيد عليه السلام هذا الدعاء للمؤمنين، تأدبا مع الله، إذ كان دعاؤه الأول، فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيدا بغير الظالم.2 **..عن جابر بن عبد الله**[3]**قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن إبراهيم حرم بيت الله وأمنه وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها فلا يصاد صيدها ولا يقطع عضاهها"**4

ثانياً: قول الله تعالى :{وإِذْ قَالَ إِبراهِيم رب اجعلْ هذَا الْبلَد آمِنًا }[5] **فاستجاب الله دعاءه شرعا وقدرا، فحرمه الله في الشرع ويسر من أسباب حرمته قدرا ما هو معلوم، حتى إنه لم يرده ظالم بسوء إلا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم.**6

ثالثاً: قول الله تعالى : {لَا أُقْسِم بِهذَا الْبلَدِ * وأَنت حِلٌ بِهذَا الْبلَدِ}[7] **والمعنى: أن الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها، فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده، فهذا وعد من الله عز وجل بأن يحلها له.**[8]

---

1) سورة البقرة(126).

2) تفسير السعدي 1/ 66.

3) جابر بن عبد الله بن عمرو بن سواد بن سلمة الأنصاري، من مشاهير الصحابة وأحد المكثرين من الرواية، شهد هو وأبوه العقبة الثانية ولم يشهد الأولى، وشهد بدراً وقيل لم يشهدها، وشهد بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر غزوات، ومات سنة أربع وسبعين، وقيل سبع وسبعين، وقيل ثمان وسبعين.وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول. الوافي بالوفيات 3/ 496.

4) أخرجه أحمد (4/40 ، رقم 16493) ، و(عبد بن حميد)بن نصر أبو محمد الكسي :المنتخب من مسند عبد بن حميد: مكتبة السنة – القاهرة :الطبعة الأولى ، 1408 – 1988 ،تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي :(ص 184 ، رقم 518) ، والبخارى (2/749 ، رقم 2022) ، ومسلم (2/991 ، رقم 1360) . وأخرجه أيضًا : (البيهقى) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الطبعة : الأولى ـ 1344 هـ(5/197 ، رقم 9735) .

5) سورة إبراهيم (35).

6) تفسير السعدي 1 / 426 .

7) سورة البلد(2،2).

8) معالم التنزيل 8/ 426..

رابعاً : قول الله تعالى : {وهذَا الْبلَدِ الْأَمِين}[1] يعني: مكة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن[2]، وإبراهيم النخعِي، وابن زيد، وكعب الأحبار[3]. ولا خلاف في ذلك.[4]

8) ذكر الحرم في القرآن الكريم..

قال الله تعالى : {وقَالُوا إِن نتبِعِ الْهدى معك نتخطف مِن أرضِنا أولم نمكن لهم حرمًا آمِنًا يجبى إِلَيهِ ثَمرات كُل شيءٍ رِزقًا مِن لدنا ولَكِن أكْثَرهم لا يعلمونَ}[5] يعني: هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل؛ لأن الله جعلهم في بلد أمين، وحرم معظم آمن منذ وضع، فكيف يكون هذا الحرم آمنًا في حال كفرهم وشركهم، ولا يكون آمنًا لهم وقد أسلموا وتابعوا الحق؟.[6]

وقال الله تعالى : {أولم يروا أنا جعلْنا حرمًا آمِنًا ويتخطف الناس مِن حولهم أفَبِالْباطِلِ يؤمِنونَ وبِنعمةِ اللهِ يكْفُرونَ }[7] امتن الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، على قريش ، بأنه جعل لهم حرماً آمناً يعني حرم مكة ، فهم آمنون فيه على أموالهم ودمائهم ، والناس الخارجون عن الحرم ، يتخطفون قتلاً وأسراً .

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في آيات أخر.. كقوله تعالى : { ومن دخلَه كَانَ آمِناً }.[8]

---

1) سورة التين(3).

2) الحسن بن يسار البصري الفقيه القارئ الزاهد العابد، سيد زمانه، إمام أهل البصرة، بل إمام أهل العصر.ولد بالمدينة سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه. وكانت أمه خيرة مولاةً لأم سلمة، فكانت تذهب لمولا ا في حاجة، وتشاغله أم سلمة بثديها، فربما در عليه. ومات الحسن ليلة الجمعة وغسله أيوب وحميد، وأخرج حين انصرف الناس وازدحموا عليه، حتى فاتت الناس صلاة العصر، لم تصل في جامع البصرة. وكان توفيه سنة عشر ومائة، وعمره تسع وثمانون سنة، وقيل ست وتسعون سنة. الوافي بالوفيات 4/ 224.

3) كعب الأحبار، أبو إسحاق ابن ماتع الحميري اليماني الكتابي: اسلم في خلافة أبي بكر وأول خلافة عمر.قال: لأن أبكي خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بوزني ذهباً.توفي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، وروى له أبو داود والترمذي والنسائي. الوافي بالوفيات 7/ 280.

4) تفسير ابن كثير 8/ 434.

5) سورة القصص(57).

6) تفسير ابن كثير 6/ 247.

7) سورة العنكبوت(67).

8) (الشنقيطي) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" الرياض، دار الإفتاء،1403هـ .6/ 247.بتصرف .

المبحث الثاني :الآيات القرآنية المحمولة على أهل القبلة عند المفسرين.

من آيات الكتاب العزيز آيات تحمل في معناها على "أهل القبلة " فتشمل حكمها بـذلك كافـة المسلمين، في حين أن أولي العلم من أهل التأويل لا يدخلون " أهل القبلة " في معاني آيات أخرى . وهذا الباب من مآخذ العلماء على طوائف من أهل البدع ، الذين ما ضبطوا هذا الأصل فخلطـوا فضلوا ، يقول (الضحاك) رحمه الله تعالى : في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن ولا تكونوا كأهل نهروان[1] تأولوا آيات مـن القرآن في أهل القبلة وإنما أنزلت في أهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا علينا بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيم أنزل الله لم يختلف في شيء منه[2]

ومما يحتج به الوعيدية مثلاً قول الله تعالى : { أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }[3] والجـواب أن الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولأن الذين أحسنوا يتنـاول أصـحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه[4] ومن تلك الآيات التي فسرها العلماء بـ"أهل القبلة" :

أولاً : قول الله تعالى : { يوم تبيض وجوه وتسود وجوه}[5] تأول الآية مالك بن أنس فيما روى عنه ابن القاسم[6] وهو في ثالثة المسائل من سماعه من كتاب المرتدين والمحاربين من العتبية قال " ما آية في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال مالك : إنما هذه لأهل القبلة " . يعني أنها ليست للذين تفرقوا واختلفوا من الأمم قبلنا بدليل قوله (أكفرتم بعد إيمانكم)[7].

وهذا فيه فضل أهل القبلة " المسلمين" كما في الحديث الصحيح:" مثل المسلمين و اليهود و النصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا و ما عملنا لك فقال لهم : لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم و خذوا أجركم كاملا فأبوا و تركوه فاستأجر أجراء بعدهم فقال : اعملوا بقية يومكم و لكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : لك ما عملنا و لك

---

1) "أهل النهروان " : المراد بهم الخوارج الذين قاتلوا علياً رضي الله عنه والصحابة وسيأتي الحديث عنهم في موضعه إن شاء الله

2) معالم التنزيل للبغوي334/1.

3) سورة البقرة (39).

4) البيضاوي194/1.

5) آل عمران (106).

6) (ابن القاسم) (132 - 191 ه = 750 - 806 م) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري، أبو عبد الله، ويعرف بابن القاسم: فقيه، جمع بين الزهد والعلم.وتفقه بالامام مالك ونظرائه.مولده ووفاته بمصر.له (المدونة - ط) ستة عشر جزءا، وهي من أجل كتب المالكية، رواها عن الامام مالك 3/ 323.

7) التحرير والتنوير308/1.

الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال : أكملوا بقية عملكم فإنما بقي من النهار شيء يسير فأبوا فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس و استكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم و مثل ما قبلوا من هذا النور "[1].

ثانياً : قول الله تعالى : { أو كسبت في إيمانها خيرا }[2] قال السدي : كسبت في تصديقها عملا صالحا، هؤلاء أهل القبلة وإن كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها وإن عملت قبل الآية خيرا ثم عملت بعد الآية خيرا قبل منها [3]

ثالثاً : قول الله تعالى : { فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة }[4] قال ابن عباس : حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة[5].

رابعاً : قول الله تعالى : {وأما الذِين سعِدوا فَفِي الْجنةِ خالِدِين فِيها ما دامتِ السماوات والأرض إِلا ما شاء ربك عطَاء غَير مجذُوذٍ}[6] سفين عن رجل عن الضحاك واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت الا من استثنى الله من أهل القبلة [7]

خامساً : قول الله تعالى : {ولَو شاء ربك لَجعلَ الناس أُمةً واحِدةً ولاَ يزالُونَ مختلِفِين . إِلا من رحِم ربك ولِذَلِك خلَقَهم وتمت كَلِمةُ ربك لأَملأَن جهنم مِن الْجِنةِ والناس أجمعِين}[8]

عن عكرمة : { ولا يزالون مختلفين } قال : اليهود والنصارى { إلا من رحم ربك } قال : أهل القبلة ولذلك خلقهم قال : للرحمة .[9]

سادساً : قول الله تعالى : {الَر تِلْك آيات الْكِتابِ وقُرآنٍ مبِينٍ . ربما يود الَذِين كَفَروا لَو كَانوا مسلِمِين}[10] عن أبي موسى [11]قال : بلغنا انه إذا كان يوم القيامة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء

---

1) رواه البخاري عن أبي موسى .انظر حديث رقم : 5852 في صحيح الجامع .

2) سورة الأنعام (158).

3) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي ، فتح القدير264/2.

4) سورة التوبة (11).

5) الطبري 328/6 ، والمحرر الوجيز 226/3.

6) سورة هود(108).

7) الثوري134/1

8) سورة هود(118-119)

9) الطبري 137/7. وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة ، الدر المنثور 4 /492.

10) سورة الحجر(2).

11) أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن حضار. هو أبو موسى الأشعري اليماني، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قدم عليه مسلماً مع أصحاب السفينتين من الحبشة. استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن. وولي الكوفة

الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة : ألستم مسلمين ؟ قالوا : بلى قالوا : فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار ؟ قالوا : كانت لنا ذنوب فأخذنا ا فسمع الله ما قالوا فأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فأخرجوا فقال من في النار من الكفار : يا ليتنا كنا مسلمين ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : { الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين * ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين}.[1]

سابعاً : قول الله تعالى : {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق}[2]

عن ابن عباس قوله { و أذن في الناس بالحج } يعني بالناس : أهل القبلة ألم تسمع أنه قال : { إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا }[3] إلى قوله { ومن دخله كان آمنا }[4] يقول : و من دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم و كتب عليهم الحج فإنه آمن فعظموا حرمات الله تعالى فإ ا من تقوى القلوب.[5]

ثامناً : قول الله تعالى : {الزاني لا ينكح إلا زانيةً أو مشركةً والزانيةُ لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين}[6] عن ابن عباس قوله { الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة } قال : الزاني من أهل القبلة لا يزني إلا بزانية مثله أو مشركة قال : والزانية من أهل القبلة لا تزني إلا بزان مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة ثم قال { وحرم ذلك على المؤمنين }[7].والمقصود أن الزنى فاحشة لا تليق بالمؤمن كما في الحديث :ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن[8] ، ومع ذلك فإن أصل الإيمان لا يزول عنه بل هو من أهل القبلة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما .

تاسعاً : قول الله تعالى : {ثُم إنكُم يوم القِيامةِ عِند ربكُم تختصِمونَ}[9]

والبصرة لعمر وحفظ الكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان من أجلاء الصحابة. توفي سنة أربع وأربعين على الصحيح. الوافي بالوفيات 5/ 453.

1) الطبري 17/ 61

2) سورة الحـج(27).

3) آل عمران: 96

4) آل عمران: 97

5) تفسير الطبري 9/134

6) سورة النـور(3).

7) تفسير الطبري 9/ 260.

8) أخرجه البخاري ، ومسلم.،جامع الأصول (9369)

9) سورة الزمر(31).

عن أبي العالية في قوله { ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون } قال : أهل القبلة[1] وعن الربيع قال : قلت لأبي العالية[2] { لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد } قال أبو جعفر الطبري : أحسب قال : هم أهل الشرك وقال في آية أخرى (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فهم أهل القبلة[3]. وأهل القبلة يكون بينهم الخصام، قال عبد الله بن عمر : لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين: " ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون " فقلنا: وكيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد، حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف، فعرفت أ ا فينا نزلت.

وقال أبو سعيد الخدري[4]: كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا.

وقال إبراهيم النخعي: لما نزلت هذه الآية جعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: ما خصومتنا بيننا ؟ فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا: هذه خصومتنا بيننا.[5]

عاشراً : قول الله تعالى :{مِنِيبِين إِلَيهِ واتقُوه وأَقِيموا الصلَاةَ ولَا تكُونوا مِن الْمشرِكِين . مِن الذِين فَرقُوا دِينهم وكَانوا شِيعًا كُلُ حِزبٍ بِما لَديهم فَرِحونَ}[6]

تأوله أبو هريرة[7] وعائشة[8] وأبو أمامة[1] : أنه لأهل القبلة من أهل الأهواء[2] لأن قوله : { مِن الذين فَرقُواْ دِينهم وكَانواْ شِيعاً } هو بدل مما قبله بإعادة الجار ، والشيع : الفرق ، أي لا تكونوا من الذين تفرقوا فرقاً

---

1) تفسير الطبري3/11.

2) رفيع بن مهران ، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي البصري ، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع ، ثم من بني تميم . أدرك زمان النبي εوهو شاب ، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ، ودخل عليه .توفي سنة ثلاث وتسعين. سير أعلام النبلاء.

3) المصدر السابق 423/11.

4) أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم كان من فضلاء الصحابة بالمدينة . وهو سعيد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد الأنصاري الخزرجي الخدري وقال البخاري : قال علي : مات بعد الحرة بسنة تاريخ الاسلام 1/ 681.

5) تفسير القرطبي 15/ 255.

6) سورة الروم(31_32).

7) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صحابي جليل، قيل كان اسمه في الجاهلية عبد شمس فسماه الرسول ε عبد الرحمن، وقيل سماه عامرا وغلب عليه لقب (أبو هريرة) وقد لقبه به النبي ε لأنه رآه يحمل هريرة في كمه. أسلم عام خيبر سنة 7هـ وشهد فتح خيبر مع الرسول ε . لزم رسول الله ε وواظب عليه رغبة في العلم، راضيا بشبع بطنه، وكان يدور مع الرسول ε حيث دار. كان أحفظ أصحاب رسول الله ε وكان من أئمة الفتوى.استعمله عمر بن الخطاب τ على البحرين ثم رآه لين العريكة مشغولا بالعبادة فعزله، وأراده بعد ذلك على العمل فأبى. توفي بالمدينة .

8) عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية القرشية. أمها أم رومان بنت عمرو ابن عامر، من بني مالك، من كنانة. تزوجها الرسولε بعد وفاة خديجة وعقد عليها في مكة وهي بنت ست سنين وبنى ا بعد قدومه إلى مكة وهي بنت تسع، وكان بناؤه ا

في الدين يشايع بعضهم بعضاً من أهل البدع والأهواء . وقيل : المراد بالذين فرقوا دينهم شيعاً : اليهود والنصارى[3] . وقرأ حمزة [4] والكسائي : « فارقوا دينهم » ورويت هذه القراءة عن علي بن أبي طالب ، أي فارقوا دينهم الذي يجب اتباعه ، وهو التوحيد[5] .

حادي عشرة: قول الله تعالى : {ويطْعِمونَ الطعام على حبه ِمسكِينًا ويتيمًا وأسِيرًا}[6]
{ مسكينا } فقيرا لا مال له { ويتيما } صغيرا لا أب له { وأسيرا } قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء : هو المسجون من أهل القبلة وقال قتادة : أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك وقيل : الأسير المملوك وقيل : المرأة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : [اتقوا الله في النساء فإ ن عندكم عوان] أي أسراء [7]

في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة وكناها بأم عبد الله وهو اسم ابن أختها عبد الله بن الزبير كانت أحب نساء النبي ε إليه وأكثرهن رواية عنه. توفي الرسول ε وهي بنت ثماني عشرة سنة وكان مكثه معها تسع سنين. توفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع سنة 58هـ. رضي الله عنها . الأعلام 4 / 50 .البداية والنهاية 8 / 91. سير أعلام النبلاء 2 / 98.

1) صدي بن عجلان بن عمرو، أبو أمامة الباهلي؛ له صحبة ورواية،وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه فأسلموا، وسكن حمص توفي سنة ست وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة. الوافي بالوفيات246/5.

2) تفسير القرطبي 32/14.

3) قال الربيع بن أنس: الذين فرقوا دينهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.المصدر السابق 32/14.

4) هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي مولى عكرمة بن ربيع التيمي قرأ على أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي كان ورعا بكتاب الله مجودا له عارفا بالفرائض والعربية حافظا للحديث توفي بحلوان سنة 156 ست وخمسين ومائة . مناهل العرفان في علوم القرآن1/ 318.

5) فتح القدير 5/ 471.

6) سورة الإنسان(8).

7) معالم التنزيل 294/1.

المبحث الثالث : الأحاديث الواردة في أهل القبلة :

الأحاديث في ذكر "أهل القبلة" ليست كثيرة ، وكثير منها ليس صحيح السند عند أهل الحديث ، فنبدأ بما ثبت منها عند أهل العلم وشرحها بإيجاز ،ثم نعرج على الأحاديث الأخرى والتي وان كانت صريحة في النص على "أهل القبلة " إلا أ ا غير صحيحة :

أولاً :حديث أنس بن مالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم- :« من صلى صلاتنا واستقْبلَ قِبلتنا ، وأكَلَ ذَبِيحتنا ، فَذَلِك الْمسلِم لَه ذِمةُ اللهِ وذِمةُ رسولِهِ ، فَلا تخفِروا الله فِى ذِمتِهِ ».[1]

وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم ، إلا بحقها وحسا م على الله عز وجل))[2] .

وقد دل هذا الحديث على أن الدم لا يعصم بمجرد الشهادتين ، حتى يقوم بحقوقهما ، وآكد حقوقهما الصلاة ؛ فلذلك خصها بالذكر . وفي حديث آخر أضاف إلى الصلاة الزكاة .

---

1) حديث أنس : أخرجه البخارى 153/1 ، رقم(384) ، والنسائى 105/8 ، رقم (4997) . وأخرجه أيضًا : البيهقى (3/2 ، رقم 2030) . والنسائي في السنن الكبرى برقم (11728). وأخرجه أيضًا الطبراني في مسند الشاميين برقم (2306). من حديث عطاء عن أبي هريرة ، ولكن بزيادة " واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ، وصام شهرنا"

حديث جندب : أخرجه الرويانى (149/2 ، رقم 973) ، والطبرانى (162/2 ، رقم 1669) . قال الهيثمى (28/1) : عبيد بن عبيدة التمار لم أقف على ترجمته .

حديث ابن مسعود : قَالَ: كَتب رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم إِلَى الْمنذِرِ بن ساوى (*) :من صلى صلاتنا، واستقْبلَ قِبلَتنا، وأَكَلَ ذَبِيحتنا، فَذَاكُم الْمسلِم، لَه ذِمةُ اللهِ وذِمةُ الرسول صلى الله علَيهِ وسلم.

أخرجه الطبرانى (152/10 ، رقم 10291) . قال الهيثمى (28/1) : فى إسناده الحسن بن إدريس الحلوانى ولم أر أحدًا ذكره وهو أيضًا من رواية أبى عبيده عن أبيه ولم يسمع منه . قال ابن رجب : خرجه أبو عبيد ، وهو مرسل(فتح الباري لابن رجب 3/ 138). والحديث عند الجميع عدا البخارى والبيهقى .

أنظر : "جامع الأحاديث" لجلال الدين السيوطي 5/21.

وأخرجه أيضاً أبوبكر ابن أبي شيبة 7/ 581: حدثنا وكيع قال ثنا يزيد بن إبراهيم عن الحسن ، قال : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن : " من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذالكم المسلم ، له ذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أبى فعليه الجزية ".

(*) منذِر بن عمرٍو الأَنصارِي ثُم الساعِدِي استشهد يوم بِئْر معونةَ، وكَانَ أَمِير السرِيةِ

2) عند البخاري في " الصلاة - باب فضل استقبال القبلة " ص 56 - ج 1

وذكر استقبال القبلة إشارة إلى أنه لا بد من الإتيان بصلاة المسلمين المشروعة في كتا م الله ل على نبيهم وهي الصلاة إلى الكعبة ، وإلا فمن صلى إلى بيت المقدس بعد نسخه كاليهود أو إلى المشرق كالنصارى فليس بمسلم ، ولو شهد بشهادة التوحيد .

وفي هذا دليل على عظم موقع استقبال القبلة من الصلاة ؛ فإنه لم يذكر من شرائط الصلاة غيرها ، كالطهارة وغيرها . قال الملا على القاري[1]: "واستقبل قبلتنا إنما ذكره مع اندراجه في الصلاة لأن القبلة أعرف إذ كل أحد يعرف قبلته وإن لم يعرف صلاته ولأن في صلاتنا ما يوجد في صلاة غيرنا واستقبال قبلتنا مخصوص بنا"[2]

وذكره أكل ذبيحة المسلمين ، فيه إشارة إلى أنه لا بد من التزام جميع شرائع الإسلام الظاهرة ، ومن أعظمها أكل ذبيحة المسلمين ، وموافقتهم في ذبيحتهم ، فمن امتنع من ذلك فليس بمسلم . وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يمتحن أحيانا من يدخل في الإسلام ، وقد كان يرى في دينه الأول الامتناع من أكل بعض ذبيحة المسلمين ، بإطعامه مما كان يمتنع من أكله ؛ ليتحقق بذلك إسلامه ...

وقوله : ((فذلك المسلم ، له ذمة الله ورسوله)) . الذمة : العهد ، وهو إشارة إلى ما عهده الله ورسوله إلى المسلمين بالكف عن دم المسلم وماله .قال ابن عبد البر[3] : "فذلك المسلم قالوا هذا دليل على أن من لم يصل صلاتنا ولم يستقبل قبلتنا فليس بمسلم ومما رواه شهر بن حوشب[4] عن أم الدرداء[5] عن أبي الدرداء[6] قال أوصاني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه و سلم بسبع لا تشرك

---

1) الملا علي القاري (000 - 1014 ه = 000 - 1606 م) علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره.ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها.قيل: كان يكتب في كل عام مصحفا وعليه طرر من القراآتوالتفسير فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام.وصنف كتبا كثيرة، منها " تفسير القرآن - خ " ثلاثة مجلدات الأعلام للزركلي5/ 12.

2) (القاري)الملا على القاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح بمباي الهند 1/ 204.

3) أبو عمر ابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد النمرى القرطبى المالكى من كبار حفاظ الحديث يقال له حافظ المغرب صاحب الإستيعاب والدرر، ولة مؤلفات كثيرة بعضها مطبوع وبعضها الآخر مخطوط منها الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف والكافى فى الفقة توفى بشاطبة .موسوعة الأعلام 1/ 400.

4) شهر بن حوشب، أبو عبد الله، وقيل أبو عبد الرحمن، وقيل أبو الجعد وقيل أبو سعيد، الأشعري، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن، من أهل دمشق وتوفي سنة مائة، وقيل سنة إحدى عشرة، وقيل سنة اثنتي عشرة ومائة. الوافي بالوفيات5/ 214.

5) هجمية أم الدرداء الصغرى الحِميرية، روت عن زوجها أبي الدرداء، وقرأت عليه القرآن وروت عن سلمان الفارسي وكعب بن عاصم الأشعري وعائشة وأبي هريرة، وكانت عالمةً زاهدةً كبيرةَ القدر، وأم الدرداء الكبرى خيرةُ بنت أبي حدردٍ صحابية، وكان لهذه الصغرى حرمةٌ وجلالة عجيبة، وتوفيت في حدود التسعين للهجرة، وروى لها الجماعة. الوافي بالوفيات7/ 410.

6) اسمه عويمر فقيل: عويمر ابن عامر بن مالك بن زيد بن قيس تأخر إسلامه قليلاً وكان آخر أهل داره إسلاماً وحسن إسلامه وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمان الفارسي وفي سنة اثنتين وثلاثين بدمشق في خلافة عثمان. الإستيعاب في معرفة الأصحاب2/ 25.

بالله شيئا وإن قطعت وإن حرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها فقد برئت منه (الذمة)"[1]

وقوله : ((فلا تخفروا الله في ذمته)) ، أي : لا تغدروا بمن له عهد من الله ورسوله ، فلا تفوا له بالضمان ، بل أوفوا له بالعهد .وهو مأخوذ من قولهم : أخفرت فلانا ، إذا غدرت به ، ويقولون : خفرته ، إذا حميته .[2]

ثانياً: عن البراء[3] قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى صلاتنا ووجه قبلتنا ونسك نسكنا فلا يذبح حتى يصلي) فقال خالي يا رسول الله قد نسكت عن ابن لي فقال (ذاك شيء عجلته لأهلك) فقال إن عندي شاة خير من شاتين قال (ضح ا فإ ا خير نسيكة)[4].

قَوله : (من صلى صلَاتنا واستقْبلَ قِبلَتنا) الْمراد من كَانَ علَى دِين الْإِسلَام .

ثالثاً : إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذنا ا فيسمع الله عز و جل ما قالوا فيأمر بإخراج من كان النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا " ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم { ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين } "[5]

رابعاً : عن علقمة[6] عن ابن مسعود قال : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أصبح يوم صومي دهينا مترجلا ولا تصبح يوم صومك عبوسا وأجب دعوة من دعاك من المسلمين مالم يظهروا المعارف فإذا

---

1) (ابن عبد البر)أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: الناشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، 1387تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير 4/ 228.

2) (ابن رجب) زين الدين أبو الفرج" فتح الباري 138/3.

3) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الحارثي المدني؛ نزيل الكوفة. صحب النبي صلى الله عليه وسلم فاستصغر يوم بدر، وشهد غير غزوة، وقال: كنت أنا وابن عمر لدة. وروى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وتوفي سنة إحدى وسبعين للهجرة. الوافي بالوفيات3/ 363.

4) صحيح مسلم : (1961).

5) أخرجه النسائي في الكبرى من حديث جابر نحوه بإسناد صحيح تخريج أحاديث الإحياء 4571ورواه الطبراني وفيه خالد بن نافع الاشعري قال أبو داود متروك ، قال الذهبي هذا تجاوز في الحد فلا يستحق الترك فقد حدث عنه أحمد ابن حنبل وغيره ، وبقية رجاله ثقات. (الهيثمي)الحافظ نور الدين الهيثمي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ط 3- دار الكتاب العربي بيروت 45/7

6) علقمة بن وقاص الليثي أبو عمرو من أفاضل التابعين مات في ولاية عبد الملك بن مروان [460] .مشاهير علماء الأمصار1/ 112.

أظهروا المعازف فلا تجبهم وصلى على من مات من قبلتنا وإن قتل مصلوبا أو مرجوما فلأن تلقى الله بمثل قراب الأرض ذنوباً خير لك من أن تبت الشهادة على أحد من أهل القبلة[1]

خامساً : عن الضحاك بن مزاحم قال قال بن عمر : يا نافع[2] أدنيني من سبيل الحاج قال وذلك بعدما ضعف بصره ففعل فنظر الى أصحاب المحامل فقال رحمكم الله ما أنعمكم ثم نظر إلى أصحاب الجواليق السود عليها الرجال فقال أنتم الحاج لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا فاسمعوا مني حديثا احدثكموه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قبلتنا مؤمنون لا يخرجهم من الإيمان ألا الباب الذي دخلوا فيه منه[3]

سادساً : عن هشام بن عروة[4] رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه يردد قوله سبع مرات[5]

سابعاً : عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : لا يحل دم امرئ من أهل القبلة إلا بإحدى ثلاث : قتل فيقتل و الثيب الزاني و المفارق للجماعة أو قال الخارج من الجماعة[6]

ثامناً: عن الحارث [7] عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصل الدين الصلاة خلف كل بر وفاجر والجهاد مع كل أمير ولك أجرك والصلاة على كل من مات من أهل القبلة [8]

---

1) رواه الطبراني وفيه اليمان بن سعيد ضعفه الدارقطني وغيره. مجمع الزوائد 253/4.

2) نافع مولى ابن عمر:الإمام المفتي الثبت، عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي، ثم العدوي العمري، مولى ابن عمر وراويته. قال البخاري: أصح الأسانيد: مالك، عن نافع، عن ابن عمر سير أعلام النبلاء5/ 95

3) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي الناشر : مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة الطبعة الأولى ، 1413 - 1992تحقيق : د. حسين أحمد صالح الباكري180/1

4) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام المَدني أبو المنذرأحد الأئمة الأعلام، روى عن عمه عبد الله بن الزبير وأبيه وأخويه، وغيرهم وتوفي سنة ست وأربعين ومائة، وقيل سنة خمس، وقيل سنة سبع وصلّى عليه المنصور. الوافي بالوفيات7/ 419.

5): (ابن أبي الدنيا)عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا أبو بكر:الصمت وآداب اللسان ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، 1410 تحقيق : أبو إسحاق الحويني104/1

6) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة المستدرك على الصحيحين 393/4 تعليق الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

7) الحارث الاعور هو العلامة الامام أبو زهير، الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد الهمداني الكوفي صاحب علي وابن مسعود، كان فقيها كثير العلم على لين في حديثه ، وتوفي سنة خمس وستين بالكوفة. سير أعلام النبلاء5/ 155.

8) وليس فيها شيء يثبت: سنن الدارقطني: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي الناشر : دار المعرفة - بيروت ، 1386 – 1966 تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني 57/2

تاسعاً: أخرج ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ " رحم الله امرأ كف لسانه عن أعراض المسلمين " [1]

عاشراً: حدثني أبو الدرداء وأبو أمامة ووائلة بن الأسقع مرفوعا بلفظ : (صلوا مع من : قال صلى من أهل القبلة وصلوا على من مات من أهل القبلة) [2] **.**

أحد عشر : عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تكفروا أحداً من أهل القبلة بذنب،وإن عملوا بالكبائر وصلوا مع كل إمام وجاهدوا مع كل أمير" [3] **.**

ثاني عشر : عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن بن البيلماني قال : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أهل القبلة قتل رجلا من أهل الذمة ، وقال : أنا أحق من وفى بالذمة) [4] **.**

---

1) وهو منقطع وضعيف جدا تخريج أحاديث الإحياء72/3

2) أخرجه الجرجاني في (تاريخ جرجان) (272) من طريق ابن عدي بسنده عن القرفساني به . قلت : وهذا سند واه جدا عبد الله بن يزيد هذا هو ابن آدم الدمشقي قال أحمد : (أحاديثه موضوعة) . والقرفساني اسمه محمد بن مصعب وفيه ضعف من قبل حفظه . فقد تبين من هذا التجريح والتتبع لطرق الحديث أ ا كلها واهية جدا كما قال الحافظ في (التلخيص) (ص 125) ولذلك فالحديث يبقى على ضعفه مع كثرة طرقه لأن هذه الكثرة الشديدة الضعف في مفردا ا لا تعطي الحديث قوة في مجموعها كما هو مقرر في (علم الحديث) . فالحديث مثل صالح لهذه القاعدة التي قلما يراعيها من المشتغلين ذا العلم الشريف .
(الألباني) محمد ناصر الدين: إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الطبعة الثانية 1405هـ ـ 1985م، المكتب الإسلامي ـ بيروت، إشراف محمد زهير الشاويش. 310/2

3) رواه الطبراني في الأوسط وفيه علي بن أبي سارة وهو ضعيف متروك الحديث. أنظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد1/ 59. .

4) مصنف ابن ابي شيبة 6/ 362 .ولكنه ضعيف منقطع لا تقوم به الحجة كما العلامة المبارك فوري رحمه الله : وقيل يقتل بالذمي والحديث مخصوص بغيره وهو قول النخعي والشعبي وإليه ذهب أصحاب أبي حنيفة لما روى عبد الرحمن بن البيلماني أن رجلا من المسلمين قتل رجلا من أهل الذمة فرفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال أنا أحق من أوفي بذمته ثم أمر به فقتل وأجيب عنه بأنه منقطع لا احتجاج به ثم إنه أخطأ إذ قيل أن القاتل كان عمرو بن أمية الضمري ،وقد عاش بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم سنتين ومتروك بالإجماع لأنه روى أن الكافر كان رسولا فيكون مستأمنا والمستأمن لا يقتل به المسلم وفاقا وإن صح فهو منسوخ لأنه روي عنه أنه كان قبل الفتح ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الفتح في خطبة خطبها على درج البيت ولا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده كذا في المرقاة

قوله (وفي الباب عن عبد الله بن عمرو) أخرجه أحمد وبن ماجة والترمذي عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قضى أن لا يقتل مسلم بكافر وفي لفظ أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده رواه أحمد وأبو داود كذا في المنتقى والحديث سكت عنه أبو داود والمنذري وفي الباب أحاديث أخرى مذكورة في التلخيص والنيل

قوله (حديث علي حديث حسن صحيح) وأخرجه البخاري والنسائي وأبو داود ،قوله (والقول الأول أصح) يدل عليه حديث الباب وهو صحيح صريح في أنه لا يقتل مسلم بكافر ولفظ الكافر صادق على الذمي كما هو صادق على الحربي وكذا يدل على القول الأول أحاديث أخرى ،وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه أن مسلما قتل رجلا من أهل الذمة فرفع إلى عثمان فلم يقتله وغلظ عليه الدية.

قال ابن حزم هذا في غاية الصحة فلا يصح عن أحد من الصحابة شيء غير هذا إلا ما رويناه عن عمر أنه كتب في مثل ذلك أن يقاربه ثم ألحقه كتابا فقال لا تقتلوه ولكن اعتقلوه

الثالث عشر: عن أبي الدرداء ، وأبي أمامة الباهلي[1] ، وأنس بن مالك ، وواثلة بن الأسقع[2] ، قالوا : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن » الإسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا ، فطوبى للغرباء « ، فقالوا : يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال : » الذين يصلحون إذا فسد الناس ، لا يمارون في دين الله ، ولا يكفرون أهل القبلة بذنب «[3]

وأما القول الثاني أعني أن المسلم يقتل بالذمي فليس دليل صريح يدل عليه
ومن جملة ما استدل به أهل القول الثاني من الحنفية وغيرهم ما روى عبد الرحمن البيلماني
وقد عرفت أنه لا يصلح للاحتجاج ومن جملته حديث لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده
قالوا أن قوله ولا ذو عهد معطوف على قوله مسلم فيكون التقدير ولا ذو عهد في عهده بكافر كما في المعطوف عليه
والمراد بالكافر المذكور في المعطوف هو الحربي فقط بدليل جعله مقابلا للمعاهد لأن المعاهد يقتل بمن كان معاهدا مثله من الذميين إجماعا فيلزم أن يقيد الكافر في المعطوف عليه بالحربي كما قيد في المعطوف لأن الصفة بعد متعدد ترجع إلى الجميع اتفاقا فيكون التقدير لا يقتل مسلم بكافر حربي ولا ذو عهد في عهده بكافر حربي وهذا يدل بمفهومه على أن المسلم يقتل بالكافر الذمي
ويجاب بأن هذا مفهوم صفة والخلاف في العمل به مشهور بين أئمة الأصول ومن جملة القائلين بعدم العمل به الحنفية فكيف يصح احتجاجهم به على أنه إذا تعارض المنطوق والمفهوم يقدم المنطوق وقد أجيب عن استدلالهم هذا بأجوبة أخرى ذكرها الحافظ في الفتح وكذا الشوكاني في النيل وقد بسط الحافظ الكلام في الجواب عن متمسكا م الأخرى فعليك أن تراجع الفتح .
(المباركفوري)محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا :تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : دار الكتب العلمية – بيروت:4/ 558.

1) صدي بن عجلان بن عمرو، أبو أمامة الباهلي؛ له صحبة ورواية، وروى أيضاً عن عمر وأبي عبيدة وأبي الدرداء ومعاذ، وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه فأسلموا، وسكن حمص توفي سنة ست وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة الوافي بالوفيات5/ 246.

2) واثلة بن الأسقع بالسين المهملة والقاف بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشبٍ، ينتهي إلى كنانة الليثي، وقيل ابن الأسقع بن كعب بت عامر بن ليث بن بكرٍ والأول أكثر، أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك يقال إنه خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين، وهو من أهل الصفة يقال إنه نزل البصرة وله ا دار، ثم سكن الشام ثم إنه تحول إلى بيت المقدس وتوفي هناك وهو ابن مائة سنة، وقيل إنه توفي بدمشق في آخر خلافة عبد الملك سنة خمس أو ست وثمانين وهو ابن ثمانٍ وتسعين سنة الوافي بالوفيات7/ 439..

3) أخرجه الطبراني في الكبير وفيه كثير بن مروان كذبه يحيى والدارقطني ،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد1/ 59.. غير أن اوله صحيح وهو : " إن الإسلام بدأ غريبا و سيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس " . فهذا سنده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير محمد بن آدم المصيصي و هو ثقة كما قال النسائي و غيره . و رواه الآجري في " الغرباء " (1 / 2) من هذا الوجه و الترمذي (2 / 104)، أنظر: (الألباني) محمد ناصر الدين"سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها"مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،الثانية 1404هـ رقم الحديث (1273).وعن علي وجابر قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على ثلاثة أهل لا إله إلا الله لا تكفروهم بذنب ولا تشهدوا عليهم بشرك ومعرفة المقادير خيرها وشرها من الله والجهاد ماض إلى يوم القيامة مذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصابة من المسلمين لا ينقض ذلك جور جائر ولا عدل عادل. رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي كان يضع الحديث. وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحود ما دخل فيه. رواه الطبراني في الأوسط وفيه إسماعيل بن يحيى اليتيمي وهو وضاع كما تقدم.أنظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد1/ 59. الإبانة الكبرى لابن بطة : ابن بطة العكبري 2/ 39

المبحث الرابع : مصطلح أهل القبلة في كلام السلف .

لقد تكررت عبارة "أهل القبلة " في كلام السلف ، وهم يعنون ا المسلمين ،

الأول : عن إبراهيم قال : لم يكونوا يحجبون الصلاة على أحد من أهل القبلة)[1].

الثاني عن ابن سيرين[2] قال :ما علمت أحدا من أصحابنا ترك الصلاة على أحد من أهل القبلة[3].

الثالث: عن ابن عباس أنه كان يقول : باب شرك فتح على أهل القبلة التكذيب بالقدر ، فلا تجادلوهم فيجري مشركهم على أيديكم[4]

الرابع : عن أبي سفيان قال : قلت لجابر بن عبد الله : هل كنتم تقولون لأحد من أهل القبلة : كافر ؟ قال : « لا » ، قلت : وكنتم تقولون : مشرك ؟ قال : « معاذ الله » لم يرو هذا الحديث عن منصور بن دينار إلا أبو عاصم .

---

1) مصنف عبد الرزاق 3/ 535 عن عبد الرزاق عن الثوري عن مغيرة عن إبراهيم ونقله ابن حزم في المحلى

2) (ابن سيرين) (33 - 110 ه = 653 - 729 م) محمد بن سيرين البصري، الانصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة.تابعي.من أشراف الكتاب.مولده ووفاته في البصرة.نشأ بزازا، في أذنه صمم.وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا.واستكتبه أنس بن مالك، بفارس.وكان أبوه مولى لانس.ينسب له كتاب (تعبير الرؤيا - ط) ذكره ابن النديم.
الأعلام للزركلي6/ 154.

3)المصدر السابق : 3/ 537 عن عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن ابن سيرين

4) الإبانة الكبرى لابن بطة 4/ 162 حدثنا أبو الفضل شعيب بن محمد قال : حدثنا ابن أبي العوام الرياحي ، قال : حدثنا أبي قال ، : حدثنا إسماعيل بن عياش ، قال : حدثني عمرو بن محمد بن زيد ، وإسماعيل بن رافع ، وعبد الرحمن بن عمرو بن معاوية ، يرفعونه إلى ابن عباس وإسماعيل بن رافع قال عنه يحيى بن معين : ليس بشيء

الـبـاب الـثـانـي

أمـارات الـدخـول في أهـل الـقـبـلـة

الفصل الأول : الأمارات الأصلية للدخول في "**أهل القبلة".**

الفصل الثاني : الأمارات الفرعية للدخول في **"أهل القبلة".**

الفصل الثالث:المخالفون لأهل السنة في **أمارات الدخول** في **"أهل القبلة".**

تمهيد

إن دخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه في حياته وبعد مماته ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم وقد أخبر الله سبحانه عن حملة العرش ومن حوله أنهم يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم واخبر عن دعاء رسله واستغفارهم للمؤمنين كنوح وإبراهيم ومحمد فالعبد بإيمانه قد تسبب إلى وصول هذا الدعاء إليه فكأنه من سعيه يوضحه أن الله سبحانه جعل الإيمان سببا لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم فإذا أتى به فقد سعى في السبب الذي يوصل إليه وقد دل على ذلك قول النبي لعمرو بن العاص إن أباك لو كان أقر بالتوحيد نفعه ذلك يعني العتق الذي فعل عنه بعد موته فلو أتى بالسبب لكان قد سعى في عمل يوصل إليه ثواب العتق وهذه طريقة لطيفة حسنة جدا

ان الايمان بالله والدخول في الاسلام لمن أعظم منن الله تعالى على عباده ،قال تعالى :(يمنونَ عليْك أنْ أسلموا قُلْ لَا تمنوا عليَ إسلامكُم بل الله يمن عليْكُم أنْ هداكُم للْإيمان إنْ كُنتم صادقين)[1]

أي : يعدون إسلامهم منة عليك حيث قالوا : جئناك بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان { قُل لا تمنواْ علَى إسلامكم } أي : لا تعدوه منة علي ، فإن الإسلام هو المنة التي لا يطلب موليها ثواباً لمن أنعم بها عليه ، ولهذا قال : { بل الله يمن عليْكُم أنْ هداكُم للإيمان } أي : أرشدكم إليه ، وأراكم طريقه سواءً وصلتم إلى المطلوب أم لم تصلوا إليه[2] فإن المنة لله تعالى عليهم، فكما أنه تعالى يمن عليهم، بالخلق والرزق، والنعم الظاهرة والباطنة، فمنته عليهم بهدايتهم إلى الإسلام، ومنته عليهم بالإيمان، أعظم من كل شيء،[3]

فالحمد لله على نعمة الإسلام التي هي أعظم النعم، وأم كل خير كما يحب ربنا ويرضى

إن الإسلام أعز ممن ينتمي إليه فإذا لم يجد أناسا يعرفون قدر نعمة الله عليهم به ويعضون عليه بالنواجذ ويرونه غنيمة ادخرها الله لهم فسوف يرتحل عنهم إلى غيرهم وسيجعل الله على هذه الأرض طائفة على الحق حتى يأذن الله بخراب العالم قال النبي – صلى الله عليه وسلم- : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله »[4] .

---

1) الحجرات (17)

2) فتح القدير7/ 22

3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 802

4) أخرجه مسلم و البخاري بنحوه و غيرهما ، عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة ،انظر " صحيح الجامع " (7164 ـ 7173) .

ولا يعرف حقيقة نعمة الاسلام إلا من كان ضالاً كافراً فأسلم ،كما قال أحد الأمريكيين وكان فيما مضى قاضيا وهو أسود :

" إن نعمة الإسلام نعمة كبيرة وعظيمة لا يشعر ا المسلمون ، إنما نحن الذين نشعر ا عندما أسلمنا فشعرنا بالفرق الهائل بين النقم التي كنا نعيش ا وضنك الحياة والخواء الروحي وسوء الأخلاق التي كنا نعانيها وبين نعمة الإسلام التي ملأت قلوبنا اطمئنانا وسكينة ، وغيرت أخلاقنا ونظرتنا إلى العالم حتى أصبحنا نرثي لأعدائنا ونعطف عليهم ونسعى لضمهم إلى قافلة المنعم عليهم بالإيمان " 1.

وتلك شهادة الله تعالى لنبيه وأتباعه أنه أكمل لهم الدين وأتم عليهم نعمة الإسلام إذ يقول الله جل من قائل: {الْيوم أَكْملْت لَكُم دِينكُم، وأتممت علَيكُم نِعمتِي، ورضِيت لَكُم الإسلام دِيناً}2 لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام وقد نزلت هذه الشهادة من السماء في آخر حياته عليه الصلاة والسلام، وكان نزولها في حجة الوداع على رؤوس الأشهاد في أعظم تجمع حصل في تاريخ الإسلام. عن طارق بن شهاب[3] قال جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرءو ا لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال أي آية قال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) فقال عمر إني لأعلم المكان الذي نزلت فيه واليوم الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرفات في يوم جمعة4 .

وقال تعالى أيضاً : " واذكروا نعمة الله عليكم " وهي نعمة الإسلام "

قال الرازي : إنما قلنا : إن الإسلام نعمة لوجهين : الأول : الكلمة المشهورة على لسان الأمة وهي قولهم : الحمد لله على نعمة الإسلام . والوجه الثاني : أنه تعالى قال في هذه الآية { اليوم أَكْملْت لَكُم دِينكُم وأتممت علَيكُم نِعمتِى } ذكر لفظ النعمة مبهمة ، والظاهر أن المراد ذه النعمة ما تقدم ذكره وهو الدين 5.

---

1) (الهراس)عبد السلام الهراس :الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة ،: موقع الإسلام http://www.al-islam.com

2) المائدة: 3

3) طارق بن شهاب الأحمسي البجلي ؛ رأى النبي صلى الله عليه و سلم وروى عنه حديثاً واحداً وغزا غير مرة في خلافة الصديق وروى عن أبي بكر وعمر وبلال وخالد بن الوليد وعثمان وعلي وابن مسعود وتوفي في حدود التسعين للهجرة . وروى له الجماعة .الوافي في الوفيات1/ 2263.

4) سنن النسائي(5012)

5) مفاتيح الغيب 5/ 469.

إن نِعمةَ الإسلام عنوانُ النعم كلها ، فمن فاز ا فقد حازها بحذافيرها[1] وقال وهب بن منبه رءوس النعم ثلاثة فأولها نعمة الاسلام التى لا تتم نعمه الا ا والثانية نعمة العافية التى لا تطيب الحياة الا ا والثالثة نعمة الغنى التى لا يتم العيش الا به[2]

ولهدا كان الحديث عن أمارات الدخول في الإسلام من المسائل العظيمة التي عني علماء المسلمين بتحريرها

قال الكاساني[3] :وأما أحكام الْإِيمان فَنقُولُ - والله سبحانه وتعالى الموفق لِلْإِيمان - حكْمان : أحدهما يرجِع إلى الْآخِرةِ ، والثانِي يرجِع إلى الدنيا ، أما الذِي يرجِع إلى الْآخِرةِ فَكَينونةُ الْمؤمِن مِن أهل الْجنةِ إذَا ختم عليهِ قَالَ الله تعالى { من جاءَ بِالْحسنةِ فَله خير مِنها } وأما الذِي يرجِع إلى الدنيا فَعِصمةُ النفْس والْمال ؛ لِقَولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلام { أُمِرت أنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يقُولُوا : لَا إلَه إلا الله فَإِذَا قَالُوها ، عصموا مِني دِماءَهم وأموالَهم إلا بِحقها } إلا أن عِصمةَ النفْس تثْبت مقْصودةً ، وعِصمةُ الْمال تثْبت تابِعةً لِعِصمةِ النفْس ، إذْ النفْس أصلٌ فِي التخلق ، والْمالُ خلِق بذْلَه لِلنفْس استبقَاءً لَها ، فَمتى ثَبتت عِصمةُ النفْس ثَبتت عِصمةُ الْمال ، تبعًا إلا إذَا وجِد الْقَاطِع لِلتبعِيةِ على ما نذْكُر فَعلى هذَا إذَا أسلم أهلُ بلْدةٍ مِن أهل دارِ الْحربِ قَبلَ أنْ يظْهر عليهم الْمسلِمونَ حرم قَتلُهم ، ولَا سبِيلَ لِأَحدٍ على أموالِهم على ما قُلْنا وقَد روِي عن رسول اللهِ صلى الله عليهِ وسلم أنه قَالَ : { من أسلم على مالٍ فَهو له } .

ولَو أسلم حربِي فِي دارِ الْحربِ ولَم يهاجِر إلينا فَقَتله مسلِم عمدًا أو خطأً فَلَا شيءَ عليهِ إلا الْكَفارةُ وعِند أبِي يوسف عليهِ الديةُ فِي الْخطَإِ وعِند الشافِعِي - رحِمه الله - عليهِ الديةُ مع الْكَفارةِ فِي الْخطَإِ ، والْقِصاص فِي الْعمدِ واحتجا بِالْعمومات الْوارِدةِ فِي بابِ الْقِصاص والديةِ مِن غَيرِ فَصلٍ بين مؤمِنٍ قُتِلَ فِي دارِ الْإِسلَامِ أو فِي دارِ الْحربِ .

(ولَنا) قَولُه - تبارك وتعالى - { فَإِنْ كَانَ مِن قَومٍ عدو لَكُم وهو مؤمِن فَتحرِير رقَبةٍ مؤمِنةٍ } أوجب - سبحانه وتعالى - الْكَفارةَ وجعلها كُلَّ موجِبِ قَتلِ الْمؤمِن الذِي هو مِن قَومٍ عدو لَنا ؛

---

1) (أبو السعود) محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. 1/ 15.

2) (ابن القيم) شمس الدين محمد بن أبي بكر :عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : دار الكتب العلمية – بيروت ، تحقيق : زكريا علي يوسف 117.

3) الكاساني (000 - 587 ه = 000 1191 م) أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاشاني أو الكاساني، يروى بكليهما. علاء الدين: فقيه حنفي، من أهل حلب.له (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - ط) سبع مجلدات، فقه، و (السلطان المبين في أصول الدين).توفي في حلب. الأعلام للزركلي2/ 70.

لِأنه جعله جزاءً ، والجزاءُ ينبئُ عن الكِفَايَةِ ، فَاقْتضى وقُوع الكِفَايَةِ بِها عما سِواها مِن القِصاص والديةِ جمِيعًا ، ولِأن القِصاص لم يشرع إلا لِحِكْمةِ الحياةِ قَالَ الله - تعالى - { ولَكُم فِي القِصاص حياةٌ } والحاجةُ إلى الإحياءِ عِند قَصدِ القَتلِ لِعداوةٍ حامِلةٍ عليهِ ، ولا يكُونُ ذَلِك إلا عِند المخالطةِ ، ولو لم توجد هاهنا وعلى هذَا إذَا أسلم ولم يهاجِر إلينا حتى ظَهر المسلِمونَ على الدارِ ، فَما كَانَ فِي يدِهِ مِن المقْتولِ فَهو له ، ولا يكُونُ فَيئًا إلا عبدًا يقَاتِلُ فَإِنه يكُون فَيئًا ؛ لِأن نفْسه استفَادت العِصمةَ بِالإسلامِ ، وماله الذِي فِي يدِهِ تابِع له مِن كُلِ وجهٍ ، فَكَانَ معصومًا تبعًا لِعِصمةِ النفْسِ ، إلا عبدًا يقَاتِلُ ؛ لِأنه إذَا قَاتلَ فَقَد خرج مِن يدِ المولى ، فَلم يبق تبعًا له ، فَانقَطَعت العِصمةُ لِانقِطَاعِ التبعِيةِ ، فَيكُون محلا لِلتملكِ بِالاستيلاءِ .

وكَذَلِك ما كَانَ فِي يدِ مسلِمٍ أو ذِمي ودِيعةً له فَهو له ، ولا يكُونُ فَيئًا ؛ لِأن يد المودِعِ يده مِن وجهٍ مِن حيثُ إنه يحفَظُ الودِيعةَ له ، ويد نفْسِهِ مِن حيثُ الحقِيقَةُ وكُل واحِدٍ مِنهما معصوم فَكَانَ ما فِي يدِهِ معصومًا فَلا يكُونُ محلا لِلتملكِ وأما ما كَانَ فِي يدِ حربِي ودِيعةً ، فَيكُونُ فَيئًا عِند أَبِي حنِيفَةَ .

وعِندهما يكُونُ له ؛ لِأن يد المودِعِ يده ، فَكَانَ معصومًا والصحِيح قَولُ أَبِي حنِيفَةَ - رحِمه الله ؛ لِأنه مِن حيثُ إنه يحفَظُ له تكُونُ يده فَيكُونُ تبعًا له ، فَيكُونُ معصومًا ، ومِن حيثُ الحقِيقَةُ لا يكُونُ معصومًا ؛ لِأن نفْس الحربِي غَير معصومةٍ ، فَوقَع الشك فِي العِصمةِ ، فَلا تثْبت العِصمةُ مع الشك ، وكَذَا عقَاره يكُونُ فَيئًا عِند أَبِي حنِيفَةَ ، وأَبِي يوسف وعِند محمدٍ هو والمنقُولُ سواءٌ والصحِيح قَولُهما ؛ لِأنه مِن حيثُ إنه يتصرف فِيهِ بِحسبِ مشِيئَتِهِ يكُونُ فِي يدِهِ ، فَيكُونُ تبعًا له مِن حيثُ إنه محصن محفُوظٌ بِنفْسِهِ ليس فِي يدِهِ ، فَلا يكُونُ تبعًا له ، فَلا تثْبت العِصمةُ مع الشك وأما أولاده الصغار فَأحرار مسلِمونَ تبعًا له ، وأولاده الكِبار وامرأته يكُونونَ فَيئًا ؛ لِأنهم فِي حكْمِ أنفُسِهِم لِانعِدامِ التبعِيةِ .

وأما الولَد الذِي فِي البطْنِ فَهو مسلِم تبعًا لِأَبِيهِ ورقِيق تبعًا لِأمهِ ، وفِيهِ إشكَالٌ ، وهو أن هذَا إنشاءُ الرق على المسلِمِ ، وأنه ممنوع والجواب أن الممتنِع إنشاءُ الرق على من هو مسلِم حقِيقَةً ، لا على من له حكْم الوجودِ ، والإسلام شرعًا ، هذَا إذَا أسلم ولم يهاجِر إلينا ، فَظَهر المسلِمونَ على الدارِ ، فَلو أسلم وهاجر إلينا ثُم ظَهر المسلِمونَ على الدارِ .

أما أمواله فَما كَانَ فِي يدِ مسلِمٍ أو ذِمي ودِيعةً فَهو له ، ولا يكُونُ فَيئًا لِما ذَكَرنا ، وما سِوى ذَلِك فَهو فَيءٌ لِما ذَكَرنا أيضًا وقِيلَ ما كَانَ فِي يدِ حربِي ودِيعةً فَهو على الخِلافِ الذِي ذَكَرنا .

وأما أولاده الصغار فيحكم بإسلامه تبعًا لأبيهم ، ولا يسترقون ؛ لأن الإسلام يمنع إنشاء الرق إلا رقا ثبت حكمًا بأن كان الولد في بطن الأم ، وأولاده الكبار فيء ؛ لأنهم في حكم أنفسهم ، فلا يكونون مسلمين بإسلام أبيهم .

وكذلك زوجته والولد الذي في البطن يكون مسلمًا تبعًا لأبيه ، ورقيقًا تبعًا لأمه ، ولو دخل الحربي دار الإسلام ثم أسلم ، ثم ظهر المسلمون على الدار ، فجميع ماله وأولاده الصغار ، والكبار ، وامرأته ، وما في بطنها فيء ، لما لم يسلم في دار الحرب حتى خرج إلينا لم تثبت العصمة لماله ؛ لانعدام عصمة النفس .

فبعد ذلك وإن صارت معصومة ، لكن بعد تباين الدارين ، وأنه يمنع ثبوت التبعية ولو دخل مسلم أو ذمي دار الحرب فأصاب هناك مالا ، ثم ظهر المسلمون على الدار فحكمه وحكم الذي أسلم من أهل الحرب ولم يهاجر إلينا سواء والله - عز وجل - أعلم[1] .

الفصل الأول : الأمارات الأصلية للدخول في "أهل القبلة".

تعريف الأمارات:

الامارة: بالفتح العلامة جمعه أمارات، ومنه: أمارات الساعة.

واصطلاحاً: هي التي يلزم من العلم ا الظن بوجود المدلول، كالغيم بالنسبة إلى المطر، فإنه يلزم من العلم به الظن بوجود المطر. والفرق بين الأمارة والعلامة، أن العلامة: ما لا ينفك عن الشيء، كوجود الألف واللام على الاسم، والأمارة: تنفك عن الشيء، كالغيم بالنسبة للمطر[2]. وقيل في الفرق بين الأمارة والعلامة: أن الأمارة هي العلامة الظاهرة، ويدل على ذلك أصل الكلمة وهو الظهور، ومنه قيل أمر الشئ إذا كثر ومع الكثرة ظهور الشأن، ومن ثم قيل الأمارة لظهور الشأن، وسميت المشورة أمارا لان الرأي يظهر ا وائتمر القوم إذا تشاوروا قال الشاعر: * ففيم الامار فيكم والامار[3]

قال الأصمعي: الأمارة العلامة، تقول اجعلْ بيني وبينك أمارة وأماراً. قال:

إذا الشمس ذرت في البلادِ فإنها
أمارةُ تسليمي عليكِ فسلمي

---

1) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ،، كتاب السير، فصل: بيان ما يعترض من الأسباب المحرمة للقتال

2) التعريفات للجرجاني 1/ 10.

3) معجم الفروق اللغوية للعسكري1/ 47.

والأمار أمار الطّريق: معالِمه، الواحدة أمارة. قال حميد بن ثَور[1]:

بِسواءِ مجمعةٍ كأن أمارةً

فيها إذا برزت فَنيق يخطِر

والأمر واليأمورالعلَم أيضاً، يقال: جعلت بيني وبينه أماراً ووقْتا وموعِداً وأجلاً، كل ذلك أمار.

وأما العجب فقول الله تعالى: { لَقَد جِئْت شيئاً إمراً }2.

والمراد بالأمارات الأصلية : العلامات التي تكفي بذا ا لإثبات حكم الإسلام لصاحبها ، ويمكننا أن نحصرها في ثلاثة مباحث :

1- النطق بالشهادتين :

2- الإقرار بالإسلام .

3- الإتيان بالشعائر التعبدية كالصلاة والأذان ونحوهما.

المبحث الأول: النطـ ـق بالشهـ ـادتين

لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحق الإسلام و حسا م على الله "3 .

قال الشوكاني[4] : " فَيحكَم بِإسلَامِ من تلَفظَ بِالشهادتين ولَو كَانَ فِي نفْس الْأمرِ يعتقِد خِلَاف ذَلك ولما فِي حدِيثِ الْمتلَاعِنين حيثُ قَالَ : { لَولَا الْأيمانُ لَكَانَ لِي ولَها شأنٌ } فَإنه لَو كَانَ خطَأً لَم يترك اسِتدراكَه والْعملَ بِما عرفَه .

---

1) حميد بن ثور (000 - نحو 30 ؟ ه = 000 - نحو 650 ؟ م) حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، أبو المثنى: شاعر مخضرم.عاش زمنا في الجاهلية.وشهد حنينا مع المشركين.وأسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة عثمان. وقيل: أدرك زمن عبد الملك بن مروان.وعدة الجمحي في الطبقة الرابعة من الاسلاميين.وفي شعره ماكان يتغنى به.وهو القائل: (فلا يبعد الله الشباب وقولنا إذا ما صبونا مرة: سنتوب !) ومن نظمه البيت المشهور في وصف الذئب: (ينام باحدى مقلتيه، ويتقي بأخرى، المنايا، فهو يقظان هاجع) له (ديوان شعر - ط). الأعلام للزركلي2/ 283.

2) الكهف 71

3) أخرجه البخاري (1 / 63 - 64) و مسلم (1 / 39).

4) (الشوكاني) (1173 - 1250 ه = 1760 - 1834 م) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء.ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء.وولي قضاءها سنة 1229 ومات حاكما بها.وكان يرى تحريم التقليد.له 114 مؤلفا، منها (نيل الاوطار من أسرار منتقى الاخبار - ط) ثماني مجلدات، و (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - ط) مجلدان. الأعلام للزركلي2/ 298.

وكذلك حديثُ { إني لم أومر بالتنقيب عن قلوب الناس } فالحجةُ من حديث الباب شاملةٌ للأموال والعقود والفسوخ "[1].

قال النووي[2]: فيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ρ[3].

وقال ابن تيمية : الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها[4].

وحديث أسامةَ بن زيدٍ[5] رضي الله عنهما قالَ: بعثنا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى الحُرَقةِ[6] فصبحنا القومَ فهزمناهم، ولحقْت أنا ورجلٌ من الأنصارِ رجلاً منهم، فلما غشِيناه قالَ لا إله إلا اللهُ، فكفّ الأنصاري عنه، وطعنته برمحي حتى قتلْته؛ فلما قدِمنا، بلغَ النبي صلى الله عليه وسلم فقالَ: يا أسامةُ أقتلْته بعدما قالَ لا إله إلا اللهُ، قلْت كانَ متعوذًا؛ فما زالَ يكررها حتى تمنيت أني لم أكُن أسلمت قبلَ ذَلك اليومِ[7]

، قال الشوكاني : " والأحاديثُ الأولى تدل على أن الإنسانَ يصير مسلمًا بمجردِ النطق بالشهادتين[8] .

---

1) نيل الأوطار 13/ 350.

2) يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي، أبو زكريا محيي الدين النووي، أو النواوي، نسبة إلى (نوى) من قرى حوران بسورية، وإليها نسبته. من تصانيفه: (منهاج الطالبين) و (رياض الصالحين) و (المنهاج في شرح صحيح مسلم) و (التقريب والتيسير) في مصطلح الحديث، و (الأربعون حديثا النووية) توفي في نوى سنة 676هـ . البداية والنهاية 13 / 278 . الأعلام 9 / 184.

3) شرح النووي 212/1.

4) الفتاوى 609/7.

5) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو زيد وقيل أبو محمد حب رسول الله صلى الله عليه وسلّم وابن حبه ومولاه . قال : كان النبي صلى الله عليه وسلّم يأخذني والحسن ويقول : اللهم إني أحبهما فأحبهما . وأمه أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه و سلم وحاضنته وكان أسود كالليل وكان أبوه أبيض أشقر . قال إبراهيم بن سعد قالت عائشة رضي الله عنها : دخل مجزز المدلجي القائف على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فرأى أسامة وزيداً وعليهما قطيفة قد غطّيا رءوسهما وبدت أقدامهما فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض فسر النبي صلى الله عليه و سلم وأعجبه ذلك . وتوفي سنة أربع وخمسين للهجرة على الصحيح . روى عنه الجماعة كلهم . وبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم أسامة في جيش فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فطعن الناس فيه لأنه كان ابن مولى ولم يبلغ عشرين سنة . الوافي في الوفيات1/ 1157.

6) الحرقة : بضم المهملة وبالراء ثم قاف وهم بطن من جهينة تقدم نسبتهم إليهم في غزوة الفتح ، قالَ ابن الكلبي : سموا بذلك لوقعةٍ كانت بينهم وبين بني مرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان فأحرقُوهم بالسهامِ لكثْرة من قتلوا منهم . فتح الباري 19/ 308.

7) أخرجه البخاري في: 64 كتاب المغازي: 45 باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ،ومسلم باب (تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله).

8) نيل الأوطار 13/ 350.

قَالَ الْحافِظُ[1] فِي الْفَتحِ عِند الْكَلَامِ على حدِيثِ { أُمِرت أنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يقُولُوا لَا إلَه إلا الله }: وفِيهِ منع قَتل من قَالَ لَا إلَه إلا الله ولَو لَم يزد علَيها ، وهو كَذَلِك لَكِن هلْ يصِير بِمجردِ ذَلِك مسلِمًا ؟ الراجِح لَا ، بلْ يجِب الْكَف عن قَتله حتى يختبر ، فَإِنْ شهد بِالرسالَةِ والْتزم أحكَام الْإِسلَام حكِم بِإِسلَامِهِ ، وإِلَى ذَلِك الْإِشارة بِالِاستِثْناءِ بِهِ بِقَولِهِ " إلَّا بِحق الْإِسلَام " قَالَ الْبغوِي : الْكَافِر إذَا كَانَ وثَنِيا أو ثَنوِيا لَا يقِر بِالْوحدانِيةِ ، فَإِذَا قَالَ لَا إلَه إلا الله حكِم بِإِسلَامِهِ ثُم يجبر على قَبول جمِيع أحكَام الْإِسلَام ويبرأ مِن كُلِّ دِين خالَف دِين الْإِسلَام ، وأَما من كَانَ مقِرا بِالْوحدانِيةِ منكِرًا لِلنبوةِ فَإِنه لَا يحكَم بِإِسلَامِهِ حتى يقُول محمد رسول الله ، فَإِنْ كَانَ يعتقِد أن الرسالَة الْمحمدِية إلَى الْعرب خاصة فَلَا بد أنْ يقُول إلَى جمِيع الْخلْق ، فَإِنْ كَانَ كَفَر بِجحودِ واجِب أو اِستِباحة محرم فَيحتاج أنْ يرجِع عما اِعتقَده ، ومقْتضى قَوله " يجبر " أنه إذَا لَم يلْتزم تجرِي علَيهِ أحكَام الْمرتد ، وبِهِ صرح الْقَفال[2] واستدل بِحدِيثِ الْباب فَادعى أنه لَم يرِد فِي خبر مِن الْأَخبار " أُمِرت أنْ أُقَاتِل الناس حتى يقُولُوا لَا إلَه إلا الله وأن محمدًا رسول الله أو أني رسول الله " كَذَا قَالَ وهِي غَفْلَة عظِيمة ، فَالْحدِيث فِي صحِيحي الْبخارِي ومسلِم فِي كِتاب الْإِيمان مِن كُلٍّ مِنهما مِن رِواية اِبن عمر بِلَفْظِ " حتى يشهدوا أنْ لَا إلَه إلا الله وأن محمدًا رسول الله " ويحتمِل أنْ يكُون الْمراد بِقَولِهِ لَا إلَه إلا الله هنا التلَفظ بِالشهادتين لِكَونها سارت علَمًا على ذَلِك ، ويؤيده ورودهمَا صرِيحًا فِي الطرق الْأُخرى"[3]

وقال ابن قدامة: وأَما الْكَافِر بِجحدِ الدينِ مِن أَصلِهِ ، إذَا شهد أن محمدًا رسولُ اللهِ ، واقْتصر على ذَلِك ، فَفِيهِ رِوايتان ؛ إحداهما ، يحكَم بِإِسلَامِهِ ؛ لِأَنه روِي { أن يهودِيا قَالَ : أَشهد أن محمدًا رسولُ اللهِ . ثُم مات ، فَقَالَ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم : صلوا على صاحِبِكُم}[4] .

---

1) هوشهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني،أصله من (عسقلان) بفلسطين مولده ووفاته بالقاهرة محدث ، فقيه تولى في القاهرة قضاء القضاة وتصدى لنشر الحديث ، وأمضى في القضاء إحدى وعشرين سنة علت شهرته فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصرهله تصانيف منها: (فتح الباري في شرح البخاري) و (طبقات الحفاظ) و (الإعجاب ببيان الأنساب) و (الإصابة في تمييز الصحابة) و (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) توفي سنة 852 . الأعلام 1/173 .

2) (القفال) (291 - 365 ه = 904 - 976 م) محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، القفال، أبو بكر: من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والادب.من أهل ما وراء النهر.وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء.وعنه انتشر مذهب (الشافعي) في بلاده.مولده ووفاته في الشاش (وراء نهر سيحون) رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام.من كتبه (أصول الفقه - ط) و (محاسنالشريعة) و (شرح رسالة الشافعي). الأعلام للزركلي6/ 274.

3) فتح الباري 382/19.

4) هو حديث أنس رضي الله عنه قال: " كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده؟ فقال له أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار، (فلما مات، قال: صلوا على صاحبكم) ".
أخرجه البخاري والحاكم والبيهقي وأحمد (3 / 175، 227، 280 260) والزيادة له في رواية.

ولأنه لا يقر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلا وهو مقر بمن أرسله ، وبتوحيده ؛ لأنه صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ، وقد جاء بتوحيده .

والثانية ، أنه إنْ كانَ مقرا بالتوحيد كاليهود ، حكم بإسلامه ؛ لأن توحيد الله ثابت في حقه ، وقد ضم إليه الإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فكمل إسلامه ، وإنْ كانَ غير موحد ، كالنصارى والمجوس والوثنيين ، لم يحكم بإسلامه ، حتى يشهد أنْ لا إله إلا الله .

وبهذا جاءت أكثر الأخبار ، وهو الصحيح ؛ لأن من جحد شيئين لا يزول جحدهما إلا بإقراره بهما جميعًا . وإنْ قالَ : أشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم رسولُ الله . لم نحكم بإسلامه ؛ لأنه يحتملُ أنْ يريد غير نبينا . وإنْ قالَ : أنا مؤمن أو أنا مسلم . فقالَ القاضي : يحكم بإسلامه بهذا ، وإنْ لم يلفظْ بالشهادتين ؛ لأنهما اسمان لشيء معلوم معروف وهو الشهادتان ، فإذا أخبر عن نفسه بما تضمن الشهادتين ، كانَ مخبرًا بهما .1

قال الكاساني : الطرق التي يحكم بها بكون الشخص مؤمنًا ثلاثةٌ : نص ، ودلالةٌ ، وتبعيةٌ .

أما النص فهو أنْ يأتي بالشهادة ، أو بالشهادتين ، أو يأتي بهما[2] مع التبرؤ مما هو عليه صريحًا .

وبيانُ هذه الجملة أن الكفرةَ أصناف أربعةٌ : صنف منهم ينكرونَ الصانع أصلًا ، وهم الدهريةُ المعطلةُ ، وصنف منهم يقرونَ بالصانع وينكرونَ توحيده ، وهم الوثنيةُ والمجوس ، وصنف منهم يقرونَ بالصانع وتوحيده وينكرونَ الرسالةَ رأسًا ، وهم قوم من الفلاسفة ، وصنف منهم يقرونَ بالصانع وتوحيده والرسالة في الجملة ، لكنهم ينكرونَ رسالةَ نبينا محمد - عليه أفضلُ الصلاة والسلام - وهم اليهود والنصارى ، فإنْ كانَ من الصنف الأول والثاني ، فقالَ : لا إله إلا الله يحكم بإسلامه ؛ لأن هؤلاء يمتنعونَ عن الشهادة أصلًا .

فإذا أقروا بها كانَ ذلك دليلَ إيمانهم وكذلك إذا قالَ : أشهد أن محمدًا رسولُ الله ؛ لأنهم يمتنعونَ من كل واحدة من كلمتي الشهادة ، فكانَ الإتيانُ بواحد منهما - أيتهما كانت - دلالةَ الإيمان ، وإنْ كانَ من الصنف الثالث فقالَ : لا إله إلا الله لا يحكم بإسلامه ؛ لأن منكر الرسالة لا

---

1) المغني : 19/ 485

2) لا بد من لفظ الشهادة "اشهد ان لا إله إلا الله " ولا يقوم مقامه ذكر الله باسمه المفرد كما قال ابن القيم رحمه الله:(فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلا ولا مفيد شيئا ولا هو كلام أصلا ولا يدل على مدح ولا تعظيم ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب ولا يدخل به الذاكر في عقد الإسلام جملة فلو قال الكافر الله الله من أول عمره إلى آخره لم يصر بذلك مسلما فضلا عن أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بالأسم الظاهر فالذكر بقوله هو هو بالاسم المضمر أفضل من الذكر بقولهم الله الله).

(ابن القيم) شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي :طريق الهجرتين وباب السعادتين: دار ابن القيم – الدمام الطبعة الثانية ، 1414 – 1994 تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.

يمتنع عن هذه المقالة ، ولو قال : أشهد أن محمدًا رسولُ الله يحكم بإسلامه ؛ لأنه يمتنع عن هذه الشهادة ، فكان الإقرار بها دليل الإيمان [1] .وقال العلامة الإمام القرطبي رحمه الله : " ظاهره أن من نطق بكلمة التوحيد فقد حكم له بحكم الإسلام ، وهذا ظاهر متروك قطعا ، إذ لا بد مع ذلك من النطق بالشهادة بالرسالة ، أو بما يدل عليها ، لكنه سكت عن كلمة الرسالة ؛ لدلالة كلمة التوحيد عليها ؛ لأ ما متلازمتان ، فهي مرادة قطعا ، ثم النطق بالشهادتين يدل على الدخول في الدين والتصديق بكل ما تضمنه ، وعلى هذا فالنطق بالكلمة الأولى يفيد إرادة الثانية "[2].وقد أجمع الصحابة وأئمة المسلمين من بعدهم على أن الكافر يدعى إلى الشهادتين مهما كانت عقيدته وعمله إذا أجاب ونطق بالشهادتين حكم بإسلامه ظاهراً، فإن كان صادقا في نطقه فهو مسلم ظاهرا وباطنا، وإن كان كاذبا في الباطن فهو منافق.

المبحث الثاني: الإقرار بالإسلام

كقول المرء: (إني مسلم) كما في حديث فُرات بن حيان[3] أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أمر بقتله وكان عيناً لأبى سفيان[4] وحليفاً فمر بحلقة من الأنصار فقال إنى مسلم. قالوا يا رسول الله إنه يزعم أنه مسلم. فقال « إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم منهم فُرات بن حيان ».[5] وعن عمر ان ابن حصين[6] قال: أصاب المسلمون رجلا من بني عقيل فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إني مسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو كنت قلت وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح)[7]

---

1) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ،، كتاب السير، فصل: بيان ما يعترض من الأسباب المحرمة للقتال

2) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، 1 / 187 .

3) فرات بن حيان بن ثعلبة العجلي. من بني عجل بن لجيم بن سعد بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط، حليف لبني سهم، هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فرات بن حيان العجلي إلى ثمامة بن أثال في قتل مسيلمة وقتاله. البداية والنهاية7/ 83.

4) أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي، واسمه صخر. أحد دهاة العرب، وشيخ قريش، وقائدهم نوبة الأحزاب، ثم أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً. وكان يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد بن أبي سفيان، فكان يقاتل ويقول: " يا نصر الله اقترب " . وكان يقف على الكراديس يقص ويقول: " الله الله إنكم دارة العرب أنصار الإسلام، وهؤلاء دارة الروم وأنصار المشركين، اللهم هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك " .وتوفي سنة إحدى وثلاثين، وقيل سنة اثنتين، وقيل سنة ثلاث، وقيل سنة أربع وثلاثين وله نحو تسعين سنة. تاريخ الإسلام1/ 430.

5)رواه أحمد في المسند (19479) وأبو داود في سننه (2654)

6) عمران بن حصين ابن عبيد بن خلف، أبو نجيد الخزاعي.صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلم هو وأبوه، وأبو هريرة معاً، ولعمران أحاديث.ولي قضاء البصرة، وكان عمر بن الخطاب بعثه إليهم ليفقههم، وكان الحسن البصري يحلف ما قدم عليهم البصرة بخير لهم من عمران بن حصين. توفي عمران سنة اثنتين وخمسين. تاريخ الإسلام2/ 41.

7) رواه مسلم في الصحيح، أنظر: مشكاة المصابيح (3969).

أو قوله (أسلمت لله) كما في حديث الْمِقْدَادِ بن الأسودِ[1] (هو الْمِقْداد بن عمرٍو الْكِنْدِي) أنه قَالَ لِرسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: أرأيت إِنْ لَقِيت رجلاً مِن الْكُفَّار، فَاقْتتلْنا، فَضرب إِحدى يدي بِالسيفِ فَقَطَعها، ثُم لاذَ مِني بِشجرةٍ، فَقالَ أسلَمت لِلهِ، أأقْتلُه يا رسولَ اللهِ بعد أنْ قَالَها فَقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لا تقْتلْه، فَقالَ يا رسولَ اللهِ إِنه قَطَع إِحدى يدي ثُم قَالَ ذَلِك بعد ما قَطَعها؛ فَقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لا تقْتلْه، فَإِنْ قَتلْته فَإِنه بِمنزِلَتِك قَبلَ أنْ تقْتلَه، وإِنك بِمنزِلَتِهِ قَبلَ أنْ يقولَ كَلِمته التي قَالَ[2]

أو قوله مايدل على إرادة الإسلام كما في حيث ابن عمر قَالَ : { بعثَ رسولُ اللهِ خالِد بن الْولِيدِ[3] إِلَى بنِي جذِيمةَ فَدعاهم إِلَى الْإِسلَامِ فَلَم يحسِنوا أنْ يقُولُوا أسلَمنا فَجعلُوا يقُولُونَ : صبأنا صبأنا .فَجعلَ خالِد يقْتلُ ويأسِر ، ودفَع إِلَى كُلِّ رجلٍ مِنا أسِيره ، حتى إِذَا أصبح أمر خالِد أنْ يقْتلَ كُلُّ رجلٍ مِنا أسِيره ، فَقُلْت : واللهِ لَا أقْتلُ أسِيرِي ، ولَا يقْتلُ رجلٌ مِن أصحابِي أسِيره حتى قَدِمنا علَى رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم فَقَالَ : اللهم إني أبرأ إِلَيك مِما صنع خالِد مرتينِ}[4]

قال مجد الدين أبو البركات[5] : وهو دلِيلٌ علَى أن الْكِنايةَ مع النيةِ كَصرِيحِ لَفْظِ الْإِسلَامِ .قال الشوكاني : وقَد استدل الْمصنف بِأحادِيثِ الْبابِ علَى أنه يصِير الْكَافِر مسلِمًا بِالتكَلُّمِ بِالشهادتين ولَو كَانَ ذَلِك علَى طَرِيق الْكِنايةِ بِدون تصرِيحٍ كَما وقَع فِي الْحدِيثِ الْآخر .[6]

---

1) المقداد بن عمرو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد السابقين الاولين، وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي الكندي البهراني.ويقال له: المقداد بن الاسود، لانه ربي في حجر الاسود بن عبد يغوثالزهري فتبناه مات في سنة ثلاث وثلاثين، وصلى عليه عثمان بن عفان، وقبره بالبقيع رضي الله عنه . سير أعلام النبلاء1/ 386.

2) أخرجه البخاري في: 64 كتاب المغازي: 12 باب حدثني خليفة ، ومسلم باب : تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله

3) خالد بن الوليد (21 000 ه = 000 - 642 م) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي: سيف الله الفاتح الكبير، الصحابي.كان من أشراف قريش في الجاهلية، يلي أعنة الخيل، وشهد مع مشركيهم حروب الاسلام إلى عمرة الحديبية، وأسلم قبل فتح مكة (هو وعمرو بن العاص) سنة 7 ه، فسر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه الخيل.ومات بحمص (في سورية) وقيل بالمدينة.كان مظفرا خطيبا فصيحا.يشبه عمر بن الخطاب في خلقه وصفته.

قال أبو بكر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد !. الأعلام للزركلي2/ 300.

4) أخرجه أحمد 150/2(6382) و"البخاري" 203/5و 91/9(7189).

5) ابن تيمية الشيخ الامام العلامة فقيه العصر شيخ الحنابلة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن علي الحراني، ابن تيمية.ولد سنة تسعين وخمس مئة تقريبا.وتفقه على عمه فخر الدين الخطيب، وسار إلى بغداد سمعت – الذهبي- الشيخ تقي الدين أبا العباس يقول: كان الشيخ جمال الدين ابن مالك يقول: ألين للشيخ ا لمجد الفقه كما ألين لداود الحديد.

ثم قال الشيخ: وكانت في جدنا حدة ، قال الشيخ تقي الدين: كان جدنا عجبا في سرد المتون وحفظ مذاهب الناس وإيرادها بلا كلفة.توفي بحران يوم الفطر سنة اثنتين وخمسين وست مئة. سير أعلام النبلاء23/ 293.

6) (نيل الأوطار، 11/ 456).

قال الكاساني : وإنْ كَانَ مِن الصنفِ الرابِعِ فَأتى بِالشهادتين فَقَالَ : لَا إله إلا الله ، محمد رسولُ اللهِ لَا يحكَم بِإِسلَامِهِ حتى يتبرأ مِن الدين الذِي عليهِ ؛ مِن اليهودِيةِ أو النصرانِيةِ ؛ لِأن مِن هؤلَاءِ من يقِر بِرسالَةِ رسول اللهِ ؛ صلى الله عليهِ وسلم لَكِنه يقُولُ : إنه بعِثَ إلى العربِ خاصةً دونَ غيرِهِم فَلَا يكُونُ إتيانه بِالشهادتين بِدون التبرؤ دلِيلًا على إيمانِهِ ، وكَذَا إذَا قَالَ يهودِي أو نصرانِي : أنا مؤمِن أو مسلِم أو قَالَ : آمنت أو : أسلمت لَا يحكَم بِإِسلَامِهِ ؛ لِأنهم يدعونَ أنهم مؤمِنونَ ومسلِمونَ ، والْإِيمانُ والْإِسلَام هو الذِي هم عليهِ وروى الحسن عن أَبِي حنِيفَةَ - رحِمه الله - أنه قَالَ : إذَا قَالَ اليهودِي أو النصرانِي : أنا مسلِم أو قَالَ : أسلمت سئِلَ عن ذَلِك أي شيءٍ أردت بِهِ إنْ قَالَ : أردت بِهِ ترك اليهودِيةِ ، أو النصرانِيةِ ، والدخولَ فِي دِينِ الْإِسلَامِ يحكَم بِإِسلَامِهِ ، حتى لَو رجع عن ذَلِك كَانَ مرتدا وإِنْ قَالَ : أردت بِقَولِي : أسلمت أني على الحق ، ولَم أُرِد بِذَلِك الرجوع عن دِينِي لَم يحكَم بِإِسلَامِهِ ولَو قَالَ يهودِي أو نصرانِي : أشهد أنْ لَا إله إلا الله ، وأتبرأ عن اليهودِيةِ ، أو النصرانِيةِ لَا يحكَم بِإِسلَامِهِ ؛ لِأنهم لَا يمتنِعونَ عن كَلِمةِ التوحِيدِ ، والتبرؤ عن اليهودِيةِ والنصرانِية ، لَا يكُونُ دلِيلَ الدخول فِي دِينِ الْإِسلَامِ لِاحتِمال أنه تبرأ عن ذَلِك ، ودخلَ فِي دِينٍ آخر سِوى دِينِ الْإِسلَامِ ، فَلَا يصلُح التبرؤ دلِيلَ الْإِيمان مع الِاحتِمال ، ولَو أقَر مع ذَلِك فَقَالَ : دخلْت فِي دِينِ الْإِسلَامِ أو فِي دِين محمدٍ صلى الله عليهِ وسلم حكِم بِالْإِسلَامِ ؛ لِزوال الِاحتِمال بِهذِهِ القَرِينةِ والله - سبحانه وتعالى - أعلَم[1] .

المبحث الثالث: الإتيان بالشعائر التعبدية

كالصلاة منفرداً أو في جماعة: لحديث أنس (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلـــم)[2]. ونقل القرطبي عن إسحاق بن راهويه[3] الإجمــاع على ذلك قال إسحاق ابن راهويه: ولقد أجمعوا في الصلاة على شئ لم يجمعوا عليه في سائر الشرائع، لأ م بأجمعهم قالوا: من عرف بالكفر ثم رأوه يصلي الصلاة في وقتها حتى صلى صلوات كثيرة. ولم يعلموا منه إقرارا باللسان أنه يحكم له بالايمان، ولم يحكموا له في الصوم والزكاة بمثل ذلك.4 وفي الشرح الكبير : متى صلى الكافر حكم باسلامه أصليا كان أو مرتدا جماعة أو فرادى في دار الحرب أو في دار الاسلام، وقال الشافعي يحكم باسلامه إذا صلى في دار الحرب ولا نحكم بإسلامه في دار الإسلام لأنه يحتمل أنه صلى رياء وتقية.

---

1) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ،، كتاب السير، فصل: بيان ما يعترض من الأسباب المحرمة للقتال

2) الحديث رواه البخاري ، صحيح الجامع (6350)

3) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، نسبة إلى مرو. أبو يعقوب. وراهويه لقب أبيه إبراهيم عالم خراسان في عصره، وأحد الأئمة الحفاظ توفي 238، الأعلام 284/1.

4) (تفسير القرطبي) 8/ 207. وانظر : (المغني مع الشرح الكبير) 10/ 102 ـ ـ 103.

ولنا أن ما كان إسلاما في دار الحرب كان إسلاما في دار الإسلام كالشهادتين واحتمال التقية والرياء يبطل بالشهادتين .. إلى أن قال : " خلاف الصلاة فإ ا أفعال تتميز عن أفعال الكفار ويختص ا أهل الإسلام ولا يثبت ا الإسلام حتى يأتي بصلاة يتميز ا عن صلاة الكفار من استقبال قبلتنا والركوع والسجود ولا يحصل بمجرد القيام لأ م يقومون في صلا م 1

قال الكاساني : (وأما) بيانُ ما يحكَم بِهِ بِكَونِهِ مؤمِنًا مِن طَرِيق الدلَالَةِ ، فَنحو أَنْ يصلي كِتابِي ، أو واحِد مِن أهل الشرك فِي جماعةٍ ، ويحكَم بِإِسلَامِهِ عِندنا وعِند الشافِعِي - رحِمه الله - لَا يحكَم بِإِسلَامِهِ ولَو صلى وحده لَا يحكَم بِإِسلَامِهِ .

(وجه) قَول الشافِعِي - رحِمه الله - إن الصلَاةَ لَو صلَحت دلَالَةَ الْإِيمان لَما افْترق الْحالُ فِيها بين حال الِانفِرادِ ، وبين حال الِاجتِماعِ ولَو صلى وحده لَم يحكَم بِإِسلَامِهِ فَعلَى ذَلِك إذَا صلى بِجماعةٍ .

(ولَنا) أن الصلَاةَ بِالْجماعةِ علَى هذِهِ الْهيئَةِ الَّتِي نصليها الْيوم ، لَم تكُن فِي شرائِع من قَبلَنا ، فَكَانت مختصةً بِشرِيعةِ نبِينا محمدٍ صلى الله علَيهِ وسلم فَكَانت دلَالَةً علَى الدخول فِي دِينِ الْإِسلَامِ ، بِخِلَافِ ما إذَا صلى وحده ؛ لِأَن الصلَاةَ وحده غَير مختصةٍ بِشرِيعتِنا وروِي عن محمدٍ - رحِمه الله - أنه إذَا صلى وحده مستقْبِلَ الْقِبلَةِ يحكَم بِإِسلَامِهِ ؛ لِأَن الصلَاةَ مستقْبِلَ الْقِبلَةِ دلِيلُ الْإِسلَامِ ؛ لِقَولِهِ علَيهِ الصلَاةُ والسلَام { من شهِد جِنازتنا ، وصلى إلَى قِبلَتِنا ، وأَكَلَ ذَبِيحتنا ، فَاشهدوا لَه بِالْإِيمان } .

وكالأذان: رفعاً أو ترديداً، لأنه متضمن للشهادتين. وفيه حديث أنس قَالَ { : كَانَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم إذَا غَزا قَومًا لَم يغز حتى يصبِح ، فَإِذَا سمِع أَذَانًا أمسك ، وإِذَا لَم يسمع أَذَانًا أَغَار بعد ما يصبِح }[2] ، وفِي رِوايةٍ : { كَانَ يغِير إذَا طَلَع الْفَجر ، وكَانَ يستمِع الْأَذَانَ ، فَإِنْ سمِع أَذَانًا أمسك وإِلَّا أَغَار ، وسمِع رجلًا يقُولُ : الله أَكْبر ، الله أَكْبر ، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم : علَى الْفِطْرةِ ، ثُم قَالَ : أَشهد أَنْ لَا إلَه إلَّا الله ، فَقَالَ : خرجت مِن النارِ } . قال الشوكاني : وفِي هذَا الْحدِيثِ والَّذِي بعده 3دلِيلٌ علَى جوازِ الْحكْمِ بِالدلِيلِ لِكَونِهِ صلى

---

1)) المغني مع الشرح الكبير : 10/ 95

2) البخاري في الأذان ورواه مسلم (2 / 3 - 4) وأحمد (3 / 159 و 206 و 236 و 237) من طرق عن حميد عنه . والترمذي (1 - 305 طبع بولاق) وصححه والدارمي (2 / 217) والطيالسي (271).

3) يقصد حديث : عِصامٍ الْمزنِي قَالَ { : كَانَ النبِي صلى الله علَيهِ وسلم إذَا بعثَ السرِيةَ يقُولُ : إذَا رأَيتم مسجِدًا أَو سمِعتم منادِيًا فَلَا تقْتلُوا أَحدًا } .رواه الْخمسةُ إلَّا النسائِي) .قال الألباني :ضعيف المشكاة (3935) ، ضعيف سنن الترمذي (267 / 1605)

الله عليهِ وسلم كَفَّ عن القِتالِ بِمجردِ سماعِ الأذانِ .وفيهِ الأخذُ بالأحوطِ فِي أمرِ الدماءِ لِأنه كَفَّ عنهم فِي تِلْكَ الحالِ مع احتِمالِ أنْ لَا يكُونَ ذَلِكَ علَى الحقِيقَةِ .

قَولُه : (علَى الفِطْرةِ) فِيهِ أن التكْبِير مِن الأمورِ المختصةِ بِأهلِ الإِسلَامِ ، وأنه يصِح الِاستِدلَالُ بِهِ علَى إسلَامِ أهلِ قَريةٍ سمِع مِنهم ذَلِك .فِيهِ دلِيلٌ علَى أن مجرد وجودِ المسجِدِ فِي البلَدِ كَافٍ فِي الِاستِدلَالِ بِهِ علَى إسلَامِ أهلِهِ وإِنْ لَم يسمع مِنهم الأذَانُ ، لِأن النبِي صلى الله عليهِ وسلم كَانَ يأمر سراياه بِالِاكْتِفَاءِ بِأحدِ الأمرين إما وجود مسجِدٍ ، أو سماع الأذَان 1.

قال ابن تيمية : الأذان هو شعار دار الإسلام الذي ثبت في (الصحيح) أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يعلق استحلال أهل الدار بتركه2

قال الكاساني : وعلَى هذَا الخِلَافِ إذَا أذنَ فِي مسجِدِ جماعةٍ يحكَم بِإِسلَامِهِ عِندنا ، خِلَافًا لِلشافِعِي - رحِمه الله تعالَى - لَنا أن الأذَانَ مِن شعائِرِ الإِسلَامِ ، فَكَانَ الإِتيانُ بِهِ دلِيلَ قَبولِ الإِسلَامِ ، ولَو قَرأَ القُرآنَ أو تلَقنه لَا يحكَم بِإِسلَامِهِ ؛ لِاحتِمالِ أنه فَعلَ ذَلِكَ لِيعلَم ما فِيهِ مِن غَيرِ أنْ يعتقِده حقِيقَةً ، إذْ لَا كُلُّ من يعلَم شيئًا يؤمِن بِهِ ، كَالمعانِدِين مِن الكَفَرةِ

وكأداء الحج : وفيه خلاف لأن المشـركين كانوا يحجـون في الجاهلية، والصحيـح أنه علامـة لأن النبي صلى الله عليه وسلم منعهم عن ذلك عام 9هـ إذ أعلمهم بأن (لايحج بعد العام مشرك)3 ، فأصبح الحج من خصائص الإسلام4. قال الكاساني : ولَو حج هلْ يحكَم بِإِسلَامِهِ قَالُوا : ينظَر فِي ذَلِكَ إنْ تهيأَ لِلإِحرامِ ، ولَبى وشهِد المناسِكَ مع المسلِمِين يحكَم بِإِسلَامِهِ ؛ لِأن عِبادةَ الحج علَى هذِهِ الهيئَةِ المخصوصةِ ، لَم تكُن فِي الشرائِعِ المتقَدمةِ ، فَكَانت مختصةً بِشرِيعتِنا ، فَكَانت دلَالَةَ الإِيمانِ كَالصلَاةِ بِالجماعةِ .

وإِنْ لَبى ولَم يشهد المناسِكَ ، أو شهِد المناسِكَ ، ولَم يلَب لَا يحكَم بِإِسلَامِهِ ؛ لِأنه لَا يصِير عِبادةً فِي شرِيعتِنا إلَّا بِالأداءِ علَى هذِهِ الهيئَةِ ، والأداءُ علَى هذِهِ الهيئَةِ لَا يكُونُ دلِيلَ الإِسلَامِ ، ولَو شهِد شاهِدانِ أنهما رأَياه يصلي سنةً ، وما قَالَا : رأَيناه يصلي فِي جماعةٍ وهو يقُولُ : صليت صلَواتِي لَا يحكَم بِإِسلَامِهِ ؛ لِأنهم يصلونَ أيضًا ، فَلَا تكُونُ الصلَاةُ المطْلَقَةُ دلَالَةَ الإِسلَامِ ، ولَو شهِد أحدهما وقَالَ : رأَيته يصلي فِي المسجِدِ الأعظَمِ وشهِد الآخر وقَالَ : رأَيته يصلي فِي المسجِدِ كَذَا وهو منكِر لَا تقْبلُ ، ولَكِن يجبر علَى الإِسلَامِ ؛ لِأن الشاهِدين اتفَقَا علَى وجودِ الصلَاةِ مِنه بِجماعةٍ فِي المسجِدِ ، لَكِنهما اختلَفَا فِي المسجِدِ ، وذَا يوجِب اختِلَاف المكَانِ لَا

1) (نيل الأوطار) 69/8. وانظر (فتح الباري، 2/ 90).

2) (الفتاوى) (1 / 67 - 68) و (4 / 20)

3) الحديث رواه البخاري.

4) (المغني مع الشرح الكبير) 10/ 103

نفْس الْفِعل ، وهو الصلَاةُ ، فَقَد اجتمع شاهِدان علَى فِعلٍ واحِدٍ حقِيقَةً ، لَكِن تعتبر شهادتهما فِي الْجبرِ علَى الْإِسلَامِ ، لَا فِي الْقَتل ؛ لِأَن فِعلَ الصلَاةِ وإِنْ كَانَ متحِدًا حقِيقَةً ، فَهو مختلِف صورةً لِاختِلَافِ محل الْفِعل فَأَورثَ شبهةً فِي الْقَتل والله - سبحانه وتعالى - أعلم [1].

الفصل الثاني : الأمارات الفرعية للدخول في "أهل القبلة".

المبحث الأول: التبعية للوالدين المسلمين أو أحدهما

وهذه يحكم لها بإسلام الأطفال دون البلوغ. ومن اسلم من الأبوين كان أولاده الاصاغر تبعا له وبهذا قال الشافعي وقال أصحاب الرأي إذا اسلم أبواه أو احدهما وأدرك فأبى الإسلام أجبر عليه ولم يقتل، وقال مالك إن اسلم الأب تبعه أولاده وان أسلمت الأم لم يتبعوها لان ولد الحربين يتبع أباه دون أمه بدليل المولين إذا كان لهما ولد كان ولاؤه لمولى أبيه دون أمه ولو كان الأب عبدا والأم مولاة فأعتق العبد لجر ولاء ولده إلى مواليه، ولان الولد يشرف بشرف أبيه وينسب إلى قبيلته دون قبيلة أمه فوجب أن يتبع أباه في دينه أي دين كان، وقال الثوري إذا بلغ خير بين دين أبيه ودين أمه فأيهما اختاره كان على دينه ولعله يحتج بحديث الغلام الذي اسلم أبوه وأبت أمه إن تسلم فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين أبيه وأمه ولنا أن الولد يتبع أبويه في الدين فإذا اختلفا وجب أن يتبع المسلم منهما كولد المسلم من الكتابية ولان الإسلام يعلو ولا يعلى، ويترجح بأشياء (منها) انه دين الله الذي رضيه لعباده وبعث به رسله ودعا خلقه إليه (ومنها) انه تحصل به السعادة في الدنيا والآخرة ويتخلص به في الدنيا من القتل والاسترقاق واداء الجزية وفي الآخرة من سخط الله وعذابه (ومنها) أن الدار دار الإسلام يحكم بإسلام لقيطها ومن لا تعرف حاله فيها، وإذا كان محكوما بإسلامه أجبر عليه إذا امتنع منه بالقتل كولد المسلمين ولانه مسلم فإذا رجع عن إسلامه وجب قتله لقوله عليه الصلاة والسلام (من بدل دينه فاقتلوه) وبالقياس على غيرهولنا على مالك أن الأم أحد الأبوين فتبعها ولدها في الإسلام كالأب بل الأم أولى لأنها أخص به لأنه مخلوق منها حقيقة وتختص بحمله ورضاعه ويتبعها في الرق والحرية والتدبير والكتابة ولان سائر الحيوانات يتبع الولد أمه دون أبيه وهذا يعارض ما ذكره، وأما تخيير الغلام فهو في الحضانة لا في الدين[2]

المبحث الثاني : التبعية لدار الإسلام

وقد جعل بعضهم التبعية على نوعين أحدهما للأبوين ، والثانية : للدار، كما قال الكاساني في "بدائع الصنائع" : وأما الْحكْم بِالْإِسلَامِ مِن طَرِيق التبعِيةِ فَإِن الصبِي يحكَم بِإِسلَامِهِ تبعًا لِأَبويهِ

1) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ،، كتاب السير، فصل: بيان ما يعترض من الأسباب المحرمة للقتال

2) (المغني مع الشرح الكبير) 10/ 103

عقَلَ أو لم يعقِلْ ما لم يسلِم بنفْسِهِ إذَا عقلَ ، ويحكُم بإسلامِهِ تبعًا للدار أيضًا ، والجملةُ فيهِ : أن الصبِي يتبع أبويهِ فِي الْإِسلَامِ والكُفْرِ ، ولَا عِبرةَ بالدارِ مع وجودِ الأبوين أو أحدِهِما ؛ لِأنه لَا بد له مِن دِينٍ تجري عليهِ أحكامه ، والصبِي لَا يهتمِ لِذَلِكَ إما لِعدمِ عقْلِهِ ، وإما لِقُصورِهِ ، فَلَا بد وأنْ يجعلَ تبعًا لِغيرِهِ ، وجعلُه تبعًا للأبوين أولى ؛ لِأنه تولد مِنهما وإنما الدار منشأ ، وعِند انعِدامِهِما فِي الدارِ التِي فِيها الصبِي تنتقِلُ التبعِيةُ إلى الدارِ ؛ لِأن الدار تستتبِع الصبِي فِي الْإِسلَامِ فِي الجملةِ كاللقِيطِ ، فَإِذَا أسلم أحد الأبوين ، فَالولد يتبع المسلِم ؛ لِأنهما استويا فِي جِهةِ التبعِيةِ ، وهِي التولد والتفَرع ، فَيرجح المسلِم بِالْإِسلَامِ ؛ لِأنه يعلُو ولَا يعلى عليهِ ، ولو كانَ أحدهما كِتابِيا ، والآخر مجوسِيا ، فالولد كِتابِي ؛ لِأن الْكِتابِي إلى أحكَامِ الْإِسلَامِ أقْرب ، فَكانَ الْإِسلَام مِنه أرجى وبيانُ هذِهِ الجملةِ : إذَا سبِي الصبِي ، وأخرِج إلى دارِ الْإِسلَامِ ،فَهذَا لَا يخلُو مِن ثَلَاثَةِ أوجهٍ : إما أنْ سبِي مع أحدِهِما ، وإما أنْ سبِي مع أحدِهِما ، وإما أنْ سبِي وحده فَإِنْ سبِي مع أبويهِ فَما دام فِي دارِ الحربِ ، فَهو على دِينِ أبويهِ ، حتى لو مات لَا يصلى عليهِ وهذَا ظَاهِر وكذَا إذَا سبِي مع أحدِهِما وكذَلِكَ إذَا خرج إلى دارِ الْإِسلَامِ ومعه أبواه أو أحدهما لِما بينا ، فَإِنْ مات الأبوان بعد ذَلِكَ فَهو على دِينِهما حتى يسلِم بِنفْسِهِ ، ولَا تنقَطِع تبعِيةُ الأبوين بِموتِهما ؛ لِأن بقَاءَ الأصل ليس بِشرطٍ لِبقَاءِ الحكْمِ فِي التبع ، وإنْ أخرج إلى دارِ الْإِسلَامِ وليس معه أحدهما فَهو مسلِم ؛ لِأن التبعِيةَ انتقلت إلى الدارِ على ما بينا ، ولو أسلم أحد الأبوين فِي دارِ الحربِ ، فَهو مسلِم تبعًا له ؛ لِأن الولد يتبع خير الأبوين دِينًا لِما بينا ، وكذَا إذَا أسلم أحد الأبوين فِي دارِ الْإِسلَامِ ثُم سبِي الصبِي بعده وأدخِلَ فِي دارِ الْإِسلَامِ ، فَهو مسلِم تبعًا له ؛ لِأنه جمعهما دار واحِدةٌ ؛ لِأن تبعِيةَ الدارِ لَا تعتبر مع أحدِ الأبوين لِما ذَكَرنا .

فَأما قَبلَ الْإِدخال فِي دارِ الْإِسلَامِ فَلَا يكُونُ مسلِمًا ؛ لِأنهما فِي دارين مختلِفَين ، واخِتلَاف الدارِ يمنع التبعِيةَ فِي الأحكَامِ الشرعِيةِ والله - سبحانه وتعالى - أعلم ثُم إنما تعتبر تبعِيةُ الأبوين والدارِ إذَا لَم يسلِم بِنفْسِهِ وهو يعقِلُ الْإِسلَام ، فَأما إذَا أسلم وهو يعقِلُ الْإِسلَام فَلَا تعتبر التبعِيةُ ، ويصِح إسلَامه عِندنا وعِند الشافِعِي - رحِمه الله - لَا يصِح واحتج بِقَولِهِ عليهِ الصلَاةُ والسلَام { رفِع القَلَم عن ثَلَاثَةٍ : عن الصبِي حتى يحتلِم ، وعن المجنون حتى يفِيق ، وعن النائِمِ حتى يستيقِظَ } أخبر عليهِ الصلَاةُ والسلَام أن الصبِي مرفُوع القَلَمِ والفِقْه مستنبطٌ مِنه ، وهو أن الصبِي لو صح إسلَامه إما أنْ يصِح فَرضًا ، وإما أنْ يصِح نفْلًا ومعلُوم أن التنفلَ بِالْإِسلَامِ محالٌ ، والفَرضِيةُ بِخِطَابِ الشرع ، والقَلَم عنه مرفُوع ، ولِأن صِحةَ الْإِسلَامِ مِن الأحكَامِ الضارةِ ، فَإِنه سبب لِحِرمان المِيراثِ والنفَقَةِ ، ووقُوع الفَرق بين الزوجين .

والصبي ليس من أهل التصرفات الضارة ، ولهذا لم يصح طلاقه وعتاقه ، ولم يجب عليه الصوم والصلاة ، فلا يصح إسلامه .(ولنا) أنه آمن بالله - سبحانه وتعالى - عن غيب فيصح إيمانه كالبالغ ، وهذا لأن الإيمان عبارة عن التصديق لغة وشرعا ، وهو تصديق الله - سبحانه وتعالى - في جميع ما أنزل على رسله ، أو تصديق رسله في جميع ما جاءوا به عن الله - تبارك وتعالى - وقد وجد ذلك منه لوجود دليله ، وهو إقرار العاقل ، وخصوصا عن طوع ، فترتب عليه الأحكام ؛ لأنها مبنية على وجود الإيمان حقيقة قال الله - تبارك وتعالى - { ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا } وقال عليه الصلاة والسلام { : لا يرث المؤمن الكافر ، ولا الكافر المؤمن } وقوله : إنه مرفوع القلم قلنا : نعم ،في الفروع الشرعية فأما في الأصول العقلية فممنوع ، ووجوب الإيمان من الأحكام العقلية ، فيجب على كل عاقل والحديث يحمل على الأحكام الشرعية توفيقا بين الدلائل ، وبه نقول والله - سبحانه وتعالى - أعلم[1] .

المبحث الثالث : شهادة رجل مسلم له

كشهادة النبي صلى الله عليه وسلم للنجاشي أصحمة [2] لما صلى عليه صلاة الجنازة يوم وفاته ولم يعلم الصحابة بإسلامه إلا حينئذ، وحديثه متفق عليه عن جابر بن عبد الله يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلموا فصلوا عليه فصففنا صلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه ونحن صفوف "[3]

وكشهادة ابن مسعود بإسلام سهيل بن بيضاء [4] في قصة أسارى بدر وحديثه رواه الترمذي[5] وحسنه[1].[2] قال ابن تيمية (ومعرفة أحوال الناس: تارة تكون بشهادات الناس، وتارة تكون بالجرح والتعديل وتارة تكون بالاختبـار والامتحان)[3].

---

1) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ،، كتاب السير، فصل: بيان ما يعترض من الأسباب المحرمة للقتال

2) أصحمة بن ابجر النجاشي ملك الحبشة واسمه بالعربية عطية والنجاشي لقب له أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهاجر إليه وكان ردءا للمسلمين نافعا وقصته مشهورة في المغازي في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام وأخرج أصحاب الصحيح قصة صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب من طرق ،قال الطبري وجماعة: كان ذلك في رجب سنة تسع وقال غيره كان قبل الفتح.قال ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور. الإصابة في معرفة الصحابة1/ 70.

3) . أخرجه البخاري (1 / 332) ومسلم والنسائي (1 / 280) والبيهقي (4 / 50) وأحمد (3 / 295 - 319 و 369 و 400) واللفظ له . وسنده صحيح

4) سهيل بن بيضاء: بيضاء هي أمه وأسمها دعد بنت جحدم بن عمرو بن عائش بن ظرب بن الحارث بن فهر وأبوه وهب بن ربيعة.أسلم وشهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم مسلما ومات في المدينة سنة تسع من الهجرة. البداية والنهاية3/ 114.

5) (الترمذي) (209 - 279 ه = 824 - 892 م) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى: من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على ر جيحون) تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه.

المبحث الرابع : قرائن وأمارات لا يحكم ا إلا بعد التثبت

منها:

أولاً: تحية الإسلام: فمن ألقى تحية الإسلام (السلام عليكم) فهي قرينة على إسلامه وليست قاطعة إذ قد يقولها الكافر عادةً أو تقيةً أو مجاملةً فيلزم التثبت، قال القرطبي : فإن صلى أو فعل فعلا من خصائص الإسلام فقد اختلف فيه علماؤنا، فقال ابن العربي: نرى أنه لا يكون بذلك مسلما، أما أنه يقال له: ما وراء هذه الصلاة ؟ فإن قال: صلاة مسلم، قيل له: قل لا إله إلا الله ، فإن قالها تبين صدقه، وإن أبى علمنا أن ذلك تلاعب، وكانت عند من يرى إسلامه ردة، والصحيح أنه كفر أصلي ليس بردة.وكذلك هذا الذي قال: سلام عليكم، يكلف الكلمة، فإن قالها تحقق رشاده، وإن أبى تبين عناده وقتل.وهذا معنى قوله (فتبينوا) أي الأمر المشكل، أو (تثبتوا) ولا تعجلوا المعنيان سواء.فإن قتله أحد فقد أتى منهيا عنه4.

وذكره ابن حجر في تفسير قوله تعالى: (إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا)[5] مع حديث ابن عباس المتفق عليه في سبب نزولها عن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - (ولاَ تقُولُوا لِمن ألْقَى إِلَيكُم السلام لَست مؤمنًا) . قَالَ: قَالَ ابن عباسٍ كَانَ رجلٌ في

وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره.وكان يضرب به المثل في الحفظ.مات بترمذ.من تصانيفه (الجامع الكبير - ط) باسم (صحيح الترمذي) في الحديث، مجلدان، و (الشمائل النبوية - ط) الأعلام للزركلي6/ 322.

1) والقصة تمامها عن عبد الله وهو ابن مسعود قال : لما كان يوم بدر قال لهم : ما تقولون في هؤلاء الأسارى ؟ فقال عبد الله ابن رواحة : إيت في واد كثير الحطب فاضرم نارا ثم ألقهم فيها فقال العباس رض الله عنه : قطع الله رحمك فقال عمر : (فذكر ما تقدم عنه وكذا قول أبي بكر بنحو ذلك) فقالت طائفة : القول ما قال عمر : فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : ما تقولون في هؤلاء : إن مثل هؤلاء كمثل أخوة لهم كانوا من قبل (قال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) وقال موسى (ربنا أطمس على هم وأشدد على قلو م) الاية . وقال إبراهيم (فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) وقال عيسى (إن تعذ م فإ م عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) وأنتم قوم فيكم غيلة فلا ينقلبن أحد منكم إلا بفداء أو بضرب عنق قال عبد الله : فقلت إلا سهيل ابن بيضاء فإنه لا يقتل وقد سمعته يتكلم بالإسلام فسكت فما كان يوم أخوف عندي أن يلقى علي حجارة من السماء يومي ذلك حتى قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا سهيل بن بيضاء "أخرجه الحاكم (3 / 21 - 22) وأحمد (1 / 383 - 384) وأبو يعلى (251 / 2) عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه . وقال الحاكم : " صحيح الاسناد " . ووافقه الذهبي . قال الألباني : بل منقطع أبو عبيدة لم يسمع من أبيه كما قال الهيثمي (6 / 87) وغيره وأ خرجه النسائي في " الكبرى " (ق 47 / 1) والترمذي (1 / 297) وقال : " حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة " . قال الألباني : هو ثقة متقن من رجال الشيخين وكذا سائر الرواة فالسند صحيح ولا أدري لم اقتصر الترمذي على تحسينه ؟ ورواه أيضاً ابن حبان (1694).أنظر : إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل 5/ 49.

2) (نيل الأوطار، 148/8).

3) مجموع الفتاوى 15/ 330

4) القرطبي في تفسيره (5/ 339).

5) النساء 94

غُنيمةٍ له فَلَحِقه الْمسلِمونَ فقَالَ السلام عليكُم ، فقَتلُوه وأخذُوا غُنيمته ، فَأنزلَ الله في ذَلِك إلى قَولِهِ (عرض الْحياةِ الدنيا) تِلْك الْغنيمةُ . قَالَ قَرأ ابن عباسٍ السلام1 . وإنما لم تكن التحية قاطعة لأن غير المسلم قد يقولها كما في حديث أنس (إذا سلّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم)[2].يقول ابن حجر : وفي الآية دليل على أن من أظهر شيئًا من علامات الإسلام لم يحِلّ دمه حتى يختبر أمره ، لأن السلام تحية الْمسلِمين ، وكانت تحيتهم في الْجاهلية بخلاف ذَلِك فكانت هذِهِ علامة . وأما على قراءة السلم على اختلاف ضبطه فالْمراد بِهِ الانقياد وهو علامة الإسلام لأن معنى الإسلام في اللغة الانقياد ، ولا يلزم من الذِي ذكرته الْحكْم بإسلامِ من اقتصر على ذَلِك وإجراء أحكام الْمسلِمين عليهِ ، بلْ لا بد مِن التلفظ بالشهادتين على تفاصِيل في ذَلِك بين أهل الْكِتاب وغيرهم ، والله أعلم [3].

ثانياً: الهــــدي الظاهــر من الثيــــاب واللحيــة والشعر والعمامة وغيرها، قال محمد بن الحسن الشيباني [4] رحمه الله في (السير الكبير) : (وإذا دخل المسلمون مدينة من مدائن المشركين عنوة فلا بأس أن يقتلوا من لقوا من رجالهم إلا أن يروا رجلاً عليه سيماء المسلمين أو سيماء أهل الذمة للمسلمين فحينئذ يجب عليهم أن يتثبتوا في أمره حتى يتبين لهم حاله) أهــ. قال الشارح الإمام السرخسي[5] (لأن تحكيم السيما أصل فيما لايوقف على حقيقته، قال تعالى «سيماهم في وجوههم»[6] ، وقال تعالى «تعرفهم بسيماهم»[7] ، وقال تعالى «يعرف ا رمون بسيماهم»[8] ، ومتى وقع الغلط في القتل لايمكن تداركه، وليس في تأخيره إلى أن يتبين الأمر تفويت شيء على

---

1) البخاري 4591

2) متفق عليه

3) فتح الباري 12/ 478.وانظر أيضاً : (8/259).

4) (الشيباني) (131 - 189 ه = 748 - 804 م) محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام بالفقه والاصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة.أصله من قرية حرستة، في غوطة دمشق، وولد بواسط.ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفةوغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله.ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه، فمات في الري.قال الشافعي: (لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد ابن الحسن، لقلت، لفصاحته) ونعته الخطيب البغدادي بإمام أهل الرأي.له كتب كثيرة في الفقه والاصول الأعلام للزركلي6/ 80.

5) محمد بن أحمد بن ابي سهل السرخسي الحنفي (أبو بكر) فقيه، اصولي، مجتهد، متكلم، مناظر.توفي في حدود سنة 490 ه من تصانيفه: شرح السير الكبير في جزأين، المبسوط في نحو خمسة . معجم المؤلفين 8/ 267.

6) الفتح 29

7) البقرة 273

8) الرحمن 41

المسلمين، فلهذا ينبغي لهم أن يتثبتوا في أمره حتى يتبين لهم حاله، وهذا لأن السيماء في كونه محتملا لايكون دون خبر الفاسق، وقد أمرنا بالتثبت هناك، فها هنا أولى)[1] .

ولكن الاشكال في عصرنا الحاضر هو عدم إلـزام أهل الكتاب بما يميزهم عن المسلمين في الثياب والشعر والمراكب والأسماء والكـُنى لإسقاط العمل بعقد الذمة بموجب الدساتير والقوانين الوضعية التي ساوت بين السكان في الحقوق والواجبات على أساس مبدأ المواطنة وألغت مبدأ الهوية الدينية. ولُبس الغيار مما يميز بين الناس في دار الإسلام كما قال ابن القيم [2]رحمه الله: (إن الشروط المضروبة على أهل الذمة تضمنت تمييزهم عن المسلمين في اللباس والشعور والمراكب وغيرها لئلا تفضي مشابهتهم إلى أن يعامل الكافر معاملة المسلم، فَسـدت هذه الذريعة بإلزامهم التميـّز عن المسلمين)[3].

أمـور أخـرى يستـدل بها على الإسـلام

هناك أمـور أخـرى يستـدل بها على الإسـلام الحكـمي كتـلاوة القـرآن، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره من الوظائف الشرعية، والجهاد في سبيل الله تعالى، وفي كل هذا تفصيل .

وهكذا كل من كان ظاهره الإسلام ولا يعرف عنه ناقض من نواقضه.فإنه يحكم بإسلامه ولا يجب البحث عن عدالته الباطنة إلا فيما تشترط له العدالة الباطنة كتزكية الشهود عند القاضي، وفي الولايات العامة كالإمامة الكبرى والقضاء: قال ابن قدامة (ولا بد للحاكم من معرفة إسلام الشاهد قاله القاضي ويحصل ذلك بأحد أمور أربعة (أحدها) إخباره عن نفسه أنه مسلم وإتيانه بكلمة الإسلام وهي شهادة ألا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله لأنه لو لم يكن مسلما صار بذلك مسلما (الثاني) اعتراف المشهود عليه بإسلامه لأنه حق عليه (الثالث) خبرة الحاكم لاننا اكتفينا بذلك في عدالته فكذلك في إسلامه (الرابع) إن تقوم به بينة ولا بد من معرفة الحرية في موضع تعتبر فيه ويكفي في ذلك أحد أمور ثلاثة البينة أو اعتراف المشهود عليه أو خبرة الحاكم ولا يكفي اعتراف الشاهد لأنه لا يملك إن يصير حرا فلا يملك الإقرار به)[4]

---

1) السير الكبير 4/ 1444.

2) الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الحنبلي المعروف بابن قيم الجورية . مولده سابع صفر سنة إحدى وتسعين وست مابة وصنف وصار من الأيمة الكبار في علم التفسير والحديث والأصول فقها وكلاما والفروع والعربية ولم يخلف الشيخ العلامة تقي الدين ابن تيمية مثله، وتوفي رحمه الله في ثالث عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وسبع مابة ، الوافي في الوفيات1/ 261.

3) اعلام الموقعين 3/ 157

4) المغني مع الشرح الكبير 11/ 419

ومثله في العتــق لما أوجبــه اللــه من تحـرير الرقبـة المؤمنــة في مواضع، قال تعالى (فتحرير رقبة مؤمنة)1 عن معاوية بن الحكم السلمي 2قال: قلت: يارسول الله، جارية لي صككتها صكـّة، فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: أفلا أعتقها؟ قال (ائتني ا)، قال: فجئت ا، قال (أين الله)؟ قالت: في السماء، قال (من أنا)؟، قالت: أنت رسول الله. قال (اعتقها فإ ا مؤمنة)3 نقل ابن تيمية عن أبي عثمان الصابوني 4قوله (وإمامنا أبو عبدالله الشافعي احتج في كتابه «المبسوط» في مسألة اعتاق الرقبة المؤمنة في الكـفّـارة، وأن الرقبة الكافرة لايصح التكفير ا، بخبر معاوية بن الحكم، وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اعتاقه إياها، فامتحنها ليعرف أ ا مؤمنة أم لا)5 وحديث الجارية هذا يستدل به على أن التبـين إنما يكون عند الحاجـة وأن من أقـر بما أقرت به حكم له بالإسلام.

أما ا هول في دار الإسلام فإنه يحكم بإسلامه، ومع ذلك فإن اللقيط في قُرى أهل الذمة في دار الإسلام يحكم بكفره لأنه منهم في الغالب، وا هول في دار الكفر يحكم بكفره، ومع ذلك فإن اللقيط في دار الكفر التي يقطنها بعض المسلمين محكوم بإسلامه في وجهٍ تغليبا لحكم الإسلام.

فالأصل المستصحب للمجهول هو حكم الدار مع اعتبار ديانة سكا ا، قال في الشرح الكبير : إذا وجد اللقيط في دار الإسلام فهو محكوم بإسلامه وإن كان فيها أهل الذمة تغليبا للاسلام

---

1) النساء 92

2) معاوية بن الحكم السلمي له صحبة ورواية، وهو صاحب حديث الجارية السوداء، التي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: " أعتقها فإ ا مؤمنة " .روى عنه: عطاء بن يسار، وأبو سلمة بن عبد الرحمن.ووهم من سماه: عمر. تاريخ الإسلام2/ 46.

3) أخرجه أحمد 447/5(24163 و24164 و24165) ، و"مسلم"70/2(1136) و35/7(5873) ، و"أبو داود"930.

4) اسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عامر بن عابد أبو عثمان الصابوني . قال الحافظ عبد الغافر : هو الإمام شيخ الإسلام الخطيب المفسر الواعظ أوحد وقته في طريقته وكان أكثر أهل العصر من المشايخ سماعاً وحفظاً ونشراً لمسموعاته وتصنيفاته وجمعاً وتحريضاً على السماع وإقامة مجالس الحديث سمع بنيسابور من أبي العباس التابوتي وأبي سعيد السمسار و راة من أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن الفرات وغيره وسمع بالشام والحجاز ولقي أبا العلاء المعري بمعرة النعمان وحدث بنيسابور وخراسان ووعظ الناس سبعين سنةً . ومولده ببوشنج سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ؟ وتوفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة . ومن شعره من البسيط :

ما لي أرى الدهر لا يسخو بذي كرمٍ ... ولا يجود بمعوانٍ ومفْضال

ولا أرى أحداً في الناس مشترياً ... حسن الثناء بإنعامٍ وإفضال

صاروا سواسيةً في لُؤمهم شرعاً ... كأنما نسجوا فيه بمنوال

الوافي في الوفيات1/ 1220.

وقد ترجمه ابن عساكر ترجمة عظيمة، وروى ابن عساكر عن إمام الحرمين أنه قال: كنت أتردد وأنا بمكة في المذاهب، فرأيت النبي εوهو يقول: عليك باعتقاد أبي عثمان الصابوني ، توفي في المحرم سنة تسع وأربعين وأربع مائة رحمه الله .(سير أعلام النبلاء).

5) مجموع الفتاوى 192/5.

ولظاهر الدار ولان الإسلام يعلو ولا يعلى ودار الإسلام قسمان: (أحدهما) ما اختطه المسلمون كبغداد والبصرة فلقيطها محكوم بإسلامه على ما ذكرنا (الثاني) دار فتحها المسلمون كمدائن الشام فهذه إن كان فيها مسلم حكم بإسلام لقيطها لأنه يحتمل أن يكون لذلك المسلم تغليبا للإسلام وان لم يكن فيها مسلم بل كان أهلها أهل ذمة حكم بكفره لان تغليب حكم الإسلام إنما يكون مع الاحتمال.

فأما بلد الكفار فضربان أحدهما بلد كان للمسلمين فغلب الكفار عليه كالساحل فهذا كالقسم الذي قبله وان كان فيه مسلم حكم بإسلام لقيطة وان لم يكن فيه مسلم فهو كافر، وقال القاضي يحكم بإسلامه أيضا لأنه يحتمل أن يكون فيه مؤمن يكتم إيمانه بخلاف الذي قبله فانه لا حاجة به إلى كتم إيمانه في دار الإسلام (الثاني) دار لم تكن للمسلمين أصلا كبلاد الهند والروم فان لم يكن فيها مسلم فلقيطها كافر لان الدار لهم وأهلها منهم، وإن كان فيها مسلمون كالتجار وغيرهم ففيه وجهان (أحدهما) يحكم بإسلامه تغليبا للإسلام والثاني يحكم بكفره تغليبا للدار والأكثر وهذا التفصيل مذهب الشافعي وقال ابن المنذر[1] أجمع عوام أهل العلم على أن الطفل إذا وجد في بلاد المسلمين ميتا في أي مكان وجد أنه يجب غسله ودفنه في مقابر المسلمين وقد منعوا أن يدفن أطفال المشركين في مقابر المسلمين قال وإذا وجد لقيط في قرية ليس فيها إلا مشرك فهو على ظاهر ما حكموا به أنه كافر هذا قول الشافعي وأصحاب الرأي[2].

قال العلامة ابن القيم : ومما يوضح ذلك أن الطفل يصير مسلما تبعا لإسلام أبيه فكذلك إنما صار كافرا تبعا لكفر أبيه فإذا مات الأب زال من يتبعه في كفره فكان الإسلام أولى به لثلاثة أوجه

أحدها أنه مقتضى الفطرة الأصلية التي فطر الله عليها عباده وإنما عارضها فعل الأبوين وقد زال العارض فعمل المقتضى عمله

الثاني أن الدار دار الإسلام ولو اختلط فيها ولد الكافر بولد المسلم على وجه لا يتميزان حكمنا بإسلامهما تغليبا للدار ولو وجد فيها لقيط في محلة الكفار لا يعرف له أب حكمنا بإسلامه تغليبا للدار وإنما عارض الدار قوة تبعية الأبوين وقد زالت بالموت فعمل مقتضى الدار عمله

الثالث أنه لو سبي الطفل منفردا عن أبويه كان مسلما عند الأئمة الأربعة وغيرهم بل ولو سبي مع أحد أبويه لكان مسلما في أصح الروايتين بل أصح القولين أنه يحكم بإسلامه ولو سبي معهما

1) الإمام ابن المنذر محمد بن ابراهيم بن المنذر الإمام أبو بكر النيسابوري الفقيه صاحب التصانيف توفي سنة ثمان عشرة وثلاث مائة بمكة قال ابو اسحاق في كتاب الطبقات : صنف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنف مثلها واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف انتهى ومن كتبه المشهورة كتاب الأشراف وهو كتاب كبير في اختلاف العلماء وله المبسوط وهو أكبر منه في اختلاف العلماء وله كتاب الإجماع وهو صغير الوافي في الوفيات1/ 145.

2) المغني مع الشرح الكبير6/ 375

وهو مذهب الأوزاعي[1] **وأهل الشام وإحدى الروايتين عن أحمد فإذا حكم بإسلامه في بعض هذه الصور اتفاقا وفي بعضهما بالدليل الصحيح كما سنذكره مع تحقق وجود الأبوين وإمكان عوده إلى تبعيتهما فلأن نحكم بإسلامه مع تحقق عدم الأبوين واستحالة تبعيتهما أولى وأحرى**

وسر المسألة أنه تبع لهما في الإسلام والكفر فإذا عدما زالت تبعيته وكانت الفطرة الأولى أولى به يوضحه أنه لو مات أقاربه جميعا ورباه الأجانب من الكفار فإنه لا يجوز جعله كافرا إذ فيه إخراج عن الفطرة التي فطر الله عليها خلقه بلا موجب وهذا ممتنع إذ يتضمن إدخال من فطر على التوحيد في الكفر من غير تبعية لأحد من أقاربه وهذا في غاية الفساد فإذا عدم الأبوان لم تكن الولاية على الطفل لغيرهما من أقاربه كما لا تثبت على أطفال المسلمين بل تكون الولاية عليه للمسلمين وحينئذ فيكون محكوما بإسلامه كالمسبي بدون أبويه وأولى[2]

خلاصة ماسبق:

مما سبق يتبين لنا بجلاء أن أحكام الكفر والإيمان تبنى على الظاهر لا على السرائر. وقد دلت نصوص الشريعة من الكتاب والسنة على أن الأحكام في الدنيا تبنى على الظاهر، وعلى أساس ما يظهره المرء من أقوال أو أعمال، وذلك في الكفر والإيمان.

أي إن أظهر من الأقوال والأعمال ما يدل على إيمانه وإسلامه حكمنا عليه بالإيمان، وجرت عليه أحكام الإسلام في الدنيا، ومن دون أن نتحرى باطنه، أو نشق عن بطنه ونعرف حقيقة ما وقر في قلبه.

وكذلك من أظهر الكفر البواح بقولٍ أو عمل فإنه يحكم عليه بالكفر – ما لم يكن من مانع شرعي معتبر- من دون أن نتحرى باطنه، أو نشق عن بطنه، ونعرف حقيقة ما وقر في قلبه.

قال ρ:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسا م على الله " متفق عليه.

1) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي من قبيلة الأوزاع اليمنية. أبو عمرو من تصانيفه: كتاب السنن في الفقه والمسائل في الفقه. توفي سنة 157. الأعلام 4 / 94 . البداية والنهاية 10 / 115 .

2) أحكام أهل الذمة لابن القيم، 518/2 ــ 519، ط دار العلم للملايين 1983.

قال ابن تيمية في الصارم: معناه أني أمرت أن أقبل منهم ظاهر الإسلام، وأكل بواطنهم إلى الله؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يكن يقيم الحدود بعلمه، ولا بخبر الواحد، ولا بمجرد الوحي، ولا بالدلائل والشواهد، حتى يثبت موجب للحد ببينة أو إقرار [1]

وفي الحديث المتفق عليه، عن أسامة بن زيد قال رسول الله ρ قال:" أشققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا " فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ.

قال النووي: وقوله ρ:" أفلا شققت عن قلبه " فيه دليل للقاعدة المعروفة في الفقه والأصول أن الأحكام يعمل فيها بالظواهر والله يتولى السرائر[2].

قال الطحاوي[3] في متن العقيدة الطحاوية: ولا نشهد عليهم بكفر ولا شرك، ولا نفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى.[4]

وإذا كان الإيمان هوالتصديق بالجنان والنطق باللسان والعمل بالأركان ،فإن العباد لاسبيل لهم من ذلك للحكم على الآخرين إلا بما ظهر منهم نطقاً وعملاً ، وهذا هو الإيمان الحكمي الذي تجري على أساسه الأحكام في قضاء الدنيا ، ولا نؤمر بالبحث والتنقيب فيما وراء ذلك لقول النبي ρ :((إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس، ولا أشق بطونهم))5 * قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : " فالسلف قالوا هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان ... وهذا كله بالنظر إلى ماعند الله تعالى ، أما بالنظر إلى ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فقط ، فمن أقر أجريت عليه الأحكام في الدنيا " 6، وقال ابن تيمية - رحمه الله - : " لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة " 7 ؛لأن معرفة ذلك على الحقيقة إنما هو موكول إلى الله تعالى وحده الذي يعلم ما في الصدور وهذا الثاني هو الإيمان الحقيقي

---

1) الصارم المسلول على شاتم الرسول : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس : دار ابن حزم – بيروت الطبعة الأولى ، 1417 تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري 1/ 362.

2) شرح مسلم للنووي 107/2

3) أحمد بن محمد بن سلمة أو (سلامة) بن مسلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي. أبو جعفر. فقيه إليه انتهت رياسة الحنفية في مصر. من تصانيفه: شرح معاني الأثار، أحكام القرآن، المختصر في الفقه. الاختلاف بين الفقهاء. مناقب أبي حنيفة، وغير ذلك، توفي سنة 321هـ. البداية والنهاية 11 / 174. الأعلام 1 / 197..

4) متن العقيدة الطحاوية 153.

5) متفق عليه ، اللؤلؤ والمرجان (640) .

6) فتح الباري 46/1 .

7) مجموع الفتاوى 7/ 210 .

وقد فرق الله Y بين الإيمانيين : ففي ســورة النــساء قــال تعــالى : { [illegible] ....]‌[1] فقولــــــــه تعــــــــالى : { [illegible]]هــــــو الإيمــــــان الحكمـــــي { [illegible]]هذا هو الإيمان الحقيقي ، وقال تعالى في سورة الممتحنة في معرض أمره للمؤمنين أن يمتحنوا المهاجرات إلى دار الإسلام: { يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار]‌[2] ففرق بين الإيمان الحقيقي : { الله أعلم بإيمانهن] والإيمان الحكمي: { فإن علمتموهن مؤمنات] مع أن الأصل في الإيمان أنه يشمل القلب واللسان معاً ، ولا يتخلف إلا في المنافقين كما قال تعالى عنـهم { [illegible]]‌[3]، ولهذا أيضاً لم يرد إسم الإيمان في القرآن على وجه واحد بل على أوجه منها:

الأول : بمعنى إقرار اللسان كما قال تعـالى { [illegible]]‌[4] أي آمنوا باللسان وكفروا بالجنـان ومثله قوله تعالى :{ [illegible]]‌[5] وقولـــه تعـــالى { [illegible]

1) النساء : (25) .

2) الممتحنة : 9

3) المائدة : 41

4) المنافقون :3

5) النساء : 137

⬄⮚⧫⬃ ②⧽①⧽➔ ⌶⍓⬀⌶⌘"⧾⌫⧽⬀ ⍑⬖⬄⬆⧽⧼ ⇨④❆⧽❆⮳
⌫⌶⇨❍⇦❍◎⧽⭠❆⧫⬆⮌] [1].

الثاني: إيمان يخالطــه شــرك ويلابــسه كمــا في قــول تعــالى { ➔⧽⍻⧽◎ ⊞⧫⬉⌶⍻✡⬆⧫ ⑤⧾⊝❀❆⬜❻⧽⬤⧫⬃⧫⮚ ⑩✡⑥⬂⬀⇨✡☺ ⑤⌘⧫①⧾⬀② ➔⧽⬃⧫⮚ ⍻⧾⧫✱❆⬜⬤⌘⌀✡⬆⮌⧽] [2] فهم مؤمنون موحدون توحيد الربوبية ، مــشركون في توحيــد الألوهية والأسماء والصفات .

وقد جعل ابن الجوزي[3] الإذعان للحق على سبيل التصديق وجهاً مستقلاً أطلق عليه الإيمان الشرعي وهو ما جمع الأركان الثلاثة المذكورة وهي :الإقرار والاعتقاد والعمل بمقتضى ذلك ومثــل لــذلك بقوله تعالى : { وبشر الذِين آمنواْ وعمِلُواْ الصالِحاتِ أن لهم جناتٍ تجرِي مِن تحتِها الأنهار كُلما رزِقُواْ مِنها مِن ثَمرةٍ رزقاً قَالُواْ هــذَا الذِي رزِقْنا مِن قَبلُ وأُتواْ بِهِ متشابِهاً ولَهــم فِيهــا أزواج مطَهرةٌ وهم فِيها خالِدونَ] [4] ".[5]

وهذه حال كثير من أهل القبلة ممن أسلم حديثاً أو ممن آمنوا إيماناً مجملاً، ولديهم ضعف في إيمــا م بسبب اختلاطه بشيء من الشك والريب أو ضعف في الانقياد والمحبة أو اتصافه ببعض شعب النفاق المذكورة في الأحاديث، فقد يؤدي هذا الضعف إلى الخروج من الإيمان بالكلية، فكما أن المعاصــي بريد الكفر، فشعب النفاق بريد النفاق الأكبر، وقد أفاض شيخ الإسلام – رحمه الله – في بيان هذه الحقيقة وما قال في ذلك: "... فعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر، أو ولدوا على الإسلام والتزمــوا شرائعه، وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله، فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل، ولكن دخول حقيقــة الإيمان إلى قلو م إنما يحصل شيئاً فشيئاً إن أعطاهم الله ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يصلون لا إلى اليقين ولا إلى الجهاد، ولو شككوا لشكوا، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا، وليسوا كفاراً ولا منافقين، بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب، ولا عنــدهم مــن قــوة الحــب لله ولرسوله، ما يقدمونه على الأهل والمال، وهؤلاء إن عرفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة، وإن ابتلــوا بمن يورد عليهم شبهات توجب ريبهم، فإن لم ينعم الله عليهم بما يـ ل الريب وإلا صـاروا مرتابين،

---

1) المائدة :69

2) يوسف : 106

3) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي التيمي البغدادي. أبو الفرج، جمال الدين، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق. إمام عصره في الحديث والوعظ.توفي سنة 597 البداية والنهاية 13 / 9،28،20.

4)البقرة :25.

5) (ابن الجوزي) أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد " نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر " تحقيق / محمد عبدالكريم الراضي ، ط/ مؤسسة الرسالة _بيروت _ 1405ه ، ص 146

وانتقلوا إلى نوع من النفاق" (1) ثم بين المقصود بقوله تعالى: [لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم] (2) ، فقال: "فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً، بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر، فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر، يكفر به صاحبه بعد إيمانه، فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف، ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم، ولكنهم لم يظنوه كفراً وكان كفراً، كفروا به، فإنهم لم يعتقدوا جوازه، وهكذا قال غير واحد من السلف في صفة المنافقين الذين ضرب لهم المثل في سورة البقرة، أنهم أبصروا ثم عموا، وعرفوا ثم أنكروا، وآمنوا ثم كفروا، وكذلك قال قتادة ومجاهد"3 إلى أن قال – رحمه الله -: "وفي الجملة ففي الأخبار عمن نافق بعد إيمانه ما يطول ذكره هنا، فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان مجمل، هو الضوء الذي ضرب الله به المثل، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق ماتوا على هذا الإسلام الذي يثابون عليه، ولم يكونوا من المؤمنين حقاً الذين امتحنوا فثبتوا على الإيمان ولا من المنافقين حقاً الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة، وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا، وأكثرهم إذا ابتلوا بالمحن التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيراً، وينافق أكثرهم أو كثير منهم، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالباً، وقد رأينا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة، وإذا كانت العافية، أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين، هم مؤمنون بالرسول باطناً وظاهراً لكن إيماناً لا يثبت على المحنة"4.

الفصل الثالث : المخالفون لأهل السنة في أمارات الدخول في أهل القبلة

المبحث الأول : سبب الاختلاف في الذين يدخلون بالاسم العام في ملة الإسلام:

قال البغدادي[5]: اختلف المنتسبون إلى الإسلام في الذين يدخلون بالاسم العام في ملة الإسلام .

أ ـ فزعم أبو القاسم الكعبى[6] (من شيوخ المعتزلة) في مقالاته أن قول القائل أمة الإسلام تقع على كل مقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كل ما جاء به حق كائنا قوله بعد ذلك ما كان

(1) الإيمان 257، 258 .

(2) التوبة : 66 .

(3) الإيمان 260 .

(4) الإيمان 266، 267 .

5) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي. أبو منصور ابن أبي عبد الله، الفقيه الشافعي، ولد ببغداد، ونشأ بها، وسافر مع والده إلى خراسان. وسكنا نيسابور إلى حين وفاتهما. وتوفي سنة عشرين وأربع مائة بمدينة أسفرايين الوافي في الوفيات6/ 211.

6) عبد الله بن احمد بن محمود، أبو القاسم الكعبي البلخي، رأس المعتزلة ورئيسهم في زمانه وداعيتهم. قال جعفر المستغفري: لا أستجيز الرواية عن أمثاله. توفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة. الوافي في الوفيات5/ 352.

ب ـ وزعم قوم أن أمة الإسلام كل من يرى وجوب الصلاة إلى جهة الكعبة .

ج ـ وزعمت الكرامية أن أمة الإسلام جامعة لكل من أقر بشهادتي الإسلام لفظا وقالوا كل من قال لا اله إلا الله محمد رسول الله فهو مؤمن حقا وهو من أهل ملة الإسلام سواء كان مخلصا فيه أو منافقا مضمر الكفر فيه والزندقة ، ولهذا زعموا أن المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين حقا ، وكان إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل والأنبياء والملائكة ، مع اعتقادهم النفاق وإظهار الشهادتين .

وهذا القول مع قول الكعبي في تفسير أمة الإسلام ينتقض بقول العيسوية من يهود أصبهان فإنهم يقرون بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبأن كل ما جاء به حق ولكنهم زعموا انه بعث إلى العرب لا إلى بني إسرائيل .

وقالوا أيضا : محمد رسول الله وما هم معدودين في فرق الإسلام وقوم من موشكانية اليهود حكوا عن زعيمهم المعروف بموشكان أنه قال إن محمدا رسول الله إلى العرب والى سائر الناس ما خلا اليهود وأنه قال إن القرآن حق وكل الأذان والإقامة والصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج الكعبة كل ذلك حق غير أنه مشروع للمسلمين دون اليهود وربما فعل ذلك بعض الموشكانية وقد أقروا بشهادتي أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله واقروا بأن دينه حق وما هم مع ذلك من أمة الإسلام لقولهم بان شريعة الإسلام لا تلزمهم .

وأما قول من قال إن اسم ملة الإسلام أمر واقع على كل من يرى وجوب الصلاة إلى الكعبة المنصوبة بمكة فقد رضي بعض فقهاء الحجاز هذا القول وأنكره أصحاب الرأي لما روى عن أبي حنيفة أنه صحح إيمان من أقر بوجوب الصلاة إلى الكعبة وشك في موضعها وأصحاب الحديث لا يصححون إيمان من شك في موضع الكعبة كما لا يصححون إيمان من شك في وجوب الصلاة إلى الكعبة .

وقال بعض فقهاء أهل الحديث اسم أمة الإسلام واقع على كل من اعتقد وجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة وهذا غير صحيح لان أكثر المرتدين الذين ارتدوا بإسقاط الزكاة في عهد الصحابة كانوا يرون وجوب الصلاة إلى الكعبة وإنما ارتدوا بإسقاط وجوب الزكاة وهم المرتدون من بني كنده وتميم فأما المرتدون من بني حنيفة وبني اسعد فإنهم كفروا من وجهين أحدهما إسقاط وجوب الزكاة والثاني دعواهم نبوة مسيلمة[1]

---

1) مسيلمة الكذاب :مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ، من المعمرين.وفى الامثال (أكذب من مسيلمة).ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، بقرب (العيينة) بوادي حنيفة، في نجد.وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعرف برحمان اليمامة.ولما ظهر الاسلام في غربي الجزيرة، وافتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ودانت له العرب، جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرحال، خارج مكة، وهو شيخ هرم، فأسلم الوفد وذكروا للنبى صلى الله

وطليحة[1] واسقط بنو حنيفة[2] وجوب صلاة الصبح وصلاة المغرب فازدادوا كفرا على كفر . والصحيح عندنا أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفى التشبيه عنه وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته إلى الكافة وبتأبيد شريعته وبأن كل ما جاء به حق وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها فكل من أقر بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدى إلى الكفر فهو السني الموحد 3.

لقد أخذ أهل السنة بما تضافرت نصوص الشريعة، وأقوال السلف الصالح الدالة علـى إن الإيمـان اعتقاد في القلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح .

أما دخول الاعتقاد في الإيمان: فهذا لا خلاف بين جميع أهل العلم أن من لم يعتقد الإيمـان هـو كافر خارج من الملة .. وإن أتى ظاهراً بالقول والعمل.

قال تعالى:[إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إن المنافقين لكـاذبون . اتخذوا أيما م جنةً فصدوا عن سبيل الله إ م ساء ما كانوا يعملون . ذلك بأ م آمنوا ثم كفروا فطُبع

عليه وسلم مكان مسيلمة فأمر له بمثل ما أمر به لهم، وقال: ليس بشركم مكانا.ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسليمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله.سلام عليك، أما بعد فانى قد أشركت في الامر معك، وإن لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض، ولكن قريشا قوم يعتدون) فأجابه: (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى ،أما بعد فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين) وذلك في أواخر سنة 10 ه، كما في سيرة ابن هشام (3: 74) وأكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهى ا القرآن.وتوفى النبي صلى الله عليه وسلم قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الامر لابي بكر، انتدب له أعظم قواده (خالد بن الوليد) على رأس جيش قوي، هاجم ديار بني حنيفة.وصمد هؤلاء، فكانت عدة من استشهد من المسلمين على قلتهم في ذلك الحين ألفا ومئتى رجل، منهم أربعمائة وخمسون صحابيا، (كما في الشذرات) وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة (سنة 12) الأعلام للزركلي 7/ 226.

1) طليحة بن خويلد الأسدي الفقعسي؛ كان ممن شهد مع الأحزاب الخندق، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع، ثم ارتد وادعى النبو ة في عهد آبي بكر في بأرض نجد، وكانت له وقائع مع المسلمين، ثم خذله الله فهرب حتى لحق بدمشق ونزل على آل جفنة، ثم اسلم وحسن إسلامه، وقدم مكة حاجاً معتمراً، وخرج إلى الشام مجاهداً، وشهد اليرموك وبعض حروب الفرس. قال ابن سعد: في الطبقة الرابعة، كان يعد بألف فارس لشدته وشجاعته وبصره في الحرب؛ انتهى. ولم يغمس عليه في دينه شيء، واستشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النعمان بن مقرن وعمرو بن معدي كرب. الوافي في الوفيات5/ 299.

2) بنو حنيفة قبيلة عربية معدودة ضمن فرع ربيعة من قبائل عدنان الذي يضم أيضاً قبائل ع ة و تغلب و عبد القيس و بكر بن وائل، و يرجع النسابون التقليديون القبيلة إلى حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، فتكون بذلك فرعاً من بني بكر، إلا أنه من الواضح أنه كان لها وجودها المستقل منذ ما قبل الإسلام: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

3) الفرق بين الفرق

على قلوبهم فهم لا يفقهون]1 فكفروا بسبب أنهم قالوا بلسانهم بالإيمان ما ليس في قلوبهم .. وهم إذ يقولون بالإيمان لا يقولون به على وجه الاعتقاد، وإنما يقولون به على وجه الاتقاء والنفاق ليدفعوا عن أنفسهم حكم الكفر والردة .. وبالتالي حكم السيف ..!

وأما دخول القول في الإيمان: فالمراد الإقرار باللسان بشهادتي التوحيد: لا إله إلا الله، محمد رسول الله .

ومن الأدلة الدالة على دخول القول في الإيمان وكشرط من شروطه، قوله ρ لعمه أبي طالب[2] كما في صحيح مسلم وغيره:" يا عم قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة " قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك .. وأبى أن يقول لا إله إلا الله ! فأنزل الله:[إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء]. وقوله تعالى:[ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم من أصحاب الجحيم].

فالذي منع أبا طالب عن الإقرار بشهادة التوحيد ليس لكونه مكذباً بالنبي ρ أو لاعتقاده بطلان رسالته ودعوته .. لم يكن لذلك، وإنما ـ كما أفاد النص ـ حتى لا تعيره قريش بأن الذي حمله على الإقرار بشهادة التوحيد الجزع من الموت .. وأبى أن يقولها إلى أن مات كافراً .

وقال ρ:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله "[3]. قال النووي: فيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ρ [4]

وقال ابن تيمية: الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها [5]

---

1) المنافقون:1-3.

2) أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي عم رسول الله صلى الله عليه و سلم شقيق أبيه أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية اشتهر بكنيته واسمه عبد مناف على المشهور وقيل عمران ولما بعث قام في نصرة رسول الله صلى الله عليه و سلم وذب عنه من عاداه ومدحه عدة مدائح منها قوله لما استسقى أهل مكة فسقوا ... وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل ومنها قوله من قصيدة ... وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد .. قال ابن عساكر في صدر ترجمته قيل إنه أسلم ولا يصح إسلامه، مات أبو طالب في السنة العاشرة من المبعث وكان له يوم مات بضع وثمانون سنة. الإصابة في تمييز الصحابة 7/ 242.

3) متفق عليه،ومضى تخريجه.

4) شرح مسلم للنووي 212/1

5) الفتاوى 609/7

وأما دخول العمل في الإيمان: فقد جاءت نصوص كثيرة دلت على دخول العمل في مسمى الإيمان، كما قال تعالى:[وما كان الله ليضيع إيمانكم][1]. والمراد صلاتكم، فسمى الصلاة ـ وهي عمل ـ إيماناً .

قال القرطبي:[وما كان الله ليضيع إيمانكم]؛ أي صلاتكم . فسمى الصلاة إيماناً لاشتمالها على نية وقول وعمل . وقال مالك: إني لأذكر بهذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان[2]

وفي الحديث من رواية أبي هريرة أن رسول الله ρ سئل أي العمل أفضل ؟ فقال:" إيمان بالله ورسوله "البخاري. فسمى الإيمان عملاً وعده أفضل الأعمال .

وقال ρ:" الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان "مسلم. فعد ρ إماطة الأذى عن الطريق ـ وهو عمل ـ من شعب الإيمان، وكذلك الحياء.

ومن حديث النبي ρ لوفد عبد قيس[3] قال ρ:" آمركم بالإيمان بالله ..

أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟" قالوا الله ورسوله أعلم، قال:" شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس "متفق عليه.

ففسر الإيمان بالعمل؛ والعمل الظاهر على الجوارح .

وقال ρ:" ليس بمؤمن من لا يأمن جاره غوائله "مسلم.

وقال ρ:" والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه " البخاري.

قال البخاري في صحيحة: هو قول وفعل .

وقال عمر بن عبد العزيز[4]: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص.

---

1) البقرة:143

2) تفسير القرطبي 157/2

3) وفْد عبد الْقَيس الْمذْكُورونَ كَانوا أربعة عشر راكِبا كَبِيرهم الْأَشج ، ذَكَره صاحِب التحرِير فِي شرح مسلِم وسمى مِنهم الْمنذِر بن عائِذ وهو الْأَشج الْمذْكُور. فتح الباري شرح صحيح البخاري84/1.

4) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي.أبو حفص. أمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب كان خليفة صالحا، اشتهر بالعدل، حتى قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبها بهم. ولد بالمدينة سنة 61هـ وفيها نشأ وتلقى العلم. وقد شدد على بني أمية وأغلظ لهم وأمرهم برد ما اغتصبوه، حتى قيل له: إنا نخاف عليك من ردها العواقب، فقال: كل يوم أتقيه وأخافه دون يوم القيامة لا وقيته. وكان يرد المظالم إلى أهلها بدون البينة القاطعة، وكان يكتفي بأيسر من ذلك، وإذا عرف وجها

قال ابن رجب[1] في كتابه القيم " جامع العلوم ": أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثاً: سعيد بن الجبير، وميمون بن مهران[2]، وقتادة، وأيوب السختياني[3]، وإبراهيم النخعي، والزهري[4]، ويحيى بن أبي كثير[5]، وغيرهم.

وقال الثوري: هو رأي محدث، أدركنا الناس على غيره . وقال الأوزاعي: كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل.

قال الشافعي في كتابه الأم: كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزي واحد من الثلاث إلا بالآخر.

قال ابن تيمية: قال أبو القاسم الأنصاري[6] شيخ الشهرستاني في " شرح الإرشاد " لأبي المعالي بعد أن ذكر قول أصحابه: قال: وذهب أهل الأثر إلى أن الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها، وعبروا عنه بأنه إتيان ما أمر الله به فرضاً ونفلاً والانتهاء عمن ى عنه تحريماً وأدباً .

قال: وهذا قول مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ومعظم أئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين [7]

من مظلمة لرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما كان يعرف من غشم الولاة.، مدة خلافته سنتان ونصف. عم اليسر والرخاء في زمانه حتى كان المسلم لا يجد مستحقا لزكاته. توفي سنة 101هـ. الأعلام 5 / 209.البداية والنهاية 9 / 192 - 219.

1) (ابن رجب) (736 - 795 ه = 1335 - 1393 م) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين: حافظ للحديث، من العلماء.ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق.من كتبه (شرح جامع الترمذي) و (جامع العلوم والحكم - ط). الأعلام للزركلي3/ 295.

2) ميمون بن مهران ،الامام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزري الرقي، أعتقته امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة، فنشأ ا، ثم سكن الرقة. عن سليمان بن موسى قال: هؤلاء الاربعةعلماء الناس في زمن هشام بن عبدالملك: مكحول والحسن والزهري وميمون بن مهران.قال ابن سعد وأبو عروبة وغيرهما: توفي سنة سبع عشرة ومئة سير أعلام النبلاء 5/ 72.

3) أيوب أبو بكر ابن أبي تميمة كيسان السختياني البصري؛ أحد الأعلام من نجباء الموالي. قال شعبة: كان سيد الفقهاء، وتوفي شهيداً في الطاعون الذي كان بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة. الوافي بالوفيات3/ 350.

4) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش. أبو بكر. أول من دون الحديث، وأحد كبار الحفاظ والفقهاء. قال عنه عمر بن عبد العزيز: لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية من الزهري. وقال عنه مالك: بقي ابن شهاب وماله في الدنيا نظير توفي بقرية (شغب) آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين. الأعلام 7 / 317 . البداية والنهاية 9 / 340.

5) اليمامي عبد الله بن يحيى بن أبي كثير اليمامي. كان من خيار الناس، ورعاً. وتوفي في حدود الثمانين ومائة، وروى له البخاري ومسلم. الوافي بالوفيات6/ 20.

6) (الانصاري) (...- 512 ه =...- 1118 م) سليمان بن ناصر بن عمران الانصاري،أبو القاسم: فقيه شافعي مفسر. من أهل نيسابور.كان زاهدا متصوفا يتكسب بالورافة، وأقعد في خزانة الكتب بنظامية نيسابور.له (شرح الارشاد) في أصول الدين، وكتاب (الغنية) في فروع الشافعية الأعلام للزركلي3/ 137.

7) الفتاوى 144/7

وقال ابن رجب الحنبلي: وأكثر العلماء قالوا: هو قول وعمل، وهذا كله إجماع من السلف وعلماء أهل الحديث، وقد حكى الشافعي إجماع الصحابة والتابعين عليه، وحكى أبو ثور الإجماع عليه أيضاً .

وقال الأوزاعي: كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل، وحكاه غير واحدٍ من سلف العلماء عن أهل السنة والجماعة . وممن حكى ذلك عن أهل السنة والجماعة: الفضيلُ بن عياض[1]، ووكيع بن الجراح[2] .

وممن روي عنه أن الإيمان قول وعمل: الحسن، وسعيد بن جبير، وعمر ابن عبد العزيز، وعطاء، وطاوس[3]، ومجاهد، والشعبي[4]، والنخعي، والزهري، وهو قول الثوري، والأوزاعي، وابن المبارك[5]، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وأبي ثور[6]، وغيرهم [7]

---

1) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي الخراساني. أبو علي. شيخ الحرم المكي ، توفي 187 ،لأعلام 5 /360 . البداية والنهاية 10/ 198.

2) وكيع بن الجراح بن مليح، الإمام أبو سفيان الرؤاسي الأعور الكوفي، أحد الأعلام، ورؤاس بطن من قيس عيلان، ولد سنة تسع وعشرين ومائة، وتوفي سنة سبع وتسعين ومائة ،قال ابن معين: هو كالأوزاعي في زمانه، وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت أحداً أوعى منه ولا أحفظ وكيع إمام المسلمين الوافي بالوفيات7/ 449.

3) طاوس بن كيسان اليماني الجندي - بفتح الجيم والنون - ؛ كان أحد الأئمة الأعلام، وهو من أبناء الفرس؛ قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً مثل طاوس؛ توفي يوم التروية سنة ست ومائة، وروى له الجماعة. الوافي بالوفيات5/ 273.

4) عامر بن شراحيل، أبو عمرو الشعبي، من شعب همدان، علامة أهل الكوفة؛ ولد في وسط خلافة عمر بن الخطاب،قال ابن شبرمة: سمعته يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته، ولا أحببت أن يعيده علي،وكان الشعبي ضئيلاً نحيفاً، فقيل له يوماً: إنا نراك ضئيلاً، فقال: زوحمت في الرحم، وكان أحد توأمين، وأقام في الرحم سنتين، ويقال إن الحجاج سأله يوماً فقال له: كم عطاءك في السنة؟ فقال: ألفين، فقال: ويحك كم عطاؤك؟ فقال: ألفان، فقال: كيف لحنت أولاً؟ قال: لحن الأمير فلحنت، فلما أعرب أعربت، وما يلحن الأمير فأعرب، فاستحسن منه ذلك وأجازه.وكان الشعبي مزاحاً، دخل عليه رجل ومعه امرأة في البيت فقال: أيكما الشعبي؟ فقال: هذه، وأومأ إلى المرأة؛ وتوفي فجأة. الوافي بالوفيات5/ 323.

5) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي. أبو عبد الرحمن. من سكان خراسان ○كان أبوه تركيا وأمه عربية. الحافظ شيخ الإسلام، ا اهد صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا. جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس. كان ينفق من كسبه من التجارة على أهل العبادة والزهد. هو أول من صنف في الجهاد. توفي سنة 181هـ. الأعلام 4 / 256.. البداية والنهاية 0 1/ 0 177

6) إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان أبو ثور الكلبي الفقيه البغداذي صاحب الشافعي رضي الله عنه ناقل الأقوال القديمة عنه، كان أحد الأعلام الثقات المأمون له في المذهب الكتب المصنفة في الأحكام جمع فيها بين الحديث والفقه، وكان مبدأ اشتغاله بمذهب أهل الرأي حتى قدم الشافعي رضي الله عنه إلى العراق فاختلف إليه واتبعه ورفض مذهبه الأول، وتوفي سنة أربعين ومائتين ببغداذ ودفن بمقبرة باب الكنائس رحمه الله تعالى. الوافي بالوفيات2/ 217.

7) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب 5/1

ولكن الناس في هذه المسألة اختلفوا ثلاثة أطراف: طرف لازم الإفراط والغلو فاعتبر مطلق العمل شرطاً لصحة الإيمان، وأن الوقوع في مطلق كبائر الذنوب والمعاصي هو مخرج كذلك لصاحبه من الملة .. يتمثل هذا الطرف في موقف الخوارج الغلاة، وليس هنا موضع الرد عليهم.

وموقف ثانٍ: لازم التفريط والجفاء فأخرج مطلق العمل من الإيمان، ولم يعتبر شيئاً منه شرطاً لصحته، وأحسنهم حالاً الذي جعل مطلق الأعمال تدخل في ساحة كمال الإيمان ونقصانه؛ لكنها لا تصل إلى درجة أن تنفي عن صاحبها أصل الإيمان .. وهذا الموقف يتمثل في المرجئة على اختلاف مذاهبهم ومشار م، وتباين آرائهم وأقوالهم !

وموقف ثالث: هو وسط بين الفريقين لا إفراط ولا تفريط؛ حيث اعتبر جانباً من الأعمال يدخل كشرط لصحة الإيمان لا بد من استيفائه وتحقيقه .. وجانباً آخر يكون مكملاً للإيمان؛ وجوده وعدمه يؤثر على كمال الإيمان زيادة أو نقصاناً، لكن لا يصل درجة أن ينفي عن صاحبه أصل ومطلق الإيمان .

هذا هو الموقف الوسطي الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وأقوال علماء سلف الأمة .

ولهذا فإن أهل السنة توسطوا بين القولين، فقالوا لا يكفر أحد بكل ذنب يرتكبه، ولكن من الذنوب والمعاصي القولية، والفعلية، والاعتقادية، ما يكفر من تعاطى شيئاً منها.

وذلك لأن الدخول في الإسلام والنطق بالشهادتين لا يعني العصمة من الكفر.

قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ".

وقال: "يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ".

لو كان الدخول في الإسلام والنطق بالشهادتين يعصم من الخروج منه لعصم الذين ارتدوا أول الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة السنية، وقد ذكر الخوارج ومروقهم من الدين كما يمرق السهم من الرمية: (فإذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه من انتسب إلى الإسلام ثم مرق منه مع عبادته العظيمة، حتى أمر صلى الله عليه وسلم بقتلهم، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمنة قد يمرق أيضاً من الإسلام).

وقال الشيخ بكر أبو زيد[1]: (لا يجوز لمسلم التحاشي عن تكفير من كفرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، لما فيه من تكذيب الله ورسوله).

---

1) الشيخ الدكتور / بكر بن عبد الله أبو زيد من قبيلة بني زيد . القبيلة القضاعية المشهورة في وسط نجد توفي عن عمر ناهز الـ 63 عاما مخلفا ورائه إرثاً علميا جاوز الـ 50 مؤلفا في العلوم الدينية وخصوصا الفقه والتشريعات الإسلامية والفتاوى في النوازل.

فما تغني كلمة التوحيد عمن أنكر ما هو معلوم من الدين ضرورة؟

قال ابن أبي العز الحنفي[1] في شرح العقيدة الطحاوية: (اعلم أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء.

إلى أن قال: فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحداً، فتنفي التكفير نفياً عاماً، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب، والسنة، والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

وأيضاً فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً.

إلى أن قال: ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعله الخوارج، وفرق بين النفي العام، ونفي العموم، والواجب إنما هو نفي العموم، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب).

إلى أن قال عن قول الإمام الطحاوي: "ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله.." الخ: (رد على المرجئة، فإنهم يقولون: "لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة"، فهؤلاء في طرف، والخوارج في طرف)[2].

---

1) شمس الدين ابن أبي العز الحنفي محمد بن سليمان بن أبي العز بن وهيب الإمام المفتي شمس الدين ابن العلامة الأوحد شيخ الطايفة قاضي القضاة صدر الدين الحنفي مدرس النورية والعذراوية، كان من كبار الحنفية مقصوداً بالفتوى أفتى نيفاً وثلثين سنة وناب في القضاء عن والده بدمشق وكان منقبضاً عن الناس، وتوفي سنة تسع وتسعين وستماية. الوافي بالوفيات1/ 353.

2) أهل السنة والجماعة يقولون : إن الإيمان يتركب من اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح لا يجزئ أحدها عن الآخر ، والأعمال كلها من حقيقة الإيمان ، إلا أنهم يرون أن الكبائر أو ترك شيء من العمل ـ ـ عدا الصلاة لإجماع الصحابة ـ ـ ـ ليس بكفر ، وخالفهم في هذا الباب طوائف من أهل البدع :

(الطائفة الأولى) : الخوارج والمعتزلة ، والإيمان عندهم كما هو عند أهل السنة والجماعة : قول وعمل واعتقاد ، إلا إنهم خالفوهم بقولهم : إن تارك بعض العمل ـ ـ آحاده ـ ـ أو مرتكب الكبيرة ليس في قلبه شيء من الإيمان وهو مخلد في الآخرة في النار ، واختلفوا في حكمه في الدنيا ، فقالت الخوارج : هو كافر ، وقالت المعتزلة : هو بمنزلة بين منزلتين.

(الطائفة الثانية) : الجهمية ، والإيمان عندهم : هو المعرفة فقط دون تصديق القلب و قول اللسان وعمل الجوارح ، فلو لم يصدق بقلبه وينطق بلسانه ويعمل بجوارحه فهو مؤمن إذا عرف بقلبه لأن هذه الثلاثة غير داخلة في الإيمان ، ولازم ذلك عندهم إيمان إبليس وفرعون وأبي جهل لأنهم عرفوا الله ، وقد سلك بعض الأشاعرة هذا المذهب بأن الإيمان هو المعرفة.

(الطائفة الثالثة) : الكرامية ، والإيمان عندهم : قول باللسان دون تصديق القلب أو عمل الجوارح ، فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الإيمان لأن الإيمان عندهم لا يتبعض ، لكنهم لا ينكرون وجوب التصديق بل عندهم من كان مقراً بلسانه مكذباً بقلبه فهو منافق خالد في النار في الآخرة ، فخالفوا أهل السنة في مسألة التصديق في الاسم ووافقوهم في الحكم.

(الطائفة الرابعة) : الأشاعرة ، والإيمان عندهم : مجرد تصديق القلب دون عمله وعمل الجوارح ودون قول اللسان. لكنهم يقولون : إن للإيمان لوازم إذا ذهبت دل على عدم تصديق القلب.

المبحث الثاني : مذهب الخوارج .

الخوارج علم مشهور على تلك الفرقة المعروفة التي وصفها النبي صلى اللهُ عليهِ وسلم بالمروق من الدين، وتميزت عن سائر الفرق بالغلو والإفراط والشطط والتنطع، كما تميزت في منهجها الحركي بالاندفاع والتهور والثورية العمياء، والقابلية السريعة للتمزق والاشتعال.

فالجلافة طبعهم، وضيق الأفق سمتهم، ما خيروا بين أمرين إلا اختاروا أعسرهما، وما رأوا طريقين إلا سلكوا أشقهما، وما صادفوا احتمالين إلا انحازوا لأبعدهما.

وقد امتلأت صفحات تاريخهم بنماذج غريبة لعقيد م ومنهجهم، فهم يقيمون الدنيا ويقعدو ا، ويثورون ويحجمون من أجل إثبات قضية، قد لا تكون ذات شأن، لكنهم يرون أن عدم إثبا ا كفر وضلال، فإذا ما تحقق لهم ذلك نكصوا ونكسوا على رءوسهم، وقالوا: قد كنا مخطئين -بل كافرين- حين فعلنا ذلك، فيثورون ويشتطون أشد من الأول من أجل إبطال ما أثبتوه، والتراجع عما قرروه، ويرون ضد ذلك كفراً!! ....

ابتدأ أمرهم يوم صفين ، حين قالوا لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه: عليك أن تقبل تحكيم كتاب الله، وإلا فأنت كافر.

فلما وافقهم على التحكيم كارهاً مرغماً، قالوا: حكمت الرجال في دين الله، فأنت كافر، لأنه لا حكم إلا لله!!

فلما قال لهم: ما حكمت مخلوقاً، إنما حكمت كتاب الله، والكتاب خط مسطور، وإنما ينطق به الرجال، وما فعلت ذلك إلا برأيكم، قالوا: قد كنا لما رضينا بالتحكيم كافرين، والآن نتوب من الكفر، فإن شهدت على نفسك بالكفر وتبت، عدنا إلى طاعتك، فقال: أبعد إيماني بالله ورسوله صلى اللهُ عليهِ وسلم وهجرتي وجهادي مع رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلم أشهد على نفسي بالكفر؛ قد ضللت إذن وما أنا من المهتدين؟![1]

وعندما كتبت وثيقة الصلح، وطلب أهل الشام منه أن يمحو كلمة أمير المؤمنين، محاها رضي الله عنه رغبة في الصلح وتصديقاً لما أخبره به النبي صلى اللهُ عليهِ وسلم من قبل.

(الطائفة الخامسة) : وهم مرجئة الفقهاء ، والإيمان عندهم : قول باللسان واعتقاد بالقلب دون عمل الجوارح ، ولذا فالإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص.

ومع أن المرجئـ ـة يجمعـون تقريبـاً علـى أن العمـل ليـس [داخـلاً في حقيقة] (3) الإيمـان ولا داخـلاً في مفهومه ، إلا أن مرجئة الفقهاء أقرب هذه الطوائف لأهل السنة ، وأبعدها طائفة الجهمية القائلون بأن الإيمان هو المعرفة فقـط ، ولذا كفرهم جمع من أئمة السلف دون باقي طوائف المرجئة. وأشار شيخ الإسلام أن الغلط دخل على هذه الطوائف بسبب أ م ظنوا أن الإيمان كل لا يتبعض ولا يتجزأ ولا يزيد ولا ينقص ، بل إذا وجد فصاحبه مؤمن كامل الإيمان وإذا ذهب بعضه ذهب كله (انظر الفتاوى:13/50،47).

1) الطبري [5/ 83]، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، والفتح [12/ 284] ، ومقالات الإسلاميين، ص 4، تحقيق ريتر.

فقال الخوارج : قد محوت عن نفسك إمرة المؤمنين فأنت إذن أمير الكافرين! وعندما قيل لهم: عودوا إلى طاعة أمير المؤمنين ولا تشقوا العصا، قالوا: إذا جئتمونا بمثل عمر فعلنا ولما لم يأ م أحد بمثل عمر اختاروا لإمرة المؤمنين عبد الله بن وهب الراسبي[1] !! وهو أعرابي بوال على عقبيه، لا سابقة له ولا صحبة ولا فقه، ولا شهد الله له بخير قط.[2] وتجرأ أشقاهم[3] واغتال أمير المؤمنين، وهو أفضل من على وجه الأرض يومئذ، فما ندم ولا جزع، ولما قطع لسانه جزع لفوات ذكر الله عنه كما قال. [4]

ومر عليهم عبد الله بن خباب[5] ، فقالوا له: أنت ابن خباب صاحب النبي صلى اللهُ عليْهِ وسلم؟ قال: نعم، قالوا: فحدثنا عن أبيك، فحدثهم بحديث: { يكون فتنة فإن استطعت أن تكون عبد الله المقتول فكن } فقدموه فضربوا عنقه، ثم دعوا سريته وهي حبلى فبقروا عما في بطنها، وكانوا قد مروا على ساقته فأخذ واحد منهم تمرة، فوضعها في فيه فقالوا له: تمرة معاهد فيم استحللتها؟ فقال لهم عبد الله بن خباب : أنا أعظم حرمة من التمرة، فلم يبالوا بأن يقتلوه كما بالوا بحرمة تمرة النصراني!![6]

روى الإمام البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: { بينا النبي صلى اللهُ عليْهِ وسلم يقسم، جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم

---

1) عبد الله بن وهب الراسبي من بني راسب بن مالك بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد له إدراك وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص وذكر الطبري في التاريخ ان سعدا أرسله مع المضارب العجلي وجماعة وامر عليهم ضرار بن الخطاب بأمر عمر الى أناس اجتمعوا من الذين يقاتلو م ثم كان مع على في حروبه ولما وقع التحكيم فأنكره الخوارج واجتمعوا بالنهروان أمر عليهم عبد الله بن وهب الراسبي وكان عجبا في كثرة العبادة حتى لقب ذا الثفنات كان لكثرة سجوده صار في يديه وركبتيه كثفنات البعير وقتل الراسبي المذكور مع من قتل بالنهروان وقصته في ذلك مشهورة ذكره بن الكلبي وغيره. الإصابة في تمييز الصحابة101/5.

2) الطبري [5/ 84] ، والفتح - المصدر السابق -.

3) عبد الرحمن بن ملجم المرادي، قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قرأ القرآن على معاذ بن جبل وكان من العباد، وقيل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص أن قرب إلي دار عبد الرحمن بن ملجم ليعلم الناس القرآن والفقه فوسع له مكان داره، ثم كان من شيعة علي بن أبي طالب بالكوفة وشهد معه صفين، ثم فعل ما فعل. وهو عند الخوارج من أفضل الأمة وكذلك النصيرية يعظمونه. الوافي بالوفيات6/ 111.وفي الحديث : " أشقى الأولين عاقر الناقة و أشقى الآخرين الذي يطعنك يا علي . و أشار إلى حيث يطعن " أخرجه ابن سعد في " الطبقات " (3 / 35)، قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " 3 / 78 .

4) تلبيس إبليس، ص:95.

5) عبد الله بن خباب بن الأرت التميمي ذكره الطبراني وغيره في الصحابة وقال عبد الرحمن بن خراش أدرك النبي صلى الله عليه و سلم وروى بن منده من طريق خالد بن يزيد عن زكريا بن العلاء قال أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن الزبير وعبد الله بن خباب، الإصابة في تمييز الصحابة 4/ 73.

6) الفتح [12/ 297]، والكامل [7/ 241] ، مع شرحه رغبة الآمل.

أعدل؟ قال عمر بن الخطاب : دعني أضرب عنقه، قال: دعه؛ فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه-أو قال: ثدييه- مثل ثدي المرأة -أو قال: مثل البضعة تدردر- يخرجون على حين فرقة من الناس .
قال أبو سعيد : أشهد أني سمعت من النبي صلى اللهُ عليْهِ وسلم وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى اللهُ عليْهِ وسلم }.[1]

فهذا ما وقع قبل أن يوجد الظلم وجور الحكام بالفعل، فليس الجور هو أصل النشأة، وإن كان مما يعزز الفكرة ويسوغها، ولكنها المثالية ا نحة التي لا تقيم للمصالح والملابسات أي اعتبار، وإنما تنطلق محلقة في الفضاء، لكن سرعان ما يهوي ا الواقع في قرار سحيق.

مثالية تنتقد رسول الله صلى اللهُ عليْهِ وسلم، فما ظنها بما حدث زمن عثمان ، فما ظنها بما جرى زمن حكام بني أمية والعباس؟!

وإذا ما أردنا الوصول إلى الحقيقة، فإن علينا أن نعرف تلك الظاهرة البارزة في تاريخ الخوارج ، وهي الاختلاف والتشقق إلى أكثر من رأي عادة وفي كل قضية تقريباً، وهو ما أنتج بمجموعه ثلاثة اتجاهات كبرى في مواقف فرق الخوارج ، منذ حادثة التحكيم إلى بروز منهج الإرجاء قائماً بنفسه وهي:

1- الاتجاه الغالي المطرد في غلوه.

2- الاتجاه المتراجع إلى حد التساهل (نسبياً).

3- الاتجاه التوسطي أو المحايد (التوقف والتبين).[2]

وتعد جماعة التكفير والهجرة نموذجاً لظهور الخوارج في العصر الحديث ، وهي تسمي نفسها (جماعة المسلمين)[3] .

---

1) البخاري (3166، 3414، 4094، 4771، 5811)، مسلم (1064) بعدة روايات عن أبي سعيد الخدري

2) أنظر : ظاهرة الإرجاء د. سفر الحوالي.

3) قد نشأت في مصر على يد أحد الطلاب الجامعيين في كلية الزراعة بأسيوط (جامعة أسيوط) ويدعى (شكري مصطفى) ، وقد تولدت لديه أفكار الخوارج إثر اعتقاله عام 1385هـ تقريباً ، وأكثرها تأصل لديه أثناء السجن حتى عام 1391هـ تقريباً ، وصارت الجماعة تنمو وتتوسع أفكارها نحو الغلو إلى أن قتل زعماؤها على أثر اغتيالهم للدكتور محمد حسين الذهبي . ومن أقوالهم :

- تكفير المخالفين لهم من المسلمين (علمائهم وعامتهم) وتكفير المعين .

- تكفير من يخرج عن جماعتهم ممن كان منهم ، أو من يخالف بعض أصولهم .

- تكفير ا تمعات المسلمة (سواهم) والحكم عليها بأ ا مجتمعات جاهلية .

هذا ومن المسائل العظيمة التي خالف فيها الخوارج ،وغلاة المكفرين أهل السنة والجماعة هي مسألة التكفير بالعموم أو اعتقاد أن الأصل في الناس؛ الكفر، أي أ م عادوا بجملتهم وعوامهم وعامتهم إلى الكفر، وبالتالي يتعاملون مع هذه الشعوب على أ ا شعوب كافرة. ولهذا عمدوا إلى استحلال الدماء والأموال الأعراض.

ثم هم يعتقدون؛ أن الكفر قد حل بالبلاد - هكذا يقولون - فبعضهم يرى؛ أنه ما دام قد سميت هذه الدار بـ "دار كفر"، فقد أطلق على أهلها أ م كفار، وهذه قاعدة معروفة من قواعد أتباع فرق وطوائف الخوارج، أنه إذا كفر الإمام؛ كفرت الرعية، وصاروا جزءاً من طائفته!

وبعضهم قال إن هؤلاء الساكنين لهذه الديار لم يظهروا الكفر بالطاغوت! والأصل أ م يعلنوا البراءة - لما يقرءون من كلام أهل الإسلام؛ بأن البراءة يجب أن تعلن، كما قال إبراهيم عليه السلام: {إنا برآءُ منكُم ومما تعبدونَ}1.

ولهذا فإن بعض جماعات التكفير؛ لا يرى إلا عشرة أو خمسة أفراد هم المسلمون، والبقية كفرة، وبعضهم يرى؛ أن طائفته هم المسلمون فقط !!.

وهذا كله من الغلو والتنطع ،ورمي للسواد الأعظم من أهل القبلة بما ليس فيهم إذ إن الأصل في أمتنا هو الإسلام فعندما تدخل بلداً من البلاد، تجد فيه المساجد ويرفع فيه الآذان، والناس يذهبون فيه إلى الصلوات، ويسمون الله على ذبائحهم، ويستقبلون القبلة، ويتشهدون بكلمة التوحيد، وهذه كلها من علامات الإسلام كما مضى.

والضابط الذي يعين على تحديد الكافر من المسلم، ومعرفة كل واحد منهما هو ا تمعات التي يعيش فيها الناس، فأحكامهم تبع للمجتمعات التي يعيشون فيها؛ فإن كانت مجتمعات إسلامية أو يغلب على سكا ا الإسلام .. عومل الناس في تلك ا تمعات معاملة المسلمين وحكم لهم بالإسلام ما لم تظهر منهم أو من بعضهم قرائن وعلامات تدل على كفرهم وعدم إسلامهم

- تكفير كل من حكم بغير ما أنزل الله مطلقاً دون تفصيل .
- تكفير من لم يهاجر إليهم ، ومن لم يهجر ا تمع ومؤسساته .
- تكفير من لم يكفر الكافر عندهم مطلقاً .

وقد جمعوا إلى الغلو في التكفير قولهم بوجوب الهجرة والعزلة (أصل) ويشمل ذلك عندهم :

- هجر مساجد المسلمين وترك الصلاة ا ، وترك الجمعة .
- هجر ا تمعات المسلمة من حولهم مطلقاً .
- هجر التعلم والتعليم ، وتحريم الدخول في الجامعات والمدارس .
- هجر الوظائف الحكومية ، وهجر العمل بمؤسسات ا تمع ، وتحريم مزاولة أي عمل فيما يطلقون عليه (ا تمع الجاهلي) وهو كل من سوى جماعتهم .

ومن غرائبهم عدم اعتدادهم بالخلافة الإسلامية من القرن الرابع ، وتكفير أهل تلك العصور .

1) الممتحنة: 4

وكذلك إن كانت المجتمعات غير إسلامية يغلب على أهلها الكفر والشرك عومل الناس فيها معاملة الكافرين، وأخذوا أحكامهم ما لم تظهر منهم القرائن والعلامات الدالة على إسلامهم وأنهم من المسلمين .. فهذا هو الضابط والميزان الذي نميز به بين المسلمين والكافرين.

فمن اعتقد أن أهل القبلة برمتهم قد عادوا كفاراً ومشركين ؛ فإنه يكون بهذا الإعتقاد قد ضل ضلالاً بعيداً.

فمن المعلوم أن كثيراً من البلاد الإسلامية قد حكمت بالكفر، كالأندلس، ومصر من قبل العبيدين، وماردين والعراق من قبل التتار، والشرق الإسلامي كله، ولم يحكم أهل الإسلام قط على أن الشعوب - بمجرد سقوط الدولة المسلمة الحاكمة عليهم - قد كفرت وأن الناس قد خرجوا من الإسلام، لم يقل أحد من أهل الإسلام بهذا. وسواد الناس ليسوا بالضرورة أن يكونوا جزءاً من الدولة بل هم مقهورون محكومون.

وسئل شيخ الإسلام رحمه الله عن بلد ماردين[1] هل هي بلد حرب أم بلد سلم وهل يجب على المسلم المقيم بها الهجرة إلى بلاد الإسلام أم لا وإذا وجبت عليه الهجرة ولم يهاجر وساعد أعداء المسلمين بنفسه أو ماله هل يأثم في ذلك وهل يأثم من رماه بالنفاق وسبه به أم لا ؟

فأجاب الحمد لله دماء المسلمين وأموالهم محرمة حيث كانوا في ماردين أو غيرها وإعانة الخارجين عن شريعة دين الإسلام محرمة سواء كانوا أهل ماردين أو غيرهم والمقيم بها إن كان عاجزا عن إقامة دينه وجبت الهجرة عليه وإلا استحبت ولم تجب

ومساعدتهم لعدو المسلمين بالأنفس والأموال محرمة عليهم ويجب عليهم الامتناع من ذلك بأي طريق أمكنهم من تغيب أو تعريض أو مصانعة فإذا لم يمكن إلا بالهجرة تعينت ولا يحل سبهم عموما ورميهم بالنفاق بل السب والرمي بالنفاق يقع على الصفات المذكور في الكتاب والسنة فيدخل فيها بعض أهل ماردين وغيرهم

وأما كونها دار حرب أو سلم فهي مركبة فيها المعنيان ليست بمنزلة دار السلم التي تجرى عليها أحكام الإسلام لكون جندها مسلمين ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه[2]

كان الخوارج يعتقدون؛ أن دارهم وطائفتهم هي دار الإسلام، وأن الديار المخالفة لهم - الذين لم يدخلوا في دينهم ولم يدخلوا في حكمهم - هي دار ردة، وبالتالي من دخل فيها فهو مرتد وكافر.وهذا ضلال من ضلالتهم. وعندهم أن كل من لم يكفر من كفروه فهو كافر مثلهم وهذا

1) ماردين؛ مدينة تقع بين رأس العين ونصيبين في شمالها، فيها قلعة عظيمة من الصخر، وكان يقال لها في المئة الرابعة من الهجرة؛ "الباز"، وكانت معقل أمراء بني حمدان، وهي اليوم تحت الحكم التركي.

2) مجموع الفتاوى 28/ 241.

أيضاً من الضلال البين لأن التكفير حكم شرعي يخاطب به كل مسلم كما يخاطب بالأحكام الشرعية فإذا حكم الشارع بالكفر على شخص بعينه أو أشار إلى كفره ككفرعون مثلا ، لزم تكفيره عينا والبراءة منه ومن شركه وكفره ولا مجال للاجتهاد في تأويل هذه النصوص - اللهم إلا الجهل ا - ويكون عدم التكفير في هذا لحالة راجعا إلى تكذيب هذه النصوص أو ردا لها...

-وإما إذا أنيط حكم الكفر بوصف ما فهنا يرد الاجتهاد من ا تهد في التحقق من ثبوت هذا الوصف في ذاك المعين وخلوه من العوارض ثم ت يل حكم الكفر عليه .. وهو علم ما يسمى بالمناط

وهنا لا يلزم من عدم التكفير كفر من لم يكفر لورود الخطأ في الاجتهاد فقد يتأول النص أو يتأول المناط أو يجهله أو غير ذلك

وهذا لا يقال فيه كافر أو مسلم ،بل يقال متأول أو مخطئ أو جاهل...

ويحتجون بالقاعدة الشرعية: "من لم يكفر الكافر فهو كافر" . والقاعدة صحيحة وردت في كلام بعض أهل العلم[1] **وليست نصا في كتاب الله أو سنة النبي عليه الصلاة والسلام أو إجماع الأمة، ومن أدلتها ، قوله الله تعالى-: فَمن يكْفُر بِالطاغُوتِ ويؤمِن بِاللهِ فَقَدِ استمسك بِالْعروةِ الْوثْقَى ولهذا: فمن لم يكفّر اليهود والنصارى أو المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم ، فهو كافر، طرداً للقاعدة قال صاحب الإقناع في باب حكم المرتد: "أولم يكْفر من دان بغير الإسلام كالنصارى، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فهو كافر"**[2]**. لكن الفهم الخارج عن فهم السلف كان سبباً في وقوعهم في تكفير أهل الإسلام نسأل الله السلامة ،لأن شرطه أن يعلم كفره بالدليل، فإن لم يكفره لجهل أو تقليد لا هوى فلا يكفر، فالتكفير لا يكون إلا بما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع وخلا هذه الأمور الثلاثة لا يجوز التكفير ا ، والمكفر في هذه الحالة يكفر بغير موجب وهو بين منهج الخوارج وأهل الغلو أعاذنا الله منهما.**

فمن لم يكفر الكافر وعلم عنه عدم تكذيب النصوص أو ردها لجهله إياها أو تأويله له أو لخطأ في ت يل هذه الأحكام على المعين فلا يقال له كافر لأنه لم يكذب النص أو يرده فضلا إن يرضي بالكفر أو يصححه لأن الأعذار الواردة على من لم يكفر الكافر ترجع إلى ذات الأعذار التي تثبت لمن يكذب بالنصوص أو يرضى بالكفر كالخطأ والجهل والتأويل سواء كان للحكم أو للمناط..

---

1) انظر نواقض الإسلام : عبد العزيز بن عبد الله بن بازالطبعة الأولى ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية: 1410هـ

2) الاقناع 4/ 297

ولذلك فإن شيخ الإسلام ابن تيمية مع شناعة ما حكى من حال ابن عربي[1] وابن سبعين[2] وغيرهم فقد قال : ولكن هؤلاء التبس أمرهم على من لم يعرف حالهم كما التبس أمر القرامطة[3] الباطنية لما ادعوا أنهم فاطميون وانتسبوا إلى التشيع فصار المتبعون مائلين إليهم غير عالمين بباطن كفرهم ، ولهذا كان من مال إليهم أحد رجلين إما زنديقا منافقا وإما جاهلا ضالا 4

من لم يكفر الكافر إذا تحقق انه يكذب النص أو يرده أو يصحح الكفر أو يرضى به فهو كافر .. ليس لأنه لم يكفر الكافر أو يشك في كفره ! بل لأنه كذب النص أو رده أو صحح الكفر أو رضي به ،وكل هذا كفر دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة...

أهل الغلو لما جعلوا تكفير الكافر من أصل الدين وجعلوه بمعنى البراءة من المشركين لم يقبلوا بهذه الأعذار لأن أصل الدين الذي قرروه لا يقبل فيه العذر بالجهل أو بالتأويل أو غيره إلا الإكراه ...

---

1) محيي الدين ابن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي المعروف بابن عربي صاحب الفتوحات المكية ،والتدبيرات الإلهية، وفصوص الحكم ، قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام:هذا شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً،هكذا حدثني شيخنا ابن تيمية الحراني به عن جماعة حدثوه عن شيخنا ابن دقيق العيد أنه سمع الشيخ عز الدين يقول ذلك،وحدثني بذلك المقاتلي ونقلته من خط أبي الفتح ابن سيد الناس أنه سمعه من ابن دقيق العيد انتهى وكانت وفاته بدمشق سنة ثمان وثلاثين وست مائة. الوافي بالوفيات1/ 255.

2) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن سبعين، الشيخ قطب الدين أبو محمد المرسي الرقوطي الصوفي. كان صوفياً على قواعد الفلاسفة، قال الشيخ شمس الدين: ذكر شيخنا قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد، قال: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته.قال الشيخ شمس الدين: واشتهر عنه أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله: لا نبي بعدي، فإن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الإسلام، مع أن هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله في رب العالمين: إنه حقيقة الموجودات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. الوافي بالوفيات6/ 46.

3) القرامطة هي حركة باطنية هدامة، تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه وهو من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة، وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية.أن هذه الحركة كان هدفها محاربة الإسلام بكل الوسائل وذلك بارتكاب الكبائر وهتك الأعراض وسفك الدماء والسطو على الأموال وتحليل المحرمات بين أتباعهم حتى يجمعوا عليهم أصحاب الشهوات والمراهقين وأسافل الناس. ومن عقائد القرامطة

أولاً: اعتقادهم باحتجاب الله في صورة البشر.

ثانياً: قولهم بوجود إلهين.

ثالثاً: تطبيقهم مبدأ إشاعة الأموال والنساء.

رابعاً: عدم التزامهم بتعاليم الإسلام في قليل أو كثير.

خامساً: فساد عقيدتهم في الوحي والنبوة والرسالة.

سادساً: انتهاكهم حرمات الإسلام بالاعتداء على الحجيج واقتحام الكعبة ونزع الحجر الأسود ونقله إلى مكان آخر.

سابعاً: إنكارهم للقيامة والجنة والنار.

قال الإمام أبو حامد الغزالي عنهم في كتابه "فضائح الباطنية" : أما الجملة فهو أنه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض .

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

4) مجموع الفتاوى 13/ 250.

وهذا فيه خلط بين التقرير من جهة العموم وبين تنـ يل هذا على الواقع شان أهل البدع جميعا...
ومن شبها ـم أن الناس لم يحاربوا الطاغوت ولم يعلنوا البراءة منه. فظاهرهم هو متابعة الطاغوت
وفي الرد عليها نقول :

أولاً: إن عدم الإعلان لا يعني عدم الوجود، فعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إ ـا تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " 1. فدل هذا الحديث على أن إعلان البراءة من الطواغيت ليس من أصل الإيمان، بل هو من الإيمان الواجب، ويشهد له أيضاً حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) 2 وعليه فإن تكفير الكافر ليس هو البراءة منه لا لغة ولا شرعا ولا هو عين الكفر بالطاغوت. قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن[3]: (مسألة إظهار العداوة؛ غير مسألة وجود العداوة، فالأول: يعذر به مع العجز والخوف، لقوله تعالى: {إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنهم تقَاةً}، والثاني؛ لا بد منه، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت).4

ثانياً: إن البراءة من المشركين إنما تثبت بعد الحكم عليهم بأ ـم مشركون ومن لم يثبت لهم حكم الكفر لخطا أو تأويل أو جهل فلا يقال عنه أنه لم يتبرأ من المشركين أو أنه يكذب النصوص أو أنه يصحح الكفر ويرضى به..

ومنشأ الخلل اعتبارهم التكفير للمشركين هو نفس البراءة منهم ،والبراءة منهم هي أصل الدين وركن التوحيد ومن لم يحققه لأي سبب كان فهو كافر ولا يعذر بما سبق..

وكل من يقرر هذا يلزمه التكفير بالتسلسل لا محالة حتى يعود الكفر على كل من على هذه الأرض بما فيهم أهل الغلو أنفسهم...

ثالثاً: إن الذي يحكم عليه بالكفر من الشعوب هو من تابع إمامه على الكفر ورضي بما هو عليه،

---

1) رواه مسلم انظر حديث رقم : 5790 في صحيح الجامع .

2) حديث رقم : 6250 في صحيح الجامع .

3) هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن ا ـدد محمد بن عبد الوهاب ، ولد سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين للهجرة في الدرعية ، وانتقل بعد سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف للهجرة إلى مصر مع والده الذي نفي إلى هناك ، وفيها تلقى العلم على والده وعاد إلى نجد سنة أربع وستين ومائتين وألف للهجرة ، توفي رحمه الله سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف للهجرة في الدرعية . علماء الدعوة : (47) .

4) [الدرر: ج8/ص359]

عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع " قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : " لا ما صلوا لا ما صلوا " أي : من كره بقلبه وأنكر بقلبه1 .

وفي حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) 2

فسمى الإنكار بالقلب إيماناً، فكيف يحكم على قلوب الناس بأ ا رضيت أو أنكرت؟! لا بد بأن يأتوا بعمل ظاهر يدل على المتابعة.

وشعوب المسلمين لم تتابع كما هو مشاهد ووافع، بل تظهر هذه الأمة في كل سانحة ولاءها للإسلام ،ولو استنفر الناس لأي قضية باسم الإسلام؛ فإ م لا يترددون بل يتقدمون ويضحون.

فهذا شعب فلسطين يهب بين الفينة والأخرى يقاتل كثير منهم اليهود في سبيل الله ، ومثلهم الشعب الأفغاني؛ وهذا حال عامة شعوبنا.

إذن الشعوب شعوب مسلمة، فيها دلائل الإسلام، والإسلام في قلو م- فهؤلاء عندهم الإيمان ا مل، وحكم الشرع الذي يجب علينا أن نحكم به عليهم؛ هو أ م مسلمون

وعليه فلا يجوز تكفير واحد من هذه الشعوب إلا بالدليل الصريح الصحيح الذي عندنا من الله عز وجل فيه برهان3

المبحث الثالث: مذهب التوقف والتبين

هناك طوائف توقفوا في الحكم على هذه الشعوب، فلم يحكموا لها بإسلام، ولم يحكموا لها بكفر - أي جعلوها في م لة بين الم لتين - فقالوا: نتوقف في الحكم على الناس، فلا نحكم عليهم بكفر أو إيمان حتى نتبين منهم ..! وهذا هو التبين المبتدع الذي يقتضي عدم الحكم على أي مسلم بكفر أو إيمان ويستلزم عدم الحكم بإسلام الكافر الذي ظهر منه ما يدل على رغبته في الإسلام، وذلك إلى حين حدوث هذا التبين المبتدع.

---

1) رواه مسلم صحيح الجامع (3618).

2) حديث رقم : 6250 في صحيح الجامع .

3) على شاكلة هؤلاء من يرمي جماعات من الدعاة بأ م من الخوارج وأهل التكفير الغالي ، مع كو م أبعد ما يكونون عن ذلك وتلك فرية رمي به كثير من السلف فالإمام أحمد أ م بأنه من الخوارج! - كما ذكر ابن تيمية في كتاب "الفتاوى الكبرى" - عندما دخل رجل من أتباع الإمام أحمد على الإمام أحمد وهو مستلق، فقال: (يقولون عنك أنك من الخوارج)! فضحك الإمام أحمد [12]. وقال الإمام أحمد: (بلغني أن أبا خالد وموسى بن منصور وغيرهما، يجلسون في ذلك الجانب، فيعيبون قولنا، ويدعون؛ أن هذا القول أن لا يقال مخلوق ولا غير مخلوق، ويعيبون من يكفر، ويقولون؛ إنا نقول بقول الخوارج!)، ثم تبسم أبو عبد الله كالمغتاظ [الفتاوى الكبرى: ج5/ص117].وابن تيمية إلى يومنا هذا يتهم بأنه من الخوارج وأنه خارجي، وهكذا ا مه معاصروه. و أ م ابن عبد الوهاب؛ بأنه خارجي أيضاً.فا ام أهل السنة بأ م على منهج أولئك الغلاة؛ فرية يفتريها الناس قديماً وحديثاً.

وفريق منهم اشترطوا إضافة إلى التوقف والتبين اختبار الناس وتقريرهم على عقيدة معينة، فإن أجابوهم حكموا بإسلامهم، وإن لم يجيبوهم ـ أو لم يحسنوا إجابتهم ـ حكموا عليهم بالكفر ..!

وهذا كله من الشطط والغلو وهو بخلاف ما دلت عليه نصوص الشريعة وقواعدها ..لأن من كان ظاهره الإسلام لايجب اختباره في معرفة معنى الشهادتين لأجل الحكم بإسلامه في الدنيا، ومن قال ذا فهو مبتدع، وهو شرط باطل كما قال ابن حجر رحمه الله (قال الغزالي[1]: أسرفت طائفة فكفّروا عوام المسلمين، وزعموا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التي حرروها فهو كافر، فضيقوا رحمة الله الواسعة. وجعلوا الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين. وذكر نحوه أبو المظفر بن السمعاني وأطال في الرد على قائله، ونقل عن أكثر أئمة الفتوى أ م قالوا: لايجوز أن تكلف العوام اعتقاد الأصول بدلائلها لأن في ذلك من المشقة أشد من المشقّة في تعلم الفروع الفقهية. ـ ـ إلى أن قال ابن حجر ـ ـ وقال بعضهم: المطلوب من كل أحد التصديق الجزمي الذي لاريب معه بوجود الله تعالى والإيمان برسلِهِ وبما جاءوا به كيفما حصل وبأي طريق إليه يوصل، ولو كان عن تقليد محض إذا سلم من التزلزل. قال القرطبي: هذا الذي عليه أئمة الفتوى ومن قَبلهم من أئمة السلف، واحتج بعضهم بما تقدم من القول في أصل الفطرة وبما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة أ م حكموا بإسلام من أسلم من جفاة العرب ممن كان يعبد الأوثان، فقبلوا منهم الإقرار بالشهادتين، والتزام أحكام الإسلام من غير إلزام بتعلم الأدلة.)2.

إن القول بالتوقف والتبين، بحيث لا نحكم على أحدٍ بكفرٍ ولا إسلام إلا بعد التبين هو من التكلف الذي نهينا عنه، وهو قول محدث بخلاف ما كان عليه السلف الصالح، وما دلت عليه نصوص الشريعة، فالناس إما كافر وإما مسلم، وليس هناك م لة بينهما يكون الواقف فيها لا كافر ولا مسلم، قال تعالى:{هو الذِي خلقَكُم فَمِنكُم كَافِر ومِنكُم مؤمِن واللهِ بِما تعملُونَ بصِير}3

وقريب من هذا ما حكمت به المعتزلة على مرتكب الكبيرة بالم لة بين الم لتين فقالوا:" لا هو كافر ولا هو مؤمن، وهو بين الم لتين "، قال ابن تيمية : ومنهم من يقول ن له م لة بين الم لتين وهى م لة الفاسق وليس هو بمؤمن ولا كافر وهم المعتزلة وهؤلاء يقولون أن أهل الكبائر يخلدون

---

1) محمد بن محمد بن محمد ابن أحمد حجة الإسلام زين الدين أبو حامد الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن في آخر عصره مثله وأما مصنفاته فمنها كتاب أحياء علوم الدين وهو من أجل الكتب وأعظمها وكانت ولادته في سنة خمسين وأربع مائة وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمس مائة ، الوافي بالوفيات1/ 120.

2) فتح الباري 13/ 349 .

3) التغابن:2.

في النار وان أحدا منهم لا يخرج منها وهذا من مقالات أهل البدع التي دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان على خلافها قال الله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما إلى قوله إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم فسماهم مؤمنين وجعلهم إخوة مع الاقتتال وبغي بعضهم على بعض وقال الله تعالى فتحرير رقبة مؤمنة ولو اعتق مذنبا أجزأ عتقه بإجماع العلماء1

وقد يحتجون بنصوص منها قول الله تعالى:{إِذَا جاءَكُم الْمؤمِنات مهاجِراتٍ فَامتحِنوهن الله أَعلَم بِإِيمانِهِن}2 ، فقالوا؛ "إذن هذا امتحان، فقد توقف حكم الإسلام على الامتحان!".

وحديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت: يارسول الله، جارية لي صككتها صكـّـة، فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: أفلا أعتقها؟ قال (ائتني ا)، قال: فجئت ا، قال (أين الله)؟ قالت: في السماء، قال (من أنا)؟، قالت: أنت رسول الله. قال (اعتقها فإ ا مؤمنة)3 فهذه الجارية التي جاءت فامتحنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل إن يعتقها. وهذان الدليلان لا يفهم منهما بأي حال الحكم بالتوقف حتى يقع التبين

وذلك أن الآية وهي قول الله تعالى :(يا أيها الذِين آمنوا إِذَا جاءَكُم الْمؤمِنات مهاجِراتٍ فَامتحِنوهن الله أَعلَم بِإِيمانِهِن فَإِنْ عِلمتموهن مؤمِناتٍ فَلَا ترجِعوهن إِلَى الْكُفَّارِ لَا هن حِلٌ لَهم ولَا هم يحِلونَ لَهن وآتوهم ما أَنفَقُوا ولَا جناح علَيكُم أَنْ تنكِحوهن إِذَا آتيتموهن أُجورهن ولَا تمسِكُوا بِعِصمِ الْكَوافِرِ واسأَلُوا ما أَنفَقْتم ولْيسأَلُوا ما أَنفَقُوا ذَلِكُم حكْم اللهِ يحكُم بينكُم والله عِلِيم حكِيم)4 تحكم على المهاجرات بالإيمان قبل الامتحان، كما قال البقاعي5 رحمه الله في قوله تعالى :{ المؤمنات } أي النساء اللاتي صار وصف الإيمان لهن صفة راسخة بدلالة الهجرة عليه : { مهاجرات } للكفار ولأرضهم { فامتحنوهن } أي اختبروهن تأكيداً لما دلت عليه الهجرة من الإيمان بالتحليف بأ ن ما خرجن لحدث أحدثته ولا بغضاً في زوج ولا رغبة في عشير ولا خرجن إلا حباً لله ورسوله ورغبة في دين الإسلام6 ومعنى ذلك أ ن لو متن قبل إن يمتحن؛ لوجب على المسلمين أن يصلوا عليهن. فالآية حكمت بإيمان النساء المهاجرات.

1) مجموع الفتاوى 7/ 670.

2) الممتحنة: 10

3) أخرجه أحمد 447/5(24163 و24164 و24165) ، و"مسلم"70/2(1136) و35/7(5873) ، و"أبو داود"930.

4) الممتحنة : (10).

5) برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر بن حسن بن علي البقاعي. أصله من سهل البقاع بسورية. سكن في دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة. وتوفي في دمشق سنة .885. الأعلام 1/50.

6) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور8/ 478.

أما الحديث فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحكم بإسلامها، ولكن جاء حكم يقتضي امتحا ا، وهذه مسألة اخرى، لا تعني التوقف في الحكم.بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل هذا مع كل من تلفظ بالإسلام كما في حديث حذيفة بن اليمان[1] - رضي الله عنه - : قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال : « احصوا لي كم يلْفِظُ الإسلام ؟ فقلنا : يا رسولَ الله أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة ؟ قال : إنكم لا تدرون ، لعلكم أن تبتلوا ، قَابتلينا ، حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سِرا ».أخرجه البخاري ومسلم.

وللبخاري أنه قال : « اكتبوا لي من يلفظ بالإسلام من الناس ، فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل ، فقلنا : أتخاف ونحن ألف وخمسمائة ، فقد رأيتنا ابتلينا ، حتى إن الرجلَ ليصلي وحده وهو خائف »[2].

وكما أن الأصل في رواة السنة أ م ثقات، ولكن ربما تأتي مسألة تحتاج إلى توثق زائد، كأن يكون الرجل مستور الحال فيحتاج إلى توثق لترتفع درجته، فمستور الحال عند أهل الحديث لا يقبل، مع أ م لا يحكمون بأنه مجروح، ولكن لأن هناك ما يحتاج إلى زيادة توثق، ولا يعني أنه غير ثقة، لأن الأصل فيه أنه عدل وكذلك كل من ثبت له حكم الإسلام، ولكن لا يعرف عن حاله؛ هل أتى بمكفر أم لم يأت بمكفر، فإن الأصل كما مر هو الإقرار له بالإسلام.

وقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه قال لما سئل: أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " متفق عليه.

فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم- بالسلام على من لا تعرف ممن يعيش مع المسلمين في مجتمعا م .. ما لم تظهر عليهم القرائن الدالة على عدم إسلامهم.

ثم إلقاؤك عليه السلام هو حكم منك عليه بالإسلام ـ رغم أنك لا تعرفه ـ لأن السلام لا يلقى إلا على مسلم.

وقد عد النبي - صلى الله عليه وسلم- اشتراط المعرفة ـ كما هو مذهب أهل التوقف ـ لإلقاء السلام من أشراط الساعة، حيث قد صح عنه - صلى الله عليه وسلم- أنه قال:" من أشراط الساعة إذا كانت التحية على المعرفة " وفي رواية:" أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا

---

1) حذيفة بن اليمان، أبو عبد الله العبسي، حليف بني عبد الأشهل، صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو وأبوه من سادات الصحابة المهاجرين، شهد اليرموك وأمه امرأة من الأنصار من الأوس.وقال: لقد حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يكون حتى تقوم الساعة. وكان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه. وأعلمه بأسماء المنافقين الإثني عشر الذي بخسوا به ليلة العقبة مردعه من تبوك، ولم يكن فيهم قرشي والكل من الأنصار، وقال: اللهم اغفر لحذيفة ولأمه. وجاءه نعي عثمان وهو بالمدائن ومات ا بعد عثمان بأربعين يوماً سنة ست وثلاثين قتل في أولها وقيل مات بالكوفة ، الوافي بالوفيات4/ 95.

2) رواه البخاري ومسلم ،جامع الأصول من أحاديث الرسول 7570/10.

للمعرفة "1. أي يسلم عليه لكونه يعرفه أما إذا كان لا يعرفه لا يسلم عليه .. فهذا الخلُق السيئ من أشراط وعلامات الساعة!

وعن الطفيل بن أبي بن كعب[2]: أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبد الله بن عمر على سقط ـ وهو الذي يبيع سقَط المتاع ـ ولا صاحب بيعة، ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه!

قال الطفيل: فجئت عبد الله بن عمر يوماً فاستتبعني إلى السوق، فقلت: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم ا، ولا تجلس في مجالس السوق، فاجلس بنا هنا نتحدث، فقال لي عبد الله:" يا أبا بطن ـ وكان الطفيل ذا بطن ـ إنما نغدو من أجل السلام، نسلم على من لقينا "3

وكان -رضي الله عنه- لشدة ما عرف عنه أنه يسلم على من يعرف ومن لا يعرف كان يسلم خطأ على نصارى أهل الذمة وهو لا يعلم، كما في الأثر الصحيح عن عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جدعان[4]، قال: مر ابن عمر بنصراني فسلم عليه، فرد عليه السلام، فأخبر أنه نصراني، فلما علم رجع، فقال:" رد علي سلامي ".5 وكان يحصل ذلك لغيره من السلف .. وسبب ذلك أن الناس كانوا يؤخذون ويعاملون على أساس ا تمع الذي يعيشون فيه ما لم تظهر منهم القرائن التي تثبت العكس، وتخالف هذا الضابط والأصل.

وفي الأثر كذلك عن عقبة بن عامر الجُهني[6] -رضي الله عنه- : أنه مر برجل هيئته هيأة مسلم، فسلّم فرد عليه: وعليك ورحمة الله وبركاته، فقال له الغلام: إنه نصراني! فقام عقبة فتبعه حتى أدركه فقال: إن رحمة الله وبركاته على المؤمنين، لكن أطال الله حياتك، وأكثر مالك وولدك7.

---

1) أخرجه أحمد (1 / 387) و الطبراني في " المعجم الكبير " (3 / 36 / 2)

2) الطفيل بن أبي بن كعب الأنصاري؛ أمه بنت الطفيل بن عمرو الدوسي، وكان يلقب أبا بطن، وكان صديقاً لابن عمر، ذكر الواقدي ذلك، وذكر أنه ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. الوافي بالوفيات5/ 287.

3) رواه مالك في الموطأ (133/3) والبيهقي في " شعب الإيمان " (8790/434/6) وسنده صحيح.

4) عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جدعان أراه القرشي يروى عن عائشة روى عنه عبد الرحمن بن أبي الضحاك وهو الذي روى عنه أبو جعفر الفراء فقال عبد الرحمن بن جدعان قال سمعت بن عمر يقول في السلام ، التاريخ الكبير5/ 345، الثقات لابن حبان 5/ 102.

5) أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (1115).

6) المقرئ أبو عبس ويقال: أبو حماد، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو عامر، ويقال: أبو الأسد المصري، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم.وكان عالما مقرئا فصيحا فقيها فرضيا شاعرا كبير الشأن.وهو كان البريد إلى عمر بفتح دمشق. وقبره بالمقطم. مات سنة ثمان وخمسين. سير أعلام النبلاء2/ 468.

7) أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (1112) والبيهقي (9 / 203) أنظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل 5/ 114.

فتأمل كيف اعتبر هيئته المشا ة لهيئة المسلمين ــ مع سكناه بين أظهر المسلمين ــ قرينة دالة على إسلامه، مما حمله أن يسلم عليه كما يسلم على المسلمين .. والخطأ في مثل هذه المواضع وارد لكنه مغفور إن شاء الله لأنه ناتج عن اجتهاد ومن غير تعمد أو قصد، كما في الحديث فقد صح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه "[1] .

المبحث الرابع: مذاهب المرجئة

الإرجاء: مصدر أرجأ بمعنى أخر ، يقال: أرجأ الأمر أي أخره. وقد أطلق هذا الاســم علــى طائفة المرجئة لما قالوا بتأخير العمل عن الإيمان، أي فصله عنه وتأخير مرتبته في الأهميــة كــذلك لعدم حكمهم على الفاسق أو الكافر بما هو أهلٌ له ، وادعاء إرجاء ذلك إلى يوم الحساب

وتختلف فرق المرجئة في تعريفها للإيمان، وحاصل أقوالها يرجع إلى ثلاثة أقوال:

الأول: أن الإيمان مجرد المعرفة، وبعضهم يقول المعرفة والتصديق، ومن هؤلاء، من يدخل عمل القلب كعامة فرق المرجئة، ومنهم من لا يدخل ذلك كجهم بن صفوان. (2)

الثاني: أن الإيمان مجرد قول اللسان وهو ما انفردت به الكرامية(3)دون سائر الفرق.

الثالث: تصديق القلب وقول اللسان وهو ما يسمى بإرجاء الفقهاء. (4)

---

1) حديث صحيح رواه ابن ماجه والبيهقي أنظر: المشكاة 6284 ، الارواء 82.

(2) الجهم بن صفوان : السمرقندي، أبو محرز، قال عنه الذهبي، " رأس الجهمية .. زرع شراً عظيماً" وهو من أكثر الشخصيات أثراً على عامة الفرق الكلامية حيث فتح باب التأويل، وقال بالجبر، و أن الإيمان، المعرفة فقط، و أن الجنة والنار تفنيان، أمر بقتله نصر بن سيار فقتل سنة 128هـ-، انظر ميزان الاعتدال 426/1، ولسان الميزان 124/2، وخطط المقريزي 349/2، 351 والأعلام للزركلي 141/2.

3 الكرامية : أتباع محمد بن كرام، أبو عبد الله السجستاني (ت255) من بدعهم المشهورة، قولهم بأن الله جسم، و أنه محل للحوادث، وقولهم : إن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان، و أنكروا أن تكون معرفة القلب أو عمل الجوارح من الإيمان، وزعموا أن المنافقين مؤمنون على الحقيقة، مستحقون للعقاب في الآخرة، فنازعوا في اسمه لا في حكمه، يقول شيخ الإسلام – رحمه الله : - (وهذا القول هو الذي اختصت به الكرامية، وابتدعته، ولم يسبقها أحد إلى هذا القول، وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان ..) الفتاوي 56/13، قال الذهبي – رحمه الله - : (وكانت الكرامية كثيرين بخراسان، ولهم تصانيف، ثم قلوا وتلاشوا، نعوذ بالله من الأهواء) سير أعلام النبلاء 524/11، وانظر في مذهبهم وأخبارهم الملل والنحل للشهرستاني 114/108/1، التبصير في الدين 111- 117، البداية والنهاية 20/11، وسير أعلام النبلاء 523/11-524، والأعلام 14/7، وغيرها .

(4) مرجئة الفقهاء :

اشتهر إطلاق هذا المصطلح على الإمام أبي حنيفة وأصحابه بسبب موافقتهم المرجئة في إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، ولذلك يسمى هذا المذهب- أحياناً – بمذهب الحنفية، وقد عرف هذا القول عند متقدميهم، قبل ظهور الإمام أبي منصور الماتريدي، فلما ظهر تأثر به عامة الأحناف، فصاروا يقولون بقوله : إن الإيمان هو التصديق، وقول اللسان شرط لإجراء الأحكام في الدنيا، كالقول المشهور عند الأشاعرة.

إذن تدور عقائد المرجئة حول الإيمان ، إذ ذهب أكثرهم إلى أنه التصديق بالقلب والإقرار باللسان - عدا بعضهم ممن زعم أنه تصديق القلب ولم يشترط أنه النطق بالشهادتين مع القدرة عليهما - ولم يدخلوا العمل في مسمى الإيمان ، فالإيمان عند هؤلاء متحقق كاملاً لمن صدق بالرسالة ونطق بالشهادتين ، وإن لم يأتي بعمل من أعمال الطاعات!.

وقد دخلت عليهم تلك البدع من أصل تصورهم للإيمان ، وأنه واحد لا يتجزأ ولا يتبعض ، أي لا يزيد ولا ينقص.

وقد تمسكت المرجئة في أقوالهم تلك بما ادعوه من أن معنى الإيمان في اللغة: التصديق، كما في قوله تعالى: ((وما أنت بمؤمن لنا)) ، أي: مصدق لنا.

كذلك بظواهر الأحاديث ، كما في قوله - صلى الله عليه وسلم - ، فيما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: »أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله« ، وفيما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له: »فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة«.

وقالوا: إن تلك الأحاديث تدل على أن الإيمان هو: تصديق القلب والتلفظ بالشهادتين، وهما كافيان لإثبات الإيمان ودخول الجنة دون العمل!.

وقد تجاوز بعض من ابتلاهم الله بشبه الإرجاء ؛ فلم يكتفوا بإخراج أعمال الطاعات من الواجبات والمستحبات من مسمى الإيمان بل كذلك الأعمال اللازمة لتحقيق التوحيد، والمتعلق بتوحيد ألوهية الله عز وجل لأن الإيمان محله القلب والتصديق متحقق

وسبب ضلالهم :هو عدم الجمع بين أطراف الأدلة ، وذلك باتباعهم أول دليل يرونه دالاً - من جهة معينة - على ما أرادوه ، فإذا صادفوا دليلاً آخر لم يجمعوا بينه وبين الأول ، بل أولوه أو ضعفوه أو أخفوه! بينما (مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المترتبة عليها ، وعامها المترتب على خاصها ، ومطلقها المحمول على مقيدها ، ومجملها المفسر بمبينها ، إلى ما سوى ذلك من مناحيها).

وقد دلت الآيات والأحاديث على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان - وعليه أجمع الصحابة والتابعون وسلف الأمة - فهو: قول وعمل ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، قال تعالى: ((ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : (... وهؤلاء المعرفون مثل حماد بن أبي سليمان، و أبي حنيفة وغيرهما من فقهاء الكوفة، كانوا يجعلون قول اللسان، واعتقاد القلب من الإيمان، وهو قول أبي محمد بن كلاب وأمثاله، ولم يختلف قولهم في ذلك، ولا نقل عنهم أنهم قالوا : الإيمان مجرد تصديق القلب) الأوسط50 الإيمان 114.

وما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صـلى الله عليـه وسـلم - : »الإيمان بضع وسبعون شعة أو بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناهـا إماطـة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان«.

كذلك ما رواه مسلم بسنده عن ابن عباس في حديث وفد عبد القيس ، قال رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - : »وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تؤدي خمساً من المغنم«.

فالإيمان - إذن - قول وعمل ، قول القلب وهو: التصديق ، وعمل القلب: وهو: الإقـرار والخضوع المستلزم للمحبة والانقياد ، وقول اللسان: وهو: النطق بالشهادتين ، وعمل اللـسان والجوارح ، وهو العمل بالطاعات ، وترك المحظورات من الشريعة ، وهو يزيد وينقص.

ثم ننظر إلى استدلال المرجئة - سلفاً وخلفاً - بأحاديث الشفاعة على أن قـول الـشهادتين تلفظاً يثبت لصاحبة الإسلام والإيمان ، وإن أتى عملاً من أعمال الكفر ، فنرى أ ا هي طرق أهل البدع في عدم جمع أطراف الأدلة ، والنظر في الأحاديث.

قال إبراهيم النخعي[1] : الإرجاء بدعة. إياكم وأهل هذا الرأي المحدث - يعني: الإرجاء.

وكان رجل يجالس إبراهيم يقال له: محمد، فبلغ إبراهيم أنه يتكلم في الإرجاء فقال له إبراهيم : لا تجالسنا.

ودخل عليه قوم من المرجئة فكلموه، فغضب، وقال: إن كان هذا كلامكم فلا تدخلوا علي.

وقال: تركوا هذا الدين أرق من الثوب السابري.

وقال له بعض تلاميذه: إ م يقولون لنا: مؤمنون أنتم؟ وقال: إذا سألوكم فقولوا: ﴿آمنا بِاللهِ وما أُنزِلَ إِلَينا وما أُنزِلَ إِلَى إِبراهِيم ﴾ [2] إلى آخر الآية ' .

وقال: 'لفتنتهم عندي أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة ' .

أو: 'لفقوا قولاً، فأنا أخافهم على الأمة، والشر من أمرهم كثير، فإياك وإياهم' .

وقال سعيد بن جبير: "المرجئة يهود القبلة' .

وقال: 'المرجئة مثل الصابئين' .

وقال الزهري : الإمام المشهور المعاصر لهؤلاء، قال: 'ما ابتدعت في الإسلام بدعة هي أضـر على أهله من هذه - يعني الإرجاء' [1].

---

1) التابعي المشهور، فقيه الكوفة الأكبر في عصره، ومن تلاميذه كان مرجئة الفقهاء كـحماد ، وقد عاصر تلك الأحداث، وتوفي بعد الحجاج ببضعة أشهر سنة 96هـ باتفاق. [448]

2) البقرة:136

رد الإمام ابن القيم -رحمه الله- هذه البدعة المنكرة بأبيات من نونيته، فإنه أوجز هذه البدعة، وبين حقيقتها وشناعتها في تسع أبيات فقط من ألفيته العظيمة المعروفة بالنونية:

قال ابن القيم -رحمه الله-:-

وكذلك الإرجـــاءُ حينَ تُقـــرُّ بالمعبودِ تصبحُ كاملَ الإيمـانِ
فارمِ المصاحفَ في الحُشوشِ وخرِّبِ البيتَ العتيقَ وجِدَّ في العصيانِ
واقتل إذا ما استطَعْـتَ كلَّ موحِّدٍ وتَمَسَّحَنْ بالقسِّ والصُّلبـانِ
واشتُم جميعَ المرسلينَ ومـن أَتوا من عنده جَهْـراً بلا كتمـانِ
وإذا رأيت حجارةً فاسجدْ لهـا بل خُرَّ للأصنامِ والأوثـانِ
وأَقِرَّ أن اللهَ جـلَّ جلالـهُ هو وحدَهُ البادي لذي الأكوانِ
وأَقِرَّ أن رسـولَهُ حقـاً أتـى من عندهِ بالوحـي والقرآنِ
فتكونَ حقاً مؤمنـاً وجميـع ذا وزرٌ عليكَ وليس بالكفـرانِ
هذا هو الإرجاءُ عنـد غلاتِهم من كل جهميٍّ أخي الشيطـانِ

وخلاصة معنى أبيات ابن القيم رحمه الله:

أنه عرف الإرجاء بأنه الإقرار بالمعبود فقط !!وذلك أن من المرجئة من قال: إن الإيمان هو الإقرار بالقلب فقط، ومنهم من قال باللسان فقط، وهو قول غلاتهم، ومنهم من قال الإقرار بالقلب، والشهادة باللسان فقط، وبذا تكون مؤمناً كامل الإيمان لأن الإيمان عندهم هو التصديق؛ فمادام أنه مصدق فهو مؤمن كامل الإيمان..

1)أنظر : ظاهرة الإرجاء د. سفر الحوالي 289- 295 الفرق الكلامية مدخل ودراسة، د. علي المغربي 367 – 375، حقيقة الإيمان محمد المصري 193- 219، الإيمان لمحمد العجلان 57- 67.

ولازم قولهم بل نص أقوالهم أن من رمى المصاحف في أماكن النجاسات، أو هدم بيت الله الحرام (الكعبة)، واجتهد في معصية الله ورسوله، وقتل المؤمنين الموحدين، وتمسَّحَ بالقساوسة متبركاً بهم، وبالصلبان معظماً ومتبركاً بها، وشتم جميع المرسلين، ومن أرسلهم، وسجد للحجر والصنم، فإنه لا يكفر كفراً ناقلاً عن الملة مادام أنه في قلبه مؤمن بالمعبود، وتكون الأعمال السابقة كلها كفر ظاهري فقط يحاسب عليها، ولا يخلد في النار بسببها !! وذكر ابن القيم في بيته الأخير أن هذه عقيدة الجهمية إخوان الشياطين.

إن العلاقة بين إيمان القلب وإيمان الجوارح لِمن أهم قضايا الإيمان ومن عدم فهمها دخل الضلال على المرجئة بل على أكثر المسلمين؛ حيث ظنوا أنه يمكن أن يكون إنسان كامل الإيمان في القلب مع عدمِ عمل الجوارح مطلقاً، كما ظنوا أن تماثل الناس في أعمال الجوارح يقتضي تماثل إيما م وأجورهم، ولم يدركوا أنه بحسب علاقة عمل الجارحة بعمل القلب يكون الحكم على العمل والثواب عليه؛ فقد يتفق العملان في المظهر والأداء وبينهما مثل ما بين السماء والأرض في الدرجة والأجر.

المرجئة الجهمية أجمعت كتبهم قاطبة على أن الإيمان هو التصديق القلبي، واختلفوا في النطق بالشهادتين أيكفي عنه تصديق القلب أم لابد منه

وقد رجح بعضهم أن المصدق بقلبه ناج عند الله وإن لم ينطق ما فعلى كلامهم لا داعي لحرص النبي - صلى الله عليه وسلم- أن يقول عمه أبو طالب: "لا إله إلا الله"؛ لأنه لاشك في تصديقه له بقلبه، وهو ومن شا ه على مذهبهم من أهل الجنة!!

هذا وقد أولوا كل آية أو حديث ورد في زيادة الإيمان ونقصانه أو وصف بعض شعبه بأ ا إيمان أو من الإيمان .

قال شيخ الإسلامِ في معرض رده على المرجئة : 'وأيضاً فقد جاء نفر من اليهود إلى النبي فقالوا: نشهد أنك رسول، ولم يكونوا مسلمين بذلك؛ لأ م قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم، أي نعلم ونجزم أنك رسول الله، قال: فلم لا تتبعوني؟

قالوا: نخاف من اليهود، فعلم أن مجرد العلم والإخبار -أي: عن العلم- ليس بإيمان حتى يتكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد، مع تضمن ذلك الإخبار عما في أنفسهم ' .

وإنما 'اتفق المسلمون على أن من لم يأت بالشهادتين فهو كافر ' .

وأن 'من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان -لا في الدنيا ولا في الآخرة- ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله: (يا أيها الذِين آمنوا) ' لأنه من حيث البديهة

والعقل " نعلم أن من آمن بقلبه إيماناً جازماً امتنع ألا يتكلم بالشهادتين مع القدرة، فعدم الشهادتين مع القدرة مستلزم انتفاء الإيمان القلبي التام " .

ويقول شيخ الإسلام في بيان هذه العلاقة: "ونظير هذا لو قيل: إن رجلاً من أهل السنة قيل له: ترض عن أبي بكر وعمر ، فامتنع عن ذلك حتى قتل، مع محبته لهما واعتقاد فضلهما ومع عدم الأعذار المانعة من الترضي عنهما فهذا لا يقع قط، وكذلك لو قيل: إن رجلاً يشهد أن محمداً رسول الله باطناً وظاهراً، وقد طلب منه ذلك وليس هناك رهبة ولا رغبة يمتنع لأجلها، فامتنع منها حتى قتل، فهذا يمتنع أن يكون في الباطن يشهد أن محمداً رسول الله، ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به عند عامة السلف والخلف من الأولين والآخرين إلا الجهمية -جهماً ومن وافقه- (وهم الأشاعرة كما ذكر قبل ذلك في أول الفصل ".

وقال: "فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها، وذهبت طائفة من المرجئة -وهم جهمية المرجئة كـ الجهم والصالحي[1] وأتباعهما- (وهم من ذكرنا) إلى أنه إذا كان مصدقاً بقلبه كان كافراً في الظاهر دون الباطن، وقد تقدم التنبيه على أصل هذا القول وهو قول مبتدع في الإسلام لم يقله أحد من الائمة وقد تقدم أن الإيمان الباطن يستلزم الإقرار الظاهر بل وغيره، وأن وجود الإيمان الباطن تصديقاً وحباً بدون الإقرار الظاهر ممتنع" .

وهكذا فالأعمال عند غلاة المرجئة لا تدل على إيمان وفسق أو حتى كفر ، وليس لنا أن نزيف الباطل ونظهر عوار المفسد وندل على سوءاته ونسير فيه سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في معادلة الفاسق أو المذنب أو الكافر ، فمن ثم فهو مذهب يتناسب مع الحاكم الظالم - أو الحاكم الكافر حسب الحالة - فلن يثير أرباب هذا المذهب خلافاً مع الحاكم مهما أتى من أفعال، فهو مؤمن على كل حال ، أليس يتلفظ بالشهادتين؟! ثم ما لنا ندخل في سرائر الناس وندعي معرفة مكنونات صدورهم ، مادام العمل الظاهر لا مدخل له في قضية الإيمان ، وأن اعتقاد القلب هو المعول عليه في ذلك ، أليس يكفي ما ينطق به الحاكم لنكون معه في صف واحد ومسيرة واحدة نداهنه ونتعذر له المرة تلو المرة لنظل نعيش نتفيأ ضلال حكمه ، وإن ظهرت منا في بعض الأحيان - أو كلها - معاتبة أو معارضة فإنما هي معاتبة التصديق ، ونصح الأخ المؤمن لأخيه ، أو هي معارضة الخاضع ، وتبرم السائر تحت اللواء! .

ثم عامل آخر قد يكون له بعض الأثر في إطلال الإرجاء برأسه ، بل هو إلى عوامل استمراريته أقرب - وهو ظهور طوائف المنتسبين إلى مذهب الخوارج فكراً وعقيدة - وإن لم يكن بالضرورة

1

اسماً - مما يزين لمن لم يتعمق النظر في دراسة العقائد وترجيح الصالح من الفاسد من الآراء - وغالبهم من الشباب على مر التاريخ دون رءوس الفتنة الذين يعون ما هم عليه من البدعة ، بل وبعضهم يقصد إليه قصداً - أن ينتسب إلى فكر الإرجاء قولاً وعملاً - دون تسمية ودون وعي منهم بذلك ولا إدراك لحقيقة مذهب السلف الصالح ، وهذا التصرف كرد فعل غير مدروس للأفكار التي تجنح للتطرف والغلو في فهم العقيدة في الجانب الآخر ، وكلا جناحي الإفراط والتفريط إن هي إلا ردود أفعال سلبية للحكم غير المشروع الذي يسود ا تمعات الإسلامية في أي عصر من عصورها.

فالإرجاء موقف سياسي - اتخذ طابع البحث في أوليات العقائد مع استشراء تلك الموجة في بداية عصر الأمويين وظهور علم الكلام - كان موقفاً سياسياً في الحكام الظالمين ، يوم أن كانوا لا يزالون يحكّمون شرع الله ، وإن تجاوزوا الحد وأفرطوا في الظلم ، ثم استمر على ذلك النهج منهجاً للضعاف ممن يريدون مهادنة الظالم وتبرير موافف الضعف والخزي ، حتى وإن تجاوز الظلم إلى الكفر ، ومن هنا نرى أن المرجئة لم يكونوا هدفاً للسلطة الغاشمة الظالمة في عصر من العصور ، بل كان منهم شعراء وعمال للحكام ، كثابت قطنة الذي كان والياً ليزيد بن المهلب على بعض الثغور ، بل إنه مذهب يصلح أن يدعيه الحاكم نفسه ليكون برداً وسلاماً على كافة الطوائف المبتدعة.

المرجئة - إذن - في صلح خفي ومهادنة غير مكتوبة مع الحاكم يتمتعون بالحرية في الحركة والقول جميعاً ، بينما يضرب على يد من سواهم من أهل السنة والجماعة ، كما حدث لأئمة الفقه والحديث ، كمالك وأحمد بن حنبل وابن تيمية ، وكثيرين غيرهم ممن اتبعوا منهج السلف الصالح في الفهم عن الكتاب والسنة.

من أعظم الفساد الذي يحدثه هذا المذهب البغيض مذهب أهل الإرجاء أنه يفرغ الإسلام من محتواه، ويفقده حقيقته ومضمونه ومعناه، إذ يجعله مجرد قول يجري على اللسان وزعم كاذب لصاحب هذا القول أن مصدق بقلبه... وأن من أتى هذا فعنده أصل الإيمان، وأنه وإن لم يستجب لله في أمر قط لا فعلاً ولا تركاً فإنه يبقى مع ذلك مؤمناً تناله مشيئة الرحمن، ويلحقه حتماً العتق من النار والغفران.

وهذا يجعل حقيقة الدين الذي أرسلت به الرسل وأنزلت من أجله الكتب وقامت من أجله المعركة العظيمة بين أهل الإيمان وأهل الكفر شيئاً لا يستحق كل هذا الذي يبذل فيه من جهاد. ولا يكون للإسلام معنى إذ الإسلام هو الاستسلام لله بالطاعة، فمن لم يطع قط كيف يكون مسلماً ؟! ولا يكون للعبادة معنى لأن العبادة تعني الذل والخضوع، وإذا كان المطلوب في نهاية الأمر هو مجرد كلمة يقولها اللسان، مع الادعاء بأنها توافق ما في القلب فإن العبادة هنا تفقد معناها، ولا يبقى هناك أي مضمون لقوله تعالى(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ولا يكون للإيمان معنى حقيقي في نفسه فكيف يسمى مؤمناً ويبقى مؤمناً من لا يستجيب لله قط في عمل !! ويفعل الكفر كله مع ادعائه أنه من أهل الإيمان !!

١) **إعطاء المنافقين السلاح لهدم الإسلام:** إعطاء المنافقين أعظم الفرص لاجتثاث الإسلام وإبادته والتسلط عليه. فإن عدم اعتبار الأعمال الظاهرة وخاصة الصلاة شرطاً للإسلام يجعل المنافق حُراً من أن لا يصلي أو يصوم أو يزكي أو يظهر شيئاً من الإسلام، وهو مع ذلك مأمن أن يصفه المسلمون بالكفر أو ينسبوه إليه أو يجروا عليه أحكام الكفار بل تجري عليه أحكام المسلمين، فيتولى أعظم الولايات عندهم كالولاية العظمى، والولايات الأخرى إمارة، وقضاءً، ويتزوج من نساء المسلمين، ويطلع على عوراتهم، بل ويستطيع أن يفعل كل الكفر وهو يدعي أنه مع ذلك لا يفعله اعتقاداً، وفي كل ذلك يعامل معاملة المؤمن، بزعم أن عنده أصل الإيمان... وهذا يؤدي إلى اجتثاث الإسلام وإبادته.

والخلاصة: أن أصحاب هذا القول (المرجئة) يقدمون للكفار المنافقين أعظم خدمة، وييسرون مهمتهم في إبطال الدين بأن يقولوا لهم: لا عليكم إذا لم تصلوا أو تزكوا أو تحجوا أو تصوموا، أو تقوموا بأي عمل من أعمال الإسلام، بل ولا عليكم أن تعملوا بالكفر كله فتحكموا بغير ما أنزل الله، وتبدلوا الشرائع، وتقتلوا المسلمين، وتوالوا الكافرين، وتضربوا بيد من حديد على كل مظهر للدين، فإنكم مع ذلك تظلوا مؤمنين ومسلمين ومن كفركم فهو من الكافرين، بل وأنتم يوم القيامة عتقاء أرحم الراحمين !!

وبهذا سَهَّل هؤلاء (المرجئة) مهمة المنافقين فبعد أن كانوا يخفون كفرهم ويظهرون الإسلام تقيةً وخوفاً فيصلون مع المسلمين، ويجاهدون معهم، وتؤخذ منهم الزكاة رغماً عنهم، وينفقون وهم كارهون... إذا بهم يأمنون أن يكشف نفاقهم ويعرف كفرهم فإنهم وإن لم يصلوا قط فهم

مسلمون مؤمنون، وإن لم يعملوا شيئاً قط من أحكام الإسلام يظلون مؤمنين، بل وإن أظهروا كل أنواع الكفر فهم ما زالوا مؤمنين عند المؤمنين ما داموا أنهم يقولون قولاً بألسنتهم إنهم مسـلمون !! فانظر أي بلاء جر هؤلاء على الإسلام!!

وانظر كيف أراد هؤلاء المرجئة أن يبطلوا كلام الله في المنافقين الذين لا استدلال علـيهم إلا بعملهم الظاهر. فالمنافقون لا يعرفون إلا بتأخرهم عن الصلاة، وإبطائهم عن الجهـاد، ولمـزهم وغمزهم بالمؤمنين وتحريفهم للكلم عن مواضعه، وموالاتهم لأعداء المسلمين، وكذبهم، وإخلافهم العهود، وخيانتهم الأمانة، وفجرهم في خصومهم مع المؤمنين... وإذا فعل المنافقون بعض ذلـك عرفوا بالنفاق، وأخذ المسلمون منهم الحذر، وميز المؤمنون صفهم عن صفهم...{**قل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخـالفين**). وجـاء هؤلاء المرجئة المعاصرون على درب إخوانهم السابقين فقالوا **بل من يشـهد أن لا إلـه إلا الله وادعى الإسلام فإنه يكون مؤمناً عنده أصل الإيمان وإن ترك كل ما أمره الله به من الفـرائض والواجبات والمستحبات ، وفعل كل ما نهاه الله عنه من الخبائث والمنكرات !![1]**

---

1) (عبد الرحمن عبالخالق) ،البرهان.. على أن تارك العمل -اختياراً- فاقد لأصل الإيمان وأن الكفر كما يكون بالقلب يكون بالعمل واللسان

الـبـاب الـثـالـث

الحقـوق الـشرعيـة لأهـل الـقـبـلـة

الفصل الأول : ما هية الحقوق الشرعية

الفصل الثاني : ما يختص به أهل القبلة من الحقوق الشرعية

الفصل الأول : ما هية الحقوق الشرعية

المبحث الأول : تعريف الحقوق الشرعية :

الحقوق لغة:

قال الجوهري[1]: "الحق: خلاف الباطل، والحق: واحد الحقوق، والحَقة أخص منه، يقال: هذه حقتي أي: حقي"[2].

وقال الفيروز آبادي[3]: "الحق: من أسماء الله تعالى أو من صفاته، والقرآن، وضد الباطل، والأمر المقضي، والعدل، والإسلام، والمال، والملك، والموجود الثابت، والصدق، والموت، والحزم، وواحد الحقوق".[4]

وقال المناوي[5]: "الحق لغة: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره".[6]

الشرعية والشريعة: هي مورد الإبل إلى الماء الجاري ثم استعير لكل طريقة موضوعة بوضع إلهي ثابت من نبي من الأنبياء وشرعت لكم في الدين شريعة وأشرعت بابا إلى الطريق إشراعا وشرعت الدواب في الماء تشرع شروعا والشريعة اسم للأحكام الجزئية التي يتهذب بها المكلف معاشا ومعادا سواء كانت منصوصة من الشارع أو راجعة إليه والشرع كالشريعة كل فعل أو ترك مخصوص من نبي من الأنبياء صريحا أو دلالة[7]

تعريف الحقوق اصطلاحاً:

الحقوق لها معنيان أساسيان:

---

1) الجوهري (000 - 393 ه = 000 - 1003 م) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله.لغوي، من الائمة. أشهر كتبه (الصحاح) وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) أصله،صنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة،فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين و نهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الارض قتيلا.الكامل لابن الاثير: حوادث سنة 130 و تهذيب التهذيب لابن حجر 1: 289.

2) الصحاح (1460/4).

3) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروز آبادي ولد بفيروز آباد بالقرب من شيراز بفارس وإليها نسبته انتقل إلى شيراز وفيها أخذ الأدب واللغة عن والده وغيره من علماء شيراز صنف كتباً كثيرة منها : (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) و (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) و (القاموس المحيط) . توفي سنة 817هـ. الأعلام 19 / 8 .

4) القاموس المحيط (221/3).

5) صدر الدين أبو المعالي محمد بن إبراهيم بن إسحاق المناوي القاهري. قاض عالم بالحديث من أهل القاهرة. تولى الإفتاء ثم قضاء الديار المصرية سنة 791/ هـ وحمدت سيرته. لما سافر الناصر فرج إلى بلاد الشام سنة 853/ هـ لقتال تيمورلنك ذهب معه وأسر ومات غريقاً بنهر الفرات وهو مقيد.)

6) التوقيف على مهمات التعاريف (ص 287).

7) (أبو البقاء) أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، الكليات ـ لأبى البقاء الكفومى ، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م. ،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري 1/ 825.

1- فهي أولاً تكون بمعنى: مجموعة القواعد والنصوص التشريعية التي تنظم على سبيل الإلزام علائق الناس من حيث الأشخاص والأموال.

فهي بهذا المفهوم قريبة من مفهوم خطاب الشارع المرادف لمعنى (الحكم) في اصطلاح علماء الأصول، أو لمعنى (القانون) في اصطلاح علماء القانون.

وهذا المعنى هو المراد عندما نقول مثلاً: الحقوق المدنية، أو القانون المدني.

2- وهي ثانياً تكون جمع حق بمعنى السلطة والمكنة المشروعة، أو بمعنى المطلب الذي يجب لأحد على غيره.

وهذا هو المراد في مثل قولنا: إن للمغصوب منه حق استرداد عين ماله لو قائماً، وأخذ قيمته أو مثله لو هالكاً، وإن للمشتري حق الرد بالعيب، وإن التصرف على الصغير هو حق لوليه أو وصيه ونحو ذلك.

ويمكن تعريف الحق بمعناه العام بأن يقال: الحق هو اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفاً.[1]

قال في فيض القدير " (حق المسلم على المسلم) أي حق الحرمة والصحبة (خمس) من الخصال والحق يعم وجوب العين والكفاية والندب قال في التحرير : والحق الشئ المستحق على الغير من غير أن يكون فيه تردد وفي المفهم الحق الثابت وفي الشرع يقال للواجب والمندو ب المؤكد لأن كلا منهما ثابت في الشرع فإنه مطلوب مقصود قصدا مؤكدا لكن إطلاقه على الواجب أولى وقد أطلق هنا على القدر المشترك بين الواجب وغيره"[2]

والمراد بالشرعية : هي التي ينفَرد الشارع بمعانِيها ويجِب علينا التصدِيق بها والوقوف عند الإقرار بِصحتها والعملُ بموجِبِها

والصحيح في هذه الحقوق أنها من تفضل الله تعالى: قال تعالى: {وكَانَ حقّاً علَينا نصر الْمؤمِنين}[3]

قال ابن كثير: "أي" حق أوجبه على نفسه الكريمة تكرماً وتفضلاً". [4]

وقال تعالى: {كَتب ربكُم علَى نفْسِهِ الرحمةَ}[5]

قال القرطبي: "أي: أوجب ذلك بخبره الصادق ووعده الحق". [6]

---

1) (الزرقا) مصطفى أحمد: المدخل الفقهي العام: الناشر :مطبعة الحياة بدمشق 1383هـ.(3/9-10).

2) 3/ 516.

3) الروم:47.

4) تفسير القرآن العظيم (3/446).

5) الأنعام:54.

6) الجامع لأحكام القرآن (6/435).

وقال ابن كثير: "أي: أوجبها على نفسه الكريمة تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً".[1]
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق، فمن الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر بذلك ووعده صدق، ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقاً زائداً على هذا كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى: {وكَانَ حقّاً علَينا نصر الْمؤمِنين}.
ولكن أهل السنة يقولون هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب هذا الحق على نفسه، لم يوجبه عليه مخلوق، والمعتزلة يدعون أنه واجب عليه بالقياس على الخلق، وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك، وهذا الباب غلطت فيه القدرية والجبرية أتباع جهم والقدرية النافية".
وقال ابن القيم: "وقد أخبر سبحانه عن نفسه أنه كتب على نفسه وأحق على نفسه، قال تعالى: {وكَانَ حقّاً علَينا نصر الْمؤمِنين}، وقال تعالى: {وإِذَا جاءك الذِين يؤمِنونَ بِآياتِنا فَقُلْ سلَام علَيكُم كَتب ربكُم علَى نفْسِهِ الرحمةَ}، وقال تعالى: {إِن الله اشترى مِن الْمؤمِنين أَنفُسهم وأَموالَهم بِأَن لَهم الْجنةَ يقَاتِلُونَ فِى سبِيلِ اللهِ فَيقْتلُونَ ويقْتلُونَ وعدًا علَيهِ حقّا فِي التوراةِ والإِنجِيلِ والْقُرءانِ}[2]، وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: ((أتدري ما حق الله على عباده؟)) وفيه: ((أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟))[3]
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في غير حديث: من فعل كذا كان على الله أن يفعل به كذا وكذا في الوعد والوعيد، ونظير هذا ما أخبر سبحانه من قسمه ليفعلن ما أقسم عليه كقوله: {فَوربك لَنسئَلَنهم أَجمعِين}[4] ، {فَوربك لَنحشرنهم والشياطِين} [5]، وقوله: {لَنهلِكَن الظَّالِمِين} [6]، وقوله: {لأَملأَن جهنم مِنك ومِمن تبِعك مِنهم أَجمعِين} [7]، إلى أمثال ذلك من صيغ القسم المتضمن معنى إيجاب المقسِم على نفسه أو منعه نفسه، وهو القسم الطلبي المتضمن للحظر والمنع، بخلاف القسم الخبري المتضمن للتصديق والتكذيب، قالوا: وإذا كان معقولاً من العبد أن يكون طالباً من نفسه فتكون نفسه طالبة منها لقوله تعالى: {إِن النفْس لأَمارةٌ بِالسوءِ} [8]، وقوله: {وأَما من خاف مقَام

1) تفسير القرآن العظيم (140/2).
2) [التوبة:111]
3) أخرجه البخاري في الجهاد، باب اسم الفرس والحمار (48)، ومسلم في الإيمان (30).
4) [الحجر:92]
5) [مريم:68]
6) [إبراهيم:13]
7) [ص:85]
8) [يوسف:53]

ربِهِ ونهى النفْس عن الْهوى} [1]، مع كون العبد له آمر و ناه فوقه، فالرب تعالى الذي ليس فوقه آمر ولا ناهٍ كيف يمتنع منه أن يكون طالباً من نفسه فيكتب على نفسه، ويحق على نفسه، ويحرم على نفسه؟! بل ذلك أولى وأحرى في حقه من تصوره في حق العبد، وقد أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، قالوا: وكتابة ما كتبه على نفسه وإحقاق ما حقه عليها متضمن لإرادته ذلك ومحبته له ورضاه به وأنه لا بد أن يفعله، وتحريمه ما حرمه على نفسه متضمن لبغضه لذلك وكراهته له وأنه لا يفعله، ولا ريب أن محبته لما يريد أن يفعله وبغضه له يمنع وقوعه منه مع قدرته عليه لو شاء، وهذا غير ما يحبه من فعل عبده ويكرهه منه، فذاك نوع وهذا نوع، ولما لم يميز كثير من الناس بين النوعين وأدخلوهما تحت حكم واحد اضطربت عليهم مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، و بهذا التفصيل سفر لك وجه المسألة وتبلج صبحها".[2]

المبحث الثاني : أنواع الحقوق في النصوص الشرعية

الحقوق الشرعية من أهم ما ينبغي أن يتعرف عليها المؤمن، وأن يعلمه المسلم، وذلك لأن الله جل وعلا أقام السموات، وأقام الأرض على الحق كما قال الله تعالى: (وما خلقْنا السماواتِ والْأرض وما بينهما إلا بِالْحق وإن الساعةَ لآتِيةٌ فاصفَحِ الصفْح الْجمِيلَ)[3] وقال الله تعالى : (وما خلقْنا السماءَ والْأرض وما بينهما باطِلًا ذَلِك ظَن الذِين كَفَروا فَويلٌ لِلذِين كَفَروا مِن النارِ) [4] ، واحقاقا للحق فقد أنزل الله جل وعلا كتبه، وبعث رسله للقيام بأصلين عظيمين ، قال جل وعلا : " لقَد أرسلْنا رسلَنا بِالبيناتِ وأنزلْنا معهم الكِتاب والمِيزانَ لِيقُوم الناس بِالقِسطِ"[5] ، وقال جل وعلا: " ولقَد بعثْنا فِي كُل أمةٍ رسولًا أنْ اُعبدوا الله واجتنِبوا الطاغُوت"[6] ، وكل الرسل من أولهم إلى آخرهم والكتب إنما أنزلت لبيان هذين الحقين، وهذا ولا شك يتبين لك مع تأملك كتاب الله جل وعلا وسيرة وسنة النبي عليه الصلاة والسلام.ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ «أتدري ما حق الله على العباد؟» فقال: الله ورسوله أعلم. قال «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»، وعليه فإن الحقوق التي جاءت بها الشرائع بأجمعها، وشريعة الإسلام بخصوصها،قسمان :

---

1) [النازعات:40]

2) مفتاح دار السعادة (ص 430-431) ببعض اختصار.

3) الحجر: (85)

4) ص (27)

5) [الحديد:25]

6) [النحل:36]

القسم الأول : أداء حق الله جل وعلا. ويدخل فيه القيام بحقوق النبي صلى الله عليه وسلم .
والقسم الثاني : أداء حقوق العباد. ومنه حقوق أهل القبلة .

أما القسم الأول : وهما نوعان :
أحدهما : حق الله جل وعلا :
وذلك بعبادته وحده دونما سواه، والكفر بالأنداد والطواغيت المختلفة، وطاعة رسوله الذي أمر بطاعته في ذلك الزمان والمكان. هذا الحق أحق الحقوق وأوجبها وأعظمها ؛ لأنه حق الله تعالى الخالق العظيم المالك المدبر لجميع الأمور،حق الملك الحق المبين الحي القيوم الذي قامت به السماوات والأرض، خلق كل شيء فقدره تقديرا بحكمة بالغة ، حق الله الذي أوجدك من العدم ولم تكن شيئا مذكورا ، حق الله الذي رباك بالنعم وأنت في بطن أمك في ظلمات ثلاث لا يستطيع أحد من المخلوقين أن يوصل إليك غذاءك ومقومات نموك وحياتك ، أدر لك الثديين ، وهداك النجدين ، وسخر لك الأبوين ، أمدك وأعدك .. أمدك بالنعم والعقل والفهم ، وأعدك لقبول ذلك والانتفاع به : (والله أخرجكُم مِن بطُون أُمهاتِكُم لا تعلَمونَ شيئاً وجعلَ لَكُم السمع والْأبصار والْأَفْئِدةَ لَعلَّكُم تشكُرونَ)[1]
فلو حجب عنك فضله طرفة عين لهلكت ، ولو منعك رحمته لما عشت ، فإذا كان هذا فضل الله عليك ورحمته بك فإن حقه عليك أعظم الحقوق ، لأنه حق إيجادك وإعدادك وإمدادك ، إنه لا يريد منك رزقاً ولا إطعاماً : (لا نسأَلُك رِزقاً نحن نرزقُك والْعاقِبةُ لِلتقْوى) [2]
وإنما يريد منك شيئا واحدا مصلحته عائدة إليك ، يريد منك أن تعبده وحده لا شريك له : (وما خلَقْت الْجِن والْإِنس إِلا لِيعبدون * ما أُرِيد مِنهم مِن رِزقٍ وما أُرِيد أَنْ يطْعِمون * إِن الله هو الرزاق ذُو الْقُوةِ الْمتِين)[3] يريد منك أن تكون عبدا له بكل معاني العبودية ، كما أنه هو ربك بكل معاني الربوبية ، عبداً متذللاً له خاضعا له ، ممتثلا لأمره مجتنبا لنهيه مصدقا بخبره ، لأنك ترى نعمه عليك سابغة تترى ، أفلا تستحي أن تبدل هذه النعم كفراً .
لو كان لأحد من الناس عليك فضل لاستحييت أن تبارزه بالمعصية وتجاهره بالمخالفة ، فكيف بربك الذي كل فضل عليك فهو من فضله ؟ وكل ما يندفع عنك من سوء فمن رحمته : (وما بِكُم مِن نِعمةٍ فَمِن اللهِ ثُم إِذَا مسكُم الضر فَإِلَيهِ تجئَرونَ) [4]

---

1) (النحل:78)
2) (طه:132)
3) (الذريات:56-58)
4) (النحل:53)

وأن هذا الحق الذي أوجبه الله لنفسه ليسير سهل على من يسر الله له ، ذلك بأن الله لم يجعل فيه حرجا ولا ضيقا ولا مشقةً قال الله تعالى : (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعلَ عليكم في الدين من حرج ملةَ أبيكم إبراهيم هو سماكُم المسلمين من قبلُ وفي هذا ليكونَ الرسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شهداءَ على الناس فأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) [1] إنه عقيدة مثلى وإيمان بالحق وعمل صالح مثمر ، عقيدة قوامها المحبة والتعظيم وثمر ا الإخلاص والمثابرة ، خمس صلوات في اليوم والليلة يكفر الله ن الخطايا ويرفع ن الدرجات ويصلح ن القلوب والأحوال يأتي ن العبد بحسب استطاعته : (فاتقوا الله ما استطعتم) [2] .

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين وكان عمران مريضا : ((صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فعلى جنب)) [3].

زكاة وهي جزء يسير من مالك تدفع في حاجة المسلمين للفقراء والمساكين وابن السبيل والغارمين وغيرهم من أهل الزكاة .

صيام شهر واحد في السنة ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر ، ومن لم يستطع الصيام لعجز دائم يطعم مسكينا عن كل يوم . وحج البيت الحرام مرة واحدة في العمر للمستطيع .

هذه هي أصول حق الله تعالى وما عداها فإنما يجب لعارض : كالجهاد في سبيل الله، أو لأسباب توجبه كنصر للمظلوم .

والنوع الثاني : حق رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا الحق هو أعظم حق بعد حق الله تعالى، فلا حق لمخلوق أعظم من حق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرةً وأصيلًا) 4. قال ابن عباس وغير واحد: يعظموه، { وتوقروه } من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام، واختار كثير من القراء الوقف هاهنا ، لاختلاف الكناية فيه وفيما بعده { وتسبحوه } أي: يسبحون الله، { بكرةً وأصيلا } أي: أول النهار وآخره.فقرن الله حق رسوله صلى الله عليه وسلم ، بحقه الأعظم ، ولهذا جعلنا الحقين في قسم

1) (الحج:78)

2) (التغابن: الآية16)

3) رواه البخاري (كتاب التهجد) (1 / 283) وكذلك أخرجه أبو داود (952) والترمذي (2 / 208) وابن ماجه (1223) وابن الجارود (120) والدارقطني (146) والبيهقي (2 / 304) واحمد (4 / 426)

4) (الفتح:8-9)

واحد ، قال السعدي[1] رحمه الله : "فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها"[2]

ولذلك يجب تقديم محبة النبي صلى الله عليه وسلم على محبة جميع الناس حتى على النفس والولد والوالد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[3].

ومن حقوق النبي صلى الله عليه وسلم توقيره واحترامه وتعظيمه التعظيم اللائق به من غير غلو ولا تقصير فتوقيره في حياته توقير سننه وشخصه الكريم وتوقيره بعد مماته توقير سنته وشرعه القويم ومن رأى توقير الصحابة وتعظيمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عرف كيف قام هؤلاء الأجلاء الفضلاء بما يجب عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عروة بن مسعود لقريش حينما أرسلوه ليفاوض النبي صلى الله عليه وسلم في الصلح في قصة الحديبية ، قال : دخلت على الملوك ، كسرى وقيصر والنجاشي فلم أر أحدا يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد محمدا ، كان إذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيما له [4].

هكذا كانوا يعظمونه رضي الله عنهم مع ما جبله الله عليه من الأخلاق الكريمة ولين الجانب وسهولة النفس ، ولو كان فظا غليظاً لانفضوا من حوله .

وإن من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم تصديقه فيما أخبر به من الأمور الماضية والمستقبلة وامتثال ما به أمر واجتناب ما عنه نهى وزجر ، والإيمان بأن هديه أكمل الهدي وشريعته أكمل الشرائع وأن لا يقدم عليها تشريعاً أو نظاما مهما كان مصدره : (فَلا وربكَ لا يؤمِنونَ حتى يحكموكَ فِيما شجر بينهم ثُم لا يجِدوا فِي أنفُسِهِم حرجاً مِما قَضيت ويسلموا تسلِيماً)[5]، (قُلْ إِنْ كُنتم تحِبونَ الله فَاتبِعوني يحبِبكُم الله ويغفِر لَكُم ذُنوبكُم والله غَفُور رحِيم)[6].

1) الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي ، من قبيلة تميم. لما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس وكان يتعلم ويعلم رحمه الله.ومن مصنفاته:تفسير القرآن الكريم ، المسمى "تيسير الكريم المنان". مجلة البيان ـ الأعداد 1 - 100

2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

3) متفق عليه : صحيح الجامع (7582)

4) جامع الأصول من أحاديث الرسول 1/ 6184.

5) (النساء:65).

6) (آل عمران:31).

ومن حقوق النبي صلى الله عليه وسلم الدفاع عن شريعته وهديه بما يستطيع الإنسان من قوة بحسب ما تتطلبه الحال من السلاح ، فإذا كان العدو يهاجم بالحجج والشبه فمدافعته بالعلم ودحض حججه وشبهه وبيان فسادها ، وإن كان يهاجم بالسلاح والمدافع فمدافعته بمثل ذلك . ولا يمكن لأي مؤمن أن يسمع من يهاجم شريعة النبي صلى الله عليه وسلم أو شخصه الكريم ويسكت على ذلك مع قدرته على الدفاع .

القسم الثاني : أداء حقوق العباد.

وهذا القسم من الحقوق يتنوع إلى أنواع كثيرة :

أولها : حقوق الوالدين : وذلك لقول الله تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالًا فخورًا)[1]

إذ لا ينكر أحد فضل الوالدين على أولادهما ، فالوالدان سبب وجود الولد وله عليهم حق كبير فقد ربياه صغيرا وتعبا من أجل راحته وسهرا من أجل منامه ، تحملك أمك في بطنها وتعيش على حساب غذائها وصحتها لمدة تسعة شهور غالبا ، كما أشار الله إلى ذلك : (حملته أمه وهناً على وهن) الآية . ثم بعد ذلك حضانة ورضاع لمدة سنتين مع التعب والعناء والصعوبة .

والأب كذلك يسعى لعيشك وقوتك من حين الصغر حتى تبلغ أن تقوم بنفسك ، ويسعى بتربيتك وتوجيهك وأنت لا تملك لنفسك ضرا ولا نفعا ، ولذلك أمر الله الولد بوالديه إحساناً وشكرا ، فقال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير)[2]. وقال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقلْ لهما أف ولا تنهرهما وقلْ لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقلْ رب ارحمهما كما ربياني صغيراً)[3].

إن حق الوالدين على المرء المسلم أن يبرهما وذلك بالإحسان إليهما قولا وفعلاً بالمال والبدن . يمتثل أمرهما في غير معصية الله وفي غير ما فيه ضرر عليه ، يلين لهما القول ويبسط لهما الوجه ويقوم بخدمتهما على الوجه اللائق بهما ، ولا يتضجر منهما عند الكبر والمرض والضعف ، ولا يستثقل ذلك منهما فإنه سوف يكون بمنزلتهما ، سوف يكون أباً كما كانا أبوين ، وسوف يبلغ

---

1) النساء (36).

2) (لقمان:14).

3) (الاسراء:23-24).

الكبر عند أولاده إن قدر له البقاء كما بلغاه عنده ، وسوف يحتاج إلى بر أولاده كما احتاجا إلى بره ، فإن كان قد قام ببرهما فاليبشر بالأجر الجزيل ، وا ازاة بالمثل ، فمن بر والديه بر به أولاده ، ومن عق والديه عق به أولاده ، والجزاء من جنس العمل فكما تدين تدان ، ولقد جعل الله مرتبة حق الوالدين مرتبة كبيرة عالية حيث جعل حقهما بعد حقه المتضمن لحقه وحق رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركُوا بِهِ شيئاً وبِالْوالِدين إحساناً)[1] . قال تعالى : (أن اشكُر لِي ولِوالِديك إِلَي الْمصِير)[2] وقدم النبي صلى الله عليه وسلم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : (قلت يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله)[3]. وهذا يدل على أهمية حق الوالدين الذي أضاعه كثير من الناس ، صاروا إلى العقوق والقطيعة فترى الواحد منهم لا يري لأبيه ولا لأمه حقاً ، وربما احتقرهما وازدراهما وترفع عليهما وسيلقى مثل هذا جزاءه العاجل أو الآجل .

ثانيا : حق الأولاد

الأولاد تشمل البنين والبنات وحقوق الأولاد كثيرة من أهمها التربية وهي : تنمية الدين والأخلاق في نفوسهم حتى يكونوا على جانب كبير من ذلك ، قال الله تعالى : (يا أيها الذِين آمنوا قُوا أنفُسكُم وأهلِيكُم ناراً وقُودها الناس والْحِجارةُ)[4]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته)[5]. فالأولاد أمانة في عنق الوالدين وهما مسؤولان عنهم يوم القيامة ، وبتربيتهم التربية الدينية والأخلاقية يخرج الوالدان من تبعة هذه الرعية ، ويصلح الأولاد فيكونوا قرة عين الأبوين في الدنيا والآخرة يقول الله تعالى : (والذِين آمنوا واتبعتهم ذُريتهم بِإِيمانٍ أَلْحقْنا بِهِم ذُريتهم وما أَلَتناهم مِن عمِلِهِم مِن شيءٍ كُل امرِئٍ بِما كَسب رهِين)[6] ألتناهم : أي نقصناهم .: ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به من بعده أو

---

1) النساء: الآية36).

2) (لقمان: الآية14).

3) أخرجه البخاري (1 / 143) ومسلم (1 / 63) وكذا النسائي (1 / 100) والترمذي (1 / 36) والدارمي (1 / 278) وأحمد (1 / 409 - 410 و 439 و 442 و 451).

4) (التحريم:6).

5) رواه البخاري ومسلم 4569 في صحيح الجامع.

6) (الطور:21).

ولد صالح يدعوا له)[1]. فهذا من ثمرة تأديب الولد إذا ترىى تربية صالحة أن يكون نافعا لوالديه حتى بعد الممات .

ولقد استهان كثير من الوالدين بهذا الحق فأضاعوا أولادهم ونسوهم ، كأن لا مسئولية لهم عليهم لا يسألون أين ذهبوا ؟ ولا متى جاءوا ؟ ولا من أصدقائهم وأصحابهم ؟ ولا يوجهونهم إلى الخير ولا ينهونهم عن شر . ومن العجب أن هؤلاء حريصون كل الحرص على أموالهم بحفظها وتنميتها والسهر على ما يصلحها مع أنهم ينمون هذا المال ويصلحون لغيرهم غالبا أما الأولاد فليسوا منهم في شيء مع أن المحافظة عليه أولى وأنفع في الدنيا والآخرة . وكما أن الوالد يجب عليه تغذية جسم الولد بالطعام والشراب وكسوة بدنه باللباس كذلك يجب عليه أن يغذي قلبه بالعلم والإيمان ويكسو روحه بلباس التقوى فذلك خير .

ومن حقوق الأولاد أن ينفق عليهم بالمعروف من غير إسراف ولا تقصير ؛ لأن ذلك من واجب أولاده عليه ومن شكر نعمة الله عليه بما أعطاه ممن المال ، وكيف يمنعهم المال في حياته ويبخل عليهم به ليجمعه لهم فيأخذونه قهرا بعد مماته ؟ حتى لو بخل عليهم بما يجب فلهم أن يأخذوا من ماله ما يكفيهم بالمعروف كما أفتى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم هند بنت عتبة .

ومن حقوق الأولاد أن لا يفضل أحدا منهم على أحد في العطايا والهبات فلا يعطي بعض أولاده شيئا ويحرم الآخر ، فإن ذلك من الجور والظلم والله لا يحب الظالمين ، ولأن ذلك يؤدي إلى تنفير المحرومين وحدوث العداوة بينهم وبين الموهوبين ، بل ربما تكون العداوة بين المحرومين وبين آبائهم . وبعض الناس يمتاز أحد من أبنائه على الآخرين بالبر والعطف على والديه ، فيخصه والده بالهبة والعطية من أجل ما امتاز به من البر ولكن هذا غير مبرر للتخصيص فالمتميز بالبر لا يجوز أن يعطى عوضا عن بره ، لأن أجر بره على الله ، ولأن تمييز البار بالعطية يوجب أن يعجب ببره ويرى له فضلا وأن ينفر الآخر ويستمر في عقوقه ، ثم إننا لا ندري فقد تتغير الأحوال فينقلب البار عاقا والعاق باراً ، لأن القلوب بيد الله يقلّبها كيف يشاء .

وفي الصحيحين صحيح البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير أن أباه بشير بن سعد وهبه غلاما فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟ قال : لا . قال فأرجعه)[2].وفي رواية : (اتقوا واعدلوا بين أولادكم). وفي لفظ : (أشهد

1) أخرجه مسلم (5 / 73) وكذا البخاري في " الأدب المفرد " (38) وأبو داود (2880) والنسائي (2 / 129) والترمذي (1 / 359) والطحاوي في " مشكل الأثار " (1 / 95) والبيهقي (6 / 278) وأحمد (2 / 372)

2) أخرجه مالك (2 / 751 / 39) وعنه البخاري (2 / 134) وكذا مسلم والنسائي عن الزهري عنهما به . وأخرجه النسائي أيضا والترمذي (1 / 256) وابن ماجه (2376) وابن الجارود (991) وأحمد

على هذا غيري ، فإني لا أشهد على جور)[1]. فسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضيل بعض الأولاد على بعض جورا والجور ظلم وحرام .

لكن لو أعطي بعضهم شيئا يحتاجه والثاني لا يحتاجه مثل أن يحتاج أحد الأولاد إلى أدوات مكتبية أو علاج أو زواج فلا بأس أن يخصه بما يحتاج إليه لأن هذا التخصيص من اجل الحاجة فيكون كالنفقة .

ومتى قام الوالد بما يجب عليه للولد من التربية والنفقة فإنه حري أن يوفق الولد للقيام ببر والده ومراعاة الحقوق ، ومتى فرق الوالد بما يجب عليه من ذلك كان جديرا بالعقوبة بأن ينكر الولد حقه ويبتلى بعقوقه جزاء وفاقا وكما تدين تدان .

ثالثا : حقوق الأقارب

للقريب الذي يتصل بك في القرابة كالأخ والعم والخال وأولادهم وكل من ينتمي إليك بصلة فله حق هذه القرابة بحسب قربه ، قال تعالى : (وَآتِ ذَا الْقُربى حقه)[2] وقال : (واعبدوا الله ولا تشركُوا بِهِ شيئاً وبِالْوالِدين إِحساناً وبِذِي الْقُربى)[3] فيجب على كل قريب أن يصل قريبه بالمعروف ببذل الجاه والنفع البدني والنفع المالي ، بحسب ما تتطلبه قوة القرابة والحاجة وهذا ما يقتضيه الشرع والعقل والفطرة .

وقد كثرت النصوص في الحث على صلة الرحم وهو القريب ، والترغيب في ذلك ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . فقال الله : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذلك لك) . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اقرؤوا إن شئتم : (فَهلْ عسيتم إِنْ توليتم أنْ تفْسِدوا فِي الْأرض وتقَطعوا أرحامكُم * أولَئِك الذِين لَعنهم الله فَأصمهم وأعمى أبصارهم)[4]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه)[5].

وكثير من الناس مضيعون لهذا الحق مفرطون فيه ، تجد الواحد منهم لا يعرف قرابته بصلة ، لا بالمال ولا بالجاه ولا بالخلق وتمضي الأيام والشهور من رآهم ولا قام بزيارتهم ولا تودد إليهم

---

1) أخرجه البخاري (2 / 150) ومسلم والبيهقي (6 / 176 - 177)

2) (الإسراء: الآية26)

3) (النساء: الآية36)

4) (محمد:22- 23)

5) أخرجه البخاري، ومسلم ، وأبو داود : جامع الأصول من أحاديث الرسول 6/ 4697.

بدية ، ولا دفع عنهم ضرورة أو حاجة ، بل ربما أساء إليهم بالقول أو بالفعل أو بالقول والفعل جميعا ، يصل البعيد ويقطع القريب .

ومن الناس من يصل أقاربه إن وصلوه ويقطعهم إذا قطعوه . وهذا ليس بواصل في الحقيقة وإنما هو مكافئ للمعروف بمثله وهو حاصل للقريب وغيره ، فإن المكافأة لا تختص بالقريب ، والواصل حقيقة هو : الذي يصل قرابته لله ولا يبالي سواء وصلوه أم لا ، كما في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)[1]. وسأله رجل فقال : (يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ ، وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك)[2].

ولو لم يكن في صلة الرحم إلا أن الله يصل الواصل في الدنيا والآخرة فيمده بالرحمة وييسر له الأمور ويفرج عنه الكربات . مع ما في صلة الرحم من تقارب الأسرة وتوادهم وحنو بعضهم على بعض ومعاونة بعضهم بعضا في الشدائد والسرور والبهجة الحاصلة بذلك كما هو مجرب معلوم . وكل هذه الفوائد تنعكس حينما تحل القطيعة ويحصل التباعد .

رابعاً: حق الزوجين

للزواج آثار هامة ، ومقتضيات كبيرة فهو رابطة بين الزوج وزوجته ، يلزم كل واحد منهما بحقوق للآخر : حقوق بدنية ، وحقوق اجتماعية ، وحقوق مالية .

فيجب على الزوجين أن يعاشر كل منهما الآخر بالمعروف ، وأن يبذل الحق الواجب له بكل سماحة وسهولة من غير تكره لبذله ولا مماطلة . قال الله تعالى : (وعاشِروهن بِالْمعروف) [3] وقال تعالى : (ولَهن مِثْلُ الذِي عليهن بِالْمعروفِ وللرجال عليهن درجة)[4]. كما يجب على المرأة أن تبذل لزوجها ما يجب عليها بذله ، ومتى قام كل واحد من الزوجين بما يجب عليه للآخر كانت حياتهما سعيدة ودامت العشرة بينهما ، وإن كان الأمر بالعكس حصل الشقاق والنزاع وتنكدت حياة كل منهما .

---

1) أخرجه البخاري، ومسلم ، وأبو داود وأحمد : حديث رقم : 5385 في صحيح الجامع

2) أخرجه مسلم (7 / 8) و أحمد (2 / 300)

3) (النساء: الآية19)

4) (البقرة: الآية228)

ولقد جاءت النصوص الكثيرة بالوصية بالمرأة ومراعاة حالها ، وأن كمال الحال من المحال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (استوصوا بالنساء خيرا ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء). وفي رواية : (إن المرأة خلقت من ضلع ولن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها)[1]. وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر)[2]. ومعني لا يفرك: لا يبغض .

التوجيه:

في هذه الأحاديث إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم أمته كيف يعامل الرجل المرأة وأنه ينبغي أن يأخذ منها ما تيسر لأن طبيعتها التي منها خلقت أن لا تكون على الوجه الكامل ، بل لابد فيها من عوج ، ولا يمكن أن يستمتع بها الرجل ، إلا على الطبيعة التي خلقت عليها وفي هذه الأحاديث أنه ينبغي للإنسان أن يقارن بين المحاسن والمساوئ في المرأة فإنه إذا كره منها خلقا فليقارنه بالخلق الثاني الذي يرضاه منها ولا ينظر إليها بمنظار السخط والكراهية وحده .

وإن كثيراً من الأزواج يريدون الحالة الكاملة من زوجاتهم ، وهذا شيء غير ممكن وبذلك يقعون في النكد ، ولا يتمكنون من الاستمتاع والمتعة بزوجاتهم ، وربما أدى ذلك إلى الطلاق كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها). فينبغي للزوج أن يتساهل ويتغاضى عن كل ما تفعله الزوجة إذا كان لا يخل بالدين أو الشرف .

ومن حقوق الزوجة على زوجها : أن يقوم بواجب نفقتها من الطعام والشراب والكسوة والمسكن . وتوابع ذلك لقوله تعالى : (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف)[3] قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) وسئل ما حق زوجة أحدنا عليه قال : (أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت)[4].

ومن حقوق الزوجة على زوجها : أن يعدل بينها وبين جارتها إن كان له زوجة ثانية ، يعدل بينهما في الإنفاق والسكنى والمبيت وكل ما يمكنه العدل فيه ، فإن الميل إلى إحداهما كبيرة من

---

1) أخرجه البخاري (2 / 332 و 3 / 440) ومسلم (4 / 178) والنسائي في (عشرة النساء) السنن الكبرى) (85 / 1) ؟ البيهقي (7 / 295).

2) رواه مسلم مشكاة المصابيح 3240

3) (البقرة: الآية233)

4) أخرجه أحمد (4 / 447 ، 5 / 3 ، 5) وأبو داود (2142) وكذا النسائي في الكبرى (87 / 2) ابن ماجه (1850) وابن حبان (1286) والحاكم (2 / 187 - 188) وعنه البيهقي (7 / 295)

الكبائر ، قال صلى الله عليه وسلم : (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل)[1]. وأما ما لا يمكنه أن يعدل فيه كالمحبة وراحة النفس فإنه لا إثم عليه فيه ؛ لأن هذا بغير استطاعته قال الله تعالى : (ولَن تستطِيعوا أنْ تعدِلُوا بين النساءِ ولَو حرصتم)[2]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)[3].

ولكن لو فضل إحداهما على الأخرى في المبيت برضاها فلا بأس ؛ كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومها ويوم سوده حين وهبته سوده لعائشة ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل وهو في مرضه الذي مات فيه ؛ أين أنا غداً ؟ أين أنا غداً ؟ فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء ، فكان في بيت عائشة حتى مات [4]. أما حقوق الزوج على زوجته فهي أعظم من حقوقها عليه لقوله تعالى : (ولَهن مِثْلُ الذِي عليهن بِالْمعروفِ وللرجال عليهن درجةٌ)[5] والرجل قوام على المرأة يقوم بمصالحها وتأديبها وتوجيهها كما قال تعالى : (الرجالُ قَوامونَ علَى النساءِ بِما فَضلَ الله بعضهم علَى بعضٍ وبِما أَنفَقُوا مِن أَموالِهِم)[6].

فمن حقوق الزوج على زوجته : أن تطيعه في غير معصية الله وأن تحفظه في سره وماله فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)[7]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح)[8].

---

1) أخرجه أبو داود (2133) وكذا النسائي (2 / 157) والترمذي (1 / 213) والدارمى (2 / 143) وابن ماجه (1969) وابن أبى شيبة (7 / 66 / 2) وابن الجارود (722) وابن حبان (1307) والحاكم (2 / 186) والبيهقي (7 / 297) من طريق الطيالسي وهذا في (مسنده) (2454) وأحمد (2 / 347 ، 471)

2) (النساء: الآية129)

3) رواه أبو داود) 2 / 222

4) رواه البخاري (2 / 275) وأحمد (6 / 4 8) وابن سعد (2 / 2 / 5 0)

5) (البقرة: الآية228)

6) (النساء: الآية34)

7) أخرجه الترمذي (1 / 2 1 7) وابن حبان (1291) والبيهقي (7 / 291) والواحدي في (الوسيط) (1 / 161 / 2)

8) أخرجه البخاري (3 / 445) ومسلم (4 / 156 - 157) واللفظ له في رواية وأبو داود (2141) والنسائي في (العشرة) (76 / 1) والدارمي (2 / 1 49 - 15 0) والبيهقي (7 / 292) وأحمد (2 / 255 و 348 و 386 و 439 و 468 و . 48 و 5 1 9 و 538).

ومن حقوقه عليها : أن لا تعمل عملا يضيع عليه كمال الاستمتاع حتى لو كان ذلك تطوعا بعبادة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه)[1].

خامساً: حقوق الولاة على الرعية

الولاة : هم الذين يتولون أمور المسلمين ، سواء كانت الولاية عامة كالرئيس الأعلى في الدولة أو ولاية خاصة على إدارة معينة أو عمل معين ، وكل هؤلاء لهم حق يجب القيام به على رعيتهم ، ولرعيتهم حق عليهم كذلك .

فحقوق الرعية على الولاة : أن يقوموا بالأمانة التي حملها الله إياها وألزمهم القيام ا من النصح للرعية والسير ا على النهج القويم الكفيل بمصالح الدنيا والآخرة وذلك بإتباع سبيل المؤمنين ، وهي الطريق التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن فيها السعادة لهم ولرعيتهم ومن تحت أيديهم وهي أبلغ شيء يكون به رضا الرعية عن رعا م والارتباط بينهم والخضوع لأوامرهم وحفظ الأمانة فيما يولونه إياهم ؛ فإن من اتقى الله اتقاه الناس ومن أرضى الله كفاه الله مؤونة الناس وأرضاهم عنه لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء . وأما حقوق الولاة على الرعية فهي : النصح لهم فيما يتولاه الإنسان من أمورهم ، وتذكيرهم إذا غفلوا والدعاء لهم إذا مالوا عن الحق ، وامتثال أمرهم في غير معصية الله ، لأن في ذلك قوام الأمر وانتظامه ، وفي مخالفتهم وعصيا م انتشار الفوضى وفساد الأمور ولذلك أمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر فقال تعالى : (يا أيها الذِين آمنوا أَطِيعوا الله وأَطِيعوا الرسولَ وأُولي الأمرِ مِنكُم)[2].وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)[3].

وقال عبد الله بن عمر : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ف لنا م لا فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إنه ما من نبي بعثه الله إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرو ا وتجئ فتنة يرقق بعضها بعضا تجئ الفتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتي و تجئ الفتنة فيقول المؤمن : هذه ؛ هذه . فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله

1) أخرجه البخاري (3 / 445) والترمذي (1 / 1 5 0) والدارمي (2 / 1 2) والزيادة له وابن ماجه (1761) وأحمد (2 / 464) وقال الترمذي : (حديث حسن)

2) (النساء:59)

3) رواه البخاري (7144) ومسلم (1839) واللفظ له.

واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاءه آخر ينازعه فأضربوا عنق الآخر)[1]. وسأل النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : (يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله مرة ثانية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)[2].

ومن حقوق الولاة على الرعية : مساعدة الرعية لولاتهم من مهماتهم بحيث يكونون عونا لهم على تنفيذ الأمر الموكول إليهم ، وأن يعرف كل واحد دوره ومسئوليته في المجتمع حتى تسير الأمور على الوجه المطلوب ، فإن الولاة إذا لم تساعدهم الرعية على مسئولياتهم لم تأت على الوجه المطلوب .

سادساً: حق الجيران

الجار هو : القريب منك في المنزل وله حق كبير عليك فإن كان قريبا منك في النسب وهو مسلم فله ثلاثة حقوق : حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام ، وإن كان مسلما وليس بقريب في النسب فله حقان ، حق الجوار وحق الإسلام ، وكذلك إن كان قريبا وليس بمسلم فله حقان : حق الجوار وحق القرابة ، وأن كان بعيدا غير مسلم فله حق واحد حق الجوار قال تعالى : (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ)[3]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم:(مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)[4]. فمن حقوق الجار على جاره : إن يحسن إليه بما استطاع من المال والجاه والنفع فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير الجيران عنه الله خيرهم لجاره)[5].وقال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره)[6]. وقال أيضاً : (إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك)[7].

---

1) أخرجه مسلم (6 / 18)و السياق له و النسائي (2 / 185) و ابن ماجه (2 / 466- 467) و أحمد (2 / 191)

2) أخرجه مسلم (4888) .

3) (النساء: الآية36)

4) أخرجه البخاري (4 / 117) وفي (الأدب المفرد) (رقم 101 و 106) ومسلم (8 / 36) وأبو داود (5151) والترمذي (1 / 352) وابن ماجه (3673).

5) أخرجه الترمذى كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حق الجوار (1944) وأحمد (167/2) وعبد بن عبد الحميد (342) والبخاري في الأدب المفرد (115) وابن خزيمة (2539) وقال الترمذي حديث حسن غريب وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم 3270) .

6) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (6019) ومسلم كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت (48) .

7) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب الوصية بالجار والإحسان إليه (2625) (142) .

ومن الإحسان إلى الجار تقديم الهدايا إليه في المناسبات فإن الهدية تجلب المودة وتزيل العداوة .
ومن حقوق الجار على جاره : أن يكف عنه الأذى القولي والفعلي ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن فقالوا من يا رسول الله ؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه)[1]. وفي رواية: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)[2] والبوائق الشرور فمن لا يأمن جاره شره فليس بمؤمن ولا يدخل الجنة .
وكثير من الناس الآن لا يهتمون بحق الجوار ولا يأمن جيرانهم من شرورهم ، فتراهم دائما نزاع معهم وشقاق واعتداء على الحقوق وإيذاء بالقول أو بالفعل وكل هذا مخالف لما أمر الله ورسوله ، وموجب لتفكك المسلمين وتباعد قلوبهم وإسقاط بعضهم حرمة بعض.

سابعاً: حق غير المسلمين

غير المسلمين يشمل جميع الكافرين وهم أصناف أربعة : حربيون ومستأمِنون ـ بكسر الميم ـ ومعاهدون وذميون .
فأما الحربيون فليس لهم علينا حق من حماية أو رعاية وأما المستأمنون فلهم علينا حق الحماية في الوقت والمكان المحددين لتأمينهم لقول الله تعالى : (وإنْ أحد مِن الْمشركِين استجارك فَأجِره حتى يسمع كلام اللهِ ثُم أبلِغه مأمنه)[3].
وأما المعاهدون فلهم علينا الوفاء بعهدهم إلى المدة التي جرى الاتفاق عليها بيننا وبينهم ما داموا مستقيمين لنا على العهد لم ينقصونا شيئا ولم يعينوا أحدا علينا ولم يطعنوا في ديننا لقول الله تعالى : (إلا الذِين عاهدتم مِن الْمشركِين ثُم لَم ينقُصوكُم شيئاً ولَم يظَاهِروا علَيكُم أحداً فَأَتِموا إِلَيهِم عهدهم إِلَى مدتِهِم إِن الله يحِب الْمتقِين) [4]، وقوله : (وإِنْ نكَثُوا أَيمانهم مِن بعدِ عهدِهِم وطَعنوا فِي دِينِكُم فَقَاتِلُوا أَئِمةَ الْكُفْرِ إِنهم لا أَيمانَ لَهم)[5].
وأما الذميون فهم أكثر هؤلاء الأصناف حقوقاً فيما لهم وعليهم ، وذلك لأنهم يعيشون في بلاد المسلمين وتحت حمايتهم ورعايتهم بالجزية التي يبذلونها .
فيجب على ولي أمر المسلمين أن يحكم فيهم بحكم الإسلام في النفس والمال والعرض ، وأن يقيم الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه ، ويجب عليه حمايتهم وكف الأذى عنهم .

---

1) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (6016).
2) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب تحريم إيذاء الجار (46).
3) (التوبة:6)
4) (التوبة:4)
5) (التوبة:12)

ويجب أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس ، وألا يظهروا شيئا منكرا في الإسلام أو شيئاً من شعائر دينهم كالناقوس والصليب ، وأحكام أهل الذمة موجودة في كتب أهل العلم لا نطيل ا هنا .
وفي الحقوق القضائية فإن حق الإنسان سواء أكان مسلما أم غير مسلم، حقه في القضاء وأخذ الحقوق له في شريعة الإسلام واحد، لا يختلف الناس في ذلك؛ لا نأخذ الحق لمسلم على النصراني، ولا نأخذ الحق لمسلم على اليهودي، بل بالبينات: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[1]: (وأن احكُم بينهم بِما أنزلَ اللهُ)، والله جل وعلا أمرنا أن نكون قوامين بالقسط شهداء لله، ولو على أنفسنا (يا أيها الذِين آمنوا كُونوا قَوامِين بِالقِسطِ شهداءَ لِلهِ ولَو علَى أنفُسكُم)[2] وقال جل وعلا: (ولَا يجرِمنكُم شنآنُ قَومٍ علَى ألَّا تعدِلُوا اعدِلُوا هو أقْرب لِلتقْوى)[3] ، ولهذا في عهد الصحابة رضوان الله عليهم كان يأتي اليهودي والمسلم إلى مجلس القضاء، فلا يميز المسلم على اليهودي في ا لس؛ بل هم من جهة الحكم الشرعي، ومن جهة القضاء هذا خصم وهذا خصم، فواجب أن يكونوا سواء، وألا يكون هناك حيف، لم؟ لأنه إذا وجد التمييز في هذه المسائل دب الفساد إلى الأرض، والله جل وعلا أمرنا بإصلاحها، و انا عن إفسادها، فقال سبحانه:(ولاَ تفْسِدوا فِي الْأَرضِ بعد إِصلاحِها وادعوه خوفاً وطَمعاً)[4] إصلاح الأرض يكون بالعلم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبأداء الحقوق الشرعية التي جاء ا نبينا عليه الصلاة والسلام، هذا إصلاح الأرض، وأعظمها التوحيد وترك الشرك.
وفسادها يكون بالتفريط في حق الله جل وعلا أولاً، أو بالتفريط في حقوق الخلق.
فيدب الفساد في الأرض شيئاً فشيئاً حتى يحل غضب الله جل وعلا: (ولا تطْغوا فِيهِ فَيحِل علَيكُم غَضبِي ومن يحلِلْ علَيهِ غَضبِي فَقَد هوى(81) وإِني لَغفار لِمن تاب وآمن وعمِلَ صالِحاً ثُم اهتدى)[5].

---
1) رواه أبو داود والترمذي وحسنه حديث رقم : 240 في صحيح الجامع
2) [النساء:135]
3) [المائدة:8]
4) [الأعراف:56]
5) [طه:81-82]

الفصل الثاني : ما يختص به أهل القبلة (المسلمون عموما) من الحقوق الشرعية .

حقوق من كان من أهل القبلة هي نفس حقوق المسلم على إخوانه المسلمين من حيث عصمة دمه وماله وعرضه وغير ذلك من الحقوق الشرعية المعروفة وفي قوله – صلى الله عليه وسلم-: "له مالنا وعليه ما علينا" بيان لحقوقه التي له، وللحقوق التي عليه بأوجز عبارة وأبلغها،

ويمكننا تقسيم ما يختص بأهل القبلة من الحقوق الشرعية إلى ما يلي :

المبحث الأول: موالا م

فقد قرر الله سبحانه وتعالى مبدأ الولاية بين المؤمنين ، وجعل بعضهم أولياء بعض ، يتناصرون ويتعاونون ويتعاضدون ، ويتحابون فيما بينهم بمقتضى ميثاق الأخوة الإيمانية: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وذلك لأن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة المسلمة التي تتجمع وتتعاون لمواجهة كل من يعارض الإسلام ويحارب المسلمين ويعاديهم .

والخروج عن هذا المبدأ الإسلامي الأصيل ثغرة في الإيمان ونقص ينبغي تداركه وإذا وصل إلى موالاة الأعداء ومحبتهم والتعاون معهم فإنه الخروج على قانون الإسلام أو الارتداد عنه .

المؤمنون بعضهم أولياء بعض ، والكافرون بعضهم أولياء بعض مهما اختلفت مللهم وتباينت نحلهم ، وتعددت رايا م ، ولن يهدأ لهم بال حتى يردوا المسلمين عن دينهم إن استطاعوا ، قال تعالى: ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ي ل عليكم من خير من ربكم . وقال: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .

ويتفق موقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى مع موقف المشركين تجاه الإسلام والمسلمين و الواقع التاريخي كله ،شاهد صادق على ذلك والأمثلة عليه تعز على الحصر ، وحسبنا أن الله سبحانه وتعالى أعلمنا بذلك فقال: ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة .

ولذلك كان الإيمان هو الآصرة التي يتجمع حولها المسلمون ، وكانت كلمة التوحيد ، كلمة لا إله إلا الله هي الراية التي ينضمون تحتها ، وكانت كل دعوة عداها دعوة جاهلية منتنة ، ينبغي على المسلم أن لا يعبأ ا ولا ينتصر لها ، إن النسب المصلح أو الجنس أو الوطن أو القوم أو غير

ذلك من الشارات والشعارات ينبغي أن تكون الدعوة إليه ، إن كانت على أساس أنه ينضوي ويدخل تحت راية لا إله إلا الله ، وإلا فإن الإسلام بريء من ذلك .

وقد قطع الله تعالى العلاقة بين نوح وابنه ، وبين نوح وزوجته ، وبين لوط وزوجته ، وبين إبراهيم وأبيه ، وبين محمد وأقرب الناس إليه ، لقد فرقت بينهم العقيدة .

والمسلمون أخوة بنص القرآن الكريم قال تعالى: {إنما الْمؤمِنونَ إِخوةٌ فَأَصلِحوا بين أَخويكُم واتقُوا الله لَعلكُم ترحمونَ}[1]. . أخوة في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين اثبت من أخوة النسب. فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب.

وأخوة الدين أحق وأجدر أن يهتم لها، ويصلح ما بين المؤمنين. لأ ا أخوة بنص كتاب الله تعالى. والله سبحانه وتعالى هو الذي عقد هذه الأخوة وما عقده الله تبارك وتعالى لا تحله يد بشر. مهما قويت. وسطتن وظلمت. ومن عجيب أمر هذه الآية الكريمة. أ ا جاءت وكأ ا قررت أمرا واقعا مفروغا منه، لا يرد ولا يصد. فقالت: "إنما المؤمنون إخوة"هذا حكم الله، وهكذا أخبر عن هذا العقد الذي ربطه في السماء بين المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم. وتباينت لغا م. وتباعدت أقطارهم. وتناءت ديارهم. فهم إخوة، تجمعهم عقيدة خالدة، ورسالة واحدة. وهكذا جاءت الجملة خبرية، تقرر واقعا عظيما وتخبر عنه فقالت: "إنما المؤمنون إخوة"ولم تأت الجملة إنشائية ن إذ لم جاءت الآية إنشائية. لكانت الأخوة غير موجودة. ولكنه عز وجل ربط قلوب المؤمنين برباط واحد، وعقد هذا الرباط. ثم أخبر عن هذه الحقيقة الثابتة الواقعة، وقضى فيها بحكمة فقال: {إنما الْمؤمِنونَ إِخوةٌ} ثم ثنى بتقرير هذه الحقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: : " " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا " . ويشير إلى صدره ثلاث مرار " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه " "[2].وفي سنن أبي داود[3]، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن مرآة المؤمن. المؤمن أخو المؤمن. يكف عنه ضيقه ويحوطه من ورائه"[4]..

---

1) الحجرات (10)

2) رواه مسلم (6706)

3) بن أبي داود (230 - 316 ه = 844 - 929 م) عبد الله بن سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني، أبو بكر بن أبي داود: من كبار حفاظ الحديث.له تصانيف.كان إمام أهل العراق، وعمي في آخر عمره.ولد بسجستان، ورحل مع أبيه رحلة طويلة، وشاركه في شيوخه بمصر والشام وغيرهما، واستقر وتوفي ببغداد.من كتبه " المصاحف - ط " و " المسند " و " السنن " و " التفسير " و " القراآت " و " الناسخ والمنسوخ " الأعلام للزركلي4/ 91.

4) أخرجه ابن وهب في " الجامع " (ص 37) و عنه أبو داود (2 / 304) و البخاري

وهكذا فهم الصحابة الكرام هذه الأخوة. وعاشوا فيها ولها، وأصبحوا بفضل الله تعالى إخوانا.. دعو م واحدة، وأمرهم واحد.. تقاسموا الحب فيما بينهم، وآثروا إخوا م على أنفسهم. فقاسموهم الأموال، ووصلوا إلى درجة من الإيثار. أن يقول الصاحب لصاحبه:: هذا مالي جعلته بيني وبينك. وهاتان زوجتاي اختر أيتهما تشاء لتتزوجها أنت و ذا وصف الله تعالى الأنصار مع إخوا م المهاجرين رضي الله عن الجميع: "والذِين تبوأُوا الدار والْإِيمانَ مِن قَبلِهم يحِبونَ من هاجر إِلَيهم ولا يجِدونَ فِي صدورِهِم حاجةً مِما أُوتوا ويؤثِرونَ علَى أَنفُسِهِم ولَو كَانَ بِهِم خصاصةٌ ومن يوق شح نفْسِهِ فَأُولَئِك هم الْمفْلِحونَ والذِين جاءُوا مِن بعدِهِم يقُولُونَ ربنا اغْفِر لَنا ولِإِخوانِنا الذِين سبقُونا بِالْإِيمان ولا تجعلْ فِي قُلُوبِنا غِلا لِلذِين آمنوا ربنا إِنك رؤوف رحِيم"[1].

ومن صفا م؛ أ م إخوة في الله، والمؤمن أخو المؤمن، يحبون لإخوا م ما يحبونه لأنفسهم، ولا يحملون عليهم حقداً ولا غلاً؛ بل يدعون لهم بظهر الغيب بالمغفرة والهداية والصلاح والتوفيق، والسداد، قال تعالى:

{والذِين جاؤوا مِن بعدِهِم يقُولُونَ ربنا اغْفِر لَنا ولِإِخوانِنا الذِين سبقُونا بِالإِيمان ولا تجعلْ فِي قُلُوبِنا غِلا للذِين آمنوا ربنا إِنك رؤوف رحِيم} (2).

وقال : {إِنما الْمؤمِنونَ إِخوةٌ فَأَصلِحوا بين أَخويكُم واتقُوا الله لَعلَّكُم ترحمونَ } (3).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)(4).

على المسلم المستقيم أن يحب ويوالي في الله ويبغض ويعادي في الله ،فالمسلم يوالي أخاه في الإسلام وإن ظلمه فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية كما قال تعالى:[وإِنْ طَائِفَتانِ مِن الْمؤمِنِين اقْتتلُوا فَأَصلِحوا بينهما]5فجعلهم أخوة مع وجود القتال والبغي وأمر بالصلاح بينهم فليتدبر المؤمن : أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلم واعتدى ، والكافر تجب معاداته وإن أحسن و أعطى ،فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والإكرام والثواب لأوليائه والإهانة والعقاب لأعدائه 6.

في " الأدب المفرد " (رقم 239) وإسناده حسن كما قال الحافظ العراقي في " تخريج الإحياء " (2 / 160

1) [الحشر:9،10]

(2) سورة الحشر، الآية: 10.

(3) سورة الحجرات، الآية: 10.

(4) (رواه البخاري) في (كتاب الإيمان) باب: (من الإيمان ما يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

5) الحجرات : 9

6) مجموع الفتاوى (28/ 208-209)

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم ـ هديه إلى أن الرابطة التي يجب أن يعتقد أ ا هي التي تربط بين أفراد ا تمع، وأن ينادى بالارتباط ا دون غيرها إنما هي دين الإسلام. لأنه هو الذي يربط بين أفراد ا تمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع ا تمع الإسلامي كأنه جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك، ورجلك، بساقك. كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». ولذلك يكثر في القرآن العظيم إطلاق النفس وإرادة الأخ تنبيهاً على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه. كقوله تعالى: {ولاَ تخرِجونَ أنفُسكُم من دِيـٰـرِكُم}، أي لا تخرجون إخوانكم، وقوله: {لولا إِذْ سمِعتموه ظَن لمؤمِنونَ و لمؤمِنـٰـت بِأنفُسِهم خيراً} أي بإخوا م على أصح التفسيرين، وقوله: {ولاَ تلْمِزواْ أنفُسكُم}،أي إخوانكم على أصح التفسيرين، وقوله: {ولاَ تأكُلواْ أموٰلكُم بينكُم}، أي لا يأكل أحدكم مال أخيه، إلى غير ذلك من الآيات. ولذلك ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ومن الآيات الدالة على أن الرابطة الحقيقية هي الدين، وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية: قوله تعالى {لا تجِد قَوماً يؤمِنونَ بِ للهِ و ليومِ لاخِرِ يوآدونَ من حآد لله ورسوله ولو كانواْ ءَاباۤءَهم أو أبناۤءَهم أو إِخوٰنهم أو عشِيرتهم} إذ لا رابطة نسبية أقرب من رابطة الآباء والابناء والإخوان والعشائر. وقوله: {و لمؤمِنونَ و لمؤمِنـٰـتِ بعضهم أولِيآءَ بعض}، وقوله: {إنما لمؤمِنونَ إِخوةٌ فَأصلِحواْ بين أخويكُم} وقوله: {فَأصبحتم بِنعمتِهِ إِخواناً}، إلى غير ذلك من الآيات.

فهذه الآيات وأمثالها تدل على أن النداء برابطة أخرى غير الإسلام كالعصبية المعروفة بالقومية ـ لا يجوز، ولا شك أنه ممنوع بإجماع المسلمين.

ومن أصرح الأدلة في ذلك: ما رواه البخاري في صحيحة قال: باب قوله تعالى: {يقُولُونَ لَئِن رجعنآ إِلَى لمدِينةِ لَيخرِجن لاعز مِنها لاذَل ولِلهِ لعِزةُ ولِرسولِهِ ولِلْمؤمِنين ولَـٰـكِن لمنـٰـفِقِين لاَ يعلَمونَ} بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: كنا في غزاة فكسع[1] رجل من المهاجرين

رجلاً من الأنصار. فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فسمعها الله رسوله قال: «ما هذا»؟ فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا

1) بِفتح الكاف والمهملتين أي ضربه على دبره .الفتح10/ 322.

للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعوها فإنها منتنة» الحديث. فقول هذا الأنصاري: يا للأنصار، وهذا المهاجري: يا للمهاجرين ـ هو النداء بالقومية العصبية بعينه، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «دعوها فإنها منتنة» يقتضي وجوب ترك النداء بها. لأن قوله «دعوها» أمر صريح بتركها، والأمر المطلق يقتضي الوجوب على التحقيق كما تقرر في الأصول. لأن الله يقول: {فَلْيحذَرِ الذِين يخـٰلِفُونَ عن أمرِهِ أن تصِيبهم فِتنةٌ أو يصِيبهم عذَاب أَلِيم}، ويقول لإبليس: {ما منعك ألا تسجد إِذْ أمرتك} فدل على أن مخالفة الأمر معصية. وقال تعالى عن نبيه موسى في خطابه لأخيه: {أفَعصيت أمرى} فأطلق اسم المعصية على مخالفة الأمر: وقال تعالى: {وما كانَ لِمؤمِنٍ ولاَ مؤمِنةٍ إذَا قَضى الله ورسولُه أمراً أن يكُونَ لَهم الخِيرةُ مِن أمرِهِم} فدلت الآية على أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم مانع من الاختيار، موجب للامتثال. لا سيما وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بالترك بقوله: «فإنها منتنة» وحسبك بالنتن موجباً للتباعد لدلالته على الخبث البالغ.

فدل هذا الحديث الصحيح على أن النداء برابطة القومية مخالف لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، وأن فاعله يتعاطى المنتن، ولا شك أن المنتن خبيث، والله تعالى يقول: {الخَبِيثَـٰت لِلْخَبِيثِين}، ويقول: {ويحرم عليهم الخبـٰئِثَ} وحديث جابر هذا الذي قدمناه عن البخاري أخرجه أيضاً مسلم في صحيحة قال رحمه الله: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. وزهير بن حرب، وأحمد بن عبدة الضبي، وابن أبي عمر، واللفظ لابن أبي شيبة قال ابن عبدة: أخبرنا وقال الآخرون: حدثنا سفيان بن عيينة قال: سمع عمرو جابر بن عبد الله يقول: كنا مع النبي في غزاةٍ، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصارٰ وقال المهاجري: يا للمهاجرين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بال دعوى الجاهليةٰ« قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: «دعوها فإنها منتنة.» الحديث.

وقد عرفت وجه لدلالة هذا الحديث على التحريم، مع أن في بعض رواياته الثابتة في الصحيح التصريح بأن دعوى الرجل: «يا لبني فلان» من دعوى الجاهلية. وإذا صح بذلك أنها من دعوى الجاهلية فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية». وفي رواية في الصحيح: «ليس منا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية»، وذلك صريح في أن من دعا تلك الدعوى ليس منا، وهو دليل واضح على التحريم الشديد. ومما يدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «من تعزى عليكم

بعزاء الجاهلية فأعضوه ن أبيه ولا تكنوا»[1] فانظر كيف سمى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك النداء «عزاء الجاهلية» وأمر أن يقال للداعي به «اعضض على هن أبيك» أي فرجه، وأن يصرح له بذلك ولا يعبر عنه بالكناية. فهذا يدل على شدة قبح هذا النداء، وشدة بغض النبي صلى الله عليه وسلم له.

واعلم أن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية: أبو جهل، وأبو لهب، والوليد بن المغيرة، ونظراؤهم من رؤساء الكفرة.

وقد بين تعالى تعصبهم لقوميتهم في آيات كثيرة. كقوله: {قَالُواْ حسبنا ما وجدنا عليه ءَابَاءَنَآ}، وقوله: {قَالُواْ بلْ نتبع مآ أَلْفَينا عليهِ ءَابآءَنآ}، وأمثال ذلك من الآيات.

واعلم أنه لا خلاف بين العلماء في منع النداء برابطة غير الإسلام. كالقوميات والعصبيات النسبية، ولا سيما إذا كان النداء بالقومية يقصد من ورائه القضاء على رابطة الإسلام وإزالتها بالكلية. فإن النداء ا حينئذ معناه الحقيقي: أنه نداء إلى التخلي عن دين الإسلام، ورفض الرابطة السماوية رفضاً باتاً، على أن يعتاض من ذلك روابط عصبية قومية، مدارها على أن هذا من العرب، وهذا منهم أيضاً مثلاً. فالعروبة لا يمكن أن تكون خلفاً من الإسلام. واستبدالها به صفقة خاسرة. فهي كما قال الراجز:

بدلت بالجمة رأساً أزعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا
كما اشترى المسلم إذ تنصرا

وقد علم في التاريخ حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده كما لا يخفى.

وقد بين الله جل وعلا في محكم كتابه: أن الحكمة في جعله بني آدم شعوباً وقبائل هي التعارف فيما بينهم. وليست هي أن يتعصب كل شعب على غيره، وكل قبيلة على غيرها. قال جل وعلا: {يأيها لناس إنا خلقْنــٰكُم من ذَكَرٍ وأنثَىٰ وجعلْنــٰكُم شعوباً وقَبآئِلَ لِتعــٰرفُواْ إن أكْرمكُم عند للهِ أتقَــٰكُم} فاللام في قوله {لِتعــٰرفُواْ} لام التعليل، والأصل لتتعارفوا، وقد حذفت إحدى

---

1) هذا حديث صحيح، أخرجه الإمام أحمد من طرق متعددة عن عتي بن ضمرة السعدي1، عن أبي بن كعب1 رضي الله عنه، وذكره صاحب الجامع الصغير بلفظ «إذا سمعتم من يعتزي بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا» وأشار لأنه أخرجه أحمد في المسند، والنسائي وابن حبان، والطبراني في الكبير، والضياء المقدسي عن أبي رضي الله عنه، وجعل عليه علامة الصحة. وذكره أيضاً صاحب الجامع الصغير بلفظ «إذا رأيتم الرجل يتعزى..» الخ، وأشار إلى أنه أخرجه الإمام أحمد في المسند والترمذي، وجعل عليه علامة الصحة. وقال شارحه المناوي: ورواه عنه أيضاً الطبراني، قال الهيتمي: ورجاله ثقات، وقال شارحه العزيزي: هو حديث صحيح. وقال فيه الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني في كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) قال النجم: رواه أحمد والنسائي وابن حبان عن أبي بن كعب رضي الله عنه. ومراده بالنجم: الشيخ محمد نجم الدين الغزي في كتابه المسمى (إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن)

الناءين. فالتعارف هو العلة المشتملة على الحكمة لقوله: {وجعلنـٰكم شعوباً وقبآئل} ونحن حين نصرح بمنع النداء بالروابط العصبية والأواصر النسبية، ونقيم الأدلة على منع ذلك ـ لا ننكر أن المسلم ربما انتفع بروابط نسبية لا تمت إلى الإسلام بصلة. كما نفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب. وقد بين الله جل وعلا أن عطف ذلك العم الكافر على نبيه صلى الله عليه وسلم من منن الله عليه. قال تعالى: {ألم يجدك يتيماً فآوىٰ} أي آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب. ومن آثار هذه العصبية النسبية قول أبي طالب فيه صلى الله عليه وسلم:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

وقد نفع الله بتلك العصبية النسبية شعيباً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كما قال تعالى عن قومه: {قالوا يٰشعيب ما نفقه كثيرًا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفًا ولولا رهطك لرجمنـٰك}. وقد نفع الله بها نبيه صالحاً أيضاً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. كما أشار تعالى لذلك بقوله: {قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصـٰدقون} فقد دلت الآية على أنهم يخافون من أولياء صالح، ولذلك لم يفكروا أن يفعلوا به سوءاً إلا ليلاً خفية. وقد عزموا أنهم إن فعلوا به ذلك أنكروا وحلفوا لأوليائه أنهم ما حضروا ما وقع بصالح خوفاً منهم. ولما كان لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لا عصبة له في قومه ظهر فيه أثر ذلك حتى قال: {لو أن لى بكم قوةً أو آوى إلىٰ ركن شديد}..

فيلزم الناظر في هذه المسألة أن يفرق بين الأمرين، ويعلم أن النداء بروابط القوميات لا يجوز على كل حال، ولا سيما إذا كان القصد بذلك القضاء على رابطة الإسلام، وإزالتها بالكلية بدعوى أنه لا يساير التطور الجديد، أو أنه جمود وتأخر عن مسايرة ركب الحضارة. نعوذ بالله من طمس البصيرة. وأن منع النداء بروابط القوميات لا ينافي أنه ربما انتفع المسلم بنصرة قريبه الكافر بسبب العواطف النسبية والأواصر العصبية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، كما وقع من أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» ولكن تلك القرابات النسبية لا يجوز أن تجعل هي الرابطة بين المجتمع. لأنها تشمل المسلم والكافر، ومعلوم أن المسلم عدو الكافر، كما قال تعالى: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حآد الله ورسوله}، كما تقدم.

والحاصل ـ أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي رابطة «لا إله إلا الله» ألا ترى أن هذه الرابطة التي تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد، وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضاً، عطفت قلوب حملة العرش ومن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الاختلاف. قال تعالى: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم

ويؤمنونَ بِهِ ويستغفِرونَ للذِين ءَامنواْ ربنا وسِعت كُل شيءٍ رحمةً وعِلْماً فَ غْفِر للذِين تابواْ و تبعواْ سبِيلك وقِهم عذَاب لجحِيم ربنا وأدخِلْهم جنٰتِ عدنٍ لتِى وعدتهم ومن صلح مِن ءَابآئِهم وأزوٰجِهم وذُرياٰتِهم إنك أنت لعزيز لحكِيم وقِهم لسيئٰتِ ومن تقِ لسيئٰتِ يومئِذٍ فقَد رحِمته وذَلِك هو لفَوز لعظِيم}. فقد أشار تعالى إلى أن الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله، وبين بني آدم في الأرض حتى دعوا الله لهم هذا الدعاء الصالح العظيم، إنما هي الإيمان بالله جل وعلا. لأنه قال عن الملائكة: {ويؤمِنونَ بِهِ} فوصفهم بالإيمان. وقال عن بني آدم في استغفار الملائكة لهم {ويستغفِرونَ للذِين ءامنواْ} فوصفهم أيضاً بالإيمان. فدل ذلك على أن الرابطة بينهم هي الإيمان وهو أعظم رابطة.

ومما يوضح لك أن الرابطة الحقيقية هي دين الإسلام ـ قوله تعالى في أبي لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم: {سيصلىٰ ناراً ذَات لهبٍ} ويقابل ذلك بما لسلمان الفارسي من الفضل والمكانة عند النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه: «سلمان منا أهل البيت» رواه الطبراني والحاكم في المستدرك، وجعل عليه صاحب الجامع الصغير علامة الصحة. وضعفه الحافظ الذهبي. وقال الهيتمي فيه، عند الطبراني كثير بن عبد الله المزني ضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات. وقد أجاد من قال:

لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

وقد أجمع العلماء: على أن الرجل إن مات وليس له من القرباء إلا ابن كافر، أن إرثه يكون للمسلمين بأخوة الإسلام، ولا يكون لولده لصلبه الذي هو كافر، والميراث دليل القرابة. فدل ذلك على أن الأخوة الدينية أقرب من النبوة النسبية.

وبالجملة، فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض، وتربط بين أهل الأرض والسماء، هي رابطة «لا إله إلا الله» فلا يجوز البتة النداء برابطة غيرها. ومن والى الكفار بالروابط النسبية محبة لهم، ورغبة فيهم يدخل في قوله تعالى {ومن يتولهم منكُم فَإنه مِنهم}، وقوله تعالى: {إلا تفْعلُوه تكُن فِتنةٌ فِى لارض وفَساد كَبِير} والعلم عند الله تعالى.[1]

1) انظر : مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : موقع الجامعة على الإنترنت http://www.iu.edu.sa/Magazine

ماهو مقتضى الولاء للمسلمين من أهل القبلة؟ :

يلزم من موالاة أهل القبلة في الجملة مجموعة خصال ، تجسد حقيقة الموالاة الواجبة شرعاً هي صـرف المسلـم هذه الخصال لله ولرسوله وللمؤمنين، كما قال تعالى (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)[1].

وتقابلها المـوالاة المحـرمة شرعاً وهى صـرف المسلـم شيـئا من هـذه الخصـال إلى الكافرين، كما قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)2. فإن الله تعالى قد أوجب على المؤمنين أن يعادوا الكفار ويبغضوهم ويقاتلوهم مااستطاعوا كما قال تعالى (قد كانت لكم أسوةٌ حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)3 ، وقال تعالى (ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)4. فمن قام بخلاف هذا فأطاع الكافرين أو أحبهـم أو نصـرهم فقـد تولاّهم، ومن تولاهم فـقد كفـر لقوله تعالى ــ في الآيات موضع الاستدلال ــ (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)5 ، ويتأكد كفره إذا ما أطاع الكافرين أو نصرهم فيما يضر الإسلام والمسلمين كما يفعله أنصار الحكام المرتدين لأن هذه مشايعة لهم فيما هم عليه من الكفر وإعانة على ظهور الكفر على الإسلام.

مقتضيات الولاء :

ثمة حقوق لأهل القبلة على المسلم يجب بذلها بمقتضى الولاء لهم من أهمها :

اولاً : المودة : إذ محبة الله أصل ، ومن فروعها محبة المؤمنين : تلك المحبة التي تؤلف القلوب ، وتوحد الصفوف ، وتبني المجتمعات ، وتصنع المعجزات ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم مجتمع المؤمنين في توادهم ، وتعاطفهم ، وتراحمهم بالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وهم كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضاً ، وهم لبعضهم

---

1) المائدة 56

2) الممتحنة 1

3) الممتحنة 4

4) التوبة 73 والتحريم 9

5) المائدة 51

بعضاً ، نصحةٌ متوادون ، ولو ابتعدت منازلهم ، بينما المنافقون بعضهم لبعض ، غششةٌ متحاسدون ولو اقتربت منازلهم .

لذلك .. يجب ألا نعجب إذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم حب المؤمنين علامة كافية على صحة الإيمان ، وصدقه ، بل جعل محبة المؤمنين شرطاً وحيداً لوجود الإيمان في الرجل فقال :((والذي نفسي بيده ، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا))[1] .

ومن صفات المؤمن الحق محبةُ المؤمنين ورحمة أهل القبلة المسلمين ونصحهم وكف الأذى والشر عنهم، قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)[2].

ومن صفات الفرقةِ الناجية سلامةُ قلوبهم وألسنتِهم لسلفِ الأمة رضي الله عنهم ومحبتهم، قال الله تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم)[3]. وهذا بخلافِ ما عليه طوائف من الفِرق الإسلامية من سبهم ولعنهم للصحابة وسبهم لخِيار الأمة وساداتِ الأولياء رضي الله عنهم.

وهذه للمسلمين من بعضهم لبعض فليس للكافر ولا للفاسق ولا للمبتدع منها نصيب ومن هـذه المودة حب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه قال ρ :((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))4 ، وعن أبي مالك الاشعري τ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى صـلاته أقبل إلى الناس بوجهه فقال: ((يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله Y عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله)) فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى نبي الله ε فقال: يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبيـاء ولا شـهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله انعتهم لنا يعني صفهم لنا؟ فسر وجه رسول الله ε لسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ε : ((هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائـل لم تـصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليهـا فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أوليـاء الله الـذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون))5 إن من حقوق هذه الأخوة أن يبلها المسلم بكل عمل صالح مبادأة لا مكافأة ، فيصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عن من ظلمه .

1) أخرجه مسلم في صحيحه رقم 93 ، وأخرجه الإمام أحمد والترمذي وغيرهم عن أبي هريرة .
2) {المائدة:54}
3) {الحشر:10}
4)متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان (28))
5) رواه أحمد 5 (343) ، قال الهيثمي في المجمع : 10/ 276: رجاله ثقات.

وعلى المسلم أن يكون معتدلاً مع المؤمنين في الحب فلا يتكلف مالا يطيق كما يكون معتدلا مع أعدائه في البغض فلا يبالغ في البغض عند الوقيعة بالأعداء لأن من العداوة ما يتحول إلى مودة يوماً ما ، قال تعالى: [عسى الله أنْ يجعلَ بينكُم وبين الذِين عاديتم مِنهم مودةً والله قَدِير والله غَفُور رحِيم] 1 والمراد بالمودة في الآية هي المودة المتوقعة بسبب هداية الكفار والهداية منحة من الله وقد جاء ما يدل على أن المودة قد تقع بين المسلمين وبين من عادوهم وأمروا بمقاطعتهم وعدم موالاة من ذوي الأرحام كما في سورة النصر حينما دخل الناس في دين الله أفواجاً ،وقد فتح الله عليهم مكة فكانوا طلقاء رسول الله ρ وكذلك موقف أبي سفيان وغيره، وعامة الوفود إلى المدينة بعد الفتح ، وفي التذييل بأن الله على كل شئ قدير يشعر بأن التأليف والمودة إنما هو من قدرة الله وحده كما بينه قوله تعالى :[وألف بين قُلُوبِهم لَو أَنفَقْت ما ِفي الْأَرضِ جمِيعاً ما أَلفْت بين قُلُوبِهم ولَكِن الله أَلف بينهم ِإنه عزِيز حكِيم] 2.ومما روي عن علي τ موقوفاً :

أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما

وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما 3

ثانياً: ولاء النصرة:

وهو أظهر معاني الموالاة في الكتاب والسنة حتى أن غيره من معاني الولاء ـ كولاء العتق والنسب ـ يرجع إليه أي إلى النصرة. ومن هذا الباب: قوله تعالى (وماكان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله)[4] ، فدلّت الآية على أن الوليّ هو الناصر وأن النصرة موالاة بلا ريب، وقوله تعالى (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين)[5] ، أي الله ناصركم وهو خير الناصرين، وقوله تعالى (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)[6] أي أنت ناصرنا، وقوله تعالى (واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير)[7] ، ومنه قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء

---

1 الممتحنة 7

2) الأنفال : 63 ،وانظر أضواء البيان 8/ 146.

3) الترمذي (1920) وقال : الصحيح أنه موقوف على علي τ.

4) الشورى 46

5) آل عمران 150

6) البقرة 286

7) الحج 78

بعض)[1] ، أي أنصار بعض، وقوله تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض)[2] ، أي أنصار بعض يتناصرون فيما بينهم، وقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)[3] ، معناه من يتبعهم وينصرهم، وقال ابن السكيت: يقال هم على وِلاية أي مجتمعون في النصرة[4].

وهذا الولاء – ولاء النصرة- واجب أخوي إيماني على كل مسلم من أي جنس كـان وفي أي أرض حل ، وبأي لون كان، ينصره بنفسه وبماله وبالذب عن عرضه، ولذلك ورد التهديد لمن يترك ذلك وهو قادرعليه، قال ρ:((ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه عرضه وتنتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته))5.

وقد امتدح سبحانه وتعالى الأنصار رضوان الله عليهم في نصرهم لإخوانهم المهاجرين فقال سبحانه:[والَّذِين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فِي سبِيل اللهِ والَّذِين آووا ونصروا أولَئِك هم الْمؤمِنونَ حقّاً لَهم مغفِرةٌ ورزق كَرِيم]6، ومن الأوامر النبوية في شأن النصرة قوله ρ :(((انصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل : كيف أنصره ظالما ؟ قال : تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره))) 7 ونصرته إذا كان مظلوماً فواضحة أما نصرته إذا كان ظالماً فبردعه عن الظلم ومنعه عنه وقال ρ: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله Y في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة))8.

وينبغي أن يحب له ما يحب لنفسه من الخير ويكره له ما يكره لنفسه من الشر: ففي الصحيحين «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وعن ابن عباس رضي الله عنهما

---

1) التوبة 71

2) الأنفال 73

3) المائدة 51

4) (لسان العرب) 407/15

5 ابو داود 197/5

6) الأنفال: 74

7) أخرجه البخاري من حديث أنس ومسلم من حديث جابر مشكاة المصابيح (4957)

8) متفق عليه

قال أكرم الناس علي جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إليّ لو استطعت ألا يقع الذباب على وجهه لفعلت، وفي رواية إن الذباب يقع عليه فيؤذيني)[1]

الأحكام الشرعية لحفظ ولائي المودة والنصرة :

يظهر للمتدبر لأحكام الله عز وجل الشرعية التي تتعلق بالمعاملات بين أهل القبلة من المسلمين أ ا تقوم على كل ما يحقق التواد والتراحم بين المسلمين. ويمنع كل ما من شأنه إيقاع العداوة والبغضاء وإثارة الشحناء والأحقاد بينهم ، كما جاءت بعض الحكام منصوصاً فيها على هذه العلة ،كما قال الله تعالى عقب تحريم الخمر والميسر:(ِإنما يريد الشيطانُ أنْ يوِقع بينكُم الْعداوةَ والْبغضاءَ ِفي الْخمرِ والْميسِرِ ويصدكُم عن ذِكْرِ اللهِ وعن الصلاةِ فَهلْ أنتم منتهونَ)[2] فهي موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصا الخمر والميسر، ليوقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء.فإن في الخمر من انغلاب العقل وذهاب حجاه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصا إذا اقترن بذلك من السباب ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء.

وهكذا تأتي الأحكام واضحة الدلالة في الحرص على إشاعة الأمن والسلام والمحبة بين أفراد ا تمع المسلم، وسد الباب أمام كل سبب يكدر على المسلمين أمنهم وتوادهم وتراحمهم، ويؤكد هذا قوله صلى الله عليه وسلم : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3]، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا»(3).

والتشريعات التي جاءت لصيانة المودة والنصرة كثيرة، ولكننا نشير من ذلك إلى ما يلي:

1- النهي عن كثير من الظن ، لقول الله تعالى: "يا أيها الذِين آمنوا اجتِنبوا كَثِيراً ِمن الظن ِإن بعض الظن ِإثْم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكُم بعضاً أيحِب أحدكُم أنْ يأكُلَ لَحم أخِيهِ ميتاً فَكَرِهتموه واتقُوا الله ِإن الله تواب رحِيم يا أيها الناس ِإنا خلَقْناكُم ِمن ذَكَرٍ وأنثَى وجعلْناكُم

1) (ا موع) 1 / 30 0

2) [المائدة:90،91].

3) أخرجه البخاري برقم : 6011 ، ومسلم برقم : 2586 ، وأحمد في المسند : 4 / 268 ، 270 ، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما

شعوباً وقبائلَ لتعارفُوا إن أكْرمكُم عِند اللهِ أتقاكُم إن الله علِيم خبِير"[1].وسيأتي الحديث عن هذا الحكم عند ذكر أحكام كف الأذى عن أهل القبلة إن شاء الله .

2- الأمر بالمحافظة على أموال الناس لقول الله تعالى: "يا أيها الذِين آمنوا إذَا تداينتم بِدين إلى أجلٍ مسمىً فَاكْتبوه" إلى قوله تعالى في نفس الآية: "ذَلكُم أقْسطُ عِند اللهِ وأقْوم لِلشهادةِ وأدنى ألا ترتابوا"[2].

ومن الحكم البالغة في تشريع آية الدين هو المحافظة على أموال الناس، والقضاء على أسباب الاختلاف والشحناء، وسوء الظن التي تعكر على الأمن والسلام بين الناس في المجتمع المسلم.

ومن ذلك تحريمه صلى الله عليه وسلم أنواعاً كثيرة من البيوع لما تفضي إليه من البغضاء والشحناء، والقطيعة بين المسلمين كقوله صلى الله عليه وسلم : «لا يبتاع المرء على بيع أخيه ولا تناجشوا ولا يبع حاضر لباد»[3]. و نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة والملامسة والمنابذة لما فيها من الجهل والغرر والغبن، ومن ذلك تحريم الغش والاحتكار والتطفيف وغيرها من صور الظلم في المعاملات التي من شأنها إثارة العداوة والشحناء بين المسلمين.

3- نهيه صلى الله عليه وسلم عن التهاجر بين المسلمين وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم :«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالي يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[4]. بل إنه صلى الله عليه وسلم نهى أن يتناجى إثنان في حضرة ثالث منعاً لسوء الظن وإيذاء المسلم وإحزانه. قال صلى الله عليه وسلم : «إذا كانوا ثلاثة فلا يناجي إثنان دون الثالث فإن ذلك يؤذيه»[5].

4- تحريم النميمة بين الناس لما فيها من الإفساد والتفريق بين المسلمين وتقطيع الأرحام وإثارة الشحناء، قال صلى الله عليه وسلم : «لا يدخل الجنة قتات»[6] أي نمام.

5- تحريم الكبر والخيلاء، والتعالي على الناس: قال الله تعالى: "ولا تصعر خدك لِلناس ولا تمش فِي الأرض مرحاً إن الله لا يحِب كُل مختالٍ فَخورٍ"[7] وقال سبحانه : "ولا تمش فِي الأرض مرحاً

---

1) [الحجرات: 12،13]

2) [البقرة: 282]

3) صحيح البخاري (2052).

4) أخرجه البخاري (4 / 130 ، 168) ومسلم (8 / 9) ومالك (2 / 906 / 13) وعنه أبو داود (49 1 1) والطيالسي (592) وأحمد (5 / 416 ، 421 ، 422)

5) رواه مالك عن ابن عمر بسند صحيح حديث رقم : 772 في صحيح الجامع .

6) أخرجه البخاري (7 / 86) و مسلم (1 / 71) و أبو داود (2 / 297) و الترمذي(1 / 364) و صححه

7) [لقمان: 18]

إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً"[1] وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»[2] ولا يخفى ما في الكبر من التعالي على الناس، وظلمهم واحتقارهم؛ فإذا اختفت هذه الآثار ساد الأمن والسلام والمحبة والإخاء.

6- تحريم الحسد، وهو كراهية نعمة الله على الآخرين وإن لم يتمن زوالها، وقد اشتهر بين العلماء تعريف الحسد بأنه تمني زوال نعمة الله على الغير ولكن المعنى الدقيق للحسد هو كراهية نعمة الله على غيره سواء تمنى زوالها أو لم يتمن.

وهذا الحسد موجود في كثير من الناس وهو من خصال اليهود كما هو من خصال إبليس لعنه الله، فقال تعالى: { ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم }[3] فإذا وجدت في قلبك حسداً على المسلمين جماعات أو أفراداً فاعلم أن في قلبك خصلة من خصال اليهود والعياذ بالله، فطهر قلبك من هذا الحسد، واعلم أن هذا الخير الذي فيه غيرك إنما هو فضل من الله فلا تعترض على فضل الله ولا تكره تقدير الله: { أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله }[4]. فليلاحظ الإنسان قلبه فيزيل عنه الحسد والبغضاء والحقد والكراهية والغل ويجعله صافياً مخلصاً لله تعالى وصافياً للمؤمنين.

7- تحريم الخمر والميسر ورتب على شرب الخمر عقوبة وحداً. كل ذلك من أجل حماية المجتمع مما يكدر أمنه وسلامته ومما يثير الشحناء والعداوة بين أفراده ، قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون"[5].

8- تحريم الربا لما يثيره من الأحقاد في المجتمع، فليس يغيظ النفس أكثر من أن يلجأ المحتاج إلى صاحب المال فينتهز الفرصة السانحة والضرورة الملجأة للفقير ويفرض على أخيه ضريبة حراماً، قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون"[6].

---

1) [الإسراء: 37]

2) رواه أبوداد وابن ماجة بسند صحيح أنظر صحيح الجامع (1725).

3) البقرة، الآية: 109.

4) النساء، الآية: 54.

5) [المائدة:90،91]

6) [البقرة:278-280]

إن المال ينبغي أن يعطى للمحتاج قرضاً حسناً بلا فائدة لتنتشر في المجتمع روح المودة والرحمة والسلام والتضامن.

9- نهيه صلى الله عليه وسلم وتحذيره من الوقوع في صفات المنافقين وخصالهم التي تؤدي بصاحبها إلى التفرق والبغضاء وفقدان الأمن والسلام. قال صلى الله عليه وسلم : «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[1].

10- تحريم إيذاء إيذاء الجار، قال صلى الله عليه وسلم: «والله لا يؤمن (ثلاثا) قيل من يارسول الله قال: من لا يأمن جاره بوائقه»[2].

11- إيجاب فريضة الزكاة التي تحقق المحبة والتكافل والسلام في المجتمع المسلم: "إِنما الصدقات لِلْفُقَراءِ والْمساكِين والْعامِلِين علَيها والْمؤلفَةِ قُلُوبهم وفِي الرقَابِ والْغارِمِين وفِي سبِيل اللهِ وابن السبِيل فَرِيضةً مِن اللهِ والله علِيم حكِيم"[3]. وحذر المتصدق بماله من المن به، وجرح نفس المتصدق عليه وذلك في قوله عز وجل: "يا أيها الذِين آمنوا لا تبطِلُوا صدقَاتِكُم بِالْمن والْأذَى"[4]. وكذا الحث على إطعام الطعام كما قال عز وجل في وصف الأبرار من عباده: "يوفُونَ بِالنذْر ويخافُونَ يوماً كَانَ شره مستطِيراً إِنما نطْعِمكُم لِوجهِ اللهِ لا نرِيد مِنكُم جزاءً ولا شكُوراً"[5].

12- النهي عن زجر اليتيم والسائل. قال تعالى: "فَأَما الْيتِيم فَلا تقْهر وأَما السائِلَ فَلا تنهر"[6] والحث على إطعامهما ورحمتهما والتضامن معهما.

13- وشرع العقوبة على الزاني المحصن حد الرجم، وغير المحصن جلد مائة جلدة كما قال تعالى: "الزانِيةُ والزانِي فَاجلِدوا كُل واحِدٍ مِنهما مِائَةَ جلْدةٍ ولا تأْخذْكُم بِهِما رأْفَةٌ فِي دِين اللهِ إِنْ كُنتم تؤمِنونَ بِاللهِ والْيومِ الْآخِرِ ولْيشهد عذَابهما طَائِفَةٌ مِن الْمؤمِنِين"[7]. وحفاظاً على أمن النفوس شرع عقوبة القصاص في القتل والجراحات وبين الحكمة في ذلك بقوله تعالى: "ولَكُم فِي الْقِصاصِ حياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعلَّكُم تتقُونَ"[8].

---

1) رواه البخاري ومسلم ، صحيح الترغيب والترهيب - الألباني (2999).

2) رواه البخاري ، صحيح الترغيب والترهيب - الألباني (2551).

3) [التوبة:60]

4) [البقرة:264]

5) [الإنسان: 7-9]

6) [الضحى: 9،10]

7) [النور:2]

8) [البقرة:179]

14- شرع لحفظ الأموال والممتلكات عقوبة قطع يد السارق وذلك في قوله تعالى: "والسارق والسارِقَةُ فَاقْطَعوا أيدِيهما جزاءً بِما كَسبا نكَالاً مِن اللهِ والله عزِيز حكِيم"[1].

والإسلام عندما شرع الحدود، والعقوبات لحفظ أمن المجتمع قد بدأ قبل ذلك بسد الذرائع المفضية إلى هذه الجرائم، والتذكير بمراقبة الله عز وجل، والخوف من سخطه وعذابه. ومع ذلك فهنالك في المجتمعات أناس لا ينفع فيهم الوعظ ولا التذكير، ولا يلتزمون بترك الوسائل المفضية إلى الجريمة فعندها تأتي الحدود التي من شأنها أن تحفظ للبيوت، والمجتمعات أمنها وسلامتها. ومن العجائب والغرائب أن ينبري أعداء هذا الدين من الكفار والمنافقين، ويصفون هذه الحدود والعقوبات أنها قسوة ووحشية "كَبرت كَلِمةً تخرج مِن أفْواهِهم إِنْ يقُولُونَ إِلا كَذِباً"[2] وعميت أبصارهم وبصائرهم عن هذه الجرائم وما تحدثه في الأفراد والبيوت، والمجتمعات من جرائم فظيعة، ووحشية عاتية في الأنفس والأموال والأعراض. لكنها عندهم ليست قاسية، ولا وحشية لملائمتها لأهوائهم وشهواتهم وأفكارهم العفنة.

يقول سيد قطب[3] رحمه الله تعالى: (وتسمع من الببغاوات هنا، ومن الشاردين هناك أنها عقوبة قاسية. أما تحطيم البيوت، وقلق الضمائر، وتدليس الأنساب، فما هي بقاسية. قاسية لأن المترفين والمترفات، والداعرين والداعرات، يحسون – وهم يصفونها بالقسوة- وقع السياط على جلودهم الناعمة المترهلة، ونفح الأحجار في أجسادهم اللينة الرخيصة. إنهم يدافعون عن أنفسهم وهم يتشدقون باسم القوانين المتحضرة، وينعتون حدود الإسلام بالقسوة أو بالهمجية. وهم الهمج المنتكسون إلى حياة البهيمية الأولى)[4].

15- تحريم الرشوة والغلول، والأكل من المال العام بغير حق، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي»[5]وقال تعالى في الغال: "ومن

---

1) [المائدة: 38]

2) [الكهف:5]

3) (سيد قطب) (1324 - 1387 ه = 1906 - 1967 م) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط.تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة 1353 ه (1934 م) وعمل في جريدة الاهرام.وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف.ثم (مراقبا فنيا) للوزراة.وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا (1948 - 51) ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الانجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الاسلامية.وبنى على هذا استقالته (1953) في العام الثاني للثورة.وانضم إلى الاخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (1953 - 54) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها، وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم رحمه الله .وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق).الاعلام للزركلي 3/ 148.

4) في ظلال القرآن

5) رواه داود (3580) وابن ماجه (2313) بسند صحيح .

يغلُلْ يأتِ بِما غَل يوم الْقِيامةِ... الآية"[1] وقال صلى الله عليه وسلم : «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»[2].

16- تحريم الاعتداء على مال المسلم بالغصب، أو التحايل، أو تغيير منار الأرض، أو أخذ المكوس والضرائب بغير حق، أو إنكار الدين والأمانة وعدم ردها إلى أهلها. قال الله تعالى: "إِن الله يأمركُم أنْ تؤدوا الأماناتِ إِلى أهلِها... الآية"[3] وقد مر قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام... الحديث»[4] وقال أيضاً: «من ظلم شبرا من الأرض طوقه من سبع أرضين»[5]، ومن أكل المال بالباطل التحايل بأكله بالقمار والميسر والخداع.

17- تحريم شهادة الزور على مسلم لأكل ماله، وضياع حقه قال صلى الله عليه وسلم : «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة، قال رجل : وإن كان شيئاً يسيرا يارسول الله؟ فقال: «وإن قضيباً من أراك»[6].

18- تحريم الخيانة والغدر في العقود والعهود، والكذب فيها؛ لأن ذلك من خصال المنافقين؛ وفيها ضياع حق المسلم وذهاب ماله قال الله تعالى: "يا أيها الذِين آمنوا أوفُوا بِالْعقُودِ... الآية"[7] ، وقال صلى الله عليه وسلم «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[8].

وهكذا نرى البون شاسعاً بين المجتمع الإسلامي الذي يسوده الحب، والأمن والسلام، مقارنة بالمجتمعات الكافرة يقول سيد قطب رحمه الله : (والمجتمع الذي ينشئه هذا المنهج الرباني، في ظل النظام الذي ينبثق من هذه العقيدة الجميلة الكريمة، والضمانات التي يحيط بها النفس والعرض والمال.. كلها مما يشيع السلم وينشر روح السلام.

1) [آل عمران: 161]

2) أخرجه البخاري (6 / 165 - 166- فتح) وأحمد (6 / 410) والحاكم (4 /68)

3) [النساء:58]

4) (متفق عليه) مشكاة المصابيح (2659)

5) مسند أحمد: 24548قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

6) أخرجه : مسلم 85/1 (137) (218) .

7) [المائدة:1]

8) رواه البخاري ومسلم ، صحيح الترغيب والترهيب - الألباني (2999).

هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق. هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صوره. ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب، تختلف درجة صفائه، ولكنه يظل في جملته خيراً من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر، وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية!...

ولا يدرك معنى هذا السلم حق إدراكه من لا يعلم كيف تنطلق الحيرة، وكيف يعربد القلق في النفوس التي لا تطمئن بالإيمان في المجتمعات التي لا تعرف الإسلام، أو التي عرفته ثم تنكرت له. هذه المجتمعات الشقية الحائرة على الرغم من كل ما قد يتوافر لها من الرخاء المادي والتقدم الحضاري، وسائر مقومات الرقي في عرف الجاهلية الضالة التصورات المختلة الموازين.

وحسبنا مثل واحد مما يقع في بلد أوربي من أرقى بلاد العالم كله وهو «السويد» حيث يخص الفرد الواحد من الدخل القومي ما يساوي خمسمائة جنيه في العام. وحيث يستحق كل فرد نصيبه من التأمين الصحي، وإعانات المرض التي تصرف نقداً، والعلاج المجاني في المستشفيات. وحيث التعليم في جميع مراحله بالمجان، مع تقديم إعانات ملابس وقروض للطلبة المتفوقين، وحيث تقدم الدولة حوالي ثلاثمائة جنيه إعانة زواج لتأثيث البيوت.. وحيث وحيث من ذلك الرخاء المادي والحضاري العجيب..

ولكن ماذا؟ ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري، وخلو القلوب من الإيمان بالله؟

إنه شعب مهدد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط! والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق النزوات وتبرج الفتن وحرية الاختلاط! والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات، ليعوض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة. والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب. ثم الانتحار.. والحال كهذا في أمريكا.. والحال أشنع من هذا في روسيا..)[1].

---

1) في ظلال القرآن 1/ 188

المبحث الثاني: القيام بواجب النصح لهم .

وذلك عملاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم في صحيحة من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري[1] رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الدين النصيحةُ)) قلنا : لمن ؟ قال : ((للهِ ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولأئمةِ المسلمين وعامتِهم))2. فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النصيحة هي الدين بقوله »الدين النصيحة

قال الحافظ أبو نعيم[3] : " هذا الحديث له شأن عظيم "[4] .

وقد نقل ابن رجب عن محمد بن أسلم الطوسي[5] ، أنه قال عن حديث تميم : إنه أحد أرباع الدين[6]. بل قال النووي رحمه الله : " هذا حديث عظيم لشأن ، وعليه مدار الإسلام ، وأما ما قاله جماعات من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام أي أحد الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوه ، بل المدار على هذا وحده "[7] .

قال أبو حاتم البستي[8] رحمه الله : " الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة ، وترك الخيانة لهم بالإضمار والقول والفعل معاً ، إذ إن المصطفي صلى الله عليه وسلم كان يشترط على من بايعه من أصحابه ((النصح لكل مسلم))[9]. [10] .

---

1) تميم الداري (000 - 40 ه = 000 - 660 م) تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية: صحابي، نسبته إلى الدار بن هانئ، من لخم.أسلم سنة 9 ه، وأقطعه النبي صلى الله عليه وسلم قرية حبرون (الخليل - بفلسطين) وكان يسكن المدينة.ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان.فـ ل بيت المقدس.وهو أول من أسرج السراج بالمسجد.وكان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين.مات في فلسطين. الأعلام للزركلي2/ 87.

2) صحيح مسلم كتاب الإيمان (74/1 رقم 55) .

3) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران أبو نعيم الحافظ سبط محمد بن يوسف بن البناء الأصبهاني، تاج المحدثين وأحد أعلام الدين له العلو في الرواية والحفظ والفهم والدراية وكانت الرحال تشد إليه. وصنف مصنفات كثيرة منها " حلية الأولياء " و " المستخرج على الصحيحين "، ولد أبو نعيم سنة ست وثلاثين وتوفي سنة ثلاثين وأربعمائة. الوافي بالوفيات2/ 402.

4) انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب (185/1).

5) ابن أسلم الطوسى محمد بن اسلم الأمام أبو الحسن الطوسى الكندي أحد الأبدال الحفاظ، صنف المسند والأربعين وغير ذلك توفي لخمس بقين من المحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين. الوافي بالوفيات1/ 234.

6) نفس المصدر السابق .

7) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم (37/2) .

8) (أبو حاتم البستي) * (..- 354 ه =..- 965 م) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي، ويقال له ابن حبان: مؤرخ، علامة، جغرافي، محدث. وهو أحد المكثرين من التصنيف.قال ياقوت: أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، وكانت الرحلة في خراسان إلى مصنفاته.من كتبه (المسند الصحيح)، الأعلام للزركلي6/ 78.

9) رواه البخاري (كتاب الإيمان باب 42 رقم 57) ، مسلم (كتاب الإيمان باب 97 رقم 199) .

10) انظر : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (194) .

وقال أيضاً : " خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة ، كما أن خير الأعمال أحمـدها عاقبـة وأحسنها إخلاصاً ، وضرب الناصح خير من تحية الشانئ[1].اهـ .

وفي أهمية النصح يقول أبو داود رحمه الله ما نصه : ((كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث ، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب – يعني كتاب السنن – جمعت فيـه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، ويكفي الإنسان لدينه مـن ذلك أربعة أحاديث ......))[2] وذكره منها قوله صلى الله عليه وسلم : ((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه))[3].

قال الحسن : وقال بعض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - : والذي نفسي بيده إنْ شئتم لأقسمن لكم بالله إن أحب عبادِ الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ، ويسعون في الأرض بالنصيحة4.

والنصيحة للخلق لها منزلة عالية، ودرجة رفيعة، لا ينالها إلا من من الله عليه بالهداية والتوفيق ، وقال ابن عليّةَ[5] في قول أبي بكر المزني[6] : ما فاق أبو بكر - رضي الله عنه - أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصومٍ ولا صلاةٍ ، ولكن بشيء كان في قلبه ، قال : الذي كان في قلبه الحب لله - عز وجل - ، والنصيحة في خلقه .

وقال الفضيلُ بن عياض : ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام ، وإنما أدرك عندنا بسخاءِ الأنفس ، وسلامةِ الصدور ، والنصح للأمة.

وقال الإمام أحمد رحمه الله : ليس على المسلم نصح الذمي ، وعليه نصح المسلم . وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((والنصح لكل مسلم ، وأنْ ينصح لجماعةِ المسلمين وعامتهم)) [7].

---

1) انظر : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (194) .

2) مقدمة مختصر سنن أبي داود عن أبي بكر : محمد بن بكر بن داسة ، يرويه عن أبي داود (1 / 6) .

3) أخرج الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى اله عليه وسلم قال : ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) صحيح البخاري : كتاب الإيمان (رقم 13) صحيح مسلم (1 / 67 رقم 71) .

4) جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم / الحديث السابع 13/9.

5) اسماعيل بن إبراهيم بن مقسم أبو بشر الأسدي مولاهم البصري الإمام ابن علية وهي أمه وأصله كوفي. قال أبو داود: ما أحد من المحدثين إلا وقد أخطأ إلا ابن علية وبشر بن المفضل. توفي في حدود المائتين. الوافي بالوفيات3/ 194.

6) إسماعيل بن يحيى أبو إبراهيم الفقيه المصري المعروف بالمزني صاحب الشافعي رضي الله عنه، كان زاهداً عالماً مجتهداً مناظراً محجاجاً غواصاً على المعاني الدقيقة، صنف كتباً كثيرة: الجامع الكبير والجامع الصغير ومختصر المختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب في العلم والوثائق. قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي. وكان مجاب الدعوة، وكان يغسل الموتى تعبداً وديانةً، وقال: تعانيت ذلك ليرق قلبي فصار عادةً، وهو الذي غسل الشافعي. وكان رأساً في الفقه، وتوفي لست بقين من رمضان سنة أربع وستين ومائتين. الوافي بالوفيات3/ 251.

7) المصدر السابق.

ويدل على ما للنصح من قيمة حديث جرير بن عبد الله البجلي[1] : »بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على النصح لكل مسلم«[2].

هذا وإن من اعظم النصح لأهل القبلة من المسلمين السعي إليهم بكل أنواع النفع ، إذ يندرج في باب النصيحة إلى عامة المسلمين كل ما يدخل في إيصال النفع إلى الناس.

لأنه من الإحسان الذي أمر الله به في كتابه فقال (إِن الله يأمر بِالعدل والِإحسان ..)[3] ، وقال سبحانه: (لِلذِين أحسنوا فِي هذِهِ الدنيا حسنةٌ) ، ويقول تعالى أيضاً: [4](إِنْ أحسنتم أحسنتم لأنفُسِكُم)[5]

ويكفينا أن السعي في نفع الخلق كان من صفات النبي - صلى الله عليه وسلم - و أخلاقه ، كما قالت خديجة:" كَلا واللهِ، ما يخزيك اللهُ أبدًا، إنك لَتصِلُ الرحِم، وتحمِلُ الْكَل، وتكْسِب الْمعدوم، وتقْرِي الضيف، وتعِين على نوائِبِ الْحق"[6]

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا سئل عن حاجة لم يرد السائل عن حاجته . قال جابر : ما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا قط فقال : لا "[7]

وقد شابه الصديق أبوبكر رضي الله عنه نبيه - صلى الله عليه وسلم - في صفاته حتى وصفه بذلك رجل من المشركين، وذلك " لما ابتلي المسلمون : خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغَ بِرك الغِماد[8]، لَقِيه ابن الدغُنة[9] - وهو سيد القارة - فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟

---

1) جرير بن عبد الله البجلي، بفتح الباء ثاني الحروف، الأحمسي اليمني.وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم في رمضان وكان بديع الجمال مليح الصورة إلى الغاية، طويلاً يصل إلى سنام البعير وكان نعله ذراعاً.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على وجهه مسحة ملك.. وقال عمر: جرير يوسف هذه الأمة.وقال جرير: أسلمت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً. نزل الكوفة وسكنها زماناً ثم انتقل إلى قرقيسيا ومات ا سنة إحدى وخمسين وقيل سنة أربع وخمسين ، الوافي بالوفيات4/ 10.

2) رواه مسلم(4156).

3) (النحل:90)

4) (النحل:30)

5) (الاسراء:7)

6) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان 1/ 48.

7) أخرجه البخاري ومسلم ، جامع الأصول من أحاديث الرسول 1/ 3024.

8) برك الغماد بفتح أوله للأكثر وقيل بالكسر وسكون الراء وضعف فتحها موضع في أقاصي هجر وقيل في طرف اليمن وقيل وراء مكة بخمس ليال وله تتمة في الغين المعجمة قوله برك الجمل بحركات أي استناخ وبرك بالتشديد من البركة، مقدمة الفتح:85.

9) ضم المهملة والمعجمة وتشدِيد النون عِند أهل اللغة ، وعِند الرواة بِفتح أوله وكسر ثانِيه وتخفِيف النون، ومعنى الدغِنة المسترخِية وأصلها الغمامة الكثِيرة المطر ، واختِلف فِي اسمه فعِند البلاذرِي مِن طرِيق الواقِدِي عن معمر عن الزهرِي أنه الحارِث بن يزِيد ، وحكى السهيلي أن اسمه مالِك الفتح:11/ 236.

فقال أبو بكر: أخرجني قومي، وأريد أن أسِيح في الأرض، فأعبد ربي. فقال ابن الدغِنة: فإن مِثْلَك يا أبا بكر لا يخرج ، ولا يخرج. إنك تكْسِب المعدوم. وتصِلُ الرحم. وتحمل الكلّ. وتقْري الضيف. وتعين على نوائب الحق. فأنا لك جار. فارجع ، فاعبد ربك ببلدك ، فرجع. وارتحَلَ معه ابن الدغنة. فطاف ابن الدغْنة في أشراف كفار قريش. فقال لهم :ـإن أبا بكر لا يخرج مثله. أتخرجونَ رجلا يكْسِب المعدوم ، ويصل الرحم، ويحمل الكلّ، ويقري الضيف. ويعين على نوائب الحق؟ فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة - وفي رواية : فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة - وآمنوا أبا بكر ، وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فَلْيعبد ربه في داره. وليصلّ فيها. وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلِن به. فإنا نخشى أن يفْتِن نساءَنا وأبناءَنا ..الحديث1.

والنبي –صلى الله عليه وسلم - اخبر أن أحب الناس إلى الله انفعهم للناس كما ورد في الحديث الصحيح :(" المؤمن يألف و يؤلف و لا خير فيمن لا يألف ، و لا يؤلف و خير الناس أنفعهم للناس "2 .

لأن الناس عباد الله فان نفعهم نعمة يسديها الإنسان ويدفع عنه نقمه ويرتفع شرفا وقدرا بدفع الآخرين .قال ابن القيم - رحمه الله - :" وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الامم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها على أن التقرب إلى رب العالمين وطلب مرضاته والبر والاحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير واضدادها من أكبر الاسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمة الله بمثل طاعته والتقرب اليه والاحسان إلى خلقه "[3]

ولهذا كان علي بن الحسين[4] - رحمه الله - يجعل معه جرابا فيه خبز فيتصدق به ويقول إن الصدقة تطفئ غضب الرب[5] ، وكان يحمل الخبز إلى بيوت المساكين في الظلام فلما مات فقدوا ذلك ، كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معاشهم فلما مات علي بن الحسين

---

1)رواه البخاري (2297).

2) رواه أحمد و الطبراني و إسناده جيد، و قد أورده الهيثمي في " ا مع " (10 / 273 - 274) وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" 1 / 712

3) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء) 1/ 9

4) زين العابدين (38 - 94 ه = 658 - 712 م) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين: رابع الائمة الاثني عشر عند الامامية، وأحد من كان يضرب م المثل في الحلم والورع.يقال له: " علي الاصغر " للتمييز بينه وبين أخيه " علي " الاكبر، المتقدمة ترجمته قبل هذه.مولده ووفاته بالمدينة. قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت زين العابدين. وليس للحسين " السبط " عقب إلا منه ، الأعلام للزركلي4/ 277.

5) تاريخ دمشق ابن عساكر 41/ 384.

فقدوا ذلك الذي كان يأتيهم بالليل . عن عمرو بن ثابت: لما مات علي بن الحسين وجدوا بظهره أثرا، فسألوا عنه، فقالوا: هذا مما كان ينقل الجرب بالليل على ظهره إلى منازل الارامل[1].
قال ابن القيم - رحمه الله - في وصف شيخ الإسلام ابن تيميه : كان شيخ الإسلام يسعى سعيا شديدا لقضاء حوائج الناس .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره»2. والأجر في نفع المسلمين عظيم فقد جاء في الصحيحين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال (من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله ا عنه كربه من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) زاد ابن أبي الدنيا (ومن مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام) [3].
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ فقال: " أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ،وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهرا ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضي ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام"[4]
قال ابن عباس - رضي الله عنه - من مشى بحق أخيه ليقضيه فله بكل خطوة صدقة
وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - كل مسلم يستطيع أن ينفع أخاه المسلم بأي وجه من وجوه النفع أن ينفعه فقال (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل)[5]
هذا ونفع الناس موازين و أفضليات عن أبي ذر[6] قال : " قلت : يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال الإيمان بالله ، و الجهاد في سبيله . قال : قلت : أي الرقاب أفضل ؟ قال :أنفسها عند أهلها

1) ذيب الكمال: جمال الدين ابى الحجاج يوسف المزي 20/ 392.
2 - رواه الترمذي عن ابن عمر وقال حديث حسن.
3) حسنة العلامة الألباني في صحيح الترغيب 2/ 358.
4) رواه الأصبهاني واللفظ له ورواه ابن أبي الدنيا عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمه ، والحديث حسن لغيره : أنظر :صحيح الترغيب والترهيب (2623).
5) أخرجه مسلم (7 / 18 - 19) و أحمد (3 / 382).
6) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وقيل: جندب بن سكن.قيل: كان خامس خمسة في الاسلام. وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان. صدق فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك !. تاريخ الاسلام: 2 / 111

، و أكثرها ثمنا . قال : قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : تعين صانعا ، أو تصنع لأخرق ، قال : قلت : يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : تكف شرك عن الناس ، فإ ا صدقة منك على نفسك "[1]

وفي الحديث إشارة إلى أن إعانة الصانع أفضل من إعانة غير الصانع مظنة الإعانة لأن الصانع فيه حرفة ومهارة بصنعته قد يغفل عن إعانته .

إن أوجه النفع كثيرة جدا وكلما كان العمل انفع للعباد كان أفضل عند الله - سبحانه وتعالى - النفع المتعدي مقدم بالجملة على النفع القاصر كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (إن في المدينة رجالا ما سلكتم واديا ولا قطعتم شعبا إلا كانوا معكم) يعني شاركوكم في الأجر (قالوا : كيف وهم في المدينة ؟ قال : حبسهم العذر)

من ضمن النفع المتعدي نصرة المظلوم والظالم ، كيف نصرة الظالم ؟ تحجزه وتمنعه من الظلم فإن ذلك من نصره (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة) ولذلك أنت تقول في ا لس : اسكت لا نعلم عليه إلا خيرا ، إذا كان ذلك كذلك .

نعينهم على الطاعة يئ المساجد خصوصا في رمضان نخدم المعتكفين ، النبي - عليه الصلاة والسلام - اهتم يصلي على جنازة شخص كان ينظف المسجد بعد شهر لماذا ؟ لان عمله عظيم في خدمة الناس وربما فاق من خدم الصائمين في السفر فذهب بالأجر والثواب لان نفعه إحسان تعدى إليهم والى غيرهم كما قال - عليه الصلاة والسلام - لما قام المفطرون وابتعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا قال (ذهب المفطرون اليوم بالأجر) ضربوا الخيام نصبوها سقوا الإبل ، الصوام سقطوا .الصيام في السفر نافلة (ذهب المفطرون بالأجر) لماذا ؟ نفعهم تعدى إلى غيرهم .

المسلم ينفع غيره ولو كان جالسا في الطريقة ولو كان ماشيا في الشارع ولذلك النبي - عليه الصلاة والسلام - لما قال (أعطوا الطريق حقه) ماذا قال ؟ (غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وجاء في روايات أخرى (وتغيث الملهوف و دوا الضال) جمعها ابن حجر الروايات في قوله :

جمعت آداب من رام الجلوس على الطريق من قول خير الخلق إنسانا
أفشى السلام وأحسن في الكلام وشمت عاطسا وسلاما رد إحسانا
في الحمل عاون ومظلوما اعن و أغث لهفانا في سبيلا واهدي حيرانا
بالعرف مر و أ ى عن نكر وكف أذى وغض طرفا واكثر ذكر مولانا

1) أخرجه البخاري (3 / 117) و في " الأدب المفرد " (34 ، 46) و مسلم (1 / 62) و أحمد (5 / 150 ، 171)

لما فقه الصحابة هذا جادوا بأنفس أموالهم بسخاوة نفس عن أنس بن مالك قال : كان أبو طلحة[1] أكثر أنصاري بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبل المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة فقال يا رسول الله إن الله تعالى يقول : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحب مالي إلي بيرحاء وإ ا صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بخ بخ ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين " . فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وفي بني عمه2

و" لما نزلت { من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له } قال أبو الدحداح الأنصاري[3] : يا رسول الله وإن الله عز وجل ليريد منا القرض قال : نعم يا أبا الدحداح قال أرني يدك يا رسول الله فناوله يده قال : فإني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي - قال بن مسعود - وحائط له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح[4] فيه وعيالها قال : فجاء أبو الدحداح فناداها : يا أم الدحداح قالت لبيك قال : أخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل "[5]

1) زيد بن سهل بن الأسود بن حرام أبو طلحة الأنصاري الخزرجي النجذاري زوج أم سليم أم أنس بن مالك شهد العقبة الثانية والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وكان أحد نقباء الأنصار الاثني عشر وعاش أبو طلحة بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم أربعين سنة يسرد الصوم . وتوفّي بالشأن وهو ابن سبعين سنة وتوفّي سنة اثنتين أو أربع وثلاثين وروى له الجماعة ، الوافي بالوفيات1/ 2003.

2) متفق عليه ، مشكاة المصابيح (1945).

3) ثابت بن الدحداح ؛ هو أبو الدحداح الأنصاري شهد أحداً وقتل ا شهيداً طعنه خالد بن الوليد برمح فأنفذه وقيل إنه مات على فراشه مرجع النبي صلى الله عليه و سلم من الحديبية الوافي بالوفيات1/ 1482.

4) أم الدحداح امرأة أبي الدحداح. وأخرج أحمد من طريق شعبة عن سماك عن جابر بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على أم الدحداح.هذه رواية أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبة ورواه عن حجاج بن محمد عن شعبة فقال: صلى على أبي الدحداح أو بن الدحداح وهكذا هو عند مسلم وأبي داود والترمذي من طرق عن شعبة ووقع عند مسلم عن محمد بن المثنى عن محمد بن جعفر بالشك عن أبي الدحداح أو بن الدحداح. الإصابة في معرفة الصحابة 87/4.

5) صحيح أخرجه ابن جرير في تفسيره وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير من طريق خلف وهذا اسناد ضعيف ورواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وله شواهد أخرى : تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت - 1405 ه- 1984 م :76/1.

عن جابر بن سمرة[1] قال : صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ابن الدحداح ثم أتى بفرس عري ونحن نمشي حوله فقال (كم من عذق معلق أو مدلا في الجنة لابن الدحداح) كم من عذق غصن النخلة.

ثم إن مثل ذلك من النفع له أثره في قسمة الأرزاق بين الخلائق والمفارقة بينهم ، وتثبيت نعم الله عند الناس، ونزعها من آخرين لا يقومون بإيصالها إلى من ينتفع ا، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن لله أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم"[2] وفي رواية للطبراني[3] : (إن لله عند أقوام نعماً يقرها عندهم ما كانوا في حوائج الناس، ما لم يملوا، فإذا ملوا نقلها إلى غيرهم)4.

ويعلمنا النبي - عليه الصلاة والسلام - مجالات أخرى أيضا في نفع الناس ونفع الخلق حتى عن أبي سعيد الخدري قال : بينما نحن في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل على راحلة فجعل يضرب يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له " قال : فذكر من أصناف المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[5].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا تعمل بالخديعة فا ا خلق اللئام وامحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحه وزل معه حيث زال

وأنشدني الكريزي[6] ...

قل للنصيح الذي أهدى نصيحته ... سرا إلينا وسامته التكاليف

---

1) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن حجير بن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة العامري السوائي حليف بني زهرة وأمه خالدة بنت أبي وقاص أخت سعد بن أبي وقاص.له ولأبيه صحبة أخرج له أصحاب الصحيح. زل الكوفة وابتنى ا داراً وتوفي في ولاية بشر على العراق سنة أربع وسبعين. الإصابة في معرفة الصحابة 1/ 142.

2) قال المنذري في " الترغيب " (3 / 250) : " رواه ابن أبي الدنيا و الطبراني في " الكبير " و " الأوسط " ، و لو قيل بتحسين إسناده لكان ممكنا " . ووافقه على تحسين الحديث بمجموع طرقه وشواهد الألباني في " السلسلة الصحيحة " 4 / 264.

3) (الطبراني) (260 - 360 ه = 873 - 971 م) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم: من كبار المحدثين.أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته.ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، وتوفي بأصبهان.له ثلاثة (معاجم) في الحديث، الأعلام للزركلي2/ 121.

4) قال الهيثمي في مجمع الزوائد 122/8:رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمرو بن الحصين وهو متروك. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل من حوائج الناس إليه، فتبرم، فقد عرض تلك النعمة للزوال".رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده جيد.

5) رواه مسلم وأحمد وأبوداود : صحيح الجامع (6497).

6) الكريزي المكي محمد بن عبد الجبار الكريزي المكي يكنى أبا بكر قال ابن المرزبان : كان شاعر مكة في زمن المتوكل وكان يتعصب على أبي تمام الطائي . الوافي بالوفيات1/ 384.

... النصح ليس له حد فتعرفه ... والنصح مستوحش منه ومألوف ...
حتى إذا صرحت عنا عواقبه ... كانت لنا عظة منه وتعنيف ...
لو كان للنصح حد يستبان به ... ما نالنا حسرة منه وتلهيف ...
لكن له سبل شتى مخالفة ... بعض لبعض فمجهول ومعروف ...
والناس غاو وذو رشد ومختلط ... والنصح ممضي ومردود وموقوف

ويجب أن يكون للعاقل نصيحة مبذولة للعامة مكتوما من العام والخاص ما قدر عليه وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له . عن الحسن قال المؤمن شعبة من المؤمن وهو مرآة أخيه إن رأى منه مالا يعجبه سدده وقومه ونصحه السر والعلانية

ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «من نفس عن مؤمن كُربةً مِن كُربِ الدنيا، نفس الله عنه كُربةً مِن كُربِ يومِ الْقِيامةِ، ومن يسر على معسِرٍ يسر الله علَيهِ فِي الدنيا والآخِرةِ، ومن ستر مسلِمًا ستره الله فِي الدنيا والآخِرةِ، ومن سلَك طَرِيقًا يلْتمِس فِيهِ عِلْمًا سهلَ الله لَه بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجنةِ، وما اجتمع قَوم فِي بيتٍ مِن بيوتِ اللهِ يتلُونَ كِتاب اللهِ ويتدارسونه بينهم، إِلا نزلَت علَيهم السكِينةُ وغَشِيتهم الرحمةُ وحفتهم الْملائِكَةُ وذَكَرهم الله فِيمن عِنده، ومن بطأَ بِهِ عملُه لَم يسرِع بِهِ نسبه»1.

ومن النصيحة نشر العلم خاصة ، لأن أعظم نصح للمسلمين بيان الحق لهم ، وشرح حقائق الإسلام ، وتعريفهم بما يجب عليهم ، ورد ما يعلق بالشرع من أهواء مضلة، تصرف الناس عن الكتاب والسنة، وبيان مخالفة تلك الأهواء، ودعوة في شيء منها إلى الاحتكام إلى الكتاب والسنة ، والعودة إليهما .

قال عمر بن عبد العزيز (ولْتفْشوا الْعِلْم، ولْتجلِسوا حتى يعلم من لا يعلم، فَإِن الْعِلْم لا يهلِك حتى يكُونَ سِرا)2. وكأن البخاري أراد رحمه الله بذكر هذا الأثر في باب قبض العلم أن ترك تعليم العلم للناس هو سبب موت العلم وتفشي الجهل.. وهذا كله يدخل في باب (الدين النصيحة).

ومن الخصال المذكورة في الحديث السابق (من ستر مسلما)، فإذا رأيت أخاك على معصية فاستر عليه ولا تفضحه وانصحه، إلا إذا كان يفعل ما يضر غيره فأخبر الأمير بذلك. ولا تتخذ عورة أخيك حديثا للسمر والقِيل والقَال، فإنك مجازى بمثل هذا كما قال رسول الله صلى الله عليه

---

1 - رواه مسلم عن أبي هريرة.

2 - رواه البخاري في كتاب (باب كيف يقبض العلم؟).

وسلم : «من ستر عورةَ أخِيهِ الْمسلِمِ ستر الله عورته يوم الْقِيامةِ، ومن كشف عورةَ أخِيهِ الْمسلِمِ كشف الله عورته حتى يفْضحه بِها فِي بيتِهِ»1.

ومنه الإصلاح بين المسلمين من أهل القبلة ، سواءً كانوا أفراداً أو جماعات ، فما من مجتمع إلا وتحدث فيه المشاحنات بين الناس لاختلاف طبائعهم ولغير ذلك من الأسباب، حتى الصحابة الذين هم خير هذه الأمة كانت تحدث بينهم مشاحنات رضي الله عنهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح بينهم2.

قال تعالى: {فَاتقُوا الله وأَصلِحوا ذَات بينِكُم}3، وقال Y: {لا خير فِي كَثِيرٍ مِن نجواهم إِلا من أمر بِصدقَةٍ أو معروفٍ أو إِصلاحٍ بين الناسِ ومن يفْعلْ ذَلِك ابتِغاءَ مرضاةِ اللهِ فَسوف نؤتِيهِ أجرًا عظِيمًا}4. قال العلامة السعدي :أي: لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه.

ثم استثنى تعالى فقال: {إِلا من أمر بِصدقَةٍ } من مال أو علم أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة كالتسبيح والتحميد ونحوه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة" الحديث.

{ أو معروفٍ } وهو الإحسان والطاعة وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضا لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر. وأما عند الاقتران فيفسر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك المنهي.

{ أو إِصلاحٍ بين الناسِ } والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان كما قال تعالى: { واعتصِموا بِحبلِ اللهِ جمِيعًا ولا تفَرقُوا } وقال تعالى: { وإِنْ طَائِفَتانِ مِن الْمؤمِنِين اقْتتلُوا فَأَصلِحوا بينهما فَإِنْ بغت إِحداهما على الأخرى فَقَاتِلُوا الَتِي تبغِي حتى تفِيءَ إِلَى أمرِ اللهِ } الآية.

---

1 - رواه ابن ماجه عن ابن عباس.

2 - انظر (باب الإمام يأتي قوما فيصلح بينهم). كتاب الأحكام بصحيح البخاري (فتح الباري 13 / 182)

3 - سورة الأنفال، الآية: 1

4 - سورة النساء، الآية: 114

وقال تعالى: { والصلْح خير } والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله.
كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى: { إِن الله لا يصلِح عملَ الْمفْسِدِين } .فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء.
ولكن كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، ولهذا قال: { ومن يفْعلْ ذَلك ابتِغاءَ مرضاةِ اللهِ فَسوف نؤتيهِ أجرًا عظِيمًا } فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم، وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا لأن النية حصلت واقترن ا ما يمكن من العمل[1].
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا أخبِركُم بأفْضلَ مِن درجةِ الصومِ والصلاةِ والصدقَةِ قَالُوا بلى يا رسولَ اللهِ قَالَ إِصلاح ذَاتِ الْبين وفَساد ذَاتِ الْبين الْحالِقَةُ»2.
ويجوز الكذب في الإصلاح بين الناس، فينقل لكل من الطرفين أن الآخر يثني عليه أو يريد أن يأتيه أو غير ذلك، والأولى استخدام المعاريض، قالت أم كلثوم بنت عقبة[3] رضي الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا»4. وروى مسلم عنها مرفوعا جواز الكذب في ثلاث منها في الإصلاح بين الناس
والمقصود أن الإصلاح بين الناس فضيلة عظيمة، ذلك لأن الخلافات والعداوات بين الناس من أعظم ما يهدد وحدة أهل القبلة ، حتى سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحالقة» فقال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر»5، والبغضاء تحلق الدين لأن كثيرا من الوظائف الدينية لا تقوم إلا بالجماعة ولألفة بين المسلمين .
من مجالات الإصلاح :

---

1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 202/1.
2 - رواه الترمذي وصححه عن أبي الدرداء
3) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية. كانت ممن أسلم قديماً وبايعت ،وهاجرت عام الحديبية فجاء أخواها عمارة وفلان ابنا عقبة يطلبا ا فأبى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يردها إليهما وكانت قبل أن اجر بلا زوج فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة ثم تزوجها الزبير بن العوام بعد قتل زيد فولدت له زينب ثم فارقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحميداً ثم مات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهراً وماتت، الإصابة في معرفة الصحابة 4/ 118.

4 - متفق عليه.
5 - رواه أحمد والترمذي عن الزبير بن العوام.

- **الإصلاح** بين الموصي والورثة (فَمن خاف مِن موصٍ جنفاً أو إثْماً فَأصلَح بينهم فَلا إثْم علَيهِ..)[1]

- **الإصلاح** لحقن الدماء شيء عظيم جدا لان الخصومة بين المسلمين تحلق دينهم فتؤدي م للعداوة والبغضاء والظلم والبغي والتعدي كان السعي بإزالتها بالإصلاح اعظم من الصلاة والصيام والصدقة والنافلة

ومما يدخل في باب اسداء النصيحة للمسلمين من أهل القبلة نقل أخبار المشركين ومخططا م إلى المسلمين في أرجاء المعمورة ليحذروها، ومن ذلك قوله تعالى: {وجاءَ رجلٌ مِن أقْصى الْمدِينةِ يسعى قَالَ يا موسى إِن الْملأَ يأتمِرونَ بِك لِيقْتلُوك فَاخرج إِني لَك مِن الناصِحِين}2، ففي هذه الآية تحذير المؤمنين مما يدبره لهم الكافرون من المكر والكيد، ومن النصح للمسلم أن تعينه على التخفي من عدوه، وتساعده في ذلك ما استطعت إذا احتاج إلى ذلك، ومنها تزويد المسلمين بكل ما يعينهم على قتال عدوهم من معلومات وخبرات، مع كتمان أسرار المسلمين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في سياق كلامه عن جهاد المرتدين: [ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم، ولا يحل لأحد أن يعاو م على بقائهم في الجند والمستخدمين، ولا يحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به رسوله، ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر به الله رسوله، فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى، وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: {ياأيها النبِي جاهِد الْكُفار والْمنافِقِين واغْلُظْ علَيهِم}3 وهؤلاء لا يخرجون عن الكفار والمنافقين]4.

ويدخل في ذلك أيضاً تخذيل المشركين: فمن خالط المشركين من المؤمنين لعذر شرعي عليه أن يخذل المشركين عن إيذاء المسلمين وقتالهم ما أمكنه ذلك، كما فعل نعيم بن مسعود τ مع الأحزاب ومع يهود بني قريظة يوم الخندق، وكما فعل مؤمن آل فرعون في قوله تعالى: {وقَالَ رجلٌ مؤمِن مِن آلِ فِرعونَ يكْتم إِيمانه أَتقْتلُونَ رجلا أَنْ يقُولَ ربي الله}5 وما بعدها بسورة غافر.

---

1) البقرة:182

2 - القصص، الآية: 20

3 - التوبة، الآية: 73 ـ التحريم، الآية: 9

4 - (مجموع الفتاوى) ج 35 ص 159

5 - غافر، الآية: 28

وتخذيل المشركين يقتضي بالضرورة عدم إعانتهم بأي كيفية على المسلمين، فإن فاعل هذا قد يؤول به فعلُه إلى الكفر لقوله تعالى: {ومن يتولهم مِنكُم فَإنه مِنهم}1.

وفي الجملة فإنه حق على المسلم أن ينصح المسلمين ، ويحب لهم من الخير ما يحب لنفسه ولا يغشهم ، أو يمنع خيره عنهم ، بل يبذل لهم كل ما يستطيع من علم ومال ودلالة على الخير وإرشاد إلى سبيل الحق ، وما به صلاحهم في أمور الدنيا والآخرة . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : »حق المسلم على المسلم ست« فذكر منها »وإذا استنصحك فانصح له« . وقال أبوعمرو بن الصلاح[2] : النصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ونصرتهم على أعدائهم ، والذب عنهم ، ومجانبة الغش والحسد لهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ،. ويكره لهم ما يكره لنفسه. وما شابه ذلك.

ومن نصحهم دفع الأذى والمكروه عنهم ، وإيثار فقيرهم ، وتعليم جاهلهم ورد من زاغ منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردهم إلى الحق ، والرفق بهم في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، ومحبة إزالة فسادهم ولو حصل له أذى في سبيل ذلك .

ومن النصيحة للمسلمين حسن اختيار الطريقة في وعظهم ، وإرشادهم ، كأن يعظه سراً ، ويدعوه بحكمة، ويأمره وينهاه برفق. قال أبو حاتم رضي الله عنه النصيحة تجب على الناس كافة على ما ذكرنا قبل ولكن إبداؤها لا يجب إلا سرا لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ومن وعظه سرا فقد زانه فابلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أحرى من القصد فيما يشينه

وفي الحديث : عن أَبِي سلامٍ ، قَالَ أبو ذَر:

" على كل نفس في كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه . قلت : يا رسول الله ! من أين أتصدق وليس لنا أموال ؟ قال : لأن من أبواب الصدقة التكبير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأستغفر الله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظمة والحجر وتهدي الأعمى وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها وتسعى بشدة ساقيك إلى اللهفان المستغيث وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف ؛ كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك ولك في جماعك زوجتك أجر . قال أبو ذر : كيف

1) المائدة، الآية: 51

2) عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي نصر الكردي الشهرزوري الشيخ العلامة تقي الدين أحد أئمة المسلمين علماً وديناً أبو عمرو بن الصلاح ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة، تفقه عليه خلائق وكان إماماً كبيراً فقيهاً محدثاً زاهداً ورعاً مفيداً معلّماً. طبقات الشافعية الكبرى8/ 194.

يكون لي أجر في شهوتي ؟ فقال : أرأيت لو كان لك ولد فأدرك ورجوت خيره فمات ؛ أكنت تحتسبه ؟ قلت : نعم . قال : فأنت خلقته ؟ قال : بل الله خلقه . قال : فأنت هديته ؟ قال : بل الله هداه . قال فأنت ترزقه ؟ قال : بل الله كان يرزقه . قال : كذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه فإن شاء الله أحياه وإن شاء أماته ولك أجر"1

المبحث الثالث : معاملة أهل القبلة بمكارم الأخلاق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»2، قال ابن رجب الحنبلي: [قوله صلى الله عليه وسلم : «وخالق الناس بخلق حسن» هذا من خصال التقوى ولا تتم التقوى إلا به، وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه فإن كثيراً من الناس يظن أن التقوى هي قيام بحق الله دون حقوق عباده، فنص له الأمر بإحسان العشرة للناس ـ إلى أن قال ـ وقد روى عن السلف تفسير حسن الخلق، ..عن ابن المبارك قال: هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى، ..وعن الإمام أحمد: حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس]3.

ومحاسن الأخلاق ترجع إلى أصلين:

الأول: الحياء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الحياء لا يأتي إلا بخير»4، وفي رواية لمسلم «الحياء خير كله». ومعلوم أن الحياء شعبة من شعب الإيمان كما في حديث شعب الإيمان المتفق عليه عن أبي هريرة مرفوعا «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»5، وقد نص عليه دون غيره من الشعب في هذا الحديث لأنه كالباعث على أداء بقية الشعب، فمن استحى من الله تعالى أتى بحقوقه سبحانه بترك المنهيات وفعل المأمورات، ومن استحى من الناس أتى بحقوقهم بكف الأذى وجلب النفع.

[والحياء نوعان: أحدهما ما كان خلقا وجبلة غير مكتسب وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها، والثاني ما كان مكتسبا من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربه من عباده

---

1) أخرجه أحمد 168/5(21816) . والنسائي في "الكبرى" 8978 ، السلسلة الصحيحة 575

2 - رواه الترمذي عن معاذ وقال حديث حسن.

3 - جامع العلوم والحكم 158 ـ 160

4 - متفق عليه عن عمران بن حصين.

5 - لفظ البخاري.

واطلاعه عليهم وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور]1، ..فمن قل حظه من النوع الأول فعليه بمجاهدة نفسه لاكتساب الثاني.

الثاني: أن يحب للناس ما يحبه لنفسه وأن يكره لهم ما يكرهه لنفسه، وإذا قلنا إن الحياء يدفع صاحبه إلى أداء حقوق الناس، فنقول هل هناك قاعدة عامة تبين ما هي حقوق الناس، يتبعها من لا يستطيع الإحاطة بتفاصيل الأحكام والآداب الإسلامية؟ والجواب: نعم توجد قاعدة عامة لهذا وهي (أن تحب للناس ما تحب لنفسك من الخير وأن تكره لهم ما تكرهه لنفسك من الشر).

وهذه القاعدة مستفادة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»2، وفي مستخرج الإسماعيلي[3] «حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير». قلت: ومفهومه وحتى يكره لأخيه ما يكرهه لنفسه.

قال ابن رجب: [وحديث أنس الذي نتكلم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد]4.

وفي معنى حديث أنس ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو[5] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه».

وكيفية تطبيق هذه القاعدة يكون بمعرفة أن الأمور الثلاثة: شر لاشك فيه، وخير لاشك فيه، وشيء متردد بينهما، فالشر مطلوب الكف عنه وهو ما أشرنا إليه بكف الأذى، والخير المطلوب فعله وهو ما أشرنا إليه بإيصال النفع إلى الناس قدر الإستطاعة، وأما الأمر الثالث المتردد فيه فعليك بأن تفكر قبل الإقدام هل ترضاه لنفسك أم لا؟ فإن رضيته لنفسك ولم يخالف حكماً شرعياً فأقدم وإلا فلا.

---

1 - جامع العلوم والحكم ص 175

2 متفق عليه عن أنس.

3) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإمام أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني الفقيه الشافعي الحافظ ولد سنة سبع وسبعين ومائتين قال الحاكم : كان واحد عصره وشيخ دهره وشيخ المحدثين والفقهاء وأجلهم في الرياسة والمروءة والسخاء ولا خلاف بين عقلاء الفريقين من هل العلم فيه توفي سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة، الوافي بالوفيات1/ 791.

4 - جامع العلوم والحكم ص 104

5) عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، أبو محمد وأبو عبد الرحمن. أسلم قبل أبيه وكان صحابيا من النساك، كثير العبادة حتى قال له النبي ε :أن لجسدك عليك حقا وأن لزوجك عليك حقا وأن لعينيك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه. كان يكتب في الجاهلية وكان يحسن السريانية، استأذن النبي ε أن يكتب ما يسمع منه فأذن له. كان يشهد الحروب والغزوات ويضرب بسيفين .الأعلام 4 / 250 - .

... فهذه القاعدة (وهي أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك) متضمنة لشقي المعاملة الذين أشرت إليهما آنفا هما كف الأذى وجلب النفع، فما من أحد إلا وهو يحب أن يكف الناس أذاهم عنه وأن ينفعوه، والإيمان يقتضي أن يحب هذا للناس كما يحبه لنفسه وإن لم يعامله الناس هكذا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، ومن لم يجد فبكلمة طيبة»1، وقال صلى الله عليه وسلم : «لا تحقِرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»2.

فإياك والعبوس في وجه إخوانك، وقد قال تعالى في صفة المؤمنين {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}3، وقال تعالى: {أَشِداءُ عَلَى الْكُفارِ رحماءُ بينهم}4.

ومنها خدمة المسلمين : أورد البخاري في كتاب الجهاد من صحيحة (باب فضل الخدمة في الغزو) عن أنس τ قال: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثرنا ظلا الذي يستظل بكسائه، وأما الذين صاموا فلم يعلموا شيئا، وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذهب المفطرون اليوم بالأجر» قال ابن حجر: [قوله «بالأجر» أي الوافر، وليس المراد نقص أجر الصوام بل المراد أن المفطرين حصل لهم أجر عملهم ومثل أجر الصوام لتعاطيهم أشغالهم وأشغال الصوام... قال ابن أبي صفرة: وفيه الحض على المعاونة في الجهاد، وعلى أن الفطر في السفر أولى من الصيام. وأن الصيام في السفر جائز خلافا لمن قال لا ينعقد]5.

قال ابن رجب الحنبلي: [قال مجاهد: صحبت ابن عمر في السفر لأخدمه فكان يخدمني، وكان كثير من الصالحين يشترط على أصحابه أن يخدمهم في السفر، وصحب رجل قوما في الجهاد فاشترط عليهم أن يخدمهم وكان إذا أراد أحدهم أن يغسل رأسه أو ثوبه قال هذا من شرطي]6.

ومنها معرفة حق الكبير والصغير

ومنها مداراة الناس: قال تعالى: {ولا تستوي الْحسنةُ ولا السيئَةُ ادفَع بِالتِي هِي أحسن فَإِذَا الذِي بينك وبينه عداوةٌ كأنه ولي حمِيم}7.

---

1 - متفق عليه عن عدي بن حاتم.

2 - رواه مسلم عن أبي ذر.

3 - سورة المائدة، الآية: 54

4 - سورة الفتح، الآية: 29

5 - فتح الباري 6 / 84

6 - جامع العلوم والحكم ص 299

7 - سورة فصلت، الآية: 34

وأورد البخاري في كتاب الأدب من صحيحة (باب المداراة مع الناس) تعليقا عن أبي الدرداء قال: (إنا لنكْشِر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم) والكشر هو الضحك، وروى البخاري عن عائشة قال: (استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم رجل، قال: ائذنوا له فبئس ابن العشيرة ـ أو بئس أخو العشيرة ـ فلم دخل ألانَ له الكلام. قلت له يا رسول الله: قلت ما قلت ثم ألنت له في القول، فقال: أي عائشة إن شر الناس م لة عند الله من تركه ـ أو ودعه ـ الناس إتقاء فحشه)1، قال ابن حجر: [والنكتة في إيراده هنا للتلميح إلى ما وقع في بعض الطرق بلفظ المداراة، وهو عند الحارث بن أبي أسامة من حديث صفوان بت عال نحو حديث عائشة وفيه «فقال: إنه منافق أداريه عن نفاقه وأخشى أن يفْسِد علّي غيره»]2، وقال ابن حجر أيضا: [المداراة.. من المدافعة، والمراد به الدفع برفق ـ إلى قوله ـ فمما ورد فيه صريحا حديث لجابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مداراة الناس صدقة» أخرجه ابن عدي والطبراني في الأوسط وفي سنده يوسف بن محمد المنكدر ضعفوه، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وأخرجه ابن أبي عاصم في "آداب الحكماء" بسند أحسن منه، وحديث أبي هريرة "رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس" أخرجه البزار بسند ضعيف ـ إلى أن قال ـ قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط، أن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأ ا معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك]3. وقال ابن حجر في موضع آخر: [والفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو و ذا تعلم أن المداراة يحتاج إليها المرء كثيرا عند مخالطة الناس على اختلاف طبائعهم وأخلاقهم، وأ ا من أقوى أسباب الألفة بين الناس، ومن أيسر سبل الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ إن المداراة تقرب بين القلوب فتقبل النصح.

ومنها التكافل، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من كَانَ معه فَضلُ ظَهرٍ فَلْيعد ِبِهِ على من لا ظَهر لَه ومن كَانَ لَه فَضلٌ ِمن زادٍ فَلْيعد ِبِهِ على من لا زاد له قَالَ فَذَكَر ِمن أَصنافِ الْمال ما ذَكَر حتى

1 - حديث 6131

2 - فتح الباري 10 / 529

3 - فتح الباري 10 / 598

رأينا أنه لا حق لأحدٍ مِنا في فَضلٍ»1، وقال صلى الله عليه وسلم : «طعام الإثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»2، وفي رواية لمسلم عن جابر مرفوعا «طعام الواحد يكفي الإثنين وطعام الإثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية».

وقال صلى الله عليه وسلم : «إِن الأَشعريين[3] إِذَا أَرملُوا[4] فِي الْغزو أَو قَل طَعام عِيالِهم بِالْمدِينةِ جمعوا ما كَانَ عِندهم فِي ثَوبٍ واحِدٍ ثُم اقْتسموه بينهم فِي إِناءٍ واحِدٍ بِالسويةِ فَهم مِني وأَنا مِنهم»5.

وأعلى من هذا درجة الإيثار، وأعلى منه الإيثار مع الحاجة وهو المذكور في قوله تعالى: {ويؤثرونَ علَى أَنفُسِهِم ولَو كَانَ بِهِم خصاصةٌ}6.

إن التكافل ركن هام من أركان المجتمع المسلم والجماعة المسلمة، ومن هنا كان الثواب العظيم على كفالة الأيتام والأرامل خاصة. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى»7، وروى عن أبي هريرة مرفوعا «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل».

كما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، روى البخاري عن أنس τ قال: «حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار في داري»، وروى عن عبد الرحمن بن عوف[8] قال: «لما قَدِمنا المدينة آخى النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع[9]»، وكان المهاجر يقاسم الأنصاري داره وماله، حتى أغناهم الله بالفيء والغنائم.

---

1 - رواه مسلم عن أبي سعيد.

2 - متفق عليه عن أبي هريرة.

3) الأشعريون هم أهل اليمن قوم أبي موسى الأشعري.

4) أرملوا: أي فَرغَ زادهم أو قارب الفراغ.

5 - متفق عليه عن أبي موسى.

6 - سورة الحشر، الآية: 9

7 - رواه البخاري عن سهل بن سعد.

8) (عبد الرحمن بن عوف) (44 ق ه - 32 ه = 580 - 652 م) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد، الزهري القرشي: صحابي، من أكابرهم.وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم، وأحد السابقين إلى الاسلام، قيل: هو الثامن.وكان من الاجواد الشجعان العقلاء.اسمه في الجاهلية (عبد الكعبة) أو (عبد عمرو) وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن.ولد بعد الفيل بعشر سنين.وأسلم، وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها.وجرح يوم أحد 21 جراحة.وأعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا.وكان يحترف التجارة والبيع والشراء، فاجتمعت له ثروة كبيرة.وتصدق يوما بقافلة، فيها سبع مئة راحلة، تحمل الحنطة والدقيق والطعام.ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس وبخمسين ألف دينار في سبيل الله.له 65 حديثا.ووفاته في المدينة . الأعلام للزركلي 3/ 321.

9) (سعد بن الربيع) (...- 3 ه =...- 625 م) سعد بن الربيع بن عمرو، من بني الحارث بن الخزرج: صحابي، من كبارهم، كان أحد النقباء يوم العقبة وشهد موقعة بدر، واستشهد يوم أحد. الأعلام للزركلي 3/ 85.

ومن أهم ما يدخل في حسن الخلق، حفظ اللسان ولين القول وحفظ الجناح والتواضع والرفق بالناس ، ويدخل فيه أيضاً كظم الغيظ واحتمال الأذى والعفو والصفح وكل هذا يحتاجه العبد في مخالطة الناس.

وما من شك أن حسن الخلق ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يقيض الله مع يحسن إليه كما أحسن إلى الناس فالجزاء من جنس العمل، وصنائع المعروف تقي من مصارع السوء، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا، ويبارك الله له في رزقه وفي عمره كما سبق في فضب صلة الرحم. وأما في الآخرة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما من شيء يوضع في ميزان العبد أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»1.

إن مكارم الأخلاق هي في ذا ا مظنة توفيق الله تعالى لصاحبها، يستفاد هذا من قول السيدة خديجة[2] رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فزع لما جاءه جبريل في غار حراء أول مرة، فيما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قال: (فَدخلَ علَى خدِيجةَ ِبنتِ خويلِدٍ رضِي الله عنها فَقَالَ: زملُوني زملُوني، فَزملُوه حتى ذَهب عنه الروع، فَقَالَ ِلخدِيجةَ وأخبرها الْخبر: لَقَد خشِيت علَى نفْسِي، فَقَالَت خدِيجةُ: كَلا واللهِ ما يخزيك الله أبدًا،ِ إنك لَتصِلُ الرحِم وتحمِلُ الْكَل وتكْسِب الْمعدوم وتقْرِي الضيف وتعِين علَى نوائِبِ الْحق) وزاد في رواية (وتصدق الحديث) وقولها (ما يخزيك) من الخزي، فاستدلت السيدة خديجة رضي الله عنها على قولها (واللهِ ما يخزيك الله أبدًا) استدلت بأمر استقرائي وصفته بأصول مكارم الأخلاق3، قلت:

---

1 - رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي الدرداء.

2) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي صلى الله عليه و سلم وأول من صدقت ببعثته مطلقا قال الزبير بن بكار كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة وأمها فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لؤي، وكان تزويج النبي صلى الله عليه و سلم خديجة قبل البعثة بخمس عشرة سنة وقيل أكثر من ذلك وكانت موسرة، وولدت من رسول الله صلى الله عليه و سلم أولاده كلهم إلا إبراهيم، وكانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء به فخفف الله بذلك عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فكان لا يسمع شيئا يكرهه من الرد عليه فيرجع إليها إلا تثبته و ون عليه أمر الناس ، وفي الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب وعند مسلم من رواية عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن علي أنه سمعه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول خير نسائها خديجة بنت خويلد وخير نسائها مريم بنت عمران، وفي الصحيح عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا ذبح الشاة يقول أرسلوا إلى أصدقاء خديجة فقال فذكرت له يوما فقال إني لأحب حبيبها قال ابن إسحاق كانت وفاة خديجة وأبي طالب في عام واحد وكانت خديجة وزيد صدقا على الإسلام وكان يسكن إليها وقال غيره ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح وقيل بأربع وقيل بخمس. الإصابة في تمييز الصحابة 7/ 604 .

3 - فتح الباري 1 / 24

وقد كان هذا في بدء البعثة مما يدل على أن هذا كان مقررا أيضا عند أهل الجاهلية وهو أن مكارم الأخلاق مظنة النجاح والتوفيق.

وما قالته السيدة خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم وصف به ابن الدغِنة أبا بكر τ، وكان رضي الله عنه خير هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم .قال ابن حجر: فِي الْهجرة أن ابن الدغُنة وصف أبا بكْر الصديق بِنظِير ما وصفَت بِهِ خدِيجة رسول الله صلى الله علَيهِ وسلم سواء مِن كَونه يصِل الرحِم ويحمِل الْكَلّ ويعِين على نوائِب الْحق وغَير ذَلِك ، فَلَما كانت صِفَا ما متشابِهة مِن الابتداء استمر ذَلِك إلَى الانتِهاء[1]

ذا ترى أن مكارم الأخلاق مظنة النجاح والتوفيق، قال تعالى: {ومن يتق الله يجعلْ له مِن أمرِهِ يسرًا}2، وقال سبحانه: {فَاصبِر إِن الْعاقِبةَ لِلْمتقِين}3، وهذا كله يدخل تحت قاعدة الطاعات الواردة في قوله تعالى {ولَو أنهم فَعلُوا ما يوعظُونَ بِهِ لَكَانَ خيرًا لَهم وأَشد تثْبِيتًا}4، وهذه القاعدة هي فرع من القاعدة العامة للنصر الوارد في قوله تعالى: {إِنْ تنصروا الله ينصركُم ويثَبت أَقْدامكُم}5...ولذلك فإن الخلل في السلوك وعدم تحلي بعض المسلمين بالقَدر الواجب من محاسن الأخلاق كل هذا يؤخر قيام المسلمين بما يجب عليهم من الواجبات الدينية الجماعية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحو ذلك.

ومن دلك أيضاً التيسير والرفق فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»6، قال ابن حجر: [والمراد تأليف من قَرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل، وكذلك تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبا الإزدياد، بخلاف ضده، والله أعلم]7.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِذَا صلى أَحدكُم لِلناس فَلْيخفف فَإِن مِنهم الضعِيف والسقِيم والْكَبِير وإِذَا صلى أَحدكُم لِنفْسِهِ فَلْيطَولْ ما شاءَ» 8، وعن أَبِي مسعودٍ[1] قَالَ قَالَ رجلٌ

1) فتح الباري 8/ 283

2 - سورة الطلاق، الآية: 4

3 - سورة هود، الآية: 49

4 - سورة النساء، الآية: 66

5 - سورة محمد، الآية: 7

6 - رواه البخاري عن أنس

7 - (فتح الباري) 163/1

8 - رواه البخاري عن أبي هريرة

يا رسولَ اللهِ إني لأتأخر عن الصلاةِ في الْفَجرِ مما يطِيلُ بنا فُلانٌ فِيها فَغضِب رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ما رأيته غَضِب في موضِعٍ كَانَ أَشد غَضَبًا مِنه يومئِذٍ ثُم قَالَ: «يا أيها الناس إن مِنكُم منفِرِين فَمن أَم الناس فَلْيتجوز فَإِن خلْفَه الضعِيف والْكَبِير وذَا الْحاجةِ»2. وروى البخاري أيضا عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل «أَفَتانٌ أنت (ثلاث مرات)، فَلَولا صليت بِسبحِ اسم ربك والشمس وضحاها والليل إِذَا يغشى فَإِنه يصلي وراءَك الْكَبِير والضعِيف وذُو الْحاجةِ» وكان معاذ قد قرأ في العشاء بالبقرة فتركه رجل وانصرف ثم شكاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم3.

المبحث الرابع : كف الأذى عنهم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «على كل مسلم صدقة» قالوا فإن لم يجد؟ قال: «فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق». قالوا: فإن لم يستطع؟ أو لم يفعل؟ قال: «فيعين ذا الحاجة الملهوف»، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «فليأمر بالخير، أو قال بالمعروف»، قال فإن لم يفعل؟ قال: «فليمسك عن الشر»، فإنه صدقة4.

وعن أبي ذر τ قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال صلى الله عليه وسلم : «الإيمان بالله والجهاد في سبيله» قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها عند أهلها ثمنا». قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «تعين صانعا أو تصنع لأخرق» قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: «تكف شرك عن الناس، فإ ا صدقة منك على نفسك»5.

هدا ولنا أن نقسم علاقة المسلم من حسن السيرة مع إخوانه إلى قسمين:

القسم الأول: كف الأذى عن إخوانه، وهذا هو الحد الأدنى المطلوب في تعامل المسلم مع إخوانه.

القسم الثاني: إيصال النفع لإخوانه، وهذا هو الحال الأمثل للمسلم.

---

1) عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري أبو مسعود البدري مشهور بكنيته اتفقوا على أنه شهد العقبة واختلفوا في شهوده بدرا قيل مات بالكوفة وقيل مات بالمدينة الإصابة في تمييز الصحابة 4/ 524.

2 - رواه البخاري

3 - أحاديث 703 ـ 704 ـ 705 بالبخاري

4 - متفق عليه عن أبي موسى.

5 - متفق عليه.

وهذا التقسيم والترتيب ورد في آيات كثيرة من التنزيل العزيز: منها قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ}1، فأكل الربا إضرار بالناس فنهى سبحانه عنه ثم أتبعه بالإحسان إلى الناس بالنفقة في العسر واليسر. وكذلك قوله تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}2، فبدأ سبحانه ببيان كف الأذى عن الناس (بكظم الغيظ) ثم إيصال النفع إليهم (بالعفو والإحسان). وهذا التقسيم والترتيب يتفق مع القاعدة الشرعية (درء المفاسد مقدم على جلب المنافع).

قال ابن رجب الحنبلي: [ومن كلام يحيى ابن مراد الرازي: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه]3.

بعض ما يدخل في كف الأذى عن الناس.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك»4، ومما يدخل في باب كف الأذى:

1- الإحتراز من آفات اللسان، وهي رأس الشرور، يدرك هذا كل عاقل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم»5.

ويدخل في هذه الآفات: السخرية ولها صور كثيرة، والإستهزاء، والتنابز بالألقاب والسباب، والغيبة والبهتان والكذب والنميمة واللعن والفحش وشهادة الزور وغيرها.

وكل هذه الآفات وردت في ذمها والوعيد عليها أدلة كثيرة ليس هذا موضع تفصيلها وتراجع في هذا سورة الحجرات والأبواب الخاصة بهذا في كتاب الأدب من صحيح البخاري وغيره من كتب السنة.

وآفات اللسان من أعظم ما يفسد العلاقات بين المسلمين في الدنيا ويعود عليهم بالخسران في الآخرة. وضابط السلامة من هذه الآفات هو قول النبي صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن

1 - سورة آل عمران، الآيات: 130 إلى 134

2 - سورة آل عمران، الآية: 134

3 - جامع العلوم والحكم ص 294

4 - متفق عليه.

5 - رواه الترمذي عن معاذ بن جبل، وقال حديث حسن صحيح.

بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»1. قال النووي: [وهذا صريح أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرا، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور مصلحة فلا يتكلم]. قلت: ولا تترخص ولا تتأول لتستحل ما يحرم عليك إتيانه من هذه الآفات، ولا تمكر فيمكر الله بك، قال تعالى: {ولا يحِيق الْمكْر السيئُ إلا بِأَهلِهِ}2.

2 - عدم التدخل في شؤون الآخرين وترك الفضول، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»3، ومالا يعني المرء قد يكون شيئا في خاصة نفسه كالمنهي عنه (الحرام والمكروه والشبهة) وقد يكون في علاقته بالناس، وهذا الأخير الذي نقصده في كلامنا عن كف الأذى عن الناس.

ويدخل في هذا احترام خصوصيات الناس، وعدم التجسس عليهم، وعدم تتبع عورا م، وترك الخوض فيما لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، وأولى من ذلك ترك الخوض فيما يضرك فيهما. ولهذه القاعدة تطبيقات كثيرة يستطيع المرء أن يتتبعها بنفسه، وخير وسيلة لإدراك هذه القاعدة هي أن تسأل نفسك في كل قول أو فعل: ما فائدة هذا؟ فإن لم تكن له فائدة أو كان فيه ضرر فهو مما لا يعنيك.

والإشتغال بما لا يعني والتطفل على الناس غالبا ما يقترن بالتفريط في أمر النفس، وما يعنيها، ولذلك فهو علامة خذلان من الله تعالى للعبد، قال تعالى: {نسوا الله فَأنساهم أنفُسهم}4.

قال ابن رجب الحنبلي: [هذا الحديث أصل عظيم من أصول الأدب، وقد حكى الإمام أبو عمرو بن الصلاح عن أبي محمد بن أبي زيد [5] إمام المالكية في زمانه أنه قال: جماع آداب الخير وأزمته تتفرع من أربعة أحاديث: قول النبي صلى الله عليه وسلم : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» وقوله صلى الله عليه وسلم : «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه» وقوله صلى الله عليه وسلم للذي اختصر له في الوصية «لا تغضب» وقوله صلى الله عليه وسلم «المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ومعنى هذت الحديث ـ «من حسن إسلام المرء ...» ـ أن

---

1 - متفق عليه.

2 - سورة فاطر، الآية: 43

3 - رواه الترمذي عن أبي هريرة وقال حديث حسن.

4 - سورة الحشر، الآية: 19

5) ابن أبي زيد الامام العلامة القدوة الفقيه، عالم أهل المغرب، أبو محمد، عبد الله بن أبي زيد، القيرواني المالكي، ويقال له: مالك الصغير.وكان أحد من برز في العلم والعمل.قال القاضي عياض: حاز رئاسة الدين والدنيا، ورحل إليه من الاقطار ونجب أصحابه، وكثر الآخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب، وملا البلاد من تواليفه، تفقه بفقهاء القيروان، وعول على أبي بكر بن اللباد.
قال الذهبي: وكان رحمه الله على طريقة السلف في الاصول، لا يدري الكلام، ولا يتأول، فنسأل الله التوفيق. سير أعلام النبلاء 12/17.

من حسن إسلامه ترك مالا يعنيه من قول وفعل واقتصر على ما يعنيه من الأقوال والأفعال، ومعنى يعنيه أنه تتعلق عنايته به ويكون من مقصده ومطلوبه ـ إلى أن قال ـ وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك مالا يعني كله من المحرمات أو المشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها، فإن هذا كله لا يعني المسلم ـ إلى أن قال ـ وأكثر ما يراد بترك ما لا يعني حفظ اللسان من لغو الكلام ـ إلى أن قال ـ قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه) وهو كما قال فإن كثيرا من الناس لا يعد كلامه من عمله فيجازف فيه ولا يتحرى ـ إلى أن قال ـ وقد نفى الله الخير عن كثير ممن يتناجى به الناس بينهم فقال {لا خير فِي كَثِيرٍ مِن نجواهم إلا من أمر بِصدقَةٍ أو معروفٍ أو إِصلاحٍ بين الناس}1، ـ إلى أن قال ـ وروى أبو عبيدة عن الحسن قال: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه خذلانا من الله Y.]2.

ومما مر في حديث «فليقل خيرا أو ليصمت» وفي حديث «حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، ترى أنه يجب على المسلم أن يفكر جيدا قبل أي قول أو فعل ولا ينساق من هوى نفسه أو هوى صحبته، فإذا فكر وعلم ما يجوز له ومالا يجوز، أقدم على بصيرة. وقد وصف الله تعالى أصحاب النار بأ م {وقَالُوا لَو كُنا نسمع أَو نعقِلُ ما كُنا فِي أَصحابِ السعِيرِ}3، ـذا تدرك نعمة العقل ونعمة التفكير. والنصيحة التي تقال هنا هي: فكر قبل أن تتكلم، فكر قبل أن تتكلم، فكر قبل أن تفعل.

3 - الإحتراز من التكبر على الناس.

الكِبر من آفات النفس التي تظهرها مخالطة الناس، فعند المخالطة تظهر هذه الآفة في صور عديدة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «الكِبر بطَر الحَق وغَمطُ الناس»4.

وبطر الحق أي رده ودفعه وعدم قبوله، ويتخذ صورا منها الإعراض عن الحق ابتداء، وعدم الإستماع إليه، أو منع صاحب الحق من عرض حجته، أو مجادلة صاحب الحق بالباطل لرد الحق، أو السخرية والإستهزاء بقوله، وغير ذلك من الصور المتضمنة للكبر وحب الإنتصار للنفس.

أما غمط الناس فهو احتقارهم وازدراؤهم، وقد يكون هذا بالقول أو بالفعل، كالسخرية والإستهزاء والوصف بما فيه انتقاص كالوصف بالجهل أو الفقر أو النسب الوضيع أو حتى بالعاهة، ومن التكبر أيضا الإعراض بالوجه عن الناس وعدم مجالستهم أو مؤاكلتهم والترافع

---

1 - سورة النساء، الآية: 114

2 - جامع العلوم والحكم ص : 97 ـ 100

3 - سورة الملك، الآية: 10

4 - رواه مسلم عن ابن مسعود τ.

عليهم، وعدم رد السلام عليهم، ومحبة أن يقام له، وأن يتصدر في المجالس ويفسح له، ومنه محبة أن يتميز عن إخوانه بشيء ـ ما لم تستدع حاجة العمل ذلك ـ وغير ذلك.

وفي الجملة [فالمتكبر ينظر إلى نفسه بعين الكمال وإلى غيره بعين النقص فيحتقرهم ويزدريهم ولا يراهم أهلا لأن يقوم بحقوقهم ولا أن يقبل من أحدهم الحق إذا أوردوه عليه][1].

وقد يدفع الكبر بصاحبه إلى إيذاء الآخرين وظلمهم والإضرار بهم، وعلاجه يكون بتذكر المبدأ والمعاد وأن ما بكم من نعمة فمن الله، أعطاك وحرم غيرك، والنعم تحفَظ بالشكر لا بالكبر فالمتكبر يرى نفسه ولا يرى ربه المُنعِم سبحانه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[2].

4 - عدم الإضرار بالناس.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضِرار»[3]، والضرر: يشمل ما تضر به نفسك أو غيرك من الناس. والضرار: هو أن يضر الرجل أخاه فيضره أخوه، فكل منهما يضر الآخر وقيل غير ذلك. ويدخل في الضرر والإضرار جميع ما سبق من آفات اللسان والكبر والتدخل في شؤون الناس، ويدخل فيه أن تضر أخاك في نفسه فتوقعه في مهلكة، أو في مال فتفسده عليه، أو في عرضه فتجرحه. ويدخل فيه الحسد وما يتبعه من البغضاء، ويدخل فيه إظهار الشماتة وفي الحديث «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك»[4].

ومن الضرر: الغش والخداع في المعاملة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من غشنا فليس منا»[5]، ومنه الغش في النصيحة والمشورة وغيرها.

ومن الضرر الظلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[6]، وروى البخاري عن أبي هريرة مرفوعا «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمِلَ عليه».

ومن الإضرار بالناس إلقاء القاذورات في طرقهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اتقوا اللاعنين ـ قالوا وما اللاعنان؟ ـ قال الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم»[7]، والتخلي هو

1 - جامع العلوم والحكم ص 292
2 - رواه مسلم عن ابن مسعود.
3 - رواه ابن ماجه والدارقطني عن أبي سعيد.
4 - رواه الترمذي وقال حديث حسن عن واثلة بن الأسقع مرفوعا.
5 - رواه مسلم عن أبي هريرة.
6 - رواه مسلم عن جابر.
7 - رواه مسلم عن أبي هريرة.

قضاء الحاجة، وروى مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ى أن يبال في الماء الراكد».

ومن الإضرار بالناس إقامة المريض مع الصحيح، فقد يمرضه بالعدوى، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا توردوا الُممرض على الُمصِح»1، ولا منافاة بينه وبين الحديث الصحيح «لا عدوى» للجمع المشهور بينهما.

ومن إيذاء المسلمين، إفساد الدروس عليهم، أو رفع الصوت بجوار النائمين، قال تعالى: {واغْضض مِن صوتك ۚ إن أنكر الأصواتِ لَصوت الْحمِير}2.

ومن الإيذاء أن يتناجى اثنان دون الثالث، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه»3، وهذا أمر مجرب معروف. ومثله أن تحدثَ قوما فتقْبل على واحد فقط وتعرض عن الآخرين، وروى البخاري في الأدب المفرد عن حبيب بن أبي ثابت قال: (كانوا يحبون إذا حدث الرجلُ أن لا يقْبِل على الرجل الواحد ولكن ليعمهم)4.

ومن الإضرار أن تحملك كراهيتك لرجل على إيذائه بالقول أو بالفعل، فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عمر عن أبيه قال: [(لا يكن حبك كَلَفاً ولا بغضك تلَفاً) فقلت: كيف ذاك؟ قال: إذا أحببت كَلَفْت كلف الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف]5.

5 - اجتناب سوء الظن.

قال تعالى: {ياأيها الذِين آمنوا اجتِنبوا كَثِيرًا مِن الظن ۚ إن بعض الظن إِثْم}6، وقال صلى الله عليه وسلم : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»7.

وسوء الظن قد يدفعك إلى شر آخر وهو التجسس على أخيك بغرض أن تحقق من سوء ظنك به، و ذا تدرك الحكمة من الترتيب في قوله تعالى {ياأيها الذِين آمنوا اجتِنبوا كَثِيرًا مِن الظن ۚ إن

---

1 - متفق عليه عن أبي هريرة.

2 - سورة لقمان، الآية: 19

3 - متفق عليه عن ابن مسعود، وقريب منه عن ابن عمر.

4 - أثر 1304

5 - أثر 1322

6 - سورة الحجرات، الآية: 12

7 - متفق عليه عن أبي هريرة.

بعض الظن إِثْم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكُم بعضًا}1، فإن سوء الظن مدعاة إلى التجسس وإلى الغيبة فتظن لهذا، وهكذا السيئة تولد سيئة أخرى، ويتوب الله على من تاب.

ومما يناسب هذا المقام ذكر ما قاله ابن حجر في فوائد قصة موسى υ مع الخضر حيث كان موسى υ سريع الإنكار لأفعال الخضر، فلما فسرها له الخضر علم وجه الحكمة فيها، فقال ابن حجر [فيستفاد منه وجوب التأني عن الإنكار في المحتملات]2، وعليه فلا بد من التأني في الإنكار على الناس ولا يسارعوا إلى إساءة الظن بهم إذا كانت أفعالهم تحتمل الصواب والخطأ.

6 - الإستئذان: واجب في الأماكن الخاصة، لقوله تعالى: {يأيها الذِين آمنوا لا تدخلُوا بيوتًا غَير بيوتكُم حتى تستأنِسوا وتسلموا علَى أَهلِها}3، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الإستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع»4، وعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إنما جعل الإستئذان من أجل البصر»5، أي حتى لا يرى الداخل بغير إذن ما يكره صاحب المكان أن يراه الناس من عورات أو أسرار أو غير ذلك ـ ويدخل في هذا أيضا الرسائل والكتب الخاصة وغيرها من الخصوصيات، لا ينظر فيها الإنسان بدون إذن صاحبها، فقد أخرج أبو داود عن ابن عباس مرفوعا "من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر في النار" وسنده ضعيف. وقد يستثنى من ذلك من كان متهما على المسلمين، فهذا يجوز النظر في خصوصيته بغير إذنه للتحقق من أمره، فقد أورد البخاري رحمه الله في كتاب الإستئذان من صحيحة (باب 23 ـ من نظر في كتاب من يحذَر على المسلمين ليستبين أمره) وذكر فيه قصة حاطب بن أبي بلتعة وكتابه لأهل مكة قُبيل غزوة الفتح ليخبرهم، وإرسال النبي صلى الله عليه وسلم خلف الظعينة حتى أتى بكتاب حاطب[6]، قال ابن حجر في شرحه: [كأنه ـ أي يشير ـ إلى أن الأثر الوارد في

---

1 - سورة الحجرات، الآية: 12

2 - فتح الباري ج 1 ص 222

3 - سورة النور، الآية: 27

4 - متفق عليه عن أبي موسى.

5 - متفق عليه.

6) حاطب بن أبي بلتعة بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها مثناة ثم مهملة مفتوحات بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى يقال إنه حالف الزبير وقيل كان مولى عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد فكاتبه فأدى مكاتبته اتفقوا على شهوده بدرا وثبت ذلك في الصحيحين من حديث علي في قصة كتابة حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه و سلم إليهم فنزلت فيه { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم } الآية فقال عمر دعني أضرب عنقه فقال إنه شهد بدرا واعتذر حاطب بأنه لم يكن له في مكة عشيرة تدفع عن أهله فقبل عذره وروى قصته بن مردويه من حديث بن عباس فذكر معنى حديث علي وفيه فقال يا حاطب ما دعاك إلى ما صنعت فقال يا رسول الله كان أهلي فيهم فكتبت كتابا لا يضر الله ولا رسوله، قال المدائني مات حاطب في سنة ثلاثين في خلافة عثمان وله خمس وستون سنة، الإصابة في تمييز الصحابة 5/2.

النهي عن النظر في كتاب الغير يخص منه ما يتعين طريقا إلى دفع مفسدة هي أكثر من مفسدة النظر. والأثر المذكور أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس بلفظ "من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر في النار" وسنده ضعيف ـ إلى أن قال ـ وقال المهلب: وما روى أنه لا يجوز النظر في كتاب أحد إلا بإذنه، إنما هو في حق من لم يكن متهما على المسلمين، وأما من كان متهما فلا حرمة له]1.

7 - النهي عن الإشارة بالسلاح ونحوه إلى مسلم، سواء كان جادا أو مازحا.

فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينـزغ في يده، فيقع في حفرة من النار»2. أي لعل الشيطان يجعله يرمي أخاه بالسلاح فيقتله فيدخل النار.

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينـزع، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» حتى ينـزع أي حتى يلقي هذه الحديدة.

8 - النهي عن الإفراط في المزاح.

ولم نقُلْ النهي عن المزاح ككل، لورود الخبر بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يداعب أصحابه ولا يقول إلا حقا3، وإنما النهي عن الإفراط فيه لما في ذلك من المضار وأهونها استخفاف الناس به، وأنه قد يكذب ليضحك الناس، وقد يثير المزاح عداوة بين الناس، أو يقع المازح في عرض بعض الناس، وكل هذا مشاهد معروف.

قال ابن حجر: [أخرج الترمذي وحسنه عن أبي هريرة قال «قال قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: إني لا أقول إلا حقا»، وأخرج من حديث ابن عباس مرفوعا «لا تمار أخاك ولا تمازحه» الحديث، والجمع بينهما: أن النهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين، ويئول كثيرا إلى قسوة القلب والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار، والذي يسلم من ذلك هو المباح، فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب. قال الغزالي: من الغلط أن يتخذ المزاح حرفة ويتمسك بأنه صلى الله عليه وسلم مزح]4.

وقال الماوردي في كتابه (أدب الدنيا والدين): [ويقل: إنما سمي المزاح مزاحا لأنه يزيح عن الحق، وقال إبراهيم النخعي: المزاح من سخف أو بطر، وقيل في منثور الحكم: المزاح يأكل الهيبة كما

1 - فتح الباري ج 11 ص 47

2 - متفق عليه.

3 - رواه الترمذي عن أبي هريرة.

4 - فتح الباري 10 / 526 ـ 527

تأكل النار الحطب، وقال بعض الحكماء: من كثر مزاحه زالت هيبته، ومن كثر خلافة طابت غيبته. وقال بعض البلغاء: من قل عقله كثر هزله ـ إلى أن قال ـ فالعاقل يتوخى بمزاحه إحدى حالتين لا ثالثة لهما، إحداهما: إيناس المصاحبين، والتودد إلى المخالطين، وهذا يكون بما أنس من جميل القول، وبسط من مستحسن الفعل. وقد قال سعيد بن العاص[1] لابنه: اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ عليك السفهاء، وإن التقصير فيه يفض عنك المؤانسين، ويوحش منك المصاحبين. والحالة الثانية: أنه ينفي بالمزاح ما طرأ عليه من سأم، وأحدث به من هم، فقد قيل: لابد للمصدور أن ينفث][2].

9 - كظم الغيظ: وهو من صور كف الأذى عن الناس

قال تعالى: {والْكَاظِمِين الْغيظْ والْعافِين عن الناس}[3]، من صفات المتقين، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تغضب»[4]. وقال تعالى: {ولَمن صبر وغَفَر إِن ذَلِك لَمِن عزمِ الْأُمورِ}[5]، وقد سبق الكلام عن الصبر على إيذاء الإخوة وكظم الغيظ والصبر والعفو من الأخلاق التي يحتاجها كل من يخالط الناس والتحلي ا يأتي با اهدة والإكتساب.

10 - كتمان الأسرار، وهي من الأمانات:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[6]، وزاد في رواية مسلم: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم».

وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة»[7].

وروى أبو داود عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ا الس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس، سفك دم مسفوح، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق».

---

1) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي أبو عثمان، كان له يوم مات النبي صلى الله عليه و سلم تسع سنين وقتل أبوه يوم بدر قتله علي ويقال إن عمر قال لسعيد بن العاص لم أقتل أباك وإنما قتلت خالي العاص بن هشام فقال ولو قتلته لكنت على الحق وكان على الباطل فأعجبه قوله وكان من فصحاء قريش، وقال الزبير بن بكار مات سعيد في قصره بالعقيق سنة ثلاث وخمسين، الإصابة في تمييز الصحابة 3/ 108.

2 - أدب الدنيا والدين، ط دار الكتب العلمية 1398هـ ص 298 ـ 299

3 - سورة آل عمران، الآية: 134

4 - متفق عليه عن أبي هريرة.

5 - سورة الشورى، الآية: 43

6 - متفق عليه عن أبي هريرة.

7 - رواه أبو داود والترمذي.

وفي التنزيل قال تعالى: {ياأيها الذِين آمنوا لا تخونوا الله والرسولَ وتخونوا أماناتِكُم وأنتم تعلَمونَ}1، وقد سبقت قصة أبي لبابة بن المنذر وحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية.

وقد ورى البخاري رحمه الله في باب (حفظ السر) من كتاب الإستئذان من صحيحة عن أنس τ قال: «أسر إلي النبي صلى الله عليه وسلم سِرا فما أخبرت به أحدا بعده، ولقد سألتني أم سليم[2] فما أخبرتها به». قلت: وأم سليم هي أم أنس، قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: [قال بعض العلماء: كأن هذا السر كان يختص بنساء النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنساً كتمانه، وقال ابن بطال[3]: الذي عليه أهل العلم أن السر لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة، وأكثرهم يقول إنه إذا مات لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته إلا أن يكون عليه فيه غضاضة قلت: الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى ما يباح، وقد يستحب ذكره ولو كرهه صاحب السر، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك. وإلى ما يكْره مطلقا وقد يحرم وهو الذي أشار إليه ابن بطال، وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بترك القيام به فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه أن يفعل ذلك]4.

---

1 - سورة الأنفال، الآية: 27

2) أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية وهي أم أنس خادم رسول الله صلى الله عليه و سلم اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل رميثة وقيل مليكة وقيل الغميصاء أو الرميصاء تزوجت مالك بن النضر في الجاهلية فولدت أنسا في الجاهلية وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار فغضب مالك وخرج إلى الشام فمات بها فتزوجت بعده أبا طلحة..، عن أنس أنه حدثهم لم يكن رسول الله صلى الله عليه و سلم يدخل بيتا غير بيت أم سليم إلا على أزواجه فقيل له فقال أني أرحمها قتل أخوها وأبوها معي ، والجواب عن دخوله بيت أم حرام وأختها أنهما كانتا في دار واحدة وكانت تغزو مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ولها قصص مشهورة منها ما أخرجه بن سعد بسند صحيح أن أم سليم اتخذت خنجرا يوم حنين فقال أبو طلحة يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر فقال اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه ومنها قصتها المخرجة في الصحيح لما مات ولدها بن أبي طلحة فقالت لما دخل لا يذكر أحد ذلك لأبي طلحة قبلي فلما جاء وسال عن ولده قالت هو أسكن ما كان فظن أنه عوفي وقام فأكل ثم تزينت له وتطيبت فنام معها وأصاب منها فلما أصبح قالت له ولدك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه و سلم فقال بارك الله لكما في ليلتكما فجاءت بولد وهو عبد الله بن أبي طلحة فأنجب ورزق أولادا قرأ القرآن منهم عشرة كملا وفي الصحيح أيضا عن أنس أن أم سليم لما قدم النبي صلى الله عليه و سلم قالت يا رسول الله هذا أنس يخدمك وكان حينئذ بن عشر سنين فخدم النبي صلى الله عليه و سلم منذ قدم المدينة حتى مات فاشتهر بخادم النبي صلى الله عليه و سلم وروت عن النبي صلى الله عليه و سلم عدة أحاديث، الإصابة في تمييز الصحابة 8229.

3) (ابن بطال) (...- 404 ه =...- 1013 م) سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي، أبو أيوب: فقيه باحث، له أدب وشعر. تعلم بقرطبة، واشتهر بكتابه (المقنع)،في أصول الاحكام، قالوا فيه: لا يستغني عنه الحكام.وكان من الشعراء أيضا، ويلقب بالعين جودي، لكثرة ما كان يردد في أشعاره (يا عين جودي) الأعلام للزركلي3/ 132.

4 - فتح الباري ج 11 ص 82

وقال الماوردي في كتابه (أدب الدنيا والدين): ["كتمان السر" اعلم أن كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح وأدوم لأحوال الصلاح. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «استعينوا على الحاجات بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود»1، وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره) ـ إلى أن قال ـ وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه، ومنع من نيل مطالبه، ولو كتمه كان من سطوته آمنا، وفي عواقبه سالما، ولنجاح حوائجه راجيا ـ إلى أن قال ـ وإظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهار سر نفسه، لأنه يبوء [إحدى وصمتين: الخيانة وإن كان مؤتمنا، أو النميمة إن كان مستودعا)2.

المبحث الخامس : مراعاة الحقوق التي دعت إليها السنة

هذه الحقوق كثيرة جدا : ومنها ما ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حق المسلم على ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فاجبه ، وإذا استنصحك فأنصحه، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه). ففي هذا الحديث بيان عدة حقوق بين المسلمين :

أداء حقوق المسلم المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»3. وزاد مسلم في رواية له «وإذا استنصحك فانصح له» وزاد في رواية متفق عليها للبراء بن عازب «وإبرار المقسم، ونصر المظلوم» فتكون مجموع الفتاوى هذه الحقوق ثمان.

الحق الأول : إفشاء السلام.

فالسلام سنة مؤكدة وهو من أسباب تآلف المسلمين وتوادهم ، كما هو مشاهد وكما يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم : «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟، أفشوا السلام بينكم»4 . وتسلم على من عرفت ومن لم تعرف.وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدأ من لقيه بالسلام ويسلم على الصبيان إذا مر م .

---

1 - رواه الطبراني عن معاذ، وإسناده ضعيف (انظر مجمع الزوائد ج 8 ص 198).

2 - أدب الدنيا والدين ط 1398هـ ص 295

3 - متفق عليه عن أبي هريرة :جامع الأصول 6/ 4733.

4 - رواه مسلم عن أبي هريرة. : باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها 1/ 73.

والسنة أن يسلم الصغير على الكبير ، والقليل على الكثير والراكب على الماشي ولكن إذا لم يقم بالسنة من هو أولى ا فليقم ا الآخر لئلا يضيع السلام ، فإذا لم يسلم الصغير فليسلم الكبير وإذا لم يسلم القليل فليسلم الكثير ليحوز الأجر .

قال عمار بن ياسر[1] رضي الله عنه : (ثلاث من جمعهن فقد استكمل الإيمان : الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والإنفاق من الإقتار) . وإذا كان بدء السلام سنة فإن رده فرض كفاية إذا قام به من يكفي أجزأ عن الباقين ، فإذا سلم على جماعة فرد واحد منهم أجزأ عن الباقين قال تعالى : (وَإِذَا حييتم ِبتحِيةٍ فَحيوا ِبأحسن ِمنها أو ردوها)[2] الآية ؟.

فلا يكفي في رد السلام أن يقول : أهلا وسهلا فقط ، لأ ا ليست أحسن منه ولا مثله ؛ فإذا قال : السلام عليكم . فليقل : وعليكم السلام . وإذا قال : أهلا فليقل أهلاً مثلا بمثل . وإن زاد تحية فهو أفضل .

الحق الثاني : إذا دعاك فأجبه ، أي إذا دعاك إلى م له لتناول طعام أو غيره فأجبه، والإجابة إلى الدعوة سنة مؤكدة ، لما فيه من جبر قلب الداعي ، وجلب المودة والإلفة ويستثني من ذلك وليمة العرس ، فإن أجاب فإن الإجابة إلى الدعوة إليها واجبة بشروط معروفة لقول النبي صلى الله عليه وسلم:(ومن لم يجب فقد عصى الله ورسوله)[3]

ولعل قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا دعاك فأجبه) يشمل حتى الدعوة لمساعدته ومعاونته فإنك مأمور بإجابته فإذا دعاك لتعينه في حمل شيء أو القائه أو نحو ذلك فإنك مأمور بمساعدته لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) .

الحق الثالث : إذا استنصحك فأنصحه : يعني إذا جاء إليك يطلب نصيحتك له في شيء فأنصحه لأن هذا من الدين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الدين النصيحة ، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) .

---

1) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن يام بن عنس بنون ساكنة بن مالك العنسي أبو اليقظان حليف بني مخزوم وأمه سمية مولاة لهم كان من السابقين الأولين هو وأبوه وكانوا ممن يعذب في الله فكان النبي صلى الله عليه و سلم يمر عليهم فيقول صبرا آل ياسر موعدكم الجنة واختلف في هجرته إلى الحبشة وهاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه ا ثم استعمله عمر علي الكوفة وكتب إليهم إنه من النجباء من أصحاب محمد قال عاصم عن زر عن عبد الله إن أول من أظهر إسلامه سبعة فذكر منهم عمارا،قال علي رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إن عمارا ملىء إيمانا الى مشاشه أخرجه الترمذي وابن ماجة وسنده حسن، وتواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه و سلم أن عمارا تقتله الفئة الباغية وأجمعوا على أنه قتل مع علي بصفين سنة سبع وثمانين في ربيع وله ثلاث وتسعون سنة واتفقوا على أنه نزل فيه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، الإصابة في تمييز الصحابة4/ 575.

2) النساء:86

3) أخرجه مالك (2 / 546 / 50) وعنه البخاري (3 / 438) ومسلم (4 / 153) وأبو داود (3742) والطحاوى في (المشكل) (4 / 143) والبيهقي (7 / 261) كلهم عن مالك عن ابن شهاب عن الأعرج به .

أما إذا لم يأت إليك يطلب النصيحة فإن كان عليه ضرر أو إثم فيما سيقدم عليه وجب عليك أن تنصحه وإن لم يأت إليك ، لأن هذا من إزالة الضرر والمنكر عن المسلمين ، وإن كان لا ضرر عليه فيما سيفعل ولا إثم ولكنك ترى أن غيره أنفع له فإنه لا يجب عليك أن تقول له شيئا إلا أن يستنصحك فتلزم النصيحة .

الحق الرابع : إذا عطس فحمد الله فشمته ، أي قل له : يرحمك الله ، شكرا له على حمده لربه عند العطاس أما إذا عطس ولم يحمد الله فإنه لا حق له ، فلا يشمت لأنه لما لم يحمد الله كان جزاؤه أن لا يشمت .

وتشميت العاطس إذا حمد فرض ، ويجب عليه الرد فيقول : يهديكم الله ويصلح بالكم ، وإذا استمر معه العطاس وشمته ثلاثا فقل له في الرابعة : عافاك الله . بدلا عن قولك : يرحمك الله .

الحق الخامس : إذا مرض فعده ، وعيادة المريض زيارته وهي حق له على إخوانه المسلمين ، فيجب عليهم القيام بها وكلما كان للمريض حق عليك من قرابة أو صحبة أو جوار كانت عيادته أوكد . .

والعيادة بحسب حال المريض وبحسب حال المرض فقد تتطلب الحال كثرة التردد إليه ، وقد تتطلب الحال قلة التردد إليه ، فالأولى مراعاة الأحوال ، والسنة لمن عاد مريضا أن يسأل عن حاله ، ويدعو له ويفتح له باب الفرج والرجاء ، فإن ذلك من أكبر أسباب الصحة والشفاء وينبغي أن يذكره التوبة بأسلوب لا يروعه، فيقول له مثلاً : إنك في مرضك هذا تكتسب خيراً ، فإن المرض يكفر الله الخطايا ويمحو به السيئات ، ولعلك تكسب بانحباسك أجراً كثيراً بكثرة الذكر والاستغفار والدعاء .

الحق السادس : إذا مات فاتبعه : فاتباع الجنائز من حقوق المسلم على أخيه ، وفيه أجر كبير ، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من تبع الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ، ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان) قيل : ما القيراطان ؟ قال : مثل الجبلين العظيمين) .

سابعا : ومن حقوق المسلم على المسلم كف الأذى عنه ، فإن في أذية المسلمين إثما عظيماً قال الله تعالى : (والَّذِين يؤْذُونَ الْمؤمِنين والْمؤمِناتِ بِغير ما اكْتسبوا فَقَدِ احتملُوا بهتاناً وإِثْماً مبِيناً)[1]

والغالب أن من تسلط على أخيه بأذية فإن الله ينتقم منه في الدنيا قبل الآخرة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه).

1) الأحزاب:58

وحقوق المسلم على المسلم كثيرة ، ولكن يمكن أن يكون المعنى الجامع لها قول النبي صلى الله عليه وسلم : (المسلم أخو المسلم) فإنه متى قام بمقتضى هذه الإخوة اجتهد أن يتحرى له الخير كله وأن يجتنب كل ما يضره .

المبحث السادس : لزوم الدعاء للمسلمين (أهل القبلة)

قال تعالى: {والذِين جاءوا مِن بعدِهِم يقُولُونَ ربنا اغْفِر لنا ولإخوانِنا الذِين سبقُونا بِالإيمان}[1].

وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضا.

ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره ، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.[2]

وتتجلى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود . تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها ، وآخرها بأولها ، في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف ، وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب؛ وتتفرد وحدها في القلوب ، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة ، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة ، كما يذكر أخاه الحي ، أو أشد ، في إعزاز وكرامة وحب . ويحسب السلف حساب الخلف . ويمضي الخلف على آثار السلف . صفاً واحداً وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان ، تحت راية الله تغذ السير صعداً إلى الأفق الكريم ، متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم .إنها صورة باهرة ، تمثل حقيقة قائمة؛ كما تمثل أرفع وأكرم مثال للبشرية يتصوره قلب كريم[3].

وعن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل))[4]. قال النووي : وفى هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضا

---

1) الحشر:10

2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان851

3) في ظلال القرآن 7/ 166.

4) رواه مسلم في الذكر والدعاء، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (2733).

وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعولأخيه المسلم بتلك الدعوة لأ ا تستجاب ويحصل له مثلها [1]

وأمر الله تعالى رسوله الكريم بالثبات على ما هو عليه من وحدانية الله واصلاح نفسه بالاستغفار من ذنبه ، والدعاء للمؤمنين والمؤمنات .(فَاعلَم أنه لا إله إلا الله واستغفِر لِذَنبِك ولِلْمؤمِنين والْمؤمِناتِ والله يعلم متقلَبكُم ومثْواكُم)[2]

قال العلامة السعدي: { و } استغفر أيضا { للمؤمنين والْمؤمِنات } فإ م -بسبب إيما م- كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة.ومن جملة حقوقهم أن يدعو لهم ويستغفر لذنو م، وإذا كان مأمورا بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوبا ا عنهم، فإن من لوازم ذلك النصح لهم، وأن يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بما فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساويهم ومعايبهم، ويحرص على اجتماعهم اجتماعا تتألف به قلو م، ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق، الذي به تكثر ذنو م ومعاصيهم.[3]

عن جبير بن مطعم[4] ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في خطبته بالخَيفِ مِن مِنى : ((ثلاثٌ لا يغِل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحةُ ولاةِ الأمور، ولزوم جماعةِ المسلمين، فإنّ دعوتهم تحيطُ مِن ورائهم))[5] فإن دعو م تحيط أي تدور من ورائهم وفي نسخة من موصولة ويؤيد الأول أنه في أكثر النسخ مرسوم بالياء والمعنى أن دعوة المسلمين قد أحاطت م فتحرسهم عن كيد الشيطان وعن الضلالة وفيه تنبيه على أن من خرج عن جماعتهم لم ينل بركتهم وبركة دعائهم لأنه خارج عما أحاطت م من ورائهم[6]

---

1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج17/ 49

2) سورة محمد (صلى الله عليه وسلم): (19)

3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ 787

4) جبير بن مطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي.شيخ قريش في زمانه، أبومحمد، ويقال: أبو عدي القرشي النوفلي، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم.من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الاسارى من قومه.وكان موصوفا بالحلم، ونبل الرأي كأبيه.وكان أبوه هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة وكان يحنو على أهل الشعب، ويصلهم في السر.ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: " لو كان المطعم بن عدي حيا، وكلمني في هؤلاء النتنى، لتركتهم له " وهو الذي أجار النبي صلى الله عليه وسلم حين رجع من الطائف حتى طاف بعمرة.ثم كان جبير شريفا مطاعا، وله رواية أحاديث. سير أعلام النبلاء 3/ 95.

5) أخرجه : أحمد 80/4 و82 ، والدارمي (233) و(234) ، وابن ماجه (3056) ، والطبراني في " الكبير " (1541) و(1542) و(1543) و(1544) ، والحاكم 86/1-88 ، وابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله " 41/1 من حديث جبير بن مطعم ، به ، وهو حديث قوي بطرقه .

6) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : الملا على القاري

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : « أصابت الناس سنة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال : يا رسول الله ، هلك المال وجاع العيال ، فادع لنا ، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة - فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته صلى الله عليه وسلم فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى وقام ذلك الأعرابي - أو قال غيره - فقال : يا رسول الله تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه فقال : اللهم حوالينا لا علينا ، فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهر ، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود »[1].

وللأحاديث السابقة اتفق فقهاء المذاهب الأربعة على مشروعية الدعاء للمسلمين والمسلمات أثناء الخطبة في الجمعة ، لكنهم اختلفوا في حكمه هل هو واجب أو سنة ؟ .

فذهب الحنفية والمالكية والحنابلة إلى أنه سنة في الخطبة وهو قول عند الشافعية .

جاء في بدائع الصنائع في سياق ذكره لسنن الخطبة " ويدعو للمؤمنين والمؤمنات ".

وجاء في الشرح الكبير " وندب ثناء على الله وصلاة على نبيه وأمر بتقوى ودعاء بمغفرة وقراءة من القرآن.

وفي كشاف القناع : " ويسن أن " يدعو للمسلمين "لأن الدعاء لهم مسنون في غير الخطبة ففيها أولى ".

وفي قول آخر للشافعية : إنه واجب أو ركن فلا تصح الخطبة إلا به واختاره النووي في المجموع وقال : (وهو الصحيح المختار).

وجاء في روضة الطالبين عند ذكره أركان الخطبة " الرابع : الدعاء للمؤمنين وهو ركن على الصحيح ، والثاني لا يجب ".[2]

---

1) رواه البخاري كتاب الجمعة باب الاستسقاء في الخطبة ومواقع أخرى من الصحيح ، ينظر أطرافها في الفتح (2 / 413) .

2) (اللويحق)عبد الرحمن بن معلى موضوعات خطبة الجمعة :الطبعة الأولى : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية

قال العلامة العثيمين رحمه الله : ولا نقول: إنه من سنن الخطبة، وغاية ما نقول: إنه من الجائز، لكن قد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان يستغفر للمؤمنين في كل جمعة" ، فإن صح هذا الحديث فهو أصل في الموضوع، وحينئذٍ لنا أن نقول: إن الدعاء سنة، أما إذا لم يصح فنقول: إن الدعاء جائز، وحينئذٍ لا يتخذ سنة راتبة يواظب عليه؛ لأنه إذا اتخذ سنة راتبة يواظب عليه فهم الناس أنه سنة، وكل شيء يوجب أن يفهم الناس منه خلاف حقيقة الواقع فإنه ينبغي تجنبه. مجموع فتاوى العثيمين

الباب الرابع
الموقف الشرعي من مبتدعة أهل القبلة

الفصل الأول : تمهيد

الفصل الثاني : المنهج الشرعي في معاملة أهل البدع والبغاة

الفصل الأول : تمهيد

البدع مظهر نشاز في المسلمين من أهل القبلة ، وجرح غائر يستشري في أقطار كثيرة،ويظهر في صور متعددة؛ وما يزال غلاّ كئيباً على عقول المسلمين بالتقليد والتعصب والجهل، وتشكل البدع ظلاماً على الأبصار ، يحجب نور السنة وفرقان الإتباع ، وكل بدعة في ديـن الله ـ قديمة كانت أو حديثة ـ لها ما يضادها في شرع الله ، مما سطر العلماء فيه جهوداً مكتوبة ومواقف مشهودة.ونحن نحاول في هذا الباب استجلاء كلام أهل العلم في المبتدعة المنسوبين إلى أهل القبلة ، وظهور المبتدعة سنة جرت في هذه الأمة كما وقعت من قبل في الأمم السابقة عن عوف بن مالك[1] رضي الله عنه أن الرسول ρ قال : " افترقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة فواحدة في الجنة و سبعون في النار و افترقت النصارى على اثنتين و سبعين فرقة فإحدى و سبعون في النار و واحدة في الجنة و الذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث و سبعين فرقة فواحدة في الجنة و اثنتان و سبعون في النار " [2] فالابتداع هو باب الشيطان إلى الغواية والإضلال والضلال ، ومنه دخل على الأمم السابقة يضلهم ويمنيهم ويغويهم ويزين لهم أبواب الابتداع حتى غيروا كتب الله وحرفوها. وبدلوها فأحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله. لا شك أن الابتداع الطريق القصير إلى تشويه الدين وطمس معالم الإشراق فيه ، والتحكم على الله وعلى رسوله ، والاشتراك مع الله تبارك وتعالى في التشريع بما لم يأذن به الله

المبحث الأول : تعريف البدعة

البدعة: اسم هيئة من: بدع، وهو ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثالٍ سابق[3]. وفي أسماء الله ـ تعالى ـ: البديع، وهو: الخالق المخترع[4]. والعـرب تقـ ـول: ابتـدع فـلانٌ الـركـي: إذا استـنبطه5. قال ـ تعالى ـ: {قُلْ ما كُنت بِدعًا مِّن الرسل}[6]. أي: ما كُنت أول المرسلين. والبدعة في الاصطلاح العام: خلاف السنة[7] وتطلق على الحدث في الدين بعد الإكمال، وما استحدث بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأهواء والأعمال[8] وعلى هذا؛ فإنّ البدعة قد

1) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي مختلف في كنيته قيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو محمد وقيل غير ذلك قال الواقدي أسلم عام خيبر ونزل حمص وقال غيره شهد الفتح وكانت معه راية أشجع وسكن دمشق وقال بن سعد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي الدرداء، مات سنة ثلاث وسبعين في خلافة عبد الملك، الإصابة في تمييز الصحابة4/ 742.

2) انظر حديث رقم : 1082 في صحيح الجامع

3) معجم مقاييس اللغة (209/1).

4) النهاية في غريب الحديث، ص 67.

5) القاموس المحيط، ص 906، والركِي: هي البئر.

6) [الأحقاف: 9]

7) التعريفات للجرجاني، ص 5. وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (231/2).

8) القاموس المحيط، ص 906.

تكون لغوية فحسب، فتطلق على كل مستحدث؛ كالمخترعات الحديثة مثلاً، وقد تكون في الاصطلاح العام فتطلق على كل ما خالف السنة، ولو لم يكن بدعة ضلالة محرمة؛ كمن ترك سنة من سنن الوضوء، فهذا يصح أن يقال عن صفة وضوئه أنه بدعة بمعنى: أنه خلاف السنة وإن لم يكن مبتدعاً بالمعنى الاصطلاحي الخاص. قال ابن الأثير[1]: (وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفاً في الذم، أي: أنه إذا أطلق لفظ البدعة فإنه يراد به المذموم شرعاً). هذا وإن من أجمع الحدود والتعريفات التي وقفت عليها للبدعة اصطلاحاً في كلام العلماء كثيرة ولكني أخص منها بالذكر ثلاثة تعريفات نظراً لاستيعا ا وشمولها :

الأول : تعريف الحافظ ابن حجر[2]رحمه الله : البدعة : هي كل شيء ليس له مثال متقدم فيشمل لغة ما يحمد ويذم ويختص في عرف الشرع بما يذم وإن وردت في المحمود فعلى معناها اللغوي "[3].

والثاني : تعريف الشاطبي[4] رحمه الله: " البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية "[5].

الثالث : تعريف ابن تيمية رحمه الله: " البدعة في الدين هي مالم يشرعه الله ورسوله ، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب ، فأما ما أمر به أمر إيجاب واستحباب وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية ، فهو من الدين الذي شرعه الله وإن تنازع أولوا الأمر في بعض ذلك ، وسواء إن كان هذا مفعولا على عهد النبي ρ أولم يكن. وعرف شيخ الإسلام ، رحمه الله ، البدعة في موضع آخر بقوله : (فإن البدعة ما لم يشرعه الله من الدين فكل من دان بشئ لم يشرعه الله فذاك بدعة وإن

---

1) ابن الاثير (544 - 606 ه = 1150 - 1210 م) المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين: المحدث اللغوي الاصولي.ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر.وانتقل إلى الموصل، فاتصل بصاحبها، فكان من أخصائه.وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه.ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل، قيل: إن تصانيفه كلها، = في بلوى، وقتل أخوه حطان بزبيد، وأخذ ماله، فلم يظهر منه للسلطان كراهة، وكل شيمته نزاهة ونباهة ".الأعلام للزركلي5/ 272.

2) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني.أصله من(عسقلان) بفلسطين،مولده ووفاته بالقاهرة محدث ، فقيه. تولى في القاهرة قضاء القضاة وتصدى لنشر الحديث،وأمضى في القضاء إحدى وعشرين سنة علت شهرته فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره له تصانيف منها :(فتح الباري في شرح البخاري) و(طبقات الحفاظ) و(الإعجاب ببيان الأنساب) و (الإصابة في تمييز الصحابة) و (بلوغ المرام من أدلة الأحكام) . توفي سنة 852هـ. الأعلام 1/173.

3) فتح الباري (13/ 253)

4) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشـاطبي، نسبة إلى (شاطبة) بالأندلس. من علمـاء الأصول والحديث، بارعا في العلوم، اجتهد وبرع والتحق بكبار الأئمة في العلوم، من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. له تصانيف منها: (الموافقات) في أصول الفقه و(الإفادات والإنشادات) (رسالة في الأدب والطرف) و(الاعتصام) في أصول الفقه و(شرح الألفية) و (أصول النحو) وغير ذلك.توفي سنة 790هـ . الأعلام 171 / 1

5) الاعتصام (1/37).

كان متأولا فيه وهذا موجود من جميع أهل التأويل المفترقين من الأولين والآخرين)1.

ففرق ، رحمه الله ، بين وصف الفعل بالبدعة ، ووصف صاحبه بالمبتدع ، سواء كان رأسا في بدعته ، أو تابعا مستترا ، فالناس في البدعة على ثلاث مراتب

وقد دلت التعريفات الثلاثة السابقة على أمور لابد من التنبيه عليها وهي :

1- أن البدعة التي تحتمل وجهي المدح والذم إنما هي البدعة اللغوية أما الشرعية فإ ا مخصوصة في عرف الشارع بما يذم كما مر في تعريف الحافظ ابن حجر رحمه الله إن كان فيما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغة كصلاة التراويح التي أطلق عليها عمر τ لفظ البدعة ولو أن له أصلا ثابتا منقولاً عنه ρ ، وهذا مما أدركته عهدة اللغة فغلبت عليه فسمي بدعة بجانب الجدة والحدوث في بعض جوانبه أو صفاته . قال ابن رجب: (ما وقع في كلام السلف من استحباب بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية)2. ويقول ابن تيمية " فان البدعة الشرعية أى المذمومة في الشرع هي ما لم يشرعه الله في الدين أى ما لم يدخل في أمر الله ورسوله وطاعة الله ورسوله فإما إن دخل في ذلك فإنه من الشرعة لا من البدعة الشرعية وإن كان قد فعل بعد موت النبى بما عرف من أمره كاخراج اليهود والنصارى بعد موته وجمع المصحف وجمع الناس على قارىء واحد في قيام رمضان ونحو ذلك.

وعمر بن الخطاب الذى أمر بذلك وإن سماه بدعة فإنما ذلك لأنه بدعة في اللغة إذ كل أمر فعل على غير مثال متقدم يسمى في اللغة بدعة وليس مما تسميه الشريعة بدعة وينهى عنه فلا يدخل فيما رواه مسلم من صحيحة عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول في خطبته: " إن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثا ا وكل بدعة ضلالة " ،فإن قوله صلى الله عليه و سلم كل بدعة ضلالة حق وليس فيما دلت عليه الادلة الشرعية على الاستحباب بدعة كما قال في الحديث الذى رواه أهل السنن وصححه الترمذى عن العرباض بن سارية[3] عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: " وعظنا رسول الله موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله: كأن هذه موعظة مودع ،فماذا

---

1) الفتاوى (4 / 107 – 108)

2) جامع العلوم والحكم 26

3) العرباض بن سارية السلمي . أبو نجيح . أحد أصحاب الصفة وأحد البكائين الذين نزل فيهم : " ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم... " الآية . سكن حمص . وروى عن النبي صلى الله عليه و سلم وأبي عبيدة ،توفي سنة خمس وسبعين للهجرة . وروى له الأربعة،الوافي في الوفيات1/ 2856.

تعهد إلينا فقال: أوصيكم بتقوى الله، وعليكم بالسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيراً، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، تمسكوا ا، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة" وفى رواية: "فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وفى رواية وكل ضلالة في النار"

ففى هذا الحديث أمر المسلمين باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين وبين أن المحدثات التي هي البدع التي ى عنها ما خالف ذلك فالتراويح ونحو ذلك لو لم تعلم دلالة نصوصه وأفعاله عليها لكان أدنى أمرها أن تكون من سنة الخلفاء الراشدين فلا تكون من البدع الشرعية التي سماها النبى بدعة و ى عنها"1

ومن استعمال الاصطلاح العام بمعنى مخالفة السنة قول ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أ ـما سئِل عن صلاة الناس الضحى قال: «بدعة»2. قال الحافظ ابن حجر: (إنما أنكر ابن عمر ملازمتها، وإظهارها في المساجد، وصلا ا جماعة؛ لأنها مخالفة للسنة)3. وكذلك قول عمر بن عبد العزيز: (إظهار المعازف والمزمار بدعة في الإسلام). فالحـاصل أن البـدع كلـهـا محرمـ ـة؛ لعمـوم قـ ـول النبـي - صلى الله عليه وسلم - : «كـل بدعـة ضـلالة»، وما سمي بدعة ولم يطلـق عليـه وصـف الـذم والتحريم فهو ليس بدعة في الدين.

2- لا مجال لتقسيم البدعة الشرعية إلى حسنة وقبيحة ، لأن هذا التقسيم مما لا دليل عليه بل الدليل على خلافه لقوله عليه الصلاة والسلام : ((فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))4.يقول الإمام الشاطبي رحمه الله بعد أن رد تقسيم البدعة الشرعية وبالغ في ذلك فقال رحمه الله تعالى: " والجواب أن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل هو في نفسه متدافع لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة، ولكان العمل داخلا في عموم الأعمال المأمور ا أو المخير فيها ، فالجمع بين عدِ تلك الأشياء بدعاً وبين كون الأدلة تدل على وجو ا أو ند ا أو إباحتها جمع بين متنافيين "5

1) مجموع الفتاوى 31/ 37.

2) صحيح البخاري (1775)، صحيح مسلم (1255).

3) فتح الباري (53/3).

4) سنن ابن ماجه (43)، ومسند أحمد (126/4) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وله شاهد من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عند ابن ماجه

5) الاعتصام 1/ 142.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (ولا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكلية ، وهي قوله : "كل بدعة ضلالة "بسلب عمومها ، وهو أن يقال : ليست كل بدعة ضلالة ، فإن هذا إلى مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم أقرب منه إلى التأويل ، بل الذي يقال فيما ثبت أنه حسن من الأعمال التي قد يقال بأ ا بدعة ، يقال : إن هذا العمل المعين مثلا ليس ببدعة ، فلا يندرج في الحديث ، أو إن اندرج لكنه مستثنى من هذا العموم لدليل كذا وكذا ، الذي هو أقوى من العموم ، مع أن الجواب الأول أجود ، وهذا الجواب فيه نظر : فإن قصد التعميم المحيط ظاهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذه الكلمة الجامعة ، فلا يعدل عن مقصده بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام)1 .

فشيخ الإسلام ، رحمه الله ، لا يستسيغ القول بتخصيص عموم هذه الكلمة الجامعة ، وإن بقيت حجة بعد تخصيصها ، ويميل إلى أن الصورة المستثناة لم تعد بدعة أصلا بعد استثناءها .

ثم إن الزعم بأن في الدين بدعة حسنة مؤداه أن الله تعالى لم يكمل دينه، ولم يتم النعمة على الأمة وهو على خلاف قول الله تعالى :[الْيوم أَكْملْت لَكُم دِينكُم وأَتممت علَيكُم نِعمتِي ورضِيت لَكُم الْإِسلام دِيناً]2، فالدين الذي رضيه الله تعالى لنبيه ε هو الدين الذي رضيه الله تعالى لنا ومن ادعى واستحدث قربة لم يفعلها النبي ρ فهو بين أمرين أحلاهما مر : إما أن يزعم أن الرسول ρ علم هذه العبادة ولكنه لم يخبر عنها وهذا ا ام للرسول ρ بالخيانة في التبليغ . وإما أن يزعم أن الرسول ρ لم يعلم أن هذه عبادة وقربة وأن هذا المسكين علم شيئاً لم يعلم المصطفى ρ به وهذا ا ام لرسول الله ρ بالجهالة والضلالة! وهذا منطق عقل صحيح أخذ به الصحابة رضوان الله عليهم في ردِ البدع التي ظهرت في زما م فهذا عبد الله ابن مسعود τ يقول لقوم رآهم على هيئة جديدة في الذكر والعبادة :"ويحكم هؤلاء أصحاب رسول الله ε متوافرون ،وثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر والذي نفسي بيده ، إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة !!؟ قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال : وكم من مريد للخير لم يصبه ، إن رسول الله ρ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ، ثم تول عنهم ، فقال عمرو بن سلمة :رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج "3. وقـال ابن الماجشون4 رحمه الله تعالى : "سمعت مالكا رحمه الله تعالى "

---

1) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم 1/ 274.

2) المائدة :3.

3) سنن الدارمي (1/60 - 61)

4) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد اله ابن أبي سلمة ؛ ميمون . وقيل : دينار ابن الماجشون . أبو مروان القرشي التيمي المنكدري مولاهم ؛ الأعمى . الفقيه المالكي . تفقه على الإمام مالك رضي الله عنه وعلى والده عبد العزيز وغيرهما . قيل إنه

يقول :"من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ρ خان الرسالة لأن الله يقول :[الْيوم أَكْملْت لَكُم دِينكُم] فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم دينا "1. ولهذا كان مالك رحمه الله كثيراً ما ينشد :

وخيرأمورالدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع2

إنَ الإختراع في أمور الدنيا النافعة ديناً محبوب ، والإبتداع في وسائل الإستحداث الإجتماعي شرعاً مرغوب ، وهو ما ينبغي أن يتجه إليه عقلاء المسلمين ، والموهوبون في كل مجال من مجالات القوى التي أمرنا الله تعالى باتخاذها ، قال الله Y : [وأَعِدوا لَهم ما استطَعتم مِن قُوةٍ]3 ، وفي الحديث الصحيح عن النبي ε قال : ((أنتم أعلم بأمور دنياكم))4.

وأما أمور الديانة من العبادات وأحكام المعاملات والأشياء حلاً وحرمة فإنه لا مجال للإبتكار فيها والإحداث لأن مبناها على الإمتثال والإتباع لا على الإختراع والإبتداع ، والأمة قد كفيت أمر التشريع في الدين حيث إنه تعالى هو الذي شرع دينه حتى أكمله وأتمه ، وإن مما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين وخاصة في عصور الجمود والتخلف قد شغلوا بما كفوا المؤنة فيه ، حتى إنك لتحار وتعجب من التفنن في ابتكار صلوات وأذكار وطرائق في التعبد ما أنزل الله Y بها من سلطان ، وكلٌ يتباهى بها ويدعي أن ما عنده مما هو مخترع خير مما عند صاحبه [كُلُّ حِزبٍ بِما لَديهِم فَرِحونَ]5.وكلما خلف تلميذ شيخه اجتهد في أن يتخذ لنفسه طريقة للتنسك يشتهر بها ويتميز ؛ كما قال معاذ بن جبل τ يوماً : " إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق ، والرجل والمرأة ، والصغير والكبير ، والعبد والحر ، فيوشك قـائل أن يقول :

ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة ."6. إن من دعائم سلوك الصراط المستقيم الحذر من البدع والأهواء

عمي آخر عمره . قال فيه يحيى بن أكثم : كان بحراً لا تكدره الدلاء توفي بالمدينة سنة اثنتي عشرة ومائتين . وقيل سنة ثلاث عشرة . وروى له النسائي وابن ماجة . الوافي في الوفيات1/ 2752.

1) الإعتصام 1/ 27،28
2) الإعتصام 1/ 85
3) الأنفال : 60
4) أبو داود (4 /202) رقم (4611) ومعناه عند الدارمي (1/87)
5) المؤمنون (الآية:53)
6) سنن أبي داود(4611) قال الألباني :صحيح الإسناد موقوف .

، وهو ما نبهت إليه الآية قول الله تعالى :[وأن هذَا صِراطِي مستقِيماً فَاتبِعوه ولا تتبِعوا السبلَ فَتفَرق بِكُم عن سبِيلِه]1،قال مجاهد رحمه الله : [ولا تتبِعوا السبلَ] : البدع والشبهات .
وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه : (كل بدعة ضلالة ، وإن رآها الناس حسنا)2 ، وهذا حال كثير من البلاد التي انتشرت فيها البدع ، فقد شاب الكبار ، وشب الصغار ، على البدعة ، حتى ظنوها السنة ، فإذا ما استبدلت بالسنة ، استحسن الناس الأولى ، لأ م ألفوها ، واستنكروا الثانية ، لأ م جهلوها.
وقوله أيضا : (لا أعلم شيئا في الإسلام أفضل عندي من أن قلبي لم يخالطه شيء من هذه الأهواء المختلفة) ، فهي نعمة عظيمة أن يحفظ الله ، عز وجل ، على العبد قلبه من البدع والشبهات ، ولله در أبي العالية رحمه الله في وصيته الغالية:" تعلموا الإسلام فإذا تعلمتوه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم ؛ فإنه الإسلام ،ولا تحرفوا يميناً ولا شمالاً وعليكم بسنة نبيكم وما كان عليه أصحابه من قبل أن يقتلوا صاحبهم ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء ". فحدث الحسن بذلك فقال رحمه الله : "صدق ونصح "3، والمقصود أن من ترك لقلبه العنان لاتباع الهوى والشبهات فحتماً يكون مآله الإنحراف عن الصراط ، والإفتتان بالبدع نطقاً وفعلاً ودعاءً ، كما قال أبو عثمان النيسابوري رحمه الله تعالى :"من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا ؛ نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً ؛نطق بالبدعة قال الله تعالى:[وإنْ تطِيعوه تهتدوا]4 "5.وقال أبو إدريس الخـولاني[6]: (لأن أرى في المسجـد ناراً لا أستطيع إطفـاءهـا، أحـب إلـي من أن أرى فيـه بدعـةً لا أستطيع تغييرها)7.

---

1) الأنعام (الآية: 153).
2) الاعتصام (85/1) .
3) الحلية بمعناه (281/2) وسير أعلام النبلاء (4/ 210) .
4) النور (الآية: 54)
5) الإعتصام 1/ 96
6) (أبو إدريس الخولاني) * (8 - 80 ه = 630 - 700 م) عائذ الله بن عبد الله بن عمرو الخولاني العوذي الدمشقي: تابعي، فقيه.كان واعظ أهل دمشق، وقاصهم، في خلافة عبد الملك.وولاه عبد الملك القضاء في دمشق.قال فيه الذهبي: عالم أهل الشام الأعلام للزركلي3/ 239.
7) الاعتصام (82/1).

المبحث الثاني :ظهور البدع

كان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والإيمان وكلما كانت البدعة أشد تأخر ظهورها وكلما كانت أخف كانت إلى الحدوث أقرب فلهذا حدث أولا بدعة الخوارج والشيعة ثم بدعة القدرية والمرجئة وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية 1.

إنه جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ذم الخوارج فإنه قد ثبت فيهم الحديث من وجوه كلها صحاح لأن مقالتهم حدثت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكلمة رئيسهم .

وأما الإرجاء والرفض والقدر والتجهم والحلول وغيرها من البدع فإ ا حدثت بعد انقراض عصر الصحابة .

وبدعة القدر أدركت آخر عصر الصحابة فأنكرها من كان منهم حيا كعبد الله بن عمر وابن عباس وأمثالهما رضي الله عنهم ، وأكثر ما يجئ من ذمهم فإنما هو موقوف على الصحابة من قولهم فيه .

ثم حدثت بدعة الإرجاء بعد انقراض عصر الصحابة فتكلم فيها كبار التابعين الذين أدركوها كما حكيناه عنهم ، ثم حدثت بدعة التجهم بعد انقراض عصر التابعين واستفحل أمرها واستطار شرها في زمن الأئمة كالإمام أحمد وذويه .

ثم حدثت بعد ذلك بدعة الحلول وظهر أمرها في زمن الحسين الحلاج[2] وكلما أظهر الشيطان بدعة من هذه البدع وغيرها أقام الله لها من حزبه وجنده من يردها ويحذر3 .

---

1) العقيدة الأصفهانية 1 / 184

2) الحلاج (000 - 309 ه = 000 - 922 م) الحسين بن منصور الحلاج، أبومغيث: فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين.أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق (أو بتستر) وانتقل إلى البصرة، وحج، ودخل بغداد وعاد إلى تستر.وظهر أمره سنة 299 ه فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والايمان.ثم كان يتنقل في البلدان وينشر طريقته سرا، وقالوا: أنه كان يأكل يسيرا ويصلي كثيرا ويصوم الدهر، وإنه كان يظهر مذهب الشيعة للملوك (العباسيين) ومذهب الصوفية للعامة، وهو في تضاعيف ذلك يدعي حلول الالهية فيه.وكثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه، فسجن وعذب وضرب وهو صابر لا يتأوه ولا يستغيث.قال ابن خلكان: وقطعت أطرافه الاربعة ثم حز رأسه وأحرقت جثته ولما صارت رمادا ألقيت في دجلة ونصب الرأس على جسر بغداد.وادعى أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقي شبهه على عدو له.وقال ابن النديم في وصفه: كان محتالا يتعاطى مذاهب الصوفية ويدعي كل علم، جسورا على السلاطين، مرتكبا للعظائم، يروم إقلاب الدول ويقول بالحلول.وأورد أسماء ستة وأربعين كتابا له، غريبة الاسماء والاوضاع، منها (طاسين الازل والجوهر الاكبر والشجرة النورية) و (الظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية) و (قرآن القرآن والفرقان) و (السياسة والخلفاء والامراء) و (علم البقاء والفناء) و (مدح النبي والمثل الاعلى) و (القيامة والقيامات) و (هو هو) و (كيف كان وكيف يكون) و (الكبريت الاحمر) و (الوجود الاول) و (الوجود الثاني) و (اليقين) و (التوحيد). الأعلام للزركلي2/ 260.

3) الحاشية على أبي داود لابن القيم 12/ 278.

المبحث الثالث : أقسام البدع / البدعة المكفرة والبدعة المفسقة

البدعة بدعتان: بدعة مكفرة تخرج عن الإسلام، وبدعة مفسقة لا تخرج عن الإسلام1
ويقول ابن حجر: "ثم البِدعةُ ،وهي السبب التاسع مِن أسبابِ الطعن في الراوي ، وهي إما أنْ تكونَ بمكَفِرٍ ؛ كأنْ يعتقِد ما يستلْزم الكُفْر ، أو بِمفَسقٍ"2
فالبدعة المكفرة : هي التي يلزم منها إنكار أمر مجمع عليه ، أو متواتر من الشرع ، أو معلوم من الدين بالضرورة ، من جحد مفروض ، أو فرض ما لم يفرض ، أو إحلال محرم ، أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه عنه من نفي أو إثبات. كبدع التجهم ، وهي إنكار صريح لأسماء الله ، عز وجل ، وصفاته. والغلو في الاعتزال ، ولازمه إنكار علم الله ، عز وجل ، بل وإنكار كل صفاته التي دلت عليها أسماؤه الحسنى ، فضلا عن الصفات التي لم تشتق منها أسماء ، كصفات الأفعال ، من باب أولى.
وكذا القول بإسقاط الفرائض الواجبة ، وتحليل المحرمات ، والقول بالحلول والاتحاد.
والغلو في التشيع ، وما يلزم منه من القول بتأليه علي ، رضي الله عنه ، وتأليه الأئمة من بعده ، ودعاء غير الله عز وجل.
وأما البدعة غير المكفرة : فهي التي لا يلزم منها تكذيب بالكتاب ولا بشيء مما أرسل الله به رسله ، فمنها:
ما هو من وسائل الشرك: كالبناء على القبور، والصلاة والدعاء عندها.
ومنها: ما هو من المعاصي: كبدعة التبتل - ترك الزواج - والصيام قائماً في الشمس، والخصاء بقصد قطع الشهوة، وغير ذلك كبدع المروانية التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة ، رضي الله عنهم ، ولم يقروهم عليها ، ولم يكفروهم بشيء منها ، ولم ينزعوا يدا من بيعتهم لأجلها ، مثل: تقديم الخطبة قبل صلاة العيد.
وتأخير الصلوات إلى أواخر أوقاتها.
وتقصير ركني القيام والقعود للتشهد الأخير في الصلاة. وترك إتمام التكبير في الصلاة. وجلوسهم في الخطبة في الجمعة وغيرها ، وإخراج المنبر في يوم العيد ، والسنة ألا يخرج إلا في صلاة الاستسقاء.
ورفع الأيدي بالدعاء في خطبة الجمعة ، كما وقع من بشر بن مروان ، وقد أنكره حصين بن عبد

---

1) الاعتصام للشاطبي 516/2.
2) نزهةِ النظَر في توضِيح نخبةِ الفِكَر في مصطلح أهل الأثر : الحافظ أبن حجر العسقلاني: مكتبة مشكاة ،ص(26).

الرحمن رضي الله عنه. وسبهم كبار الصحابة ، رضي الله عنهم ، على المنابر ونحو ذلك مما لم يكن منهم على اعتقاد شرعيته بل بنوع تأويل وشهوات نفسية وأغراض دنيوية.

وجدير بالذكر ، أن بني أمية ، رغم تلبسهم بهذه البدع العملية إلا أنهم كانوا من أشد الناس على أصحاب البدع الاعتقادية كالتجهم ونفي القدر.

المبحث الرابع : مراتب إثم المبتدع

وقد ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله: أن إثم المبتدع ليس على رتبة واحدة، بل هو على مراتب مختلفة واختلافها يقع من جهات، على النحو الآتي:

1- من جهة كون صاحب البدعة مدعياً للاجتهاد أو مقلداً.

2- من جهة وقوعها في الضروريات: الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال أو غيرها.

3- من جهة كون صاحبها مستتراً بها أو معلناً.

4- من جهة كونه داعياً إليها أو غير داعٍ لها.

5- من جهة كونه خارجاً على أهل السنة أو غير خارج.

6- من جهة كون البدعة حقيقية أو إضافية.

7- من جهة كون البدعة بينة أو مشكلة.

8- من جهة كون البدعة كفراً أو غير كفر.

9- من جهة الإصرار على البدعة أو عدمه.

وبين رحمه الله أن هذه المراتب تختلف في الإثم على حسب النظر إلى دركاتها[1]، وأوضح رحمه الله أن هذه المراتب منها ما هو محرم، ومنها ما هو مكروه، وأن وصف الضلال ملازم لها وشامل لأنواعها[2]، ولا شك أن البدع تنقسم على حسب مراتبها في الإثم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كفر بواح.

القسم الثاني: كبيرة من كبائر الذنوب.

القسم الثالث: صغيرة من صغائر الذنوب[3]، وللبدعة الصغيرة شروط، هي:

الشرط الأول: لا يداوم عليها، فإن المداومة تنقلها إلى كبيرة في حقه.

الشرط الثاني: لا يدعو إليها؛ فإن ذلك يعظم الذنب لكثرة العمل بها.

الشرط الثالث: لا يفعلها في مجتمعات الناس، ولا في المواضع التي تقام فيها السنن[1].

---

1) الاعتصام، 216/1 - 224، و515/2 - 559.

2) الاعتصام للشاطبي، 530/2.

3) الاعتصام للشاطبي2 /516، 517/2 و 543/2 - 550.

الشرط الرابع: لا يستصغرها ولا يستحقرها، فإن ذلك استهانة ا، والاستهانة بالذنب أعظم من الذنب.

واسم الضلالة يقع على هذه الأقسام الثلاثة؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم جعل كل بدعة ضلالة، وهذا يشمل البدعة المكفرة، والبدعة المفسقة: سواء كانت كبيرة أو صغيرة2.

ومنهم من قسم البدع إلى أقسام أحكام الشريعة الخمسة: فقال: قسم من البدع واجب، وقسم محرم، وقسم مندوب إليه، والقسم الرابع: بدعة مكروهة، والقسم الخامس: البدع المباحة. وهذا التقسيم مخالف لقوله صلّى الله عليه وسلّم: "فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"3، وقد رد على هذا التقسيم الإمام الشاطبي رحمه الله بعد أن ذكر التقسيم وصاحبه: "والجواب أن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي، بل هو في نفسه متدافع؛ لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي: لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوبٍ، أو ندبٍ، أو إباحةٍ؛ لما كان ثم بدعة، ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمور ا، أو المخير فيها، فالجمع بين كون تلك الأشياء بدعاً، وبين كون الأدلة تدل على وجو ا، أو ند ا، أو إباحتها جمع بين متنافيين. أما المكروه منها والمحرم فمسلم من جهة كو ا بدعاً لا من جهةٍ أخرى4.

يختلف حكم البدعة باختلاف تقسيمها ، فالعلماء الذين قسموا البدعة إلى خمسة أقسام بحسب الأحكام التكليفية- كالعز بن عبد السلام[5] وغيره- لا إشكال عندهم- رحمهم الله- في حكم البدعة، فهي عندهم تنقسم إلى بدعة واجبة وبدعة مندوبة ، وبدعة مباحة وبدعة مكروهة وبدعة محرمة.

فالبدعة الواجبة حكمها الوجوب،والبدعة المندوبة حكمها الندب...وهكذا باقي أقسام البدعة عندهم.

---

1) الاعتصام للشاطبي، 517/2 و 539/2، 543 – 550

2) الاعتصام للشاطبي، 551/2 - 559.

3) أبو داوود، 201/4، برقم 4607، والترمذي، 44/5، برقم 2676، وتقدم تخريجه

4) الاعتصام، 246/1.

5) 577 - 660 ه = 1181 - 1262 م) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد.ولد ونشأ في دمشق.وزار بغداد سنة 599 ه، فأقام شهرا.وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الاموي.ولما سلم الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة " صفد " للفرانج اختيارا أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه.ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الامر والنهي.ثم اعتزل ولزم بيته.ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول: إن في أولادك من يصلح لو ظائفك.فقال: لا.وتوفي بالقاهرة.من كتبه " التفسير الكبير " و " الالمام في أدلة الاحكام "الأعلام للزركلي 21/4.

وأما على قول من قال إن البدع كلها مذمومة - وهو القول الراجح من أقوال العلماء - فإ م قالوا بأن البدع حرام ، ولكنها تتفاوت في التحريم :

أ- فمنها ما هو كفر لا يحتمل التأويل ، كبدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن ، كقوله تعالى : {وجعلُوا لِلهِ مِما ذَرأ مِن الحرثِ والأنعامِ نصِيباً فَقَالُوا هذَا لِلهِ بِزعمِهِم وهذَا لِشركَائِنا}1.

وقوله تعالى : {وقَالُوا ما فِي بطُونِ هذِهِ الأنعامِ خالِصةٌ لِذُكُورِنا ومحرم على أزواجِنا وإِنْ يكُن ميتةً فَهم فِيهِ شركَاءُ}2.

وقوله تعالى : {ما جعلَ الله مِن بحِيرةٍ ولا سائِبةٍ ولا وصِيلَةٍ ولا حامٍ}3.

وكذلك بدعة المنافقين في اتخاذ الدين ذريعة لحفظ النفس والمال...وما أشبه ذلك من أنواع الكفر

ب- ومنها ما هو من المعاصي التي ليست بكفر ، أو مختلف فيها هل هي كفر أم لا ؟ ؛ كبدعة الخوارج ، والقدرية4، والمرجئة5، ومن أشبههم من الفرق الضالة .

ج- ومنها ما هو معصية ؛ كبدعة التبتل ، والصيام قائماً في الشمس ، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع .

د-ومنها ما هو مكروه ، كبدعة التعريف - وهو اجتماع الناس في المساجد للدعاء عشية عرفة - وذكر السلاطين في خطبة الجمعة ، ونحو ذلك .

فهذه البدع ليست في رتبة واحدة ، وليس حكمها واحد .

وكما أن المعاصي منها ما هو صغيرة ، ومنها ما هو كبيرة ويعرف ذلك بكو ا واقعة في الضروريات أو الحاجيات أو التكميليات - التحسينات - فإن كانت الضروريات- وهي الدين ، والنفس ، والنسل ، والعقل ، والمال - فهي أعظم الكبائر ، وإن وقعت في التحسينات فهي أدنى رتبة بلا إشكال ، وإن وقعت في الحاجيات فمتوسطة بين الرتبتين .

---

1) الأنعام: الآية136.

2) الأنعام: الآية139.

3) المائدة: الآية103.

4) القدرية : فرقة ضالة تنفي صفات الله الأزلية كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر وأنه ليس لله اسم ولا صفة ، وأن الله لا يرى ، وأن كلام الله حادث مخلوق ، وأن الله غير خالق لأكساب الناس ، وأن الناس هم الذين يقدرون كسبهم ، فهم ينكرون القدر فلذلك سمو قدرية .وبدعتهم هذه حدثت في آخر عصر الصحابة وكان أكثرهم في الشام والبصرة وفي المدينة أيضاً ، وأصل هذه البدعة أحدثها مجوسي من البصرة ثم تلقاها عنه معبد الجهني . وقد أنكر الصحابة عليهم ذلك.

يراجع : الفرق بين الفرق ص(93- 94) ، ومجموع الفتاوى (384/7- 386) ، وكذلك (36/13،37) .

5) المرجئة : من الفرق الضالة التي تقول : لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، والإرجاء هو : التأخير ، وسموا مرجئة لتأخيرهم العمل عن النية ، أو لتأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة ، ويقولون : إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص . وإنه يكون في القلب واللسان،ومضى ذكرها في الباب الثاني .

يراجع : الفرق بين الفرق (190- 195) ، والملل والنحل للشهرستاني ص(139-146) .

والبدع من جملة المعاصي ، وقد ثبت التفاوت في المعاصي ، فكذلك يتصور مثله في البدع :
فمنها ما يقع في الضروريات ، ومنها ما يقع في الحاجيات ، ومنها ما يقع في التحسينات .
وما يقع في رتبة الضروريات : منه ما يقع في الدين أو النفس أو النسل أو العقل أو المال .
فمثال وقوعه في الدين : ما تقدم من اختراع الكفار ، وتغييرهم ملة إبراهيم - عليه السلام - من نحوه قول تعالى: {ما جعلَ الله مِن بحِيرةٍ ولا سائِبةٍ ولا وصِيلةٍ ولا حامٍ}1.
ومثال ما يقع في النفس : ما ذكر من نحل الهند في تعذيبها أنفسها بأنواع العذاب الشنيع والقتل بالأصناف التي تفزع منها القلوب ، كل ذلك على استعجاب الموت لنيل الدرجات العلى بزعمهم . ومنها قتل العرب أولادهم في الجاهلية خشية الفقر أو العار ، قال تعالى : { ولا تقْتُلُوا أولادكُم خشيةَ إِملاقٍ نحن نرزقُهم وإياكُم }2.
وقال تعالى {وإذَا الْموؤودةُ سئِلَت*بِأي ذَنبٍ قُتِلَت }3.
ومثال ما يقع في النسل : نكاحات الجاهلية ، فجاء عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -: ((أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها .ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ،فإذا تبين حملها أصا ا زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ،فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع . ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة ، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع ، حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان ، تسمي من أحبت باسمه ، فيلحق به ولدها ، لا يستطيع أن يمتنع به الرجل . ونكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها ، وهن البغايا ،كن ينصبن على أبوا ن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ، ووضعت حملها ،ج معوا لها ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطته به4

---

1) المائدة: الآية103.
2) الاسراء: الآية31.
3) التكوير:الآيتان 8،9.
4) فالتاطته به : أي استلحقته به ، وأصل اللوط - بفتح اللام - : اللصوق . : النهاية لابن الأثير (277/4) باب اللام مع الواو ، وفتح الباري (185/9) .

وخلاصة القول: هو أن فساد البدعة وضررها من وجهين :

الأول : أن البدع مفسدة للقلوب، مزاحمة للسنة في إصلاح النفوس، فهي أشبه ما تكون بالطعام الخبيث، فالبدعة فساد في الدين والقلب:

قال شيخ الإسلام رحمه الله : (إن الشرائع أغذية القلوب ، فمتى اغتذت القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل للسنن ، فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث) ، ومن اغتذى بطعام خبيث ، رد أي طعام آخر ولو كان طيبا ، لأن القلب ، كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (لا يتسع للعوض والمعوض عنه (، فلا يتسع للسنة والبدعة في نفس الوقت ، فإما الأولى وإما الثانية.

الثاني : أن البدع معارضة للسنن، تقود أصحابها إلى الاعتقادات الباطلة والأعمال الفاسدة والخروج عن الشريعة، وفي هذا المعنى يقول : مبيّنًا أن (من أسباب هذه الاعتقادات والأحوال الفاسدة، الخروج عن الشرعة والمنهاج، الذي بعث به الرسول صلى الله عليه و سلم إلينا، فإن البدع هي مبادئ الكفر ومظان الكفر، كما أن السنن المشروعة هي مظاهر الإيمان، ومقوية للإيمان، فإنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) ومع أن البدعة محرمة فقد تبلغ بصاحبها الكفر، فمن البدع المكفرة: اعتقاد بعض المبادئ الكفرية؛ كمقالات الفلاسفة مثلاً وكالطواف حول القبور بقصد التقرب لأصحابها ونحو ذلك، فليست البدع مع تحريمها على رتبة واحدة..

المبحث الخامس : بين المبتدع الكافر والمبتدع الفاسق

إن تقسيم البدعة باعتبار حكمها وما يترتب عليها، من بقاء في الإسلام أو خروج عنه ، يعني بالنسبة لحكم المتلبس بها من المبتدعة أنهم على قسمين [1]:

مبتدع كافر ليس من المسلمين (أهل القبلة) أصلا ، وهو الذي عنده بدعة مكفرة .

ومبتدع يعد من المسلمين ولكنه ليس من أهل السنة في الأعم الأغلب ، فلا يمكن لمبتدع حكم عليه بالابتداع أن يقال إنه من أهل السنة ،بل يقال إما أنه كافر خارج من الملة ، وإما أن يقال إنه مبتدع من غير أهل السنة والجماعة كالمعتزلة والجهمية ، والخوارج وغيرهم من الفرق.

---

1) هنالك تقسيمات أخرى للمبتدعة ،بغير اعتبار الحكم عليهم، كما قسم ابن تيمية في مواضع أخرى أقسام المبتدعة كالتالي : الأول : أهل الوهم والتخييل ، الذين يرون أن الأنبياء خاطبوا الناس بما تخيلوه وتوهموه ، وإن كان الأمر ليس كذلك ، لأن هذا من مصلحة الجمهور وإن كان هذا كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور الثاني : أهل التجهيل ، الذين يرون أن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون ، لايعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء الثالث : أهل التحريف والتأويل ، الذين يرون أن الأنبياء لم يقصدوا بأقوالهم إلا ماهو الحق في نفس الأمر ، وأن الحق في نفس الأمر هو ما علموه بعقولهم ، ثم يجتهدون في تأويل النصوص إلى ما يوافق رأيهم انظر : درء التعارض ج1 ، ص812 ، والفتاوى ج 7 ، ص588 589 وج 12 ، ص236239 و ج4 ، ص66 .

قال ابن أبي العز الحنفي في شرحه على الطحاوية :" فالناس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر أو المخالفة لذلك في اعتقادهم على طرفين ووسط من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية فطائفة تقول لا نكفر من أهل القبلة احدا فتنفي التكفير نفيا عاما مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم وهم يتظاهرون بالشهادتين وأيضا فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة والمحرمات الظاهرة المتواترة ونحو ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا .

والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور كما ذكره الخلال في كتاب السنة بسنده إلى محمد بن سيرين أنه قال إن أسرع الناس رده أهل الأهواء وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر احدا بذنب بل يقال لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعله الخوارج وفرق بين النفي العام ونفي العموم والواجب إنما هو نفي العموم مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب ولهذا والله اعلم قيده الشيخ رحمه الله بقوله ما لم يستحله وفي قوله ما لم يستحله إشارة إلى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية وفيه إشكال فإن الشارع لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل وليس العمل مقصورا على عمل الجوارح بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح وأعمال الجوارح تبع إلا أن يضمن قوله يستحله بمعنى يعتقده أو نحو ذلك .

وقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله إلى آخر كلامه رد على المرجئة فإنهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهؤلاء في طرف والخوارج في طرف فإنهم يقولون نكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير وكذلك المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان لكن الخوارج يقولون يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر والمعتزلة يقولون يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر وهذه المنزلة بين المنزلتين وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار .

وطوائف من اهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال لكن في الاعتقادات البدعية وإن كان صاحبها متأولا فيقولون يكفر كل من قال هذا القول لا يفرقون بين المجتهد المخطيء وغيره أو يقولون يكفر كل مبتدع وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصوص

الوعد التي يحتج ا هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج ا أولئك والكلام في الوعيد مبسوط في موضعه وسيأتي بعضه عند الكلام على قول الشيخ وأهل الكبائر في النار لايخلدون إذا ماتوا وهم موحدون والمقصود هنا أن البدع هي من هذا الجنس فإن الرجل يكون مؤمنا باطنا وظاهرا لكن تأول تأويلا اخطأ فيه إما مجتهدا وإما مفرطا مذنبا فلا يقال إن إيمانه حبط رد ذلك إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة ولا نقول لا يكفر بل العدل هو الوسط وهو أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول أو إثبات ما نفاه أو الأمر بما ى عنه أو النهي عما أمر به يقال فيها الحق ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ويبين أ ا كفر ويقال من قالها فهو كافر ونحو ذلك كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها وعن ابي يوسف رحمة الله أنه قال ناظرت أبا حنيفة رحمه الله مدة حتى اتفق رأيي ورأيه أن من قال بخلق القرآن فهو كافر .

وأما الشخص المعين إذا قيل هل تشهدون انه من أهل الوعيد وانه كافر فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار فإن هذا حكم الكافر بعد الموت ولهذا ذكر أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب النهي عن البغي وذكر فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله يقول (كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال ا تهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك أولايدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا ا تهد أكنت بي عالما أو كنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به إلى النار قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته) وهو حديث حسن .

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله كما غفر للذي قال إذا مت فاسحقوني ثم اذروني ثم غفر الله له لخشيته وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته أو شك في ذلك لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته وأن نستتيبه فإن تاب وإلا قتلناه ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقا زنديقا فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقا زنديقا .

وكتاب الله يبين ذلك فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب وهم الذين لا يقرون بالشهادتين وصنف المؤمنون باطنا وظاهرا وصنف أقروا به ظاهرا لا باطنا وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة وكل من ثبت انه كافر في نفس الأمر وكان مقرا بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقا والزنديق هو المنافق .

وهنا يظهر غلط الطرفين فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع في الباطن يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين كما ثبت في صحيح البخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه عن عمر أن رجلا كان على عهد النبي كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله وكان رسول الله قد جلده في الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول (الله لا تلعنه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله) وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة بل بفرع منها ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا ومن ممادح أهل العلم أ م يخطئون ولا يكفرون" 1 .

وقد قال ابن حزم[2] عند الكلام فيمن يكفر ولا يكفر : اختلف الناس في هذا الباب :

- فذهبت طائفة إلى أن من خالفهم في شيء من مسائل الاعتقاد أو في شيء من مسائل الفتيا فهو كافر .

- وذهبت طائفة إلى أنه كافر في بعض ذلك فاسق غير كافر في بعضه على حسب ما أد م إليه عقولهم وظنو م .

- وذهبت طائفة إلى أن من خالفهم في مسائل الاعتقاد فهو كافر وأن من خالفهم في مسائل الأحكام والعبادات فليس كافرا ولا فاسقا ولكنه مجتهد معذور إن أخطأ مأجور بنيته .

---

1) شارح الطحاوية 1 / 355

2) ابن حزم (384 - 456 ه = 994 - 1064 م) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الاندلس في عصره، وأحد أئمة الاسلام.كان في الاندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزمية ".ولد بقرطبة.وكانت له ولابيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد ا وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيها حافظا يستنبط الاحكام من الكتاب والسنة، بعيدا عن المصانعة.وانتقد كثيرا من العلماء والفقهاء، فتمالاوا على بغضه، وأجمعوا على تضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته، و وا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية لبلة (من بلاد الاندلس) فتوفي فيها. رووا عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخطه أبيه من تآليفه نحو 400 مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة.وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان.أشهر مصنفاته " الفصل في الملل والاهواء والنحل - ط " وله " المحلى - ط " الأعلام للزركلي4/ 254.

- وقالت طائفة بمثل هذا فيمن خالفهم في مسائل العبادات وقالوا فيمن خالفهم في مسائل الاعتقادات إن كان الخلاف في صفات الله عز وجل فهو كافر وإن كان فيما دون ذلك فهو فاسق .

وضابط مذهب أهل البدع أ م يؤصلون أصولا ثم يجعلون مناط التكفير مخالفة أصولهم .1

وقال أبو الحسن الأشعري[2] : واختلف الناس في إكفار المتأولين وتفسيقهم : فحكى زرقان أن المرجئة كلها لا تفسق أهل التأويل لأ م تأولوا فاخطئوا ، وهذا غلط منه في الحكاية لأن الأكثر من المرجئة يقولون كل معصية فسق ، ويفسقون الخوارج بسفكهم الدماء وسبيهم النساء وأخذ الأموال وان كانوا متأولين فكيف يحكى عنهم أ م لا يفسقون أحدا من المتأولين .

وزعم أكثر المرجئة أ م لا يكفرون أحدا من المتأولين ولا يكفرون إلا من أجمعت الأمة على إكفاره .

وزعم الجهم أنه لا كفر إلا الجهل ولا كافر إلا جاهل بالله سبحانه وان قول القائل ثالث ثلاثة ليس بكفر ولا يظهر إلا من كافر لأنا وقفنا على أن من قال ذلك فكافر .

وقال أكثر المرجئة كل مرتكب معصية بتأويل أو بغير تأويل فهو فاسق .

وزعم أبو شمر[3] أن المعرفة بالله وبما جاء من عنده والإقرار بذلك ومعرفة التوحيد والعدل ـ يعنى قوله في القدر لأنه كان قدريا ـ ما كان من ذلك منصوصا عليه أو مستخرجا بالعقول مما فيه إثبات عدل الله سبحانه ونفى التشبيه عنه كل ذلك إيمان والشاك فيه كافر .

وقال أبو الهذيل[4] من شبه الله سبحانه بخلقه أو جوره في حكمه أو كذبه في خبره فهو كافر5 .

قال ابن حزم :

وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال ، إن أصاب الحق فأجران وإن

---

1) الفصل في الملل والأهواء والنحل 3 / 247

2) أبو الحسن الاشعري (260 - 324 ه = 874 - 936 م) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الاشعري: مؤسس مذهب الاشاعرة.كان من الائمة المتكلمين ا تهدين.ولد في البصرة.وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم.وتوفي ببغداد.قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب، منها " إمامة الصديق " و " الرد على ا سمة " و " مقالات الاسلاميين - ط " الأعلام للزركلي4/ 263.

3) أبو شمر المرجئ القدري ،قاله عنه الشهرستاني في الملل والنحل 1/ 39.

4) أبو الهذيل العلاف (135 - 235 ه = 753 - 850 م) محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف: من أئمة المعتزلة.ولد في البصرة واشتهر بعلم الكلام.قال المأمون: أطل أبو الهذيل على الكلام كإطلال الغمام على الانام.له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات.وكان حسن الجدل قوي الحجة، سريع الخاطر.كف بصره في آخر عمره، وتوفي بسامرا. الأعلام للزركلي7/ 131.

5) مقالات الإسلاميين 1 / 476.

أخطأ فأجر واحد ، وهذا قول ابن أبي ليلى[1] وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي[2] رضي الله عن جميعهم ، وهو قول كل من عرفنا له قولا في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم لا نعلم منهم في ذلك خلافا أصلا ، إلا ما ذكرنا من اختلافهم في تكفير من ترك صلاة متعمدا حتى خرج وقتها3 ، أو ترك أداء الزكاة ، أو ترك الحج ، أو ترك صيام رمضان ، أو شرب الخمر .

.... قال ابن حزم: فصح بما قلنا أن كل من كان على غير الإسلام وقد بلغه أمر الإسلام فهو كافر ومن تأول من أهل الإسلام فأخطأ فإن كان لم تقم عليه الحجة ولا تبين له الحق فهو معذور مأجور أجرا واحدا لطلبه الحق وقصده إليه مغفور له خطؤه إذ لم يعتمده لقول الله تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) وإن كان مصيبا فله أجران أجر لإصابته وأجر آخر لطلبه إياه ، وإن كان قد قامت الحجة عليه وتبين له الحق فعاند عن الحق غير معارض له تعالى ولا لرسوله صلى الله عليه وسلم فهو فاسق لجراءته على الله تعالى بإصراره على الأمر الحرام فإن عاند عن الحق معارضا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر مرتد حلال الدم والمال لا فرق في هذه الأحكام بين الخطأ في الاعتقاد في أي شيء كان من الشريعة وبين الخطأ في الفتيا في أي شيء كان على ما بينا قبل .

إلى أن قال : فصح أنه لا يكفر أحد حتى يبلغه أمر النبي صلى الله عليه وسلم فإن بلغه فلم يؤمن به فهو كافر فإن آمن به ثم اعتقد ما شاء الله أن يعتقده في نحلة أو فتيا أو عمل ما شاء الله تعالى أن يعمله دون أن يبلغه في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بخلاف ما اعتقدوا ما قال أو عمل فلا شيء عليه أصلا حتى يبلغه فإن بلغه وصح عنده فإن خالفه مجتهدا فيما لم يبين له وجه الحق في ذلك فهو مخطئ معذور مأجور مرة واحدة كما قال عليه السلام إذا اجتهد الحاكم

---

1) (ابن أبي ليلى) * (74 - 148 ه = 693 - 765 م) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار (وقيل: داود) ابن بلال الانصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي.ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس.واستمر 33 سنة. له أخبار مع الامام أبي حنيفة وغيره.مات بالكوفة . الأعلام للزركلي6/ 189.

2) داود بن علي بن خلف الأصبهاني المشهور بالظاهري . كان زاهداً متقللاً كثير الورع . أخذ العلم عن إسحق بن راهويه وأبي ثور وكان من أكثر الناس تعصباً للشافعي وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين . وكان صاحب مذهبٍ مستقل وتبعه جمع كثير من الظاهرية . وكان ولده أبو بكر محمد المذكور في المحمدين على مذهبه وانتهت إليه رئاسة العلم ببغداد . قيل أنه كان يحضر مجلسه أربع مائة صاحب طيلسان أخضر وكان من عقلاء الناس . قال أبو العباس ثعلب في حقه : كان عقل داود أكثر من علمه . وولد بالكوفة سنة اثنتين ومائتين وقيل سنة إحدى وقيل سنة مائتين . ونشأ ببغداد وتوفي سنة سبعين ومائتين الوافي في الوفيات 1/ 1909..

3 ـ أي العلماء بعد عصر الصحابة ، أما الصحابة فلم يختلفوا في تارك الصلاة متعمدا حتى خرج وقتها (وقد نقل هو في المحلى في مبحث الصلاة اجماع الصحابة على كفر من ترك صلاة واحدة متعمدا) وكذلك من ترك أداء الزكاة وهو الممتنع عنها فهذا اجمع الصحابة على كفره ، وانما الخلاف حادث بعدهم والله أعلم.

فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر وكل معتقد أو قائل أو عامل فهو حاكم في ذلك الشيء وإن خالفه بعمله معاندا للحق معتقدا بخلاف ما عمل به فهو مؤمن فاسق وإن خالفه معاندا بقوله أو قلبه فهو كافر مشرك سواء ذلك في المعتقدات والفتيا للنصوص التي أوردنا وهو قول إسحاق بن راهويه وغيره وبه نقول وبالله تعالى التوفيق اهـ مع الاختصار والاقتصار على الشاهد1 .

والعلامة ابن حزم رحمه الله لا يريد في كلامه السابق أصل المسألة من تأول في أصل الدين وإنما كما قال في الدرة: وأما من كان من غير أهل الإسلام من نصراني أو يهودي أو مجوسي أو سائر الملل أو الباطنية القائلين بإلهية إنسان من الناس أو بنبوة أحد من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعذرون بالتأويل أصلا بل هم كفار مشركون على كل حال اهـ 2 .وقال أيضاً: من بلغه الأمر عن رسول الله من طريق ثابتة وهو مسلم فتأول في خلافه أو رد ما بلغه بنص آخر فما لم تقم عليه الحجة في خطئه في ترك ما ترك وفي الأخذ بما أخذ فهو مأجور معذور لقصده إلى الحق وجهله به وإن قامت عليه الحجة في ذلك فعاند فكما ذكرنا قبل في التكفير أو التفسيق لا تأويل بعد قيام الحجة ، وأما من خالف الإسلام إلى دين آخر وأقر بنبوة أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن بلغته النذارة فهو كافر لا يعذر بتأويل أصلا ، لأن النص ورد بأن من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وبأنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما من لم تبلغه الدعوة فلا شئ عليه 3 .

وقال في الإحكام : وأهل الأهواء وأهل كل مقالة خالفت الحق وأهل كل عمل خالف الحق مسلمون أخطأوا مالم تقم عليهم الحجة فلا يقدح شيء من هذا في إيمانهم ولا في عدالتهم بل هم مأجورون على ما دنوا به من ذلك وعملوه أجرا واحدا إذا قامت عليهم الحجة في ذلك من نص قرآن أو سنة ما لم تخص ولا نسخت ، فأيما تمادى على التدين بخلاف الله عز وجل أو خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نطق بذلك فهو كافر مرتد ، وإن لم يدن لذلك بقلبه ولا نطق بلسانه ، ولكن تمادى على العمل بخلاف القرآن والسنة فهو فاسق بعمله مؤمن بقلبه وقوله اهـ . وأنكر التفريق بين الداعية وغيره ، وبين الفتيا والنحلة .4

وقال القاضي عياض في كتابه الشفاء في آخر الكتاب في فصل بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر قال :

---

2) الدرة فيما يجب اعتقاده ص 441/ 414.

3) المصدر السابق .

4) الإحكام في أصول الأحكام 580/4.

فأما من نفى صفة من صفات الله الذاتية أو جحدها مستبصرا في ذلك (أي معاندا) كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر من نفي عنه تعالى الوصف بها وأعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه .

وأما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن أبي جعفر الطبري وغيره وقال به أبو الحسن الأشعري مرة ، وذهبت طائفة إلى أن هذا لا يخرجه عن اسم الإيمان واليه رجع الأشعري .

وأما من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال الله عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة ، فمن قال بالمآل لما يؤديه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره ، لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم فكأنهم صرحوا عنده بما أدي إليه قولهم ، وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم .

ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا على هذا القول قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر بل نقول إن قولنا لا يؤل إليه على ما أصلناه ، فعل هذين المأخذين اختلف الناس في إكفار أهل التأويل ، وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك .

والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم ، وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم ، فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما زاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا ، لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب .

قال القاضي أبو بكر: وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ، ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها .

وهو اختيار ابن تيمية كما في الفتاوى والرد على البكري ومنهاج السنة ، قال ابن مفلح في الفروع عن شيخه ابن تيمية : "واختار شيخنا لا يفسق أحد (أي بالتأويل) وقاله القاضي في

شرح الخرقي في المقلد كالفروع لأن التفرقة بينهما ليست من أئمة الإسلام ولا تصح وإن ى الإمام أحمد عن الأخذ عنهم لعله الهجر وهي تختلف1 . وهو اختيار أئمة الدعوة .

قال الشوكاني في نيل الأوطار في باب قتال الخوارج وأهل البغي : وقد اختلف أهل العلم في تكفير الخوارج :

فقد صرح بالكفر القاضي أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي فقال الصحيح أ م كفار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم (يمرقون من الدين) ولقوله لأقتلنهم قتل عاد وفي لفظ ثمود وكل منهما إنما هلك بالكفر ، ولقوله (هم شر الخلق) ولا يوصف بذلك إلا الكفار ، ولقوله (إ م أبغض الخلق إلى الله تعالى) ولحكمهم على كل من خالف معتقدهم بالكفر والتخليد في النار فكانوا هم أحق بالاسم منهم .

وممن جنح إلى ذلك من المتأخرين الشيخ تقي الدين السبكي[2] فقال في فتاويه احتج من كفر الخوارج وغلاة الروافض بتكفيرهم أعلام الصحابة لتضمنه تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شهادته لهم بالجنة قال وهو عندي احتجاج صحيح ، قال واحتج من لم يكفرهم بأن الحكم بتكفيرهم يستدعي تقدم علمهم بالشهادة المذكورة علما قطعيا وفيه نظر لأنا نعلم تزكية من كفروه علما قطعيا إلى حين موته وذلك كاف في اعتقادنا تكفير من كفرهم ويؤيده حديث (من قال لأخيه يا كافر فقد باء ا أحدهما) وفي لفظ لمسلم (من رمى مسلما بالكفر أو قال يا عدو الله إلا حاد عليه) قال وهؤلاء قد تحقق منهم أ م يرمون جماعة بالكفر ممن حصل عندنا القطع بإيما م فيجب أن يحكم بكفرهم بمقتضى خبر الشارع وهو نحو ما قالوه فيمن سجد للصنم ونحوه ممن لا تصريح فيه بالجحود بعد أن فسروا الكفر بالجحود .

فإن احتجوا بقيام الإجماع على تكفير فاعل ذلك قلنا وهذه الأخبار الواردة في حق هؤلاء تقتضي كفرهم ولو لم يعتقدوا تزكية من كفروه علما قطعيا ، ولا ينجيهم اعتقاد الإسلام إجمالا والعمل بالواجبات عن الحكم بكفرهم ، كما لا ينجي الساجد للصنم ذلك

---

1) : الفروع 6 / 488.

2) تقي الدين السبكي (683 - 756 ه = 1284 - 1355 م) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الانصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقي الدين: شيخ الاسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين.وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات.ولد في سبك (من أعمال المنوفيه بمصر) والنتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام.وولي قضاء الشام سنة 739 ه، واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها، من كتبه " الدر النظيم " في التفسير، لم يكمله، و " مختصر طبقات الفقهاء ". الأعلام للزركلي4/ 302.

قال الحافظ وممن جنح إلى بعض هذا المحب الطبري[1] في تذيبه فقال بعد أن سرد أحاديث الباب فيه الرد على قول من قال لا يخرج أحد من الإسلام من أهل القبلة بعد استحقاقه حكمه إلا بقصد الخروج منه عالما فإنه مبطل لقوله في الحديث (يقولون الحق ويقرؤون القرآن ويمرقون من الإسلام ولا يتعلقون منه بشيء) ومن المعلوم أنهم لم يرتكبوا استحلال دماء المسلمين وأموالهم إلا لخطأ منهم فيما تأولوه من آي والقرآن على غير المراد منه ويؤيد القول بالكفر ما تقدم من الأمر بقتالهم وقتلهم مع ما ثبت من حديث ابن مسعود أنه لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث وفيه التارك لدينه المفارق للجماعة كما تقدم .

وقال القرطبي في المفهم : يؤيد القول بتكفيرهم ما في الأحاديث من أنهم خرجوا من الإسلام ولم يتعلقوا منه بشيء كما خرج السهم من الرمية لسرعته وقوة راميه بحيث لم يتعلق من الرمية بشيء وقد أشار إلى ذلك بقوله سبق الفرث والدم .

وحكي في الفتح عن صاحب الشفاء أنه قال فيه وكذا انقطع بكفر من قال قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة أو تفكير الصحابة وحكاه صاحب الروضة في كتاب الردة عنه وأقره .

وذهب أكثر أهل الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج فساق وأن حكم الإسلام يجري عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الإسلام وإنما فسقوا بتكفير المسلمين مستندين إلى تأويل فاسد وجرهم ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك ، وقال الخطابي أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم وأنهم لا يكفرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام .

وقال القاضي عياض كادت هذه المسألة أن تكون أشد إشكالا عند المتكلمين من غيرها حتى سأل الفقيه عبد الحق الإمام أبا المعالي[2] عنها فاعتذر بأن إدخال كافر في الملة وإخراج مسلم عنها عظيم في الدين قال وقد توقف القاضي أبو بكر الباقلاني[3] قال ولم يصرح القوم بالكفر وإنما قالوا أقوالا تؤدي إلى الكفر .

1) محب الدين الطبري (615 - 694 ه = 1218 - 1295 م) أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، أبو العباس، محب الدين: حافظ فقيه شافعي، متفنن، من أهل مكة مولدا ووفاة.وكان شيخ الحرم فيها. الأعلام للزركلي1/ 159

2) إمام الحرمين (419 - 478 ه = 1028 - 1085 م) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي.ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين.وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعا طرق المذاهب.ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك " المدرسة النظامية " فيها.وكان يحضر دروسه أكابر العلماء.له مصنفات كثيرة، منها " غياث الامم والتياث الظلم". الأعلام للزركلي 4/ 160.

3) القاضي أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم القاضي أبو بكر الباقلاني البصري صاحب التصاهيف في علم الكلان سكن بغداد وكان في فنه أوحد زمانه سمع أبا بكر القطيعي وغيره وكان ثقة عرافاً بالكلام صنف الرد عل الرافضة

وقال الغزالي في كتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة الذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلا فإن استباحة دماء المسلمين المقرين بالتوحيد خطأ والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم واحد .

قال ابن بطال ذهب جمهور العلماء إلى أن الخوارج غير خارجين من جملة المسلمين قال وقد سئل علي عن أهل النهروان هل كفروا فقال من الكفر فروا ، قال الحافظ وهذا إن ثبت عن علي حمل على أنه لم يكن يتحقق على معتقدهم الذي أوجب تكفيرهم عند من كفرهم .

قال القرطبي في المفهم والقول بتكفيرهم أظهر في الحديث قال فعلى القول بتكفيرهم يقاتلون ويقتلون وتغنم أموالهم وهو قول طائفة من أهل الحديث في أموال الخوارج وعلى القول بعدم تكفيرهم يسلك بهم مسلك أهل البغي إذا شقوا العصا ونصبوا الحرب قال وباب التكفير باب خطر ولا نعدل بالسلامة شيئا اهـ مختصرا .

وبعض السلف فرق : فقال صاحب المحرر والصحيح أن كل بدعة كفرنا فيها الداعية فإنا نفسق المقلد فيها كمن يقول بخلق القرآن أو أن ألفاظنا به مخلوقه أو أن علم الله مخلوق أو أن أسماء مخلوقة أو أنه لا يرى في الآخرة أو يسب الصحابة تدينا أو أن الإيمان مجرد الاعتقاد وما أشبه ذلك فمن كان عالما في شيء من هذه البدع يدعو إليه ويناظر عليه فهو محكوم بكفره نص أحمد صريحا على ذلك في مواضع قال واختلف عنه في تكفير القدرية بنفي خلق المعاصي على روايتين وله في الخوارج كلام يقتضي في تكفيرهم روايتين .

وقال صاحب المحرر الصحيح أن كل بدعة لا توجب الكفر لا يفسق المقلد فيها لخفتها مثل من يفضل عليا على سائر الصحابة ويقف عن تكفير من كفرناه من المبتدعة ثم ذكر رواية ابن هانئ المذكورة وقول المروذي لأبي عبد الله إن قوما يكفرون من لا يكفر فأنكره وقوله في رواية أبي طالب من يجترئ أن يقول إنه كافر يعني من لا يكفر وهو يقول القرآن ليس بمخلوق .

وممن فرق أيضا ابن القيم حيث قال في النونية

هم عندنا قسمان أهل جهالة * وذوو العناد وذانك القسمان

جمع وفرق بين نوعين هما * في بدعة لا شك يجتمعان

وذوو العناد فأهل كفر ظاهر * والجاهلون فإنهم نوعان

متمكنون من الهدى والعلم بالأسباب ذات اليسر والامكان *

لكن إلى أرض الجهالة أخلدوا واستسهلوا التقليد كالعميان *

والمعتزلة والخوارج والجهمية ذكره القاضي عياض في طبقات الفقهاء المالكية كان ورده في الليل عشرين ترويحة ثم يكتب خمساً وثلاثين ورقة من تصنيفه توفي في ذي القعدة سنة ثلث وأربع مابة.الوافي في الوفيات 1/ 370.

لم يبذلوا المقدور في إدراكهم * للحق وينا ذا الشان

فهم الألى لا شك في تفسيقهم * والكفر فيه عندنا قولان

والوقف عندي فيهم لست الذي * بالكفر أنعتهم ولا الإيمان

والله اعلم بالبطانة منهم * ولنا ظهارة حلة الإعلان

لكنهم مستوجبون عقابه * قطعا لأجل البغي والعدوان

هبكم عذرتم بالجهالة إنكم * لن تعذروا بالظلم والطغيان

* والطعن في قول الرسول ودينه وشهادة بالزور والبهتان *

والآخرون فأهل عجز عن بلو * غ الحق مع قصد ومع إيمان

بالله ثم رسوله ولقائه * وهم إذا ميز م ضربان

قوم دهاهم حسن ظنهم بما * قالته أشياخ ذوو أسنان

وديانة في الناس لم يجحدوا سوى * أقوالهم فرضوا ا بأمان

لو يقدرون على الهدى لم يرتضوا * بدلا به من قائل البهتان

فأولاء معذورون إن لم يظلموا * ويكفروا بالجهل والعدوان

والآخرون فطالبون الحق لكن صدهم عن علمه شيئان *

مع بحثهم ومصنفات قصدهم منها وصولهم إلى العرفان *

أحداهما طلب الحقائق من سوى أبوا ا متسوري الجدران *

وسلوك طرق غير موصلة إلى * درك اليقين ومطلع الإيمان

فتشا ت تلك الأمور عليهم * مثل اشتباه الطرق بالحيران

فترى أفاضلهم حيارى كلها * في التيه يقرع ناجذ الندمان

ويقول قد الطرق لا * أدري السلام الأعظم السلطاني

بل كلها طرق مخوفات ا الآفات حاصلة بلا حسبان *

فالوقف غايته وآخر أمره من غير شك منه في الرحمن *

أو دينه وكتابه ورسوله ولقائه وقيامة الأبدان

* فأولاء بين الذنب والأجرين أو إحداهما أو واسع الغفران *

فانظر إلى أحكامنا فيهم وقد جحدوا النصوص قولان القرآن *

وانظر إلى أحكامهم فينا لأجل خلافهم إذ قاده الوحيان

الشياطين يستوي الحكمان عند الله أو * عند الرسول وعندي ذي الإيمان

الكفر حق الله ثم رسوله * بالشرع يثبت لا بقول فلان

من كان رب العالمين وعبده * قد كفراه فذاك ذو الكفران

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " وليس في الطوائف أكثر تكذيبا بالصدق وتصديقا بالكذب من الرافضة فإن رؤوس مذهبهم وأئمته والذين ابتدعوه وأسسوه كانوا منافقين زنادقة كما ذكر ذلك عن غير واحد من أهل العلم وهذا ظاهر لمن تأمله بخلاف قول الخوارج فإنه كان عن جهل بتأول القرآن وغلو في تعظيم الذنوب وكذلك قول الوعيدية والقدرية كان عن تعظيم الذنوب وكذلك قول المرجئة كان أصل مقصودهم نفى التكفير عمن صدق الرسل ولهذا رؤوس المذاهب التي ابتدعوها لم يقل أحد أ م زنادقة منافقون بخلاف الرافضة فإن رؤوسهم كانوا كذلك مع أن كثيرا منهم ليسوا منافقين ولا كفارا بل بعضهم له إيمان وعمل صالح ومنهم من هو مخطىء يغفر له خطاياه ومنهم من هو صاحب ذنب يرجى له مغفرة الله لكن الجهل بمعنى القرآن والحديث شامل لهم كلهم فليس فيهم إمام من أئمة المسلمين في العلم والدين وأصل المذهب (اي الرافضة) إنما ابتدعه زنادقة منافقون مرادهم إفساد دين الإسلام "1.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى[2] صاحب كتاب إيثار الحق على الخلق : "فان قيل لم تورعوا هنا مع هذه النصوص الصحيحة المتواترة لصريحة قلت لوجوه :

أحدها: ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من عدم تكفير الخوارج مع بغضهم له وبغضه نفاق بل مع تكفيرهم له عليه السلام وهو سيد المسلمين وإمام المتقين وأبعد الخلق أجمعين عما افتراه من ذلك كذبة المارقين وقد ذكر الفقيه حميد في كتابه عمدة المسترشدين أن ذلك هو المشهور عنه عليه السلام وروى هو أنه عليه السلام لما سئل عن كفرهم قال من الكفر فروا ولما سئل عن إيما م قال لو كانوا مؤمنين ما حاربناهم قيل فما هم قال اخواننا بالأمس بغوا علينا فحاربناهم حتى يفيئوا إلى أمر الله .

قال الفقيه حميد وهذا تصريح بالمنع من كفرهم وأقرته الصحابة قلت ومن ههنا ادعى هو والخطابي وابن جرير قبلهما الإجماع على عدم تكفيرهم وكأن الناس تابعوه عليه السلام في ذلك

---

1) منهاج السنة النبوية 6 / 302.

2) (775 - 840 ه = 1373 - 1436 م) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير: مجتهد باحث، من أعيان اليمن.وهو أخو الهادي بن إبراهيم. ولد في هجرة الظهران (من شطب: أحد جبال اليمن) وتعلم بصنعاء وصعدة ومكة.وأقبل في أواخر أيامه على العبادة.قال الشوكاني: " تمشيخ وتوحش في الفلوات وانقطع عن الناس " وما بصنعاء، له كتب نفائس، منها " إيثار الحق على الخلق - ط " و " تنقيح الانظار في علوم الآثار - ط " في مصطلح الحديث، و " قبول البشرى بالتيسير لليسرى - ط " و " العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم " . الأعلام للزركلي 5/ 300.

لشهرته وعدم منازعة الصحابة ولا بعضهم له عليه السلام كما احتج به الفقيه حميد على أنه إجماع قال ولأن من كفر إماما وحاربه لم يكفر آه كلامه .

وقد روى ابن بطال في شرح البخاري كلام ابن جرير ودعواه الإجماع على ذلك في الكلام على الخوارج فقال إن ذلك مروي عن علي عليه السلام من طرق وذكر نحو ما تقدم وزاد في روايته قيل له عليه السلام فمنافقون فقال لو كانوا منافقين لم يذكروا الله إلا قليلا ثم قال روى وليع عن مسعر عن عامر بن شقيق عن أبي وائل عن علي عليه السلام أنه قال لم نقاتل أهل النهران على الشرك آه ومراده على الكفر بالقرينة كحديث جابر مرفوعا (بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة) رواه مسلم ذا اللفظ وكذا ذكره عنه ابن الأثير في جامعه وقبله الحميدي[1] في جمعه بين الصحيحين يوضحه أن ترك الخوارج للشرك الذي هو عبادة الأصنام وعبادة المخلوقين كان معلوما بالضرورة فلم يكن ليخبر بذلك وإنما خرج كلامه مخرج حديث جابر ومخرج حديث ابن عباس حيث قال إنه رأى النبي وآله يصلي إلي غير جدار أي غير سترة وهذا هو النوع المسمي بالخاص يراد به العام ومنه (فلا تقل لهما أف) أي لا تؤذهما بذلك ولا بغيره ونظائره كثيرة ويقوي صحة ذلك عنه عليه السلام أنه رد على أهل النهروان أموالهم قال ابن حجر رواه البيهقي من طرق فانضمت هذه الطرق إلى تلك الطرق التي ذكرها ابن بطال وأشار إليها الفقيه حميد" [2]

المبحث السادس: حكم أهل الأهواء والبدع في المسائل الخفية

ذهب العلماء إلى أن أهل الأهواء والبدع في المسائل الخفية إذا عاندوا كفروا كفر نفاق أو ردة قال القاضي عياض في كتابه الشفاء في آخر الكتاب في فصل بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر قال :

أ ـ فأما من نفى صفة من صفات الله الذاتية أو جحدها مستبصرا في ذلك (أي معاندا) كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص أئمتنا على الإجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف ا وأعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه .

1) الحميدي فقيه مكة عبد الله بن الزبير بن عيسى الإمام القرشي الحميدي حميد بن زهير محدث مكة وفقيهها وأجل أصحاب سفيان بن عيينة روى عنه البخاري . وروى أبو داود والترمذي والنسائي عن رجل عنه . قال أحمد بن حنبل : الحميدي عندنا إمام . وقال أبو حاتم : أثبت الناس بمكة . توفي سنة تسع عشرة ومائتين .الوافي في الوفيات1/ 2391.

2) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد: لابن الوزير محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ، 1987،1 / 388.

قال ابن تيمية : "فإن كثيرا من الفقهاء يظن أن من قيل هو كافر فإنه يجب أن تجري عليه أحكام المرتد ردة ظاهرة فلا يرث ولا يورث ولا يناكح حتى أجروا هذه الأحكام على من كفروه بالتأويل من أهل البدع .

وليس الأمر كذلك فإنه قد ثبت أن الناس كانوا ثلاثة أصناف مؤمن وكافر مظهر للكفر ومنافق مظهر للإسلام مبطن للكفر وكان في المنافقين من يعلمه الناس بعلامات ودلالات بل من لا يشكون في نفاقه ومن نزل القرآن ببيان نفاقه كابن أبي وأمثاله ومع هذا فلما مات هؤلاء ورثهم ورثتهم المسلمون وكان إذا مات لهم ميت آتوهم ميراثه وكانت تعصم دماؤهم حتى تقوم السنة الشرعية على أحدهم بما يوجب عقوبته .

ولما خرجت الحرورية على علي بن أبي طالب رضي الله عنه واعتزلوا جماعة المسلمين قال لهم إن لكم علينا أن لا نمنعكم المساجد ولا نمنعكم نصيبكم من الفيء فلما استحلوا قتل المسلمين وأخذ أموالهم قاتلهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم "[1].

قال ابن أبي العز رحمه الله :" قال في أقوال أهل البدع : ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر ، والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ، ولا يكون ذلك (أي التكفير) إلا إذا صار منافقا زنديقا فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقا زنديقا ، وكتاب الله يبين ذلك فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف :

صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب وهم الذين لا يقرون بالشهادتين وصنف المؤمنون باطنا وظاهرا. وصنف أقروا به ظاهرا لا باطنا .

وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة وكل من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقرا بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقا ، والزنديق هو المنافق ، وهنا يظهر غلط الطرفين فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع الباطن يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين ، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه عن عمر أن رجلا كان على عهد النبي كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله وكان رسول الله قد جلده في الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله (لا تلعنه فوالله ما علمت إلا إنه يحب الله ورسوله) .

وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج ، ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة

---

1) الفتاوى 617/7

تلك البدعة بل بفرع منها ، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء طوائف من السلف المشاهير فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا ، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون"1 .

ولكن أهل الأهواء والبدع في المسائل الخفية إذا لم يعاندوا وبقيت الشبهة لم يكفروا وفسقوا بالإجماع قال ابن تيمية : "والمقصود أن على بن أبي طالب وغيره من أصحابه لم يحكموا بكفرهم ولا قاتلوهم حتى بدؤوهم بالقتال والعلماء قد تنازعوا في تكفير أهل البدع والأهواء وتخليدهم في النار وما من الأئمة إلا من حكى عنه في ذلك قولان كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم وصار بعض أتباعهم يحكى هذا النزاع في جميع أهل البدع وفى تخليدهم حتى التزم تخليدهم كل من يعتقد أنه مبتدع بعينه وفى هذا من الخطأ ما لا يحصى وقابله بعضهم فصار يظن أنه لا يطلق كفر أحد من أهل الأهواء وان كانوا قد أتوا من الإلحاد وأقوال أهل التعطيل والاتحاد .

والتحقيق في هذا أن القول قد يكون كفرا كمقالات الجهمية الذين قالوا إن الله لا يتكلم ولا يرى في الآخرة ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر فيطلق القول بتكفير القائل كما قال السلف من قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة كما تقدم كمن جحد وجوب الصلاة والزكاة واستحل الخمر والزنا وتأول فإن ظهور تلك الأحكام بين المسلمين أعظم من ظهور هذه فإذا كان المتأول المخطئ في تلك لا يحكم بكفره إلا بعد البيان له واستتابته كما فعل الصحابة في الطائفة الذين استحلوا الخمر ففي غير ذلك أولى وأحرى .

وعلى هذا يخرج الحديث الصحيح في الذي قال إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني في اليم فوالله لئن قدر الله على ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين وقد غفر الله لهذا مع ما حصل له من الشك في قدرة الله وإعادته إذا حرقوه وهذه المسائل مبسوطة في غير هذا الموضع 2.

وقال ابن تيمية أيضاً :" والطريقة الثانية أن قتال مانعي الزكاة والخوارج ونحوهم ليس كقتال أهل الجمل وصفين وهذا هو المنصوص عن جمهور الأئمة المتقدمين وهو الذي يذكرونه في اعتقاد أهل السنة والجماعة وهو مذهب أهل المدينة كمالك وغيره ومذهب أئمة الحديث كأحمد وغيره وقد نصوا على الفرق بين هذا وهذا في غير موضع حتى في الأموال .

فإن منهم من أباح غنيمة أموال الخوارج وقد نص أحمد في رواية أبي طالب في حرورية كان لهم سهم في قرية فخرجوا يقاتلون المسلمين فقتلهم المسلمون فأرضهم فيء للمسلمين فيقسم خمسه

---

1) شرح الطحاوية 1 / 357.

2) الفتاوى 618/7.

على خمسة وأربعة أخماسه للذين قاتلوا يقسم بينهم أو يجعل الأمير الخراج على المسلمين ولا يقسم مثل ما أخذ عمر السواد عنوة ووقفه على المسلمين فجعل أحمد الأرض التي للخوارج إذا غنمت بمـ لة ما غنم من أموال الكفار .

وبالجملة فهذه الطريقة هي الصواب المقطوع به فإن النص والإجماع فرق بين هذا وهذا وسيرة علي رضي الله عنه تفرق بين هذا وهذا فإنه قاتل الخوارج بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرح بذلك ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه من كراهته والذم عليه ما ظهر وقال في أهل الجمل وغيرهم إخواننا بغوا علينا طهرهم السيف وصلى على قتلى الطائفتين 1.

وقال ابن تيمية :" وإذا جاهدوهم فكما جاهد علي رضي الله عنه الحرورية بعد الإعذار وإقامة الحجة وعامة ما كانوا يستعملون معهم الهجران والمنع من الأمور التي تظهر بسببها بدعتهم مثل ترك مخاطبتهم ومجالستهم لأن هذا هو الطريق إلى خمود بدعتهم وإذا عجزوا عنهم لم ينافقوهم بل يصبرون على الحق الذي بعث الله به نبيه كما كان سلف المؤمنين يفعلون وكما أمره الله في كتابه حيث أمرهم بالصبر على الحق وأمرهم بأن لا يحملهم شنآن قوم على أن لا يعدلوا .

قال ابن سحمان في كشف الأوهام : ومن لا تخرجه بدعته من الإسلام كالخوارج ونحوهم فهؤلاء لا يكفرون لأن أصل الإيمان الثابت لا يحكم بزواله إلا بحصول مناف لحقيقته منافض لأصله والعمدة استصحاب الأصل وجودا وعدما ، لكنهم يبدعون ويضللون ويجب هجرهم وتضليلهم والتحذير عن مجالستهم ومجامعتهم كما هو طريقة السلف في هذا الصنف2 .

المبحث السابع : المنتســبون إلى أهل القبلــة وليسوا منهم

إن العلم بالطوائف والفرق ومقالا ـم له أهميته البالغة لرصد وكشف المذاهب المنحرفة عن الصراط المستقيم فذلك من الأمور المهمة التي ينبغي الاهتمام الجاد بدراستها، وإعطائها حقها من المتابعة والبحث، تحقيقاً لقول الله تعالى {وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل ا ـرمين} 3،

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "العالمون بالله وكتابه ودينه، عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل ا ـرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإ ـم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها

---

1) الفتاوى الكبرى 336/4 .

2) الفتاوى الكبرى 209/5

3) الأنعام الآية 55.

مفصلة، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الظلم إلى العدل، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه..."1

وهذا المفهوم يجليه قول عمر الفاروق رضي الله عنه: "إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية"2

ولأهمية الرد على أهل الأهواء والبدع حتى تنقطع شبهتهم ويزول عن المسلمين ضررهم، فتلك مرتبة عظيمة من منازل الجهاد باللسان، فقد صح من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"3

وقال الإمام ابن تيمية: "فالراد على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحي ابن يحي يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد"4، وقال أيضاً: "وإذا كان النصح واجباً في المصالح الدينية الخاصة والعامة: مثل نقلة الحديث الذين يغلطون ويكذبون، ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوا م على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء، لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً"5.

وقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"6.

---

1) الفوائد ص 108-109. ط دار الكتب العلمية 1393هـ

2) تيسير العزيز الحميد (ص 90)

3) أخرجه أحمد في مسنده (272/19 ح 12246) وإسناده صحيح على شرط مسلم ، وأخرجه وأبو داود (2504) ، والنسائي (51/6) ، والحاكم (81/2) وصححه ، ووافقه الذهبي ، والضياء في المختارة (1905)

4) مجموع الفتاوى 13/4.

5) مجموع الفتاوى 231/28-232.

6) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ؟ (انظر فتح الباري 35/13 ح 7084) . وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتب الإمارة ، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (20/6)

قال ابن تيمية ـ في تعليقه على أحاديث النهي عن التفرق ـ: "وهذا المعنى محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه، يشير إلى أن التفرق والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة، وكان يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة"1.

إن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق، فيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفعل ما تريد، وأن تدعوا إلى كل ما تريد من بدع وخرافات دون أن تجد من يتصدى لها بالدراسة والنقد كما هو الواقع، فإن كثيراً من طلاب العلم - فضلاً عن عوام المسلمين - يجهلون أفكار فرق يموج بها العالم، وهى تعمل ليلاً ونهاراً لنشر باطلهم، ولعل هذه الغفلة من المسلمين عن التوجه لكشف هذه الفرق المارقة، لعله من تخطيط أولئك المارقين الذين يحلوا لهم حجب الأنظار عنهم، وعن مخططاتهم الإجرامية، ولا أدل على ذلك من تلك الأفكار وبعض العبارات التي يرددها كثير من المسلمين في كثير من المجتمعات الإسلامية دون أن يعرفوا أن مصدرها إما من الخوارج مثل قولهم لا حجة في شئ من أحكام الشريعة إلا من القرآن، أما السنة فلا حجة فيها، ومثل استحلال دماء المسلمين لأقل شبهة، وتكفير الشخص، بل المجتمعات الإسلامية بأدنى ذنب، أو من المعتزلة مثل تمجيد العقل، وتحكيمه في نصوص الشرع قرآناً وسنة، فما وافقه قبل وإلا فيرد، أو من الشيعة مثل تكفير الصحابة أو بعضهم واتهامهم، بالكذب والخوض في فتنة عثمان وعلى ومعاوية - رضوان الله على الجميع - أو من البهائية مثل تقديس العدد تسعة عشر، إلى غير ذلك .

ومن المعلوم أن ذلك إنما يعود إلى الجهل بأفكار وأهداف هذه الفرق التي أضلت كثيراً من شباب هذه الأمة في كثير من المجتمعات الإسلامية قديماً وحديثاً، من هنا تأتى أهمية دراسة الفرق وكشف القناع عن أهوائها وبدعها ليكون ذلك الكشف نوراً يضئ لشباب الأمة طريقه وسط هذا الظلام الفكري المفتعل من قبل ذيول تلك الفرق التي تعمل في الظلام لنشر أفكارها، وفرض مخططاتها المعادية للإسلام

ونبدأ بذكر بعض الفرق والطوائف الخارجة عن الإسلام ،وما أكثرها تلك الفرق التي تدعي الإسلام ،والإسلام منها بريء كـ القاديانية والبهائية والدروز والنصيرية والرافضة والبهرة والحلولية وسائر الطوائف الكافرة التي لا يمكننا أن ندعوها إلى جمع الصف ووحدة الكلمة لمحاربة الشيوعية والصهيونية مثلاً ،لأن دعوى تقديم توحيد الكلمة على كلمة التوحيد مصادمة للحق من جهة ولسنن الله في الحياة من جهة أخرى.

---

1) اقتضاء الصراط المستقيم 127/1.

وعليه فإن هذه الفرق ليست داخلة في الثنتين وسبعين فرقة، ومن قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة، وإنما يكفر بعضهم بعضاً [من تلك الفرق] ببعض المقالات، كما قد بسط الرد عليهم في غير موضع ' .

ولهذا نجد أن من كفر الجهمية من السلف مثل ابن المبارك ووكيع أخرجوهم من الثنتين وسبعين فرقة، وألحقوهم بـ السبئية والغرابية وأمثالها.

وحتى في المناهج الجامعية نجد أن كليات أصول الدين حالياً تفصل بين الفرق الخارجة عن الإسلام وبين الفرق الأخرى. فالأمر واضح لا لبس فيه .

ولهذه العوامل وغيرها تبدو الضرورة ملحة للحديث عن بعض الطوائف التي يعتبرها العلماء طوائف كفر وردة ،ونمثل لها بثلاث طوائف :

أولاً: النصيرية و الدرزية:

النصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة ، أصحا ا يعدون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهياً في علي وألهوه به ، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه وهم مع كل غاز لأرض المسلمين ، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العلويين تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضية والباطنية .

مؤسس هذه الفرقة أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري (ت 270هـ (عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة وهم علي الهادي(العاشر) والحسن العسكري (الحادي عشر) ومحمد المهدي (الموهوم) (الثاني عشر) .

زعم أنه الباب إلى الإمام الحسن العسكري ، وأنه وارث علمه ، والحجة والمرجع للشيعة من بعده ، وأن صفة المرجعية والبابية بقيت معه بعد غيبة الإمام المهدي .

ادعى النبوة والرسالة وغلا في حق الأئمة إذ نسبهم إلى مقام الألوهية

أهم العقائد :

- جعل النصيرية علياً إلها، وقالوا بأن ظهوره الروحاني بالجسد الجسماني الفاني كظهور جبريل في صورة بعض الأشخاص .
- لم يكن ظهور (الإله علي) في صورة الناسوت إلا إيناساً لخلقه وعبيده .
- يحبون (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل الإمام علي ويترضون عنه لزعمهم بأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت ويخطئون من يلعنه .

• يعتقد بعضهم أن علياً يسكن السحاب بعد تخلصه من الجسد الذي كان يقيده وإذا مر م السحاب قالوا : السلام عليك أبا الحسن ، ويقولون إن الرعد صوته والبرق سوطه

• يعتقدون أن علياً خلق محمد صلى الله عليه وسلم وان محمداً خلق سلمان الفارسي وان سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة الذين هم :

_ المقداد بن الأسود ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالرعود .

_ أبو ذر الغفاري : الموكل بدوران الكواكب والنجوم .

_ عبد الله بن رواحة : الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر .

_ عثمان بن مظعون : الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان .

_ قنبر بن كادان : الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام .

• لهم ليلة يختلط فيهم الحابل بالنابل كشأن بعض الفرق الباطنية .

• يعظمون الخمرة ، ويحتسو ا ، ويعظمون شجرة العنب لذلك ، ويستفظعون قلعها أو قطعها لأ ا هي أصل الخمرة التي يسمو ا(النور) .

• يصلون في اليوم خمس مرات لكنها صلاة تختلف في عدد الركعات ولا تشتمل على سجود وإن كان فيها نوع من ركوع أحياناً.

_ لايصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة من وضوء ورفع جنابة قبل أداء الصلاة .

_ ليس لهم مساجد عامة ، بل يصلون في بيو م ، وصلا م تكون مصحوبة بتلاوة الخرافات .

لهم قداسات شبيهة بقداسات النصارى من مثل :

_ قداس الطيب لك أخ حبيب .

_ قداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور .

_ قداس الأذان وبالله المستعان .

• لا يعترفون بالحج ، ويقولون بأن الحج إلى مكة إنما هو كفر وعبادة أصنام !! .

• لا يعترفون بالزكاة الشرعية المعروفة لدينا – نحن المسلمين – وإنما يدفعون ضريبة إلى مشايخهم زاعمين بأن مقدارها خمس ما يملكون .

• الصيام لديهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان .

• يبغضون الصحابة بغضاً شديداً ، ويلعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين .

• يزعمون بأن للعقيدة باطنا وظاهراً وأ م وحدهم العالمون بباطن الأسرار، ومن ذلك :

_ الجنابة : هي موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطني .

_ الطهارة : هي معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطني .

_ الصيام : هو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة .
_ الزكاة : يرمز لها بشخصية سلمان .
_ الجهاد : هو صب اللعنات على الخصوم وفُشاة الأسرار .
_ الولاية : هي الإخلاص للأسرة النصيرية وكراهية خصومها .
_ الشهادة : هي أن تشير إلى صيغة (ع . م . س) .
_ القرآن : هو مدخل لتعليم الإخلاص لعلي ، وقد قام سلمان ((تحت اسم جبريل)) بتعليم القرآن لمحمد .
_ الصلاة : عبارة عن خمس أسماء هي : علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة و(محسن) هذا هو(السر الخفي) إذ يزعمون بأنه سقط طرحته فاطمة ، وذكر هذه الأسماء يجزئ عن الغسل والجنابة والوضوء .

اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيريين لا تجوز مناكحتهم ، ولا تباح ذبائحهم ، ولا يصلى على من مات منهم ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولا يجوز استخدامهم في الثغور والحصون يقول ابن تيمية : (هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية – هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية – أكفر من اليهود والنصارى ، بل وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل التتار والفرنج وغيرهم.. وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين ، فهم مع النصارى على المسلمين [1]، ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد

---

1) من البراهين الدامغة على ما ذكر شيخ الإسلام الوثيقة المترجمة من الفرنسية والتي رفعها النصيريون إلى الحكومة الفرنسية بمناسبة التفاوض على منح الإستقلال لسوريا في عام 1936م

فخامة العميد السامي

بواسطة دولة حاكم اللاذقية الأفخم

نتشرف نحن رؤساء العشائر والزعماء والنواب العلويون بعرض ما يأتي :

لقد جاءت حكومة الإنتداب إلى بلادنا ونحن مستقلون عن كل سلطة في العالم بقوة سلاحنا ومنعة جبالنا. وهذا الإستقلال الغريزي دفع فريقاً منا في بادئ الأمر إلى محاربة الجيش الفرنسي احتفاظاً فيه ولكن الفريق الأكبر منا وثق بشرف فرنسا وتاريخها فوضعنا يدنا بيد الإنتداب الذي قدر لنا هذه الثقة فحفظ لنا استقلالنا ونظمه .

ومن ذلك الحين أخلصنا لفرنسا إخلاصاً لا حد له . وزاد في هذا الإخلاص أن جميع المفوضين السامين كانوا يصرحون ويعدون باسم فرنسا بضمان هذا الإستقلال وحمايته وكنا نتقبل هذه الوعود والتصريحات كما نتقبل كلام الله . إذ أنه لم يخطر في بالنا قط أنه يمكن لفرنسي يمثل حكومته أن يعد ثم يحنث في وعده .

وكم كانت دهشتنا عظيمة حين رأينا الفرنسيين المسؤولين لأول صدمة صغيرة يتلقو ا من السوريين يتناسون جميع وعودهم السابقة ويعدون السوريين بتصريح رسمي بإمكان إلحاقنا في سوريا . كأن إستقلالنا هو هبة من فرنسا تعطيها حين تريد وتمنعها حين تريد . وزاد في دهشتنا أن قضيتنا مع الأسف لم تكن أثناء المفاوضات الفرنسية السورية موضع نظر وعطف ومحافظة من الفرنسيين على شرف وعودهم بل كانت كما كتبته جميع الصحف موضع مساومة . بل كانت أكثر من ذلك عملية بيع وشراء كأننا من عبيد إفريقيا يباعون لأسيادهم دون أخذ موافقتهم وهذا أمر لم نكن نتصوره ولا في الأحلام .

الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم . فإن منجم هولاكو الذي كان وزيرهم وهو النصير الطوسي كان وزيرا لهم بالالموت وهو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء .

ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين تارة يسمون الملاحدة وتارة يسمون القرامطة وتارة يسمون الباطنية وتارة يسمون الإسماعيلية وتارة يسمون النصيرية وتارة يسمون الخرمية وتارة يسمون المحمرة وهذه الأسماء منها ما يعمهم ومنها ما يخص بعض أصنافهم كما أن الإسلام والإيمان يعم

تجاه ذلك رأينا أن نحدد موقفنا مع فخامتكم بصراحة متناهية لأننا أمام كارثة عظمى وعلى وشك الإستشهاد في ميدان الشرف .

إننا نطالب فرنسا العظيمة بالمحافظة على وعودها وشرف قرارا ا ونزيد على ذلك أننا لا نسمح حتى ولا لفرنسا الكريمة المحسنة أن تتصرف باستقلالنا و به هدية لمن تريد . متناسية إخلاصنا وتضحيتنا وثقتنا من جهة ووعودها وتأكيدا ا من جهة أخرى غير مهتمة بحكم التاريخ .

سيدي

عطفاً على برقياتنا وكتبنا السابقة نتشرف بعرض مايأتي :

إن العلويين يشكلون الأكثرية الساحقة من سكان حكومة اللاذقية يرفضون الرفض الجازم رجوعهم إلى التيار الإسلامي السوري ويذكرون فخامتكم ورجال البرلمان الفرنسي (كلمة غير معروفة) والأحزاب بتعهدات المفوضين السامين باحترام إستقلال العلويين وعدم إحداث أي تغيير إلا بعد أخذ رأي العلويين وموافقتهم . وهذه التعهدات تفيد في نظرنا على الأقل كل حكومة افرنسية بل تفيد شرف فرنسا وكرامتها .

إننا نؤكد لفخامتكم بمناسبة المفاوضات الافرنسية السورية أن كل اتفاق مع السوريين على قضيتنا مهما كان صغيراً لا يقيدنا بشيئ مطلقاً ولا نعترف به ولا بقانونية بل نعده خروجاً من قبل المفاوض الافرنسي على مبادئ افرنسا السامية وعلى وعودها بل على مبادئ الإنسانية التي تجيز لشعب أن يتحكم بمستقبل شعب آخر دون رضاه .

ونعتقد أن يستحيل على فرنسا الممثلة بأحزا ا البرلمانية أن تقرر عبودية شعب صغير صديق لأعدائه التاريخيين الدينيين ولكي تتأكدوا من عمق الهوة التي تفصل بيننا وبين السوريين وتتصوروا الكارثة المفجعة التي نحن على أبوا ا نرجوكم التفضل بإرسال لجنة تحقيق نيابة لتطالع على الحالة كما هي ولترى هل في الإمكان الحاق العلويين بسوريا دون التعرض لمأساة دامية تكون لطخة سوداء في تاريخ فرنسا مع إيقاف المفاوضات الافرنسية السورية فيما يختص بالعلويين لانتهاء مهمة هذه اللجنة . ولا يمنع هذا إصرارنا السابق على ذهاب وفد منا إلى باريس ونعيد ثانية لفخامتكم إننا لا نعترف مهما كلفنا الأمر بكل حل أو تعهد في قضيتنا لا يؤخذ رأينا أو موافقتناعليه وإذا كنتم تريدون تطبيق مبادئكم الإنسانية على الشعب السوري السني رغم عداوته لكم فلنا وطيد الأمل تطبيقها علينا نحن العلويين لأننا أصدقاء مخلصون .

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول أخلص الإحترام

رئيس ا لمس التمثيلي : إبراهيم الكنج .

أعضاء : عزيز هواش . محمد سلمان الأحمد. محمد جناد

أعضاء : صقر خير بك . يوسف الحامد

11حزيران 1936م

أنظر : موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة جميع الأديان والمذاهب الفكرية والفرق

المسلمين ولبعضهم اسم يخصه إما لنسب وإما لمذهب وإما لبلد وإما لغير ذلك وشرح مقاصدهم يطول وهم كما قال العلماء فيهم ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين لا بنوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا بشيء من كتب الله المنزلة لا التوراة ولا الإنجيل ولا القرآن ولا يقرون بأن للعالم خالقا خلقه ولا بأن له دينا أمر به ولا أن له دارا يجزى الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطبيعيين أو الإلهيين وتارة يبنونه على قول المجوس الذين يعبدون النور ويضمون الى ذلك الرفض

ويحتجون لذلك من كلام النبوات إما بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله العقل والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ولفظه إن الله لما خلق العقل فقال له أقبل فأقبل فقال له أدبر فأدبر فيحرفون لفظه فيقولون أول ما خلق الله العقل ليوافقوا قول المتفلسفة أتباع أرسطو في أن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل وإما بلفظ ثابت عن النبي فيحرفونه عن مواضعه كما يصنع أصحاب رسائل إخوان الصفا ونحوهم فإنهم من أئمتهم

وقد دخل كثير من باطلهم على كثير من المسلمين وراج عليهم حتى صار ذلك في كتب طوائف من المنتسبين إلى العلم والدين وان كانوا لا يوافقونهم على أصل كفرهم فان هؤلاء لهم في إظهار دعوتهم الملعونة التي يسمونها الدعوة الهادية درجات متعددة ويسمون النهاية البلاغ الأكبر والناموس الأعظم ومضمون البلاغ الأكبر جحد الخالق تعالى والاستهزاء به وبمن يقر به حتى قد يكتب أحدهم اسم الله في أسفل رجله وفيه أيضا جحد شرائعه ودينه وما جاء به الأنبياء ودعوى أنهم كانوا من جنسهم طالبين للرئاسة فمنهم من أحسن في طلبها ومنهم من أساء في طلبها حتى قتل ويجعلون محمدا وموسى من القسم الأول ويجعلون المسيح من القسم الثاني وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحج ومن تحليل نكاح ذوات المحارم وسائر الفواحش ما يطول وصفه ولهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضا وهم إذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثر فيها أهل الإيمان فقد يخفون على من لا يعرفهم وأما إذا كثروا فإنه يعرفهم عامة الناس فضلا عن خاصتهم

وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم ولا يتزوج منهم امرأة ولا تباح ذبائحهم...

ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ولا يصلى على من مات منهم فان الله سبحانه وتعالى نهى نبيه عن الصلاة على المنافقين كعبد الله ابن أبي ونحوه وكانوا يتظاهرون بالصلاة والزكاة والصيام

والجهاد مع المسلمين ولا يظهرون مقالة تخالف دين الإسلام لكن يسرون ذلك فقال الله ولا تصل على احد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إ م كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فكيف ؤلاء الذين هم مع الزندقة والنفاق يظهرون الكفر والإلحاد1

يستوطن النصيريون منطقة جبال النصيريين في اللاذقية ، ولقد انتشروا مؤخراً في المدن السورية ا اورة لهم 2.

وسئل ابن تيمية رحمه الله : عن الدرزية و النصيرية : ما حكمهم ؟

أجاب : هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم بل ولا يقرون بالجزية فإ م مرتدون عن دين الإسلام ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس ولا وجوب صوم رمضان ولا وجوب الحج ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرهما وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين

فأما النصيرية فهم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير وكان من الغلاة الذين يقولون : إن عليا إله وهم ينشدون :

(أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين)

(ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين)

(ولا طريق إليه إلا سلمان ذو القوة المتين)

وأما الدرزية فأتباع هشتكين الدرزي وكان من موالي الحاكم أرسله إلى أهل وادي تيم الله بن ثعلبة فدعاهم إلى إلاهية الحاكم ويسمونه الباري العلام ويحلفون به وهم من الإسماعيلية القائلين بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبدالله وهم أعظم كفرا من الغالية يقولون بقدم العالم وإنكار المعاد وإنكار واجبات الإسلام ومحرماته وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله أو مجوسا وقولهم مركب من قول الفلاسفة وا وس ويظهروا التشيع نفاقا والله أعلم3

ثانياً : الشيعة الروافض:

هم الذين رفضوا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ورفضوا أكثر الصحابة وقيل في سبب تسميتهم بالرافضة أ م رفضوا إمامة زيد بن علي، وأقواله في تفضيل الشيخين، وهم أردأ وأسوأ فرق الشيعة، ومن فروعهم مذهب الإمامية الإثنى عشرية وهم القائلون باتباع الإثنى عشر

1) مجموع الفتاوى 35/ 145 – 160.بتصرف

2) موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة

3) الفتاوى الكبرى3/ 513.

إماماً ، ويدخل في عمومهم أكثر مذاهب الشيعة في العالم الإسلامي ، ويقولون إن الإمامة ثبتت لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالنص ، وكذلك نص علي على الحسن ، والحسن على الحسين ، وهكذا ... كل إمام ينص على من بعده ، وتفرقوا إلى حوالي أربع وعشرين فرقة ، والإمامة عندهم ركن من أركان الإسلام 1.

والكلام عن الشيعة الرافضة نجعله في مطلبين :

أولاً : حكم العلماء على طائفة الرافضة بالكفر والردة 2:

---

1) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري 88/1 - 134، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية لمهنا وخريس ص104، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص288 - 289، الزينة للرازي الفاطمي ص270 - 271.

2)البراهين التي استدل ا العلماء على خروج طائفة الشيعة الإمامية من ملة الاسلام متعددة منها :

أولها: قولهم بتحريف القرآن ، واعتقادهم بتحريف القرآن الكريم وهذا يأتي من جهتين:

أولها- تأويلهم نصوص الكتاب تأويل أهل الزندقة والإلحاد مثال ذلك: ما أخرجه الكليني في الكافي 427/1: وهو من أعظم وأوثق كتب الرافضة الإمامية : عن أبي عبد الله υ في قوله تعالى:(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) قال: يعني إن أشركت في الولاية غيره .. ا- هـ. أي إن أشركت في الولاية غير علي والأوصياء الإثنى عشر من بعده .. ليحبطن عملك .. ففسروا الشرك بالله بالشرك في الولاية

وأولوا معنى (النبأ العظيم) الذي يراد به ـ بإجماع أهل التفسير ـ يوم القيامة وأهواله إلى علي بن أبي طالب τ ..

ففي الكافي 207/1 عن أبي حمزة، عن أبي جعفر υ قال: قلت له: جعلت فداك إنّ الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية:(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) قال: ذلك إلي إن شئت أخبر م وإن شئت لم أخبرهم، ثم قال: لكني أخبرك بتفسيرها، قلت:(عم يتساءلون) قال: فقال: هي في أمير المؤمنين صلوات الله عليه، كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: ما لله Y آيةٌ هي أكبر مني، ولا لله من نبأ أعظم مني ا-هـ.

تأويل لا يستساغ لغة، ولا عقلاً، ولا شرعاً .. هو ألصق بمعنى التحريف منه إلى معنى التفسير والتأويل.

قال الخميني: في كتابه " كشف الأسرار "ص197: وعليكم أن تعرفوا بأن الآيات التي وردت في القرآن حول علي بن أبي طالب أكثر من أن يمكن حصرها ا- هـ.

ثانيهما - قولهم بأن كتاب الله محرف . ففي الكافي للكليني 228/1: وهو من مصادرهم المعتمدة: عن أبي جعفر υ يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أُنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب υ والأئمة من بعده. وعنه قال: ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن ظاهره وباطنه غير الأوصياء ا- هـ.

وفي الكافي كذلك 412/1: عن جابر، عن أبي جعفر υ قال: قلت له: لِمَ سمي أمير المؤمنين ـ أي علي بن أبي طالب ـ ؟ قال: الله سماه هكذا؛ أنزل في كتابه:" وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمداً رسولي وأن علياً أمير المؤمنين " ا- هـ. فإضافة هذه الزيادة على الآية الكريمة " وأن محمداً رسولي وأن علياً أمير المؤمنين " واعتبارها من التن يل .. هو عين القول بالتحريف وفي الكافي كذلك عن أبي عبد الله υ في قوله Y :" ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً " هكذا نزلت ا- هـ.

وفي الكافي كذلك 417/1: عن أبي جعفر υ قال: نزل جبرائيل υ ذه الآية على محمد ρ هكذا:" بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله في علي بغياً " ا- هـ.

ونحوه 417/1: عن جابر، قال: نزل جبرائيل υ ذه الآية على محمدٍ ρ هكذا:" وإن كنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله " ا- هـ.

ونحوه 417/1: عن أبي عبد الله υ قال: نزل جبرائيل υ على محمد ρ ذه الآية هكذا:" يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا في علي نوراً مبينا " ا- هـ. فزاد " في علي نوراً مبيناً "!!

روى الكليني في الكافي 243/1، أن رجلاً سأل علي بن أبي طالب: أخبرني عن هذا العلم ما له لا يظهر ؟ فضحك علي υ وقال: أبى الله Y أن يطلع على علمه إلا ممتحناً للإيمان به .. فكم من اكتتام قد كتم به ـ أي رسول الله ρ ـ حتى قيل له" اصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين[2]" وأيم الله أن لو صدع قبل ذلك لكان آمناً؛ ولكنه إنما نظر في الطاعة، وخاف الخلاف، فلذلك كف ا- هـ. ولذا يقول الخميني قائد الثورة الشيعية الإيرانية في كتابه " كشف الأسرار ": لقد أثبتنا في بداية هذا الحديث بأن النبي أحجم عن التطرق إلى الإمامة في القرآن، لخشية أن يصاب القرآن من بعده بالتحريف، أو أن تشتد الخلافات بين المسلمين، فيؤثر ذلك على الإسلام! وواضح بأن النبي لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقاً لما أمر الله، وبذل المساعي في هذا ا ال، لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك، ولما ظهرت ثمة خلافات في أصول الدين وفروعه[2]ا- هـ.

وقد جمعت بعض الكتب، ككتاب " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب " لكاتبه الشيعي حسين النوري الطوسي، والهالك سنة 1320 هـ ما يزيد على أكثر من ألف رواية ينسبو ا زوراً وكذباً إلى أئمة آل البيت هذا وقد كثرت روايا م عن قرآن فاطمة، ونزول الوحي عليها وأن فيه من العلوم وعلم ما يكون ما ليس في كتاب الله، منها ما رواه الكليني في كتابه الكافي 239/1: عن أبي عبد الله υ قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد .. ا- هـ.

ثانياً: كفرهم من جهة غلوهم في الأئمة، والقول بعصمتهم روى الكليني في الكافي 192/1: عن سدير، عن أبي جعفر υ قال: قلت له: جعلت فداك ما أنتم ؟ قال: نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض ا- هـ.

وفي الكافي كذلك 196/1: عن أبي عبد الله υ قال: ما جاء به علي υ آخذ به وما ى عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد ρ، ولمحمد ρ الفضل على جميع من خلق الله Y، المتعقب عليه ـ أي على علي ـ في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله، كان أمير المؤمنين υ باب الله الذي لا يؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا ـ أي عصا موسى! ـ ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح، والرسل بمثل ما أقروا به لمحمدٍ ρ، ولقد حملت على مثل حمولته؛ وهي حمولة الرب .. ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي: علمت المنايا والبلايا، والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني، أبشر بإذن الله وأؤدي عنه، كل ذلك من الله مكنني فيه بعلمه ا- هـ.

وفي الكافي كذلك 223/1: قال رجل لأبي جعفر υ: يا ابن رسول الله فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين ؟ فقال أبو جعفر υ: اسمعوا ما يقول ؟! إن الله يفتح مسامع من يشاء، إني حدثته أن الله جمع لمحمدٍ ρ علم النبيين، وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين υ، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين ؟! ا- هـ.

في الكافي 239/1: عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله υ فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسالة، ههنا أحد يسمع كلامي ؟ قال: فرفع أبو عبد الله υ ستراً بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ρ علم علياً υ باباً يفتح له منه ألف باب ؟ فقال: يا أبا محمد علم رسول الله ρ علياً υ ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب، قال: قلت هذا والله العلم، قال: فنكت ساعة في الأرض ثم قال: إنه العلم وما هو بذاك!

قال: ثم قال: يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟! قال: قلت جعلت فداك وما الجامعة ؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ρ وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاجه الناس إليه حتى الأرش في الخدش .. قلت: هذا والله العلم، قال: إنه العلم وليس بذاك!

ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر، قال: قلت وما الجفر ؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إن هذا هو العلم، قال: إنه العلم وليس بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام ؟! قال: قلت وما مصحف فاطمة عليها السلام ؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وما هو بذاك!

ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة! قال: قلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك!!

قال: جعلت فداك فأي شيء العلم ؟! قال: ما يحدث بالليل والنهار، والأمر من بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة !! ا- هـ.

يقول " الخميني " في كتابه " الحكومة الإسلامية ": فإن للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم ρ والأئمة (ع) كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله .. وقد ورد عنهم (ع): إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل، ومثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء عليها السلام ..!

نحن نعلم أن أوامر الأئمة تختلف عن أوامر غيرهم، وعلى مذهبنا فإن جميع الأوامر الصادرة عن الأئمة في حياتهم نافذة المفعول، وواجبة الاتباع حتى بعد وفاتهم ..!

وقد قلت سابقاً إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلاً خاصاً وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر وإلى يوم القيامة يجب تنفيذها واتباعها .. ا- هـ.

ثالثاً: تكفيرهم للصحابة، وعامة المسلمين ففي الكافي 411/1: عن أبي عبد الله υ قال: سأله رجل عن القائم ـ أي مهديهم المنتظر ـ يسلم عليه بإمرة المؤمنين ؟ قال: لا، ذاك اسم سمى الله به أمير المؤمنين υ ـ أي علي بن أبي طالب τ ـ لم يسم به أحد قبله ولا يتسمى به بعده إلا كافر ا- هـ.

ومعلوم للجميع أن الذين تسموا قبل علي τ بأمير المؤمنين هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان .. رضي الله عنهم أجمعين .. فهؤلاء بنص قولهم كفار ..!!

وفي الكافي 426/1: عن أبي عبد الله υ في قوله تعالى:(وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد) قال: ذاك حمزة، وجعفر، وعبيدة، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد بن الأسود، وعمار هدوا إلى أمير المؤمنين υ.

وقوله تعالى:(حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) يعني أمير المؤمنين. (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) الأول، والثاني، والثالث ا- هـ.

ففسروا الكفر والفسوق والعصيان بالأول، والثاني، والثالث، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان .. رضي الله عنهم أجمعين .. فتأمل الكفر والزندقة في التحريف والتأويل! وفي الكافي 300/1: عن أبي جعفر υ قال: لما حضر الحسن بن علي عليهما السلام الوفاة قال للحسين υ: اعلم أنه سيصيبني من عائشة ما يعلم الله والناس صنيعها وعداوتها لله ولرسوله، وعداوتها لنا أهل البيت، فلما قبض الحسن υ ... ذهب ذو العوينين إلى عائشة فقال لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفنوا مع النبي ρ، فخرجت مبادرة على بغل بسرج، فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً، فقالت: نحوا ابنكم عن بيتي، فإنه لا يدفن في بيتي ويهتك

على رسول الله حجابه، فقال لها الحسين υ: قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله ρ وأدخلت عليه بيته من لا يحب قربه، وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة ا- هـ.

يقول آيتهم وحجتهم العظمى قائد الثورة الشيعية في إيران الخميني في كتابه المشهور " كشف الأسرار " : إن الله م ه بالطبع عن الاستهانة بالعدل والتوحيد، ومن هنا فإن عليه أن يضع أسساً لثبات هذه المبادئ من بعد النبي حتى لا يترك الناس حائرين في أمرهم، وحتى لا يجعلهم يقعون فريسة حفنة من الانتهازيين المتربصين ا- هـ ثم قال: إننا لا نعبد إلهاً يقيم بناء شامخاً للعبادة والعدالة والتدين، ثم يقوم ـدمه بنفسه، ويجلس يزيداً ومعاوية، وعثمان وسواهم من العتاة في مواقع الإمارة على الناس، ولا يقوم بتقرير مصير الأمة بعد وفاة نبيه ا- هـ.

ثم يستطرد قائلاً: إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الله، وما حللاه وحرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي ρ وضد أولاده، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين ..!! وهنا نجد أنفسنا مضطرين على إيراد شواهد من مخالفتهما الصريحة للقرآن؛ لنثبت بأ ما كانا يخالفان ذلك، وأنه كان هناك من يؤيدهما ...!! نورد هنا مخالفات عمر لما ورد في القرآن، لنبين بأن معارضة القرآن لدى هؤلاء كانت أمراً هيناً، ونؤكد أ م كانوا سيخالفون القرآن أيضاً فيما إذا كان قد تحدث بصراحة عن الإمامة ... والرسول الذي كد وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم، واغمض عينيه، وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية، والنابعة من أعمال الكفر والزندقة، والمخالفة لآيات ورد ذكرها في القرآن الكريم .. ا- هـ.

ولذلك يفضل شعب إيران من أتباعه على من كان مع النبي ρ من الصحابة، حيث قال في وصيته: إنني أدعي بجرأة أن شعب إيران وجماهيره المليونية في العصر الحاضر أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله ρ .. ذلك الحجاز الذي كان المسلمون أيضاً فيه في عهد رسول الله ρ لا يطيعونه، ويتذرعون بمختلف الذرائع حتى لا يتوجهون إلى الجبهة، فوبخهم الله بآيات في سورة التوبة، وتوعدهم بالعذاب .. ولقد كذبوا عليه ρ إلى حد أنه لعنهم على المنبر حسب ما روي ... ا- هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى 477/28: والرافضة كفّرت أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعامة المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفروا جماهير أمة محمد ρ من المتقدمين والمتأخرين. فيكفرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين، والأنصار العدالة، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهذا يكفرون أعلام الملة: مثل سعيد بن المسيب، وأبي مسلم الخولاني، وأويس القرني، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومثل مالك والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل ابن عبد الله التستري، وغير هؤلاء، ويستحلون دماء من خرج عنهم، ويسمون مذهبهم مذهب الجمهور ..!

وقال 481/28: وأكثر محققيهم ـ عندهم ـ يرون أن أبا بكر وعمر، وأكثر المهاجرين والأنصار، وأزواج النبي ρ: مثل عائشة، وحفصة، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما آمنوا بالله طرفة عين .. ا- هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم، ص590: من سبهم ـ أي الصحابة ـ سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم. وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أ م ارتدوا بعد الرسول عليه الصلاة والسلام إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفراً، أو أ م فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره؛ لأنه كذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عليهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وان هذه الآية التي هي:(كنتم خير أمة أخرجت للناس) وخيرها هو القرن الأول، وكان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمون أن هذه الأمة شر الأمم، وأنم سابقي هذه الأمم هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ا- هـ.

وقال القاضي عياض في الشفا 610/2: وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة، وتكفير الصحابة، فهؤلاء كفروا من وجوه؛ لأ م أبطلوا الشريعة بأسرها، إذ انقطع نقلها ونقل القرآن، إذ ناقلوه كفرة على زعمهم ا- هـ.

رابعاً: يأتي كفرهم من جهة إنكارهم للسنة وجحودهم لها ..!

لا أظن أننا بحاجة إلى إثبات إنكارهم وجحودهم للسنة الثابتة عن النبي ρ بالسند الصحيح .. فجميع أقوالهم وكتبهم، ونصوصهم تدل على ذلك .. فمذهبهم قائم على الهدم والرفض .. وعلى تصديق الكذب وتكذيب الصدق .. بل إن شعر شعرائهم الملاحدة خير عندهم مما ثبت عن النبي ρ في صحيحي البخاري ومسلم!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى 481/28: ومع هذا يردون ـ أي الشيعة الروافض ـ أحاديث النبي ρ الثابتة المتواترة عنه عند أهل العلم مثل أحاديث البخاري ومسلم، ويرون أن شعر شعراء الرافضة: مثل الحميري، وكوشيار الديلمي، وعمارة اليمني خير من أحاديث البخاري ومسلم، وقد رأينا في كتبهم من الكذب والافتراء على النبي ρ وصحابته، وقرابته أكثر مما رأينا من الكذب في كتب أهل الكتاب من التوراة والإنجيل.

وقال 479/28: ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة، فليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أكثر كذباً ولا أكثر تصديقاً للكذب، وتكذيباً للصدق منهم .. ا- هـ. فرواية حدثني الحمار عن أبيه، عن جده .. الواردة في كتبهم .. أصدق عندهم مما هو ثابت بالسند الصحيح ـ على أصول أهل الحديث من علماء الجرح والتعديل ـ في صحيحي البخاري ومسلم، وللتدليل على صحة ذلك نقتصر على ذكر الرواية التي رواها الكليني ـ كذباً وزوراً ـ في الكافي 237/1: عن علي بن أبي طالب قال: روي أن أمير المؤمنين υ قال: إن ذلك الحمار كلم رسول الله ρ فقال: بأبي أنت وأمي إن أبي حدثني عن أبيه، عن جده، عن أبيه أنه كان مع نوح في السفينة فقام إليه نوح فمسح على كفله ثم قال: يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم، فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار ا- هـ.

فلم يجدوا غير الحمار يفدي النبي ρ بأبيه وأمه .. وهذا من الطعن والاستخفاف بقدر النبي ρ .. الذي يجب أن يفدى بكل غالٍ وعزيز ونفيس!

وهو يعني أن ما بين الحمار الذي حدث النبي ρ والحمار الذي تكلم عنه نوح υ أربعمائة سنة على تقدير أن الحمار منهم قد عمر مائة سنة .. وهذا يعني أن بين نوح υ ومحمد ρ ليس أكثر من أربعمائة سنة ..!!

وهو يعني كذلك أن الحمير تعرف أنسابها .. وأنساب آبائها .. وأجدادها .. وتحافظ عليها .. كما هو الحال عند البشر من بني آدم!!

سادساً: يأتي كفرهم من جهة مظاهرتهم لأعداء الأمة من الكفرة والمشركين على أبناء الأمة من المسلمين الموحدين .

لشدة حقد الشيعة الروافض على الإسلام وأهله .. فإنهم كانوا ولا يزالون يختارون الوقوف مع أعداء الأمة من الكفرة والمشركين على الإسلام وأهله، وهذه حقيقة مسلمة مشاهدة لا تحتاج منا لمزيد عناء لكي نثبت صحتها وواقعيتها ..!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى بعد أن ذكر تكفيرهم لأهل الإسلام: ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين؛ فيعاونون التتار على الجمهور، وهم كانوا من أعظم الأسباب في خروج جنكيزخان ملك الكفار إلى بلاد الإسلام، وفي قدوم هولاكو إلى بلاد العراق، وفي أخذ حلب ونهب الصالحية، وغير ذلك بخبثهم ومكرهم لما دخل فيه من توزر منهم للمسلمين وغير من توزر منهم! وبهذا السبب نهبوا عسكر المسلمين لما مر عليهم وقت انصرافه إلى مصر في النوبة الأولى، وبهذا السبب يقطعون الطرقات على المسلمين، وبهذا السبب ظهر فيهم من معاونة التتار والإفرنج على المسلمين، والكآبة الشديدة بانتصار الإسلام ما ظهر، وكذلك لما فتح المسلمون الساحل ـ عكة وغيرها ـ ظهر فيهم من الانتصار للنصارى وتقديمهم على المسلمين ما قد سمعه الناس منهم، وكل هذا الذي وصفت بعض أمورهم، وإلا فالأمر أعظم من ذلك .. وهم يوالون اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين، وهذه من شيم المنافقين ..!

وهم يقاتلون لعصبية شر من عصبية ذوي الأنساب؛ وهي العصبية للدين الفاسد، فإن في قلوبهم من الغل والغيظ على كبار المسلمين وصغارهم، وصالحيهم وغير صالحيهم ما ليس في قلب أحد، وأعظم عبادتهم عندهم لعن المسلمين من أولياء الله متقدمهم ومتأخرهم، وأمثلهم عندهم الذي لا يلعن ولا يستغفر!

قد تضافرت الأدلة النقلية والعقلية، والواقع المشاهد على أن الشيعة الروافض ـ الإثنى عشرية ـ طائفة شرك ،خارجة عن ملة الإسلام .. دينهم يقوم على الكذب والتكذيب .. وتصديق الكذب .. والحقد الدفين على الإسلام وأهله ..!

وهؤلاء أشد الناس حرصاً على تفريق جماعة المسلمين .. من أعظم أصولهم عندهم التكفير واللعن والسب لخيار ولاة الأمور: كالخلفاء الراشدين، والعلماء المسلمين، ومشائخهم؛ لاعتقادهم أن كل من لم يؤمن بالإمام المعصوم الذي لا وجود له فما آمن بالله ورسوله.

إلى أن قال: والرافضة تحب التتار ودولتهم؛ لأنه يحصل لهم ا من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين. والرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين، وهم كانوا من أعظم الأسباب في دخول التتار قبل إسلامهم إلى أرض المشرق بخراسان والعراق والشام، وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبي حريمهم، وقصة ابن العلقمي وأمثاله مع الخليفة، وقضيتهم في حلب مع صاحب حلب مشهورة يعرفها عموم الناس.

وكذلك في الحروب التي بين المسلمين وبين النصارى بسواحل الشام فقد عرف أهل الخبرة أن الرافضة تكون مع النصارى على المسلمين، وأ م عاونوهم على أخذ البلاد لما جاء التتار، وعز على الروافض فتح مكة وغيرها من السواحل، وإذا غلب المسلمون النصارى والمشركين كان ذلك غصة عند الروافض، وإذا غلب المشركون والنصارى المسلمين كان ذلك عيداً ومسرة عند الرافضة ..ا- هـ.

وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان (287/1)،عن نصير الدين الطوسي الذي تظاهر بالرفض والانتساب لأهل بيت النبي ρ .. وأبطن الكفر والإلحاد: ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة، النصير الطوسي، وزير هولاكو، شفا نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه، فعرضهم على السيف، حتى شفا إخوانه من الملاحدة، واشتفى هو، فقتل الخليفة، والقضاة، والفقهاء، والمحدثين، واستبقى الفلاسفة، والمنجمين، والطبائعيين، والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد، والربط إليهم، وجعلهم خاصته وأولياءه، ونصر في كتبه قدم العالم، وبطلان المعاد، وإنكار صفات الرب Ψ ..ا- هـ.

ومع كل هذا التاريخ الأسود ل" نصير الطوسي " فإن الخميني قائد الثورة الشيعية في إيران، في كتابه الحكومة الإسلامية يعد " نصير الطوسي ": وأضرابه ممن قدم خدمات جليلة للإسلام! حيث يقول : وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين، فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله، إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام وللمسلمين مثل دخول علي بن يقطين، ونصير الدين الطوسي رحمهما الله - هـ.

وهاهم اليوم يقفون مع الأمريكان وغيرهم من دول الكفر الذين غزوا أرض أفغانستان .. يشاركو م هجمتهم الصليبية الشرسة على الإسلام والمسلمين .. إلى أن تحقق مرادهم المتمثل في إسقاط دولة طالبان الإسلامية ..! ومن قبل في جهاد الشعب المسلم الأفغاني الطويل والمرير .. ضد روسيا .. كانت الشيعة الروافض ـ في داخل أفغانستان وخارجها ـ مع الروس الملحدين ضد ا اهدين الأفغان .. وكانوا عيناً للشيوعيين الملحدين على المسلمين من أهل البلد ..!

وهاهي الفاضحة قد جاءت اليوم وهم يتآمرون من جديد مع الأمريكان وغيرهم لضرب وغزو العراق ، وقتل شعب العراق ، وتدمير قدرات واقتصاد العراق ، تحت زعم ومبرر إسقاط طاغية العراق!

ومن أقوال أهل العلم في الشيعة الروافض ما روى الخلال[1] في السنة عن أبي بكر المروزي[2] قال: سألت أبا عبد الله ـ أحمد بن حنبل ـ عن من يشتم أبا بكر وعمر وعائشة ؟ قال: ما أراه على الإسلام.

وقال ـ أي المروزي ـ: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال مالك بن أنس: الذي يشتم أصحاب النبي ρ ليس لهم سهم أو نصيب في الإسلام3.

وقال الإمام أحمد: إذا كان جهمياً، أو قدرياً، أو رافضياً داعية، فلا يصلى عليه، ولا يسلم عليه4.

وقال البخاري رحمه الله: ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، لا يسلم عليهم، ولا يعادون ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم5.

وعن موسى بن هارون بن زياد قال: سمعت الفريابي[6] ـ وهو محمد بن يوسف الفريابي ـ ورجل يسأله عمن شتم أبا بكرٍ قال: كافر، قال: فيصلى عليه ؟ قال: لا، وسألته كيف يصنع به وهو يقول: لا إله إلا الله ؟ قـال: لا تمسوه بأيديكم، ارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته7.

وقال ـ أي محمد بن يوسف الفريابي ـ: ما أرى الرافضة والجهمية إلا زنادقة8.

وقال ابن حزم : وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القراءات فإن الروافض ليسوا من المسلمين .. وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر"1.

---

1) الخلال (000 - 311 ه = 000 - 923 م) أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر، الخلال: مفسر عالم بالحديث واللغة، من كبار الحنابلة.من أهل بغداد.كانت حلقته بجامع المهدي.قال ابن أبي يعلى: له التفاسير الدائرة والكتب السائرة.وقال الذهبي: جامع علم أحمد ومرتبه.من كتبه (تفسير الغريب) و (طبقات أصحاب ابن حنبل - خ) قطعة منه، و (الحث على التجارة والصناعة والعمل - خ) في دار الكتب و (السنة) و (العلل) و (الجامع لعلوم الامام أحمد) في الحديث، قيل: لم يصنف في مذهب مثله، نحو مئتي جزء. الأعلام للزركلي1/ 206.

2) أحمد بن محمد بن الحجاج أبو بكر المروزي الفقيه أحد الأعلام وأجل أصحاب الإمام أحمد بن حنبل كان أبوه خوارزمياً وأمه مروزية حمل عن أحمد علماً كثيراً ولزمه إلى أن مات وصنف في الحديث والسنة والفقه وهو الذي تولى غماض أحمد بن حنبل وغسله . توفي في سادس جمادى الأولى سنة خمس وسبعين ومائتين ودفن إلى جانب الإمام أحمد بن حنبل .الوافي في الوفيات 1/ 1017.

3) السنة للخلال، رقم الأثر: 779.

4) السنة للخلال، رقم الأثر: 785.

5) كتاب خلق أفعال العباد، ص125.

6) محمد بن يوسف بن واقد أبو عبد الله الفريابي ولد سنة عشرين ومائة كان عالماً زاهداً ورعاً من الطبقة السادسة قال : رأيت في المنام أني دخلت كرماً فيه عنب فأكلت من عنبه كله إلا الأبيض فقصصت رؤياي على سفيان الثوري فقال : تصيب من العلوم كلها إلا الفرائض فإ ا جوهر العلم كما أن العنب الأبيض جوهر العنب وكان كما قال روى عن الثوري وغيره وروى عنه الإمام أحمد وغيره قال البخاري : كان الفريابي من أفضل أهل زمانه وكان ثقة صدوقاً مجاب الدعوة توفي سنة أثنتي عشرة أو ثلاث عشرة ومائتين. الوافي في الوفيات 1/ 678.

7) السنة للخلال، رقم الأثر:794.

8) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي:1545/8.

وقال الشافعي: ما أحد أشهد على الله بالزور من الرافضة.

وفي رواية عنه: ما رأيت في الأهواء قوماً أشهد بالزور من الرافضة2.

وعن أحمد بن يونس[3] قال: أنا لا آكل ذبيحة رجل رافضي فإنه عندي مرتد4.

وعن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال: قال الشعبي: يا مالك، لو أردت أن يعطوني ـ أي الشيعة الروافض ـ رقا م عبيداً أو أن يملؤوا بيتي ذهباً على أن أكذب لهم على علي لفعلوا، ولكن والله لا كذبت عليه أبداً!

أحذرك الأهواء المضلة، وشرها الرافضة وذلك أن منهم يهود يغمصون الإسلام لتحيا ضلالا م كما يغمص بولس بن شاؤل ملك اليهود ليغلبوا.

لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة من الله، ولكن مقتاً لأهل الإسلام وطعناً عليهم، فأحرقهم علي بن أبي طالب بالنار ونفاهم من البلدان: منهم عبد الله بن سبأ نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن شباب نفاه إلى جازت، وأبو الكروش وابنه.

وذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود!

قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود.

وقالت الرافضة: لا تصلح الإمارة إلا في آل علي!

وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال أو يـ ل عيسى من السماء.

وقالت الرافضة: لا جهاد حتى يخرج المهدي ثم ينادي منادي من السماء!

واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذلك الرافضة!

والحديث عن رسول الله ρ:" لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم ".

واليهود يولون عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة!

واليهود تسدل أثوا ا، وكذلك الرافضة!

واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن!

واليهود يستحلون دم كل مسلم، وكذلك الرافضة!

---

1) الفصل 78/2

2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي:1544/8.

3) أحمد بن يونس الامام الحجة الحافظ، أبو عبد الله، أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي اليربوعي الكوفي، ينسب إلى جده تخفيفا.مولده في سنة اثنتين وثلاثين ومئة تخمينا. قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل، وسأله رجل: عمن أكتب ؟ قال: ارحل إلى أحمد بن يونس، فإنه شيخ الاسلام . سير أعلام النبلاء 10/ 457.

4) المصدر السابق: 1546/8.

واليهود لا يرون الطلاق ثلاثاً شيئاً، وكذلك الرافضة!
واليهود لا يرون على النساء عدة، وكذلك الرافضة!
واليهود يبغضون جبريل ويقولون: هو عدونا من الملائكة، وكذلك صنف من الرافضة يقولون: غلط بالوحي إلى محمد!
وفُضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين: سئلت اليهود من خير ملتكم ؟ قالوا: أصحاب موسى.
وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب محمد!
وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: حواري عيسى.
وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: حواري محمد!
أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم!
فالسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لا يثبت لهم قدم، ولا تقوم لهم راية، ولا تجتمع لهم كلمة. دعو م مدحوضة، وجمعهم متفرق، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله Y[1].
ويقول ابن تيمية رحمه الله : (فهم أشد ضرراً على الدين وأهله، وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية، ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة، فليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أكثر كذباً ولا أكثر تصديقاً للكذب وتكذيباً للصدق منهم، وسيما النفاق فيهم أظهر منه في سائر الناس)[2]
وقال ابن تيمية أيضا: (فقد عرفَ من موالا م لليهود والنصارى والمشركين ومعاونتهم على قتال المسلمين مايعرفه الخاص والعام، حتى قيل: إنه ما اقتتل يهودي ومسلم، ولا نصراني ومسلم، ولامشرك ومسلم، إلا كان الرافضي مع اليهودي والنصراني والمشرك)[3] ، وقد علل ابن تيمية وقوف الرافضة مع الكفار على المسلمين أ م يرون المسلمين مرتدين وإن كانوا يعاملو م بالتقية والمرتد شر من الكافر الأصلي ولهذا يعاونون الكفار الأصليين على المسلمين لأ م مرتدون عندهم"[4]

ثانياً : عدم تكفيرهم على التعيين :

---

1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي: 8/1549.
2) مجموع الفتاوى) 28/ 479
3) (منهاج السنة) 2/ 452
4) مجموع الفتاوى 28/ 478

مرت بعض العبارات والأقوال عن السلف ظاهرها تكفير أعيان الشيعة الإمامية مثل قول أحمد بن يونس: أنا لا آكل ذبيحة رجل رافضي فإنه عندي مرتد1. ولكن الصحيح هو أنه لا يلزم من ذلك أن كل شيعي ينتسب لهذه الطائفة المارقة هو كافر مرتد بعينه بل نتوقف عن الجزم في تكفير كل من ينتسب لهذه الطائفة المارقة بعينه لاحتمال وجود المانع الذي يمنع من تكفيره .. ولاحتمال براءته مما يؤخذ على هذه الطائفة المارقة .. إذ أن من القوم من يظهر عدم اقتناعه أو اعتقاده بما أخذناه على القوم من أمور مكفرة .. فمثل هؤلاء تقتضي قواعد الشرع الإمساك عن تكفيرهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : والصحيح أن هذه الأقوال التي يقولو ا ـ أي الشيعة الروافض ـ التي يعلم أ ا مخالفة لما جاء به الرسول كفر، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي كفر أيضاً، وقد ذكرت دلائل ذلك في غير هذا الموضع، لكن تكفير الواحد المعين منهم، والحكم بتخليده في النار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه . فإنا نطلق القول بنصوص الوعد والوعيد والتكفير والتفسيق، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له "2. ومع ذلك فلم يقل أحد بتكفير الرافضة على التعيين وليس هذا قول أهل السنة كما قال ابن تيمية رحمه الله (ومن قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعـــين فرقـــة)3 وقـــال ابن تيميـــة أيضا ـــ في كلامـــه عن الإسماعيليـــة (والإمامية الإثنا عشرية خير منهم بكثير، فإن الإمامية مع فرط جهلهم وضلالهم فيهم خلق مسلمون باطناً وظاهراً ليسوا زنادقة منافقين، لكنهم جهلوا وضلوا واتبعوا أهواءهم)4.

وقال تقي الدين السبكي بعد أن قال بتكفير غلاة الرافضة والقدرية النفاة للعلم : (.. ثم ذلك إما في شخص خاص ، وشرطُه مع ذلك اعتراف الشخص به ، وهيهات يحصل ذلك .. وإما في فرقة ؛ فإنما يقال ذلك من حيث العلم الْجملي ، وأما على أناس بأعيا م فلا سبيل إلى ذلك إلا بإقرار أو بينة ، ولا يكفي أن يقال هذا من تلك الفرقة ؛ لأنه مع الصعوبة من جهة ما قدمناه يتطرق إليه شيء آخر وهو أن غالب الفرق عوام لا يعرفون الاعتقاد وإنما يحبون مذهباً فينتمون إليه ، من غير إحاطة بكنهه ؛ فلو أقدمنا على تكفيرهم جر ذلك فساداً عظيماً باطلاً ..)5 .

1) المصدر السابق: 1546/8.

2) الفتاوى 500/28

3) (مجمـــوع الفتـــاوى) 7/ 218.

4) (منهاج السنة) 2/ 452

5) فضاء الأرب في أسئلة حلب" (ص524)

وقال ابن مفلح[1] في الفروع : (.. وقال شيخنا : نصوصه صريحة على عدم كفر الخوارج والقدرية والمرجئة وغيرهم وإنما كفر الجهمية لا أعيا م ، قال : وطائفة تحكي عنه روايتين في تكفير أهل البدع مطلقا ، حتى المرجئة والشيعة المفضلة لعلي قال : ومذاهب الأئمة أحمد وغيره مبنية على التفصيل بين النوع والعين) .

وقال الإمام ابن القيم عن شهادة الفساق : (.. فأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام ، ولكنهم مخالفون في بعض الأصول - كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم . فهؤلاء أقسام : أحدها : الجاهل المقلد الذي لا بصيرة له ، فهذا لا يكفر ولا يفسق ، ولا ترد شهادته ، إذا لم يكن قادرا على تعلم الهدى ، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا) .

ثالثاً : القائلون بوحدة الوجود:

ابن عربي[2] هو إمام القائلين بوحدة الوجود، ويكاد الإجماع ينعقد على أن القول بوحدة الوجود لم يظهر في صيغته المتكاملة إلا على يديه، وإن كانت هناك أفكار سابقة على ابن عربي مهدت لظهور مذهبه، ومع ذلك فقد استمدها من كل مصدر وسعه أن يستفيد منه3، وقد عرف هذا

---

1) ابن مفلح (708 - 763 ه = 1308 - 1362 م) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي: أعلم أهل عصره بمذهب الامام أحمد بن حنبل.ولد ونشأ في بيت المقدس، وتوفى بصالحية دمشق.من تصانيفه (كتاب الفروع - ط) ثلاثة مجلدات، فقه، و (النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لابن تيمية - خ) فقه، و (أصول الفقه) و (الاداب الشرعية الكبرى - ط) ثلاثة مجلدات، وله على (المقنع) نحو ثلاثين جزءا. الأعلام للزركلي 7/ 107.

2) محيي الدين ابن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشيخ محيي الدين أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي المعروف بابن عربي ولد في شهر رمضان سنة ستين وخمس مائة بمرسية . قال الشيخ شمس الدين : قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام : هذا شيخ سوء كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً هكذا حدثني شيخنا ابن تيمية الحراني به عن جماعة حدثوه عن شيخنا ابن دقيق العيد أنه سمع الشيخ عز الدين يقول ذلك وحدثني بذلك المقاتلي ونقلته من خط أبي الفتح ابن سيد الناس أنه سمعه من ابن دقيق العيد انتهى: الوافي في الوفيات1/ 511 قال ابن مسدي في جملة ترجمته: كان ظاهري المذهب في العبارات، باطني النظر في الاعتقادات، " وكتب لبعض الولاة " ثم حج ولم يرجع إلى بلده، وروى عن السلفي بالإجازة " العامة " ، وبرع في علم التصوف، وتواليف جمة في العرفان، ولولا شطحه في الكلام لم يكن له بأس، ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته فيرجى له الخير: (فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي ،المحقق : إحسان عباس: دار صادر – بيروت الطبعة : 1) وكانت وفاته بدمشق في الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وست مائة انتهى ومن تصانيفه : الفتوحات المكية عشرون مجلدة والتدبيرات الإلهية وفصوص الحكم .الوافي في الوفيات1/ 511.

(3)نشأة الفلسفة الصوفية تطورها د. عرفان عبد الحميد ص235-236 ، والتصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي تأليف عبد القادر عطا ص345 ، ط/ الأولى 1407هـ الناشر دار الجيل – بيروت، والصوفية في ضوء الكتاب والسنة تأليف عبد ا يد محمد ص65 .

المذهب عند البراهمة في الهند، والرواقية اليونانية والأفلوطنية الحديثة، كما ظهر في صورة جديدة كوحدة الوجود الإسبينوزية، ووحدة الوجود المثالية1.

وتقوم نظرية وحدة الوجود على أن الكائنات هي عين وجود الله ـ تعالى ـ ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتة، وينبني على وحدة الوجود وحدة الأديان، وأن الكل يعبدون الله الواحد المتجلي في صور كل المعبودات2.

« وحقيقة قولهم هو قول ملاحدة الدهرية الطبيعية، الذين يقولون: "ما ثم موجود إلا هذا العالم المشهود، وهو واجب بنفسه" وهو القول الذي أظهره فرعون »3، «ولهذا كانوا معظمين لفرعون، ثم إنهم جعلوا أهل النار يتنعمون فيها، كما يتنعم أهل الجنة في الجنة،... وآخر تحقيقهم استحلال المحرمات وترك الواجبات »4.

يتلخص مذهب ابن عربي في وحدة الوجود في إنكاره لعالم الظاهر ولا يعترف بالوجود الحقيقي إلا لله ، فالخلق هم ظل للوجود الحق فلا موجود إلا الله فهو الوجود الحق .

فابن عربي يقرر أنه ليس ثمة فرق بين ما هو خالق وما هو مخلوق ومن أقواله التي تدل على ذلك : " سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها " .ويقول مبيناً وحدة الوجود وأن الله يحوي في ذاته كل المخلوقات :

ياخالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلق جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه فيك فأنت الضيق الواسع

- ويقول أيضاً :

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا وليس خلقاً بذالك الوجه فاذكروا
جمـع وفرق فـــإن العين واحــدة وهي الكثيـــرة لا تبقي ولا تـذر

وبناء على هذا التصور فليس ثمة خلق ولا موجود من عدم بل مجرد فيض وتجلي وما دام الأمر كذلك فلا مجال للحديث عن علة أو غاية ، وإنما يسير العالم وفق ضرورة مطلقة ويخضع لحتمية وجبرية صارمة .

---

(1) انظر: المعجم الفلسفي تأليف جميل صليبا جـ2/569-570 ط/1982م الناشر دار الكتاب اللبناني بيروت ، وحقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي د. كرم أمين ص44-45 ط/ الأولى 1417هـ الناشر دار الأمين –القاهرة، وباروخ سبينوز فيلسوف المنطق الجديد تأليف كامل عويضة ص57 ط/ الأولى 1413هـ الناشر دار الكتب العلمية –بيروت.

(2) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ 2/1410 ، والمعجم الفلسفي إصدار مجمع اللغة العربية ص313 ط/ 1399هـ، ونشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص235-236 .

(3) درء التعارض جـ3/163 وانظر: جـ8/243 .

(4) درء التعارض جـ5/4 وانظر: جـ3/75 .

وهذا العالم لا يتكلم فيه عن خير وشر ولا عن قضاء وقدر ولا عن حرية أو إرادة ثم لا حساب ولا مسؤولية وثواب ولا عقاب ، بل الجميع في نعيم مقيم والفرق بين الجنة والنار إنما هو في المرتبة فقط لا في النوع .

وقد ذهب ابن عربي إلى تحريف آيات القرآن لتوافق مذهبه ومعتقده ، فالعذاب عنده من العذوبة والريح التي دمرت عاد هي الراحة لأ ا أراحتهم من أجسامهم المظلمة ، وفي هذه الريح عذاب وهو من العذوبة :

- ومما يؤكد على قوله بالجبيرة الذي هو من نتائج مذهبه الفاسد :

الحكم حكم الجبر والاضطرار ما ثم حكـ ـم يقتضي الاختيار
إلا الذي يعـ ـزى إلينـ ـا ففي ظـ ـاهره بأنـ ـ ـ ـه عن خيار
لو فكر النـ ـاظـ ـر فيـ ـه رأى بأنـ ـه المختار عن اضطرار

وإذا كان قد ترتب على قول ابن عربي بوحدة الوجود قوله بالجبر ونفي الحساب والثواب والعقاب . فإنه ترتب على مذهبه أيضاً قوله بوحدة الأديان . فقد أكد ابن عربي على أن من يعبد الله ومن يعبد الأحجار والأصنام كلهم سواء في الحقيقة ما عبدوا إلا الله إذ ليس ثمة فرق بين خالق ومخلوق .

يقول في ذلك :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى الغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثـ ـ ـ ـان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

- فمذهب وحدة الوجود الذي قال به ابن عربي يجعل الخالق والمخلوق وحدة واحدة سواء بسواء ، وقد ترتب على هذا المذهب نتائج باطلة قال ا ابن عربي وأكدها وهي قوله بالجبرية ونفيه الثواب والعقاب وكذا قوله بوحدة الأديان .

- وقد بالغ ابن عربي في القول بوحدة الوجود تلاميذ له أعجبوا بآرائه وعرضوا لذلك المذهب في أشعارهم وكتبهم من هؤلاء : ابن الفارض وابن سبعين والتلمساني . أما ابن الفارض فيؤكد مذهبه في وحدة الوجود في قصيدته المشهورة بالتائية :

لهـ ـ ـا صلاتي بالمقـ ـام أقيمها وأشـ ـهـ ـد أ ـ ـ ـ ـا لي صلت
كلانا مصل عـ ـابد ساجـ ـد إلى حقيقة الجمـ ـع في كـ ـل سجـ ـدة
وما كان لي صلى سواي فلم تكن صلاتي لغيري في أداء كل ركعة
ومـ ـا زالت إياها وإياي لم تزل ولا فـ ـرق بل ذاتي لذاتي أحبت

فهو هنا يصرح بأنه يصلي لنفسه لأن نفسه هي الله . ويبين أنه ينشد ذلك الشعر لا في حال سكر الصوفية بل هو في حالة الصحو فيقول :

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها   وذاتي ذاتي إذا تحـلت تجـ ـلت1

وأصول هذه العقيدة ذكرها بعض أئمة الصوفية، وحارب أئمة الهدى منهم كالجنيد والتستري وغيرهم، وممن ذكرها أبو طالب المكي وغيره، وتمثلت في نفي العلو وأنه ـ سبحانه ـ في كل مكان وأن الله ـ تعالى ـ يرى الأشياء قبل خلقها وإن كان معدوماً2، ومن أصولها الهامة ما ذكره أبو طالب المكي من القول بالحلول وتبرى من اسمه وكنى عنه3، وقبله صرح بالحلول والاتحاد الحلاج4،

وقد كان أئمة الصوفية يردون ماهو دونه، فمن مواقف الجنيد[5] المشهورة، رده على الحلولية، فإنه لما وقع طائفة من الصوفية في القول بحلول الله ـ تعالى ـ بذاته في قلوب العارفين(6)، حذر الجنيد من هذا فقال: التوحيد هو: « إفراد الحدوث عن القدم »(7)، وفي لفظ: « إفراد القديم عن المحدث »(8)، فبين أنه لا بد للموحد من التمييز بين القديم الخالق والمحدث المخلوق، فلا يختلط أحدهما بالآخر(9).

---

1) موسوعة الأديان والمذاهب المُعاصرة جميع الأديان والمذاهب الفكرية والفرق والجماعات المختلفة

(2) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ 312/16-313، وجـ 143/2 –144.

(3)انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ485/5 ، وانظر: القوت جـ137/2-143، والسالمية ج788/2-795.

(4) انظر: الطواسين للحلاج ت/ماسنيون ص130 ، 134 ، ط/ 1913م، ومجموع فتاوى ابن تيمية 313/8-316 ، ونفحات الأنس في حضرات القدس للجامي النفشبندي ص522-524، ت/ الشؤون الفنية لمكتب شيخ الأزهر والتصوف وابن تيمية تأليف د.مصطفى حلمي ص251، ط/ دار الدعوة ـ الإسكندرية.

5) الجنيد البغدادي (000 - 297 هـ = 000 - 910 م) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين.مولده ومنشأه ووفاته ببغداد.أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير.وعرف الجنيد بالخزاز لانه كان يعمل الخز.قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرون مجلسه لالفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه.وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد.وقال ابن الاثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه.وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونا من العقائد الذميمة، محمي الاساس من شبه الغلاة، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع.من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به.له (رسائل - ط) منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والالوهية، والغناء، ومسائل أخرى. الأعلام للزركلي 2/ 141.

(6) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية 231/5.

(7) انظر: نفس المرجع جـ231/5 .

(8) مدارج السالكين جـ444/3 ، ط/ دار الرشاد.

(9) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية 231/5 ، وجـ 318/8 ، ومدارج السالكين جـ463/3-465، وللجنيد أقوال في الرد على من ترك الفرائض انظرها في الحلية جـ278/10، وطبقات الصوفية ص159.

وهؤلاء أعظم كفراً من النصارى بكثير، فإن « المسلمين كفروا من يقول إنه حل في المسيح وحده، فمن قال بالحلول في جميع الموجودات أعظم كفراً من النصارى بكثير...
وهب أ م يمكنهم إبطال قول النصارى في تخصيصهم المسيح بالحلول والاتحاد، حيث يقال: إذا جوز الحلول والاتحاد بالمسيح جاز بغيره، فإن القائلين بعموم الحلول والاتحاد يلتزمون هذا، ويقولون: النصارى كفرهم لأجل التخصيص، وكذلك عباد الأصنام إنما أخطأوا من حيث عبدوا بعض المظاهر دون بعض، والعارف المحقق عندهم من لا يقتصر على بعض المظاهر وا الي، بل يعبد كل شيء كما قد صرح بذلك ابن عربي صاحب "الفتوحات المكية" و"فصوص الحكم"، وأمثاله من أئمة هؤلاء الجهمية القائلين بوحدة الوجود »(1).

تلقي الوحي من الله تعالى أو الرسول ε:

ختم النبوة بالنبي ε معلوم من الدين بالضرورة، ولا يخالف الصوفية في هذا صراحة، لكن ذكروا أقوالاً تضمنت التلقي عن الله ـ تعالى ـ والعروج إليه سبحانه، ومخاطبته، ورؤيته متى شاؤا، وهذه الأقوال ليس لها معنى إلا استمرار النبوة وتلقي الوحي.
وزعم أبو طالب المكي أن بعضهم يأخذ علمه من ربه Y أي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس2، وقال:« وقال بعض المكاشفين ظهر لي الملك»3، ونقل أبو طالب المكي[4] عن بعض شيوخه أنه أمره أن يقرأ على الله ـ تعالى ـ ونقل عمن لم يسمه، قوله « ربما رأيته (أي الرب تعالى) ـ في ليلة سبع مرار»، وذكر عن آخر أنه « رأى الله ـ عز وجل ـ مائة وعشرين مرة، وسأله عن سبعين مسألة، أظهر منها أربعة، فأنكرها الناس فأخفى الباقي»5.
ومثل هذه الترهات كثيرة عندهم فمن ذلك ما ذكره القشيري[6] قال:« وقيل: رأى أحمد بن خضروية7ربه في المنام، فقال: يا أحمد، كل الناس يطلبون مني، إلا أبا يزيد فإنه يطلبني »1، نعوذ

(1) درء التعارض جـ156/6 .
(2)القوت جـ223/2 .
(3) نفس المرجع جـ219/2 ، وانظر: جـ112/2 .
([4]
(5) انظر: القوت جـ111/2، وأربعة كذا في الأصل.
6) القشيري (376 - 465 ه = 986 - 1072 م) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الاسلام: شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين.كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها.وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه.من كتبه " التيسير في التفسير - خ " ويقال له " التفسير الكبير " * و " لطائف الاشارات - ط " ثلاثة أجزاء منه، في التفسير أيضا، و " الرسالة القشيرية - ط " . الأعلام للزركلي 4/ 57.
(7) هو أبو حامد أحمد بن خضروية البلخي، توفي سنة 240هـ، من أصحاب أبي يزيد البسطامي. انظر: الرسالة القشيرية ص410 رقم 32 .

بالله من الضلال، فالأسانيد منقطعة، والنقلة كذبة، والممدوح من الزنادقة، ولا شك أن هذه الأقوال تدل صراحة على استمرار الوحي لهؤلاء، ويفهم منها دعوى النبوة، ولذا من جاء بعدهم تيسر عليه دعوى النبوة، وصرحوا بذلك(2).

ولهذا حذر أئمة الصوفية من هذه المنامات وبينوا أ ا من الشيطان فلا ينبني عليها شيء، فنقل عن سهل التستري أن بعض تلاميذه، قال له : يا أستاذ، أنا في كل ليلة أرى الله بعيني رأسي، فقال له: يا حبيبي، إذا رأيته الليلة فابزق عليه، قال: فلما رآه من ليلته بزق عليه، قال فطار عرشه، وأظلمت أنواره(3)، ومثلها حكاية الشيخ عبدالقادر[4] المشهورة(5).

وقد نسب ابن جرير الطبري لجماعة من المتصوفة مثل بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد قولهم: إن الله Y يرى في الدنيا والآخرة، وزعموا أ م قد رأوه، وأ م يرونه كلما شاءوا، إلا أ م زعموا أنه يراه أولياؤه دون أعدائه(6)، وقد ذم ابن خفيف هذه الطائفة ونفى نسبته إلى الصوفية قاطبة(7)، لكن تابعت الصوفية هذه الطائفة كما تقدمت أقوالهم، ولهذا تيسر على من جاء بعدهم دعوى النبوة.

---

(1) الرسالة القشيرية ص369 .

(2) انظر: تفسير ابن برجان ورقه 3، و4، و230 ، و231،ومدارج السالكين جـ 256/3 باب المعاينة وأنواعها للهروي، ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية جـ 325/1-349 .

(3) اللمع ص544 .

[4]) عبد القادر الجيلاني (471 - 561 ه = 1078 - 1166 م) عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي..من كبار الزهاد والمتصوفين.ولد في جيلان (طبرستان) وانتقل إلى بغداد شابا، سنة 488 ه، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الادب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده.وتصدر للتدريس والافتاء في بغداد سنة 528 ه.وتوفي ا.له كتب، منها " الغنية لطالب طريق الحق - ط ". الأعلام للزركلي 4/ 47.وقصته المشهورة مع الشيطان ذكرها العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى حيث قال :" كالشيخ عبدالقادر فى حكايته المشهورة حيث قال كنت مرة فى العبادة فرأيت عرشا عظيما وعليه نور فقال لى يا عبدالقادر أنا ربك وقد حللت لك ما حرمت على غيرك قال فقلت له أنت الله الذى لا إله إلا هو اخسأ يا عدو الله قال فتمزق ذلك النور وصار ظلمة وقال يا عبد القادر نجوت منى بفقهك فى دينك وعلمك ومنازلاتك فى أحوالك لقد فتنت ذه القصة سبعين رجلا فقيل له كيف علمت أنه الشيطان قال بقوله لى حللت لك ما حرمت على غيرك وقد علمت أن شريعة محمد لا تنسخ ولا تبدل ولأنه قال أنا ربك ولم يقدر أن يقول أنا الله الذى لا إله إلا أنا ". مجموع الفتاوى 1/ 172.

(5) انظر: القصة فى ذيل طبقات الحنابلة جـ 294/3، وذكر أ ا مشهورة، ذكرها الشطنوفي ولم يكن عليه الاعتماد وحده، ومجموع فتاوى ابن تيمية172/1.

(6) انظر: التبصير في معالم الدين للطبري، ت/ علي الشبل ص217-219 ، ط/ الأولى 1416هـ الناشر دار العاصمة- الرياض .

(7) مجموع فتاوى ابن تيمية79/5 .

بل ادعى ابن عربي ما هو أعظم من النبوة(1)، فزعم « أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، وأن الأنبياء جميعهم إنما يستمدون معرفة الله من مشكاة خاتم الأولياء »(2).

وزعم ابن عربي : « أن الولاية هي الفلك المحيط العام، ولهذا لم تنقطع، ولها الإنباء العام»(3)، قال الشوكاني :« فالرجل وأهل نحلته مصرحون بأ م أنبياء تصريحاً لا شك فيه، بل لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا أنفسهم أعظم من الأنبياء»(4)،وذهب غالب متأخري الصوفية إلى تفضيل الولي على النبي ، وزعموا أن الأولياء يتلقون من الله تعالى(5).

وهذه الدعاوى من الشيطان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:« وكثير من هؤلاء يتمثل له الشيطان، ويرى نوراً أو عرشاً أو نوراً على العرش، ويقول أنا ربك، ومنهم من يقول: أنا نبيك، وهذا وقع لغير واحد، ومن هؤلاء من تخاطبه الهواتف بخطاب على لسان الإلهية أو غير ذلك»(6)، « ولهذا كثير من أهل الزهد والعبادة يكون من أعوان الكفار ويزعم أنه مأمور بذلك، ويخاطب به، ويظن أن الله هو الذي أمره بذلك، والله منـزه عن ذلك، وإنما الآمر له بذلك النفس والشيطان، وما في نفسه من الشرك، إذ لو كان مخلصاً لله الدين لما عرض له شيء من ذلك، فإن هذا لا يكون إلا لمن فيه شرك في عبادته، أو عنده بدعة، ولا يقع هذا لمخلص متمسك بالسنة البتة »(7).

« وقد يخاطبون بأشياء حسنة رشوة منه لهم، ولا يخاطبون بما يعرفون أنه باطل، لئلا ينفرون منه، بل الشيطان يخاطب أحدهم بما يرى أنه الحق، والراهب إذا راض نفسه فمرة يرى في نفسه صورة التثليث، وربما خوطب منها، لأنه كان يتمثلها قبل ذلك »(8).

وقد أجمعت الأمة على أنه لا يرى الرب تعالى أحد في الدنيا بعينيه ، وقال ابن أبي العز:« واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينيه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ε خاصة »(9)، ونقل الإجماع ابن القيم(10) والسفاريني(11) وغيرهما(12).

---

(1) انظر: درء التعارض جـ 23/5 .

(2) درء التعارض جـ 355/5 .

(3) فصوص الحكم لابن عربي تعليق د. عفيفي، ط/ دار الكتاب العربي– بيروت ص 134-135 الفص العزيري.

(4) الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ت/ المدخلي ص 131 ، ط/الأولى 1414هـ .

(5) انظر: الصوفية/ ظهير ص188-190، والإنصاف في حقيقة الأولياء/ للصنعاني ت/ عبد الرزاق البدر ص68 .

(6) منهاج السنة جـ 625/2 .

(7) مجموع فتاوى ابن تيمية 612/10 .

(8) مجموع فتاوى ابن تيمية 612/10 ، وجـ 395/11.

(9) شرح العقيدة الطحاوية ص196 .

(10) انظر: حادي الأرواح ص422.

(11) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية جـ 285/1 .

(12) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف ص46 ، ونقل هذا الإجماع أيضاً ابن خفيف. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية 79/5 .

وأما مدعى رؤية الله ـ تعالى ـ في الدنيا فهو مبتدع ضال، يستتاب فإن تاب وإلا قتل(1)، قال السفاريني:« من ادعى الرؤية في الدنيا يقظة لغير نبينا ε فهو ضال، بل الكواشي في تفسيره(2)، في سورة النجم، قال : ومعتقد رؤية الله هنا ـ يعني في الدنيا بالعين ـ لغير نبينا محمد ε فزنديق، فلو قال إني أرى الله عياناً في الدنيا ويكلمني شفاهاً كفر »(3).

وقد رد أهل العلم على هذه الأقوال، فقال ابن الجوزي:« وصنف أبو طالب قوت القلوب... وردد فيه قول "قال بعض المكاشفين" وهذا كلام فارغ »(4)،

والنبوة قد بين الله ـ تعالى ـ انقطاعها وختمها بالنبي ε قال تعالى: 🡻 ☞❒✌☝
⌨⑨♦■❒🕮 ✎☞♦✉❒🕮 ➘⑨⭘☺❑♦➔👍 ♦♌♎☒✍
♊⬁▤🕒⬩♑◆❒ ⬀☠⬈▤♉♑♎⬕♊☠♒❻ ♊♉♓✌
⌘⚐⬩✍☞⬕⌘◆❒ ★✎☞✂ ♦✌❑←♐▪❻
♦♌♎☒✍◆❒ ▤ ⌘♊🕓☠♒⑩♐🖭❑✡♑☞✂
☞✞☺⑩♐🖬♦⬉☢⬈⬄♏☒★ ⬀♏✍⬈▤♐✉ ✦✎☞✂
⬀⬁☠⬃ 🡹 (5)، وهذه الآية نص عند علماء الأمة سلفا وخلفا على العموم التام مقتضية أنه لا نبي بعده ε، فهو كالخاتم والطابع لهم(6).

يقول الإمام ابن تيمية بعد أن ذكر كثيراً من أقوال أصحاب مذهب وحدة الوجود " يقولون : إن الوجود واحد ، كما يقول ابن عربي - صاحب الفتوحات - وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني وأمثالهم - عليهم من الله ما يستحقونه - فإ م لا يجعلون للخالق سبحانه وجوداً مبايناً لوجود المخلوق . وهو جامع كل شر في العالم ، ومبدأ ضلالهم من حيث لم يثبتوا للخالق وجوداً مبايناً لوجود المخلوق وهم يأخذون من كلام الفلاسفة شيئاً ، ومن القول الفاسد من كلام المتصوفة والمتكلمين شيئاً ومن كلام القرامطة والباطنية شيئاً فيطوفون على أبواب المذاهب ويفوزون بأخس المطالب ، ويثنون على ما يذكر من كلام التصوف المخلوط بالفلسفة "7 .

---

(1) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية جـ 512/6 .

(2) هو موفق الدين أبو العباس، أحمد بن يوسف بن حسن الكواشي، ثم الموصلي الشافعي، وكواشة قلعة من أعمال الموصل، له تفسير بعنوان "تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر"، ثم لخصه في مجلد سماه "التلخيص"، من التبصرة قطعة في مدرسة النواب بالمشهد الرضوي، توفي سنة 780هـ. انظر: طبقات القراء للذهبي جـ 1181/3-1183 ترجمة رقم 1108 ، ومعجم المفسرين، تأليف عادل نويهض جـ 83/1-84 ، ط/ الثالثة 1409هـ الناشر مؤسسة نويهض الثقافية.

(3) لوامع الأنوار جـ 285/2 .

(4) تلبيس إبليس ص169 .

(5) سورة الأحزاب الآية: 40 .

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ 196/14 .

7) جامع الرسائل 1- ص 167

وللعلامة ابن القيم رحمه الله كلام نفيس في الرد عليهم أنقل كثيراً منه لأهميته حيث قال : وزادت الاتحادية أتباع ابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني وأضرا م على هؤلاء بما قاله شيخ الطائفة محمد بن عربي : أن الولي أعلى درجة من الرسول لأنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي إلى الرسول فهو أعلى منه بدرجتين

فجعل هؤلاء الملاحدة أنفسهم وشيوخهم أعلى في التلقي من الرسل بدرجتين وإخوا م من المشركين جعلوا أنفسهم في ذلك التلقي بم لة الأنبياء ولم يدعوا أ م فوقهم

والمقصود : أن هؤلاء كفروا بالأصلين اللذين جاءت ما جميع الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم

أحدهما : عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه من إله والثاني : الإيمان برسله وما جاؤا به من عند الله تصديقا وإقرارا وانقيادا وامتثالا وليس هذا مختصا بمشركي الصابئة كما غلط فيه كثير من أرباب المقالات بل هذا مذهب المشركين من سائر الأمم لكن شرك الصابئة كان من جهة الكواكب والعلويات ولذلك ناظرهم إمام الحنفاء صلوات الله وسلامه عليه في بطلان إلهيتها بما حكاه الله سبحانه في سورة الأنعام أحسن مناظرة وأبينها ظهرت فيها حجته ودحضت حجتهم فقال بعد أن بين بطلان إلهية الكواكب والقمر والشمس بأفولها وأن الإله لا يليق به أن يغيب ويأفل بل لا يكون إلا شاهدا غير غائب كما لا يكون إلا غالبا قاهرا غير مغلوب ولا مقهور نافعا لعباده يملك لعابده الضر والنفع فيسمع كلامه ويرى مكانه ويهديه ويرشده ويدفع عنه كل ما يضره ويؤذيه وذلك ليس إلا لله وحده فكل معبود سواه باطل

فلما رأى إمام الحنفاء أن الشمس والقمر والكواكب ليست ذه المثابة صعد منها إلى فاطرها وخالقها ومبدعها فقال : إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا

وفي ذلك إشارة إلى أنه سبحانه خالق أمكنتها ومحالها التي هي مفتقرة إليها ولا قوام لها إلا ا فهي محتاجة إلى محل تقوم به وفاطر يخلقها ويدبرها وير ا والمحتاج المخلوق المربوب المدبر لا يكون إلها فحاجه قومه في الله ومن حاج في عبادة الله فحجته داحضة فقال إبراهيم عليه السلام : أتحاجوني في الله وقد هدان وهذا من أحسن الكلام أي أتريدون أن تصرفوني عن الإقرار بربي وبتوحيده وعن عبادته وحده وتشككوني فيه وقد أرشدني وبين لي الحق حتى استبان لي كالعيان وبين لي بطلان الشرك وسوء عاقبته وأن ا لهتكم لا تصلح للعبادة وأن عباد ا توجب لعابديها غاية الضرر في الدنيا والآخرة فكيف تريدون مني أن أنصرف عن عبادته وتوحيده إلى الشرك به وقد هداني إلى الحق وسبيل الرشاد فالمحاجة وا ادلة إنما فائد ا طلب الرجوع والانتقال من الباطل إلى الحق

ومن الجهل إلى العلم ومن العمى إلى الإبصار ومجادلتكم إياي في الإله الحق الذي كل معبود سواه باطل تتضمن خلاف ذلك.

فخوفوه بآلهتهم أن تصيبه بسوء كما يخوف المشرك الموحد بإلهه الذي يألهه مع الله أن يناله بسوء فقال الخليل : ولا أخاف ما تشركون به فإن ا لهتكم أقل وأحقر من أن تضر من كفر ا وجحد عباد ا ثم رد الأمر إلى مشيئة الله وحده وأنه هو الذي يخاف ويرجى فقال : إلا أن يشاء ربي شيئا وهذا استثناء منقطع والمعنى : لا أخاف ا لهتكم فإ ا لا مشيئة لها ولا قدرة لكن إن شاء ربي شيئا نالني وأصابني لا ا لهتكم التي لا تشاء ولا تعلم شيئا وربي له المشيئة النافذة وقد وسع كل شيء علما فمن أولى بأن يخاف ويعبد : هو سبحانه أم هي

ثم قال : أفلا تتذكرون فتعلمون ما أنتم عليه من إشراك من لا مشيئة له ولا يعلم شيئا ممن له المشيئة التامة والعلم التام ثم قال : وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ي ل به عليكم سلطانا وهذا من أحسن قلب الحجة وجعل حجة المبطل بعينها دالة على فساد قوله وبطلان مذهبه فإ م خوفوه بآلهتهم التي لم ي ل الله عليهم سلطانا بعباد ا وقد تبين بطلان إلهيتها ومضرة عباد ا ومع هذا فلا تخافون شرككم بالله وعبادتكم معه آلهة أخرى فأي الفريقين أحق بالأمن وأولى بأن لا يلحقه الخوف فريق الموحدين أم فريق المشركين

فحكم الله سبحانه بين الفريقين بالحكم العدل الذي لا حكم أصح منه فقال : الذين ا منوا ولم يلبسوا إيما م بظلم أي بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون[1]

يتضح مما سبق : أن هذا المذهب الفلسفي هو مذهب لا ديني ، جوهره نفي الذات الإلهية ، حيث يوحد في الطبيعة بين الله تعالى وبين الطبيعة ، على نحو ما ذهب إليه الهندوس أخذاً من فكرة يونانية قديمة ، وانتقل إلى بعض الغلاة المتصوفة كابن عربي وغيره ، وكل هذا مخالف لعقيدة التوحيد في الإسلام ، فالله سبحانه وتعالى منـزه عن الاتحاد بمخلوقاته أو الحلول فيها .

---

1) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان 2/ 255.

الفصل الثاني : المنهج الشرعي في معاملة أهل البدع والبغاة

المبحث الأول :المنهج الشرعي في معاملة أهل البدع

هذا موضوع مهم للغاية، وقد بين العلماء المنهج الشرعي في التعامل مع أهل البدع، وفرقوا بين البدع صغيرها وكبيرها، والظاهر منها والمستتر، كما فرقوا بين الداعي إلى بدعته، والقاصر لها على نفسه.

إن أخطر ما في العلاقة بالمخالف هو كثرة اضطراب الموازين في التعامل مع المبتدعة ؛ مما يؤدي إلى العدوان عليه وظلمه وبخسه حقه، أو الوقوع في تمييع الحدود ،والتساهل في الإنكار عليهم ورد باطلهم بحجة التسامح معهم وأ م من أهل القبلة وكفى .

ولما سبق كان لابد من صياغة جملة من القواعد والأسس لسببين :

أحدهما : بغية التوصل ا إلى أحكام دقيقة ومنضبطة ومنصفة، مبنية على العلم والعدل، وملتزمة بالمنهج الحق.

ثانياً : لتفادي التخبط في الرؤى والأحكام على غير بصيرة، وما يتولد عنه من أضرار كبيرة ومفاسد عظيمة، تلحق بالأفراد والجماعات.

"وكثير من المخلصين بعد سروره العميق بالدعوات الصادقة التي تنادي بإعادة الأمة الإسلامية من جديد يشكل عليه إمكانية الوحدة في ظل المذهبية والطائفية الحاصلة الآن، وحل هذا الإشكال يتمثل في إجابة واحدة هي أن من أصول الفرق من أطلت برأسها في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وبقية القرون المفضلة، ولا ريب أن الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من القرون المفضلة كان لهم منهج في التعامل مع تلك الفرق من أهل القبلة ساهم في الحفاظ على وحدة الأمة وتماسكها، إن هذا المنهج كما كان قادراً من ذي قبل على لمّ الشعث والقيام بواجب النصح لهو قادر الآن على القيام بنفس الواجب، فعلى دعاة الوحدة وإعادة الأمة الإسلامية من جديد الوقوف على مفرداته في التعامل مع الخلق ولا سيما أهل القبلة منهم"[1]

إن المخالف في أي شيء ؛ وثنياً كان أوملحداً أوكتابياً أومرتداً أومنافقاً أومبتدعاً ،كل هؤلاء وغيرهم ينبغي أن يعاملوا بقواعد الشريعة التي أساسها العدل الذي دلت عليه يقول الله جل شأنه

1) رسالة من القلب إلى إخواننا في اليمن، للشيخ سفر الحوالي، مجلة البيان عدد (181).

: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون "[1] .

وإذا كان هذا الكلام في الموقف من كل من خالفنا ،حتى في أصل الدين ، فكيف إذا كان من المبتدعة المخالفين من أهل القبلة . قال ابن تيمية: (ولما كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل، كان كلام أهل الإسلام والسنة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل، لا بالظن وما تهوى الأنفس)[2]. وقال: (وأئمة السنة والجماعة، وأهل العلم والإيمان، فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة... ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداءً، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم كان قصدهم بذلك بيان الحق، ورحمة الخلق)[3]

1) المائدة:8.

2) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 1/ 107.

3) (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس: تلخيص كتاب الاستغاثة : مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة ،الطبعة الأولى ، 1417 ،تحقيق : محمد علي عجال.2/ 490.هذا وقد سار ابن تيمية على منهج بين في تحرير أصول حكمه على المبتدعة، جاءت منضبطة وواضحة ودقيقة، تمثل تفصيل منهج أهل السنة والجماعة، في التعامل مع المبتدعة والحكم عليهم، يتلخص ذلك في الآتي :

1- عدم تأثيم مجتهد إذا أخطأ في مسائل أصولية فرعيه ، وأولى من ذلك عدم تكفيره أو تفسيقه.

2- عذر المبتدع لا يقتضي إقراره على ما أظهره من بدعة، ولا إباحة اتباعه، بل يجب الإنكار عليه فيما يسوغ إنكاره، مع مراعاة الأدب في ذلك.

3- عدم الحكم على من وقع في بدعة أنه من أهل الأهواء والبدع، ولا معاداته بسببها، إلا إذا كانت البدعة مشتهرة مغلظة عند أهل العلم بالسنة.

4- لا يحكم بالهلاك جزمًا على أحد خالف في الاعتقاد أو غيره، ولا على طائفة معينة بأنها من الفرق الضالة الثنتين والسبعين، إلا إذا كانت المخالفة غليظة.

5- التحري في حال الشخص المعين، المرتكب لموجب الكفر أو الفسق، قبل تكفيره أو تفسيقه، بحيث لا يكفر ولا يفسق أحد إلا بعد إقامة الحجة عليه .

6- الحرص على تأليف القلوب واجتماع الكلمة، وإصلاح ذات البين، والحذر من أن يكون الخلاف في المسائل الفرعية العقدية والعملية، سببًا في نقض عرى الأخوة والولاء والبراء بين المسلمين.

7- الإنصاف في ذكر ما للمبتدعة من محامد ومذام، وقبول ما عندهم من حق، ورد ما عندهم من باطل، وأن ذلك سبيل الأمة الوسط.

8- رعاية شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الأمر بالسنة والنهي عن البدعة، وتقديم الأهم فالأهم في ذلك.

9- مشروعية عقوبة الداعي إلى البدعة بما يحقق الزجر والتأديب والمصلحة، لأن ضرره متعد إلى غيره، بخلاف المسر فإنه تقبل علانيته، ويوكل سره إلى الله تعالى.

10- صحة الصلاة خلف المبتدع إذا لم يمكن الصلاة خلف المتبع، وإذا أمكن ذلك فالمسألة محل خلاف بين أهل العلم .

11- قبول توبة الداعي إلى البدعة .

لقد حرر العلماء أصولاً بالغة الأهمية، في التعامل مع المبتدعة والحكم عليهم ، جاءت منضبطة وواضحة ودقيقة، تمثل تفصيل منهج أهل السنة والجماعة، في التعامل مع مبتدعة أهل القبلة الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام ، كالمتأول والجاهل وا تهد .والمتأول هو من قام بعمل مبتدع وعنده شبهة يستحل ا هذا العمل ، وهذه الشبهة منها ما لا يعتمد عليه بحال ، ومنها ما له وجه ، لكنه غير مقبول عند الراسخين في العلم لكونه مرجوحاً ، وهذا كثير في أهل الأهواء . ومنها ما أدلته مختلف في ثبو ا ، أو أن وجه استدلاله فيه نوع شبهة .

والجاهل هو الذي لا بصيرة له ، ولا قدرة عنده على معرفة السنة ، ولا تحصيل الدين الصحيح ، ولم يجد من يبلغه الحجة الرسالية ، إما لكونه في بلد بعيد ، كمن يسكن البراري والجبال البعيدة ، وإما لكونه لا يجد سوى علماء الابتداع ويستوي في ذلك المقلد الذي عنده شيء من العلم والعامي الأمي

وا تهد من كان من أهل الاجتهاد ، ولكنه أخطأ وغلط ووهم ، ومنه ما حصل بين الصحابة من قتال ، ورمي بعض الصحابة للآخر بالنفاق ؛ وأما من كان من غير أهل الاجتهاد فقد يكون في حكم الجاهل .1

المبحث الثاني : قواعد أساسية في التعامل مع المبتدعة والحكم عليهم

أولاً : معاملتهم بعلم وتقوى :

إن حكم المرء لا يكون صحيحاً في شيء إلا بمعرفة دليل ما قال به ، وهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، ومنهج السلف في ذلك ، والإجابة على أدلة المخالفين ، ومتى ما فرط في شيء من ذلك فحكم على أحد أو أبدى رأياً فيه فقد اعتدى على المخالف بجهله ، وحتى لو أصاب الحق في نفس الأمر فهو آثم لتفريطه ، وهذا معنى ما قاله بعض أهل العلم : أخطأ وإن أصاب ؛ كالقاضي يحكم بغير بينه ولا قرينة ولا إقرار فهو مخطئ آثم ؛ وإن كان المتهم في نفس الأمر مجرماً .

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم حاثا على التخلق ذا الخلق فقال تعالى (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)2. وسبب تحذير الله سبحانه وتعالى المؤمنين من التسرع، وتنبيههم للتثبت قبل اتخاذ الموقف. بينه سبحانه وتعالى بقوله (أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)3. أي ((لئلا تصيبوا قوما من الناس الأبرياء. وأنتم تجهلون حقيقة الأمر. فتصيروا بعد ظهور براء م

1) "حقيقة البدعة" للغامدي (259/2-262 ، 227-229 ، 231 ، 264 ، 266-269)

2) الحجرات 6

3) الحجرات 6

نادمين على ما ارتكبتم في حقهم. مغتمين عما يلازمكم، وتتمنوا أن ذلك لم يقع منكم، لأن الندم هو الغم على وقوع شيء مع تمني عدم وقوعه)).

قال النبي صلى اللهُ عليهِ وسلم :"من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره ، و من مات و عليه دين فليس ثم دينار و لا درهم و لكنها الحسنات و السيئات ، و من خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتى يـ ع ، و من قال في مؤمن ما ليس فيه حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج مما قال "1 .وردغة الخبال هي: عصارة أهل النار.

وقد جاء الوعيد فيها لاثنين هما: شارب الخمر؛ فإنه يسقى يوم القيامة من هذه العصارة..

وصاحب الغيبة، و ذا يكون النبي صلى اللهُ عليهِ وسلم قد قرن حد مدمن الخمر بالذي يفتري على المؤمنين ما ليس فيهم، بسبب ظنه السيئ م.وقد حذر الله و ى عن ذلك أعظم النهي، فقال :يا أيها الذِين آمنوا اجتِنبوا كثِيراً مِن الظن إِن بعض الظن إِثْم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكُم بعضاً)2 ولم يقل إن كثيراً من الظن إثم، ومع ذلك حذر من كثيره لأنك لا تعرف أيها الإثم، وأيها ليس بإثم، إلا إذا اجتنبت كثيراً من الظن، وهذا الظن السيئ تأتي معه شبهات وأدلة لا أصل لها في الحقيقة .

فكيف إذا كان الأمر اختلاق وافتراء ومجازفة بغير علم وبغير برهان وبغير بينة؟ !فكان جزاؤه أن يحبس في ردغة الخبال، وهي عصارة أهل النار .والنار كلها عذاب، وكلها نتن، وكلها ظلمة وقسوة وشدة، لكن طينتها وعصار ا أخبث وأنتن وأجيف!

إذاً الأمر خطير، والمسألة ليست كما يظن الناس؛ فلا يجوز للإنسان أن يقول في الناس ما يشاء، وأن ينسبهم إلى الضلال أو البدع أو الكبائر، فإنه يقول الكلمة لا يلقي لها بالاً فتهوي به في النار سبعين خريفاً كما في الحديث

وليس من العلم أن يقلد المرء غيره في الحكم على الآخرين وما يترتب عليه من التعامل معهم جر أو تنفير أو عقوبة ، أو الحكم على أحد بكفر أو فسوق أو بدعة ؛ فما كان قطعياً فلا تقليد فيه لظهوره ، وما كان محل اجتهاد أهل العلم ، أو مشكوكاً فيه لم يجز لأحد أن يخرج من المقطوع به وهو حرمة عرض المسلم ، ولزوم وفائه جميع حقوقه بأمر مشكوك فيه لا يعرف وجهه ولا

---

1) أخرجه أبو داود (2 / 117) و الحاكم (2 / 27) و السياق له و أحمد (2 / 70) عن زهير حدثنا عمارة بن غزية عن يحيى بن راشد عن عبد الله بن عمر مرفوعا .و قال الحاكم : " صحيح الإسناد " . و وافقه الذهبي ، و هو كما قالا ، و رجاله ثقات رجال مسلم غير يحيى بن راشد و هو ثقة كما في " التقريب " .و قال المنذري في " الترغيب " (3 / 152) :

" رواه أبو داود و الطبراني بإسناد جيد ، و زاد - يعني الطبراني - :و ليس بخارج " .

2) الحجرات:12

دليله ، والعالم المستدل في أرائه ومواقفه قد يجد ما يخرجه من العهدة ، ويبرئ به الذمة ، ولكن ما هي حال المقلد ؟

والتقليد إنما أبيح ـ على خلاف الأصل وهو وجوب النظر والاستدلال ـ أبيح لدفع حاجة أو ضرورة في عبادة أو معاملة ؛ فما هي الضرورة والحاجة في الحكم على الآخرين بحكم ، أو معاملتهم بما يخشى معه بخس أعظم حقوقهم ؟ولو فقه المسلمون خطر التقليد ، ووكلوا علم ما لم يحققوه إلى العلماء الربانيين من أهل السنة ، وجعلوا لهم القياد في مواجهة البدعة وأهلها لما وقع ما وقع من العدوان والظلم على المخالف وغيره ؛ مما اختلت به الموازين واضطربت معه الأحكام وتشوهت به الصورة ، وأعرض عن الحق بسببه فئام من الخلق .قال الله تعالى : "وَإِذَا جَآءَهُم أَمر مِّن لأمن أَو لخوفِ أَذَاعوا بِهِۦۖ ولَو ردوه إِلَى لرسول وَإِلَىٰٓ أُولِى لأمرِ مِنهم لَعَلِمه لذِين يستنبِطُونه مِنهمۗ ولَولَا فَضلُ للهِ علَيكُم ورحمته ۥ لاتبعتم لشيطٰـن إِلا قَلِيلا"[1]

أما تقوى الله تعالى فهي أعظم ثمرات العلم ، ومن لم يورثه العلم خشية وتقوى فما حصله ليس بعلم في حقيقته وروحه ، وإنما هو صورته وجثمانه .

فأعظم وقاية للمسلم من أن يعتدي على غيره تصحيح أعمال القلوب من معرفة الله عز وجل وتقواه وقدره حق قدره ، وتعظيم أمره و يه والخوف منه ، ومحبته ، ومحبة دينه وأوليائه ، وبغض الكفر والفسوق والبدعة وأوليائها ، والإنابة والإخبات إليه ، والحذر من عقوبات الجبار في الدنيا والآخرة ؛ تورثه علماً بالله تعالى لا تؤثر فيه ـ مع رسوخ هذه المعاني في قلبه ـ حظوظ النفس وشهوا ا وتعلقها بما حولها من محبوب أو متبوع ، وإنما حرر قصده ، وجرد وجهه لله وحده ؛ ممتثلاً قوله تعالى : "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين"[2] .

ولهذا سمى الباري تعالى المطاعات دون طاعته أنداداً ؛ فقال جل شأنه : "وَمِن الناسِ من يتخِذُ مِن دون اللهِ أَندادًا يحِبونهم كَحبِّ اللهِ والذِين ءَامنوا أَشد حبًّا لِلهِ ولَو يرى الذِين ظَلَموا إِذْ يرونَ العذَاب أَن القُوةَ لِلهِ جمِيعًا وأَن الله شدِيد العذَابِ"[3] .

وكان من أعظم صفات العلماء هي الخشية والعمل المخلص ، قال جل شأنه : "إنما يخشى الله من عباده العلماء"[4] وقال الله تعالى : "أمن هو قانت آناء الليل يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب"[5] .

1) النساء : 83.
2) الأنعام : 162.
3) البقرة: 165.
4) فاطر : 28.
5) الزمر :9.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وبعد حكايته رحمه الله أقوالاً للكرامية والمعتزلة والقدرية وا ـبرة قال: (.. والله يحب الكلام بعلم وعدل ، ويكره الكلام بجهل وظلم) ..

.. (وقـد حرم سبحانه الكلام بلا علم مطلقاً ، وخص القول عليه بلا علم بالنهي ؛ فقال تعالى : "ولاَ تقْف ما لَيس لَك بِهِ عِلْم إِن السمع والْبصر والْفُؤاد كُل أُولـئِك كَانَ عنه مسؤولاً"[1] ، وقال تعالى : "قُلْ إِنما حرم ربي الْفَواحِش ما ظَهر مِنها وما بطَن والإِثْم والْبغى بِغير الْحقِّ وأَن تشرِكُواْ بِاللّهِ ما لَم ينزلْ بِهِ سلْطَـناً وأَن تقُولُواْ علَى اللّهِ ما لاَ تعلَمونَ"[2] . وأمر بالعدل على أعداء المسلمين ..)[3] .

والعلم بالبدعة ،يقتضي جملة من المفاهيم العلمية التي يجب مراعا ا وهي :

1- أن البدع متفاوتة وليست مرتبة واحدة، وهذا سبق بيانه في باب أقسام البدعة والمبتدعة ، وأصحاب البدع الذين خالفوا السنة في أصول عظيمة ليسوا كمن خالفها في أمور دقيقة، وبناء عليه يراعى في التعامل مع صاحب البدعة مدى مخالفة بدعته السنةَ. قال ابن تيمية: (وأصحاب ابن كُلاَّب4 كالحارث المحاسبي5، و أبي العباس القلانسي ونحوهما خير من الأشعرية، وكلما كان الرجل إلى السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلى وأفضل)6. وقال: (متكلّمة أهل الإثبات من

---

1) الإسراء : 36.

2) الأعراف: 33.

3) الفتاوى (96/8).

4) ابن كلاب رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد، عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم.أخذ عنه الكلام داود الظاهري، قاله أبو الطاهر الذهلي.وقيل: إن الحارث المحاسبي أخذ علم النظر والجدل عنه أيضا.وكان يلقب كلابا لانه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته.وأصحابه هم الكلابية، لحق بعضهم أبو الحسن الاشعري، وكان يرد على الجهمية. وقال بعض من لا يعلم: إنه ابتدع ما ابتدعه ليدس دين النصارى في ملتنا، وإنه أرضى أخته بذلك، وهذا باطل، والرجل أقرب المتكلمين إلى السنة، بل هو في مناظريهم. سير أعلام النبلاء11/ 175.

كان إمام أهل السنة في عصره، وإليه مرجعها، وقد وصفه إمام الحرمين ت 478 ه في كتابه " الارشاد " ص: 119: بأنه من أصحابنا.وقال السبكي في " طبقاته ": أحد أئمة المتكلمين.وشيخ الاسلام ابن تيمية يمدحه في غير ما موضع في كتابه " منهاج السنة "، وفي مجموعة رسائله ومسائله، ويعده من حذاق المثبتة وأئمتهم، ويرى أنه شارك الامام أحمد وغيره من أئمة السلف في الرد على مقالات الجهمية.وحين تكلم أبو الحسن الاشعري في كتابه " مقالات الاسلاميين " ؟ / 189، 299 عن أصحابه، ذكر أ م يقولون بأكثر مما ذكرناه عن أهل السنة.

5) الحارث بن أسد المحاسبي. أبو عبد الله. زاهد مشهور ومتصوف، هو أستاذ الجنيد الصوفي المشهور لقب بالمحاسبي لأنه كان شديد المحاسبة لنفسه. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مبكيا في وعظه. له كتب كثيرة في الزهد وفي أصول الديانات والعقائد والرد على المعتزلة والرافضة وغيرهما .توفي سنة 243هـ. تاريخ بغداد 211/8. وفيات الأعيان 57/2. حلية الأولياء 110-73/10.

6) مجموع الفتاوى 3/ 103.

الكلابية والكرامية والأشعرية... فهؤلاء في الجملة لا يطعنون في السلف بل قد يوافقو م في أكثر جمل مقالا م، لكن من كان بالحديث من هؤلاء أعلم، كان بمذهب السلف أعلم، وله أتبع، وإنما يوجد تعظيم السلف عند كل طائفة بقدر استنا ا وقلّة ابتداعها)1.

هذا والناس في البدعة على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى : وهي أشدها ، وهي أن يكون الموصوف بالابتداع رأسا فيها ، يدعو إليها وينافح عنها ، كما هو حال رؤوس الفرق الضالة كالجهمية والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج والأشاعرة وغيرهم.

المرتبة الثانية : أن يكون الموصوف ا ، تابعا مستترا ببدعته ، فلا يدعو إليها ، وإنما يعمل ا في خاصة نفسه ، وهذا أيضا يوصف بأنه مبتدع ، وإن كان حاله أحسن من حال سابقه ، فروايته مقبولة ، ما لم تشيد بدعته ، وإن كان الأولى الاستغناء عنها برواية أقرانه من الثقات العدول الذين لم يتلبسوا ببدعته ، والله أعلم .

المرتبة الثالثة : وهي مرتبة دقيقة قد تختلط على البعض فيظنها كالمرتبة الثانية ، فيصف صاحبها بالابتداع مطلقا ، وهي مرتبة من وافق في أقواله بعض أهل البدع دون أن يلتزم أصولهم ، كما حدث من بعض الأئمة ، كالنووي وابن حجر ، رحمهما الله ، في بعض مسائل الأسماء والصفات ، التي وافقوا فيها الأشاعرة ، دون أن يلتزموا التأويل منهجا ، كما التزمه الأشاعرة ، وإنما وقع لهم التأويل في بعض الجزئيات ، فضلا عن عدم التزامهم أقوال الأشاعرة في بقية أصول الدين ، بل قد أثر عن ابن حجر ، رحمه الله ، على سبيل المثال ، إنكاره الشديد على الأشاعرة ، رغم موافقته لهم في بعض الجزئيات ، كما تقدم ، فلا يقال عندئذ بأن النووي أو ابن حجر من الأشاعرة ، وإنما هما من أئمة أهل السنة والجماعة الذين وقع لهما زلل في بعض المسائل التي وافقوا فيها الأشاعرة ، فتجتنب أقوالهما في هذه المسائل ، وتوصف بأ ا بدعة ، دون أن يوصف قائلوها من أئمة أهل السنة بالمبتدعة ، فيقال : هذا القول بدعة ، ولكن الإمام فلان : إمام من أئمة أهل السنة ، ليس بمبتدع ، فلا يداهن القائل فينكر بدعية القول انتصارا لإمامه ، لأنه لا معصوم بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وادعاء العصمة لأحد بعده ، باب ضلال ولجه ضلال الشيعة والمتصوفة .

ولا يتحامل على القائل فيصفه بأنه مبتدع ضال ، لأنه أخطأ في مسألة دون أن يكون معاندا ، فلو علم الحق لرجع ، والعلم عند الله ، عن قوله إليه ، وهذا الظن بأئمتنا ، ولله در البيهقي ، رحمه الله ، إذ يقول في مسألة من مسائل اللباس وهي لبس المعصفر ، وقد قال الشافعي ، رحمه الله ، بجوازه

1)المصدر السابق 4/ 156.

، خلاف الراجح في هذه المسألة : (فلو بلغ ذلك الشافعي لقال به ، إتباعا للسنة ، كعادته (، وكذا ألحق النووي ، رحمه الله ، كثيرا من المسائل ، بمذهب الشافعي ، رحمه الله ، وإن لم يقل ا بقول ، لما صح عنده دليلها ، لأن الشافعي قال : (إذا صح الحديث فهو مذهبي) ، فمناط الأمر عنده على الدليل الشرعي الصحيح الصريح في المسألة ، والله أعلم

2 ـ إقامة الحجة شرط في التبديع: فمن أتى ببدعة سـ ـواء كانـ ـت مكفـ ـرة أو دو ـ ـا، فإنه لا يحكم عليه بمقتضى هذه البدعة، حتى تقام عليه الحجة، يقول ابن تيمية: (إني من أعظم الناس يأ أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا أعلم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارةً، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى. وإني أقرر أن الله غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحـ ـد منهـ ـم علـ ـى أحـ ـد لا بكفـ ـر ولا بفسق ولا معصية)1.

فالفعل الصادر من شخص إذا كان محل اجتهاد ليس موجباً للكفر أو الفسق ،فالقاعدة هي : عدم تأثيم مجتهد إذا أخطأ في مسائل أصولية أو فرعية .. وأولى من ذلك، عدم تكفيره أو تفسيقه نسب ابن تيميـ ـ ـة هـ ـ ـذا الحكـ ـ ـم إلى السلف وأئمـ ـة الفتـ ـوى، كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي وغيرهم، أ م كانـوا لا يؤثمون مجتهدًا أخطأ في المسائل الأصولية والفروعية، وذكر ذلك عنهم ابن حزم وغيره، وعلل هذا بأن أبا حنيفة والشافعي وغيرهمـ ـا كـ ـانـ ـوا يقبلـ ـ ـون شهـ ـ ـادة أهـ ـ ـل الأهـ ـ ـ ـ ـ ـواء، إلا الخطابيـ ـ ـة، ويصححون الصلاة خلفهم، والكافر لا تقبل شهادته على المسلمين، ولا يصلى خلفه، وأ م قالوا : هذا هو القول المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين، أ ـ ـم لا يكفـ ـرون ولا يفسقـ ـون ولا يؤثمون أحدًا من ا تهدين المخطئين، لا في مسألة عملية ولا علمية، قالوا : والفرق بين مسائل الأصول والفروع إنما هو من أقوال أهل البدع، من أهل الكلام من المعتزلة والجهمية، ومن سلك سبيلهم، وانتقل هذا القول إلى أقوام تكلموا بذلك في أصول الفقه، ولم يعرفوا حقيقة هذا القول ولا غَوره.

وبين رحمه الله بطلان رأي من قال : إن (مسائل الأصول هي العلمية الإعتقادية، التي يطلب فيها العلم والاعتقاد فقط، ومسائل الفروع هي العملية التي يطلب فيها العمل -من جهة الحكم- فإن المسائل العملية فيها ما يكفر جاحده، مثل وجوب الصلوات الخمس، والزكاة، وصوم شهر رمضان، وتحريم الزنا والربا والظلم والفواحش، وفي المسائل العلمية، ما لا يأثم المتنازعون فيه،

---

1) المصدر السابق 3/ 229.

كتنازع الصحابة : هل رأى محمد ربه؟ كتنازعهم في بعض النصوص : هل قاله النبي صلى الله عليه و سلم أم لا؟ وما أراد بمعناه؟ وكتنازعهم في بعض الكلمات، هل هي من القرآن أم لا؟ وكتنازعهم في بعض معاني القرآن والسنة : هل أراد الله ورسوله كذا وكذا؟ وكتنازع الناس في دقيق الكلام، كمسألة الجوهر الفرد، وتماثل الأجسام، وبقاء الأعراض، ونحو ذلك، فليس في هذا تكفيـــر ولا تفسيق)1.

ومن ذلك أيضاً بطلان جعل العقائد هي الأصول، والعبادات والمعاملات هي الفروع، فقال : (الحق أن الجليل من كل واحد من الصنفين مسائل أصول، والدقيق مسائل فروع، فالعلم بوجوب الواجبات، كمباني الإسلام الخمس، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة، كالعلم بأن الله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وأنه سميع بصير، وأن القرآن كلام الله، ونحو ذلك من القضايا الظاهرة المتواترة، ولهذا من جحد تلك الأحكام العملية المجمع عليها كفَر، كما أن من جحد هذه كفَر.. وقد يكون الإقرار بالأحكام العملية أوجب من الإقرار بالقضايا القولية، بل هذا هو الغالب، فإن القضايا القولية يكفي فيها الإقرار بالجمل : وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدَر خيره وشره.. وأما الأعمال الواجبة، فلابد من معرفتها على التفصيل، لأن العمل بها لا يمكن إلا بعد معرفتها مفصلة، ولهذا تقِر الأمةُ من يفصلها على الإطلاق وهم الفقهاء، وإن كان قد ينكر على من يتكلم في تفصيل الجمل القولية، للحاجة الداعية إلى تفصيل الأعمال الواجبة، وعدم الحاجة إلى تفصيل الجمل التي وجب الإيمان بها مجملة)2.

وعلل رحمه الله، عدم تأثيم المجتهد إذا أخطأ في مسائل أصولية أو فرعية بقوله : (ليس كل من اجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق، ولا يستحق الوعيد إلا من ترك مأمورًا أو فعل محظورًا، وهذا قول الفقهاء والأئمة، وهو القول المعروف عن سلف الأمة، وقول جمهور المسلمين)3.

لكنه يفَرق بين خطأين : خطأ مؤاخذ عليه، وخطأ مغفور له، فيقول : (من كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من إتباع القرآن والإيمان مثلاً، أو لتعديه حدود الله، بسلوك السبيل التي نهي عنها، أو لإتباع هواه بغير هدىً من الله، فهو الظالم لنفسه، وهو من أهل الوعيد، بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطنًا وظاهرًا، الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله، فهذا مغفور له خطؤه، كما قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا...) إلى قوله : (ربنا لا

---

1) منهاج السنة النبوية5/ 88.

2) مجموع الفتاوى6/ 56.

3) المصدر السابق 19/ 213. منهاج السنة النبوية5/ 98.

تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)1 ، وقد ثبت في صحيح مسلم، عن النبي صلى الله عليه و سلم، أن الله قال : (قد فعلت)2 ، وكذلك ثبت فيه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : (أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يقرأ بحرف من هاتين الآيتين ومن سورة الفاتحة إلا أعطي ذلك) ، فهذا يبين استجابة هذا الدعاء للنبي والمؤمنين، وأن الله لا يؤاخذهم إن نسوا أو أخطأوا)3.

وإذا كان خطأ المجتهد من علماء المسلمين مغفورًا له، فإنه لا يجوز تكفير أحد منهم بمجرد الخطأ، بل ولا يفَسق ولا يؤثم، وفي هذا الشأن يقول شيخ الإسلام : (إن علماء المسلمين المتكلمين في الدنيا باجتهادهم، لا يجوز تكفير أحدهم بمجرد خطأ أخطأه في كلامه... فإن تسليط الجهال على تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات، وإنما أصل هذا من الخوارج والروافض، الذين يكفّرون أئمة المسلمين، لما يعتقدون أنهم أخطأوا فيه من الدين، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض، بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم، وليس كُل من يترك بعض كلامِه لخطأ أخطأه، يكفر، ولا يفسق، بل ولا يأثم، فإن الله تعالى قال في دعاء المؤمنين : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)4 ، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (إن الله قال : قد فعلت))5.

بل يرى الشيخ أن (دفع التكفير عن علماء المسلمين وإن أخطأوا، هو من أحق الأغراض الشرعية...)6.

على أنه ينبغي أن يعلم أن رفع الإثم عن العالم المجتهد إذا أخطأ، لا يعني الإغضاء عن البدعة التي أخطأ فيها، فقد بين رحمه الله أن إثمها يزول للاجتهاد أو غيره، إلا أنه يجب بيان حالها، وعدم الاقتداء بمن استحلها، وأن لا يقصر أحد في طلب العلم المبين لحقيقتها، ذلك أن الإثم مزال عن المجتهد، لا عن وجه المخالفة من المبتدع.

وتأكيدًا لما سبق، فإنه ينبغي تقرير مسلك أهل السنة، في عدم تكفير المجتهد المخطئ في المسائل العملية أو المسائل الإعتقادية، إذ (إن المتأول الذي قَصده متابعةُ الرسول صلى الله عليه و سلم لا يكَفر ولا يفَسق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفروا المخطئين فيها، وهذا القول لا يعرف

1) البقرة : 285-286
2) رواه . مسلم (1 / 81)
3) مجموع الفتاوى3/ 317.
4) البقرة : 286
5) المصدر السابق 35/ 100.
6) المصدر السابق 35/ 103.

عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع، الذين يبتدعون بدعة، ويكفرون من خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية، ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة، كبعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وقد يسلكون في التكفير ذلك، فمنهم من يكفّر أهل البدع مطلقًا، ثم يجعل كل من خرج عما هو عليه، من أهل البدع.. وهذا بعينه قول الخوارج والمعتزلة والجهمية، وهذا القول أيضًا لا يوجد في طائفة من أصحاب الأئمة الأربعة ولا غيرهم، وليس فيهم من كفّر كل مبتدع، بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك، ولكن قد ينقل عن أحدهم أنه كفّر من قال بعض الأقوال، ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليحذر، ولا يلزم إذا كان القول كفرًا أن يكفّر كل من قاله مع الجهل والتأويل)1.. لذا كان (من عيوب أهل البدع، تكفير بعضهم بعضًا، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفّرون)2.

إذن لابد من التحري في حال الشخص المعين، المرتكب لموجب الكفر أو الفسق، قبل تكفيره أو تفسيقه، بحيث لا يكفر ولا يفسق أحد إلا بعد إقامة الحجة عليه

لأن (مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام، التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة، والقتل والعصمة، وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين)3.

ولعظم المسألتين وخطرهما، فإن إطلاق الكفر أو الفسق على أحد لا يكون إلا بموجب قطعي، ولاسيما الكفر فإنه يكون (بمثل تكذيب الرسول صلى الله عليه و سلم فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم)4 (فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفّرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفّرهم، لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك، وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه، ولا تزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله، فلا يكَفر إلا من كَفره الله ورسوله)5.

كما أن أهل السنة لا يكفّرون أحدًا من أهل القبلة بالذنب والمعصية، وإنما ذلك من فعل الخوارج الذين يكفّرون بمطلق الذنوب، وفي هذا يقول رحمه الله : (من شأن أهل البدع أنهم يبتدعون أقوالاً

---

1) منهاج السنة النبوية5/ 239.

2) المصدر السابق 5/ 251.

3) مجموع الفتاوى12/ 468.

4) درء تعارض العقل والنقل1/ 140.

5) تلخيص كتاب الاستغاثة: 2/ 492.

يجعلو ا واجبة في الدين، بل يجعلو ا من الإيمان الذي لابد منه، ويكفّرون من خالفهم فيها ويستحلون دمه، كفعل الخوارج والجهمية والرافضة والمعتزلة1.

الخلاصة أنه لا بد من الاستيفان مما يلي :

1- التأكد من وجود البدعة . فلا يكتفى بمجرد الشائع أو المنقول عن فلان ، بل لا بد من التثبت بسماع قوله أو رؤية فعله أو كتابته ، لا سيما في زماننا هذا ، الذي قل فيه الورع ، وندر فيه الثقة ، وكثر فيه التنافس والتحاسد ، وسهل فيه الرمي بالضلال والضياع.

2- أن تكون البدعة مما اتفق على بدعيتها ، فلا يهجر في المسائل التي اختلفت آراء العلماء فيها بين البدعية وعدمها ، ولا التي يشكل على العالم دليلها ومأخذها ، ولا مما يعد من مسائل الاجتهاد ، إذ لا تبديع فيها أصلاً .

3- ارتفاع الموانع عن المبتدع . وذلك ببلوغه الحجة الرسالية وفهمه لها حتى يزول مانع الجهل ويرتفع الاشتباه الذي يكون به التأول ، وتنقشع عنه غشاوة الغفلة ، وهذا لا يحصل إلا بالنصح والدعوة إلى المعروف والسنة بمعروف ، ومجادلة بالتي هي أحسن ، وتوضيح للحق وإرشادٍ إليه بإشفاق ولطف .

وبعد الحكم عليه بالإبتداع ينبغي مراعاة ما يلي :

1- وجوب الإقرار له بالإسلام ، لأنه كغيره من المسلمين ، ونصره على الكافر وإعانته على من يظلمه ، وذلك من لوازم الإقرار له بالإسلام ، ومن لوازم قاعدة أهل السنة والجماعة في الحب والبغض ، وهي أن الإنسان قد يجتمع فيه إيمان ونفاق ، وإسلام وكفر ، ولا يخرج من الملة ، بل يحب ويوالى على قدر ما فيه من إيمان وإسلام ، ويبغض على قدر ما فيه من نفاق وكفر .

أن يستبقى للمخالفين من أهل الشهادتين أصل صحة إسلامهم :

فلا يحكم على معين منهم بكفر ؛ بمجرد قوله الكفر أو فعله له قبل إقامة الحجة التي يكفر منكرها ، وقبل اجتماع الشروط وانتفاء الموانع ، ولا يحكم عليه أيضاً بمجرد انتسابه إلى فرقة تقول الكفر أو تعمل به .

أما تكفير المعين إذا قال الكفر أو فعله ؛ فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد حكايته أقوال أهل السنة في تكفير الجهمية : (.. وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة فإنـهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بـهم ثم إنـهم يرون من الأعيان الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون كافراً ؛ فيتعارض عندهم الدليلان ، وحقيقة الأمر أنـهم أصابـهم في ألفاظ العموم في كلام الأئمة ما أصاب الأولين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع ؛ كلما رأوهم

---

1) مجموع الفتاوى19/ 212.

قالوا : من قال كذا فهو كافر اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله ، ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع ، قد تنتفي في حق المعين ، وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين ؛ إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع ؛ يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه ؛ فإن الإمام أحمد مثلاً قد باشر الجهمية الذين دعوه إلى خلق القرآن .. [وذكر دعوتهم للكفر وإكراههم للناس عليه ثم قال] : ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم ؛ فإن الدعاء إلى المقالة أعظم من قولها ، وإثابة قائلها وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها ، والعقوبة بالقتل لقائلها أعظم من العقوبة بالضرب ، ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه ، واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر ، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم ؛ فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع ، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون : القرآن مخلوق ، وأن الله لا يرى في الآخرة ، وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قوما معينين ، فإما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ففيه نظر ، أو يحمل الأمر على التفصيل ؛ فيقال : من كُفر بعينه فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير ، وانتفت موانعه ، ومن لم يكفره بعينه فلانتفاء ذلك في حقه ، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم)1.

وهذا ظاهر في هدي النبي صلى الله عليه وسلم وطريقة أصحابه ؛ فرغم وجود بل كثرة من قال الكفر أو فعله إلا في عهده إلا إنه لم تجر عليهم أحكام الكفر ظاهراً ؛ فأخذها المرجئة ولبراليو العصر ليقولوا : إنه لا أحكام للردة في الإسلام ، وأخذها من نظر إلى العمومات بأنها تنطبق على كل قائل للكفر أو فاعل له ، وأيضاً لكل منتسب إلى ملة الكفر من أهل القبلة . وأهل الحق قالوا أخذوا بالعمومات وبالهدي العملي له صلى الله عليه وسلم فقالوا بتحقق الردة والخروج من الملة بشروط ذلك .

أما تكفير المنتسب إلى ملة تقول الكفر أو تفعله من أهل القبلة بمجرد انتسابه إلى هذه الملة فيرى كثيرون أن هذا ظلم تأباه أصول الشريعة ؛ لأن مقتضى هذا العدل أن نبقى على اليقين وهو إقرارهم ظاهرا بالشهادتين ، وأن لا يؤاخذ المرء إلا بما أظهره هو مما يخالفها من قول أو فعل .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح حديث الافتراق أصلين في تكفير الفرق ؛ فقال : (أحدهما : أن يعلم أن الكافر في نفس الأمر من أهل الصلاة لا يكون إلا منافقًا ؛ فإن الله منذ بعث محمدًا ﷺ وأنزل عليه القرآن ، وهاجر إلى المدينة صار الناس ثلاثة أصناف : مؤمن به ،

1) مجموع الفتاوى12/ 487.

وكافر به مظهر الكفر ، ومنافق مستخفٍ بالكفر . ولهذا ذكر الله هذه الأصناف الثلاثة في أول سورة البقرة ، وذكر أربع آيات في نعت المؤمنين ، وآيتين في الكفار ، وبضع عشر آية في المنافقين)1(.

وقال: (..عامة المخطئين من هؤلاء تجري عليهم أحكام الإسلام التي تجري على غيرهم ، هذا مع العلم بأن كثيراً من المبتدعة منافقون النفاق الأكبر وأولئك كفار في الدرك الأسفل من النار ؛ فأكثر ما يوجد في الرافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون ؛ بل أصل هذه البدع هم المنافقون الزنادقة ممن يكون أصل زندقته عن الصابئين والمشركين ؛ فهؤلاء كفار في الباطن ومن علم حاله فهو كافر في الظاهر أيضا ... ومثل المنافقين المظهرين للإسلام فأنهم تجري عليهم أحكام الإسلام وهم في الآخرة كافرون ؛ كما دل عليه القرآن في آيات متعددة . . . وإذا عرف هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين ا أنهم مخالفون للرسل وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر ، وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين ؛ مع أن بعض هذه البدع أشد من بعض ، وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض ؛ فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين ، وإن أخطأ وغلط ؛ حتى تقام عليه الحجة ، وتبين له المحجة ، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك ؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة)2 .

وقال رحمه الله بعد أن ذكر غالية الشيعة : (.. يقتلون باتفاق المسلمين ، وهم الذين يعتقدون الإلهية والنبوة في علي وغيره ، مثل النصيرية والإسماعيلية الذين يقال لهم بيت صاد وبيت سين ، ومن دخل فيهم من المعطلة الذين ينكرون وجود الصانع ، أو ينكرون القيامة ، أو ينكرون ظواهر الشريعة ؛ مثل الصلوات الخمس ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت الحرام ، ويتأولون ذلك على معرفة أسرارهم ، وكتمان أسرارهم ، وزيارة شيوخهم ، ويرون أن الخمر حلال لهم ، ونكاح ذوات المحارم حلال لهم ؛ فإن جميع هؤلاء الكفار أكفر من اليهود والنصارى ؛ فإن لم يظهر عن أحدهم ذلك كان من المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار ، ومن أظهر ذلك كان أشد من الكافرين كفراً)3 .

2- لا يلزم من وقوع الشخص في بدعة، ولا من انتسابه لطريقة مبتدعة أن يخرج عن أهل السنة:

---

1) المصدر السابق (352/3و353)

2) المصدر السابق (352/3و353).

3)) المصدر السابق 474/28.

إذ ارتكابه للبدعة متى كان عن اجتهاد وتأول لا يجعله مبتدعاً آثماً، مع أنه ينكر عليه ويبين خطؤه، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»1. وكثير من مجتهدي السلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة لسبب من الأسباب وهذا جعلهم معذورين يشملهم قول الله تعالى: {ربنا لا تؤاخِذْنا إن نسِينا أو أخطأنا}2. والبدع غير المغلّظة لا يكون مرتكبها خارجاً عن أهل السنة وعن الفرقة الناجية ولو كان آثماً ببدعته قال ابن تيمية: (وأما المرجئة فليسوا من هذه البدع المغلّظة، بل دخل في قولهم طوائف من أهل الفقه والعبادة، وما كانوا يعدون إلا من أهل السنة، حتى تغلّظ أمرهم بما زادوه من الأقوال المغلّظة)3. ووقع بين برهان الدين ابن العلامة ابن القيم وبين ابن كثير ـ رحمهم الله تعالى جميعاً ـ منازعة، فقال له ابن كثير: أنت تكرهني لأنني أشعري. فقال له: لو كان من رأسك إلى قدميك شعر ما صدقك الناس في قولك أنك أشعري وشيخك ابن تيمية!. فمن كان في قوله واعتقاده موافقاً لمنهج أهل السنة فإنه لا يخرج عنه بمجرد انتسابه لطائفة معينة تخالف أهل السنة، إذ العبرة بالحقائق والمعاني لا بمجرد الانتسابات والألقاب.

3 ـ لا يلزم أن يكون غير المبتدع أفضل منه: فالتفاوت في درجات العباد، والتفاضل بينهم يكون بحسب تفاضلهم في الأعمال الصالحة، وما يقوم بقلو م من إيمان وصدق وإخلاص.
والمبتدع مع أنه قد لا يأثم ببدعته إذا كان متأولاً مجتهداً أو لم تقم عليه الحجة مثلاً؛ فإنه لو كان آثماً ببدعته فإن إثمه فيها كسائر المعاصي التي تقع من العباد. يقول ابن تيمية: (ليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكاً، فإنّ المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته)4. فليس مجرد عدم الابتداع معياراً للتفضيل، وإن كان من أسباب الفضل؛ لأن الشخص الواحد قد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه، والعبرة بالراجح منها. يقول ابن تيمية: (إذا اجتمع في شخص واحد خير وشر، وطاعة وفجور، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثـ ـواب بقـ ـدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بقدر ما فيه من

---

1) أخرجه أحمد (4/198 ، رقم 17809) ، والبخارى (6/2676 ، رقم 6919) ، ومسلم (3/1342 ، رقم 1716) ، وأبو داود (3/299 ، رقم 3574) ، والترمذى (3/615 ، رقم 1326) وقال : حسن غريب . والنسائى (8/223 ، رقم 5381) ، وابن ماجه (2/766 ، رقم 2314) ، وابن حبان (11/445 ، رقم 5060) ، والبيهقى
2) البقرة: 286
3) مجموع الفتاوى 3/ 357.
4) المصدر السابق3/ 179.

الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة)1. وهذا باب من العدل والإنصاف عظيم يمتاز به أهل السنة.

4- عدم الحكم على من وقع في بدعة أنه من أهل الأهواء والبـدع، ولا معاداته بسببها، إلا إذا كانت البدعة مشتهرة مغلظة عند أهل العلم بالسنة

إن (البدعة التي يعد ا الرجل من أهـل الأهواء، ما اشتهر عند أهل العلم مخالفتها للكتاب والسنة، كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة).. وغلظت أقوال أصحا ا فيها حتى أخرجتهم من عداد أهل السنة، وفي هذا يقول عند عرضه لأقوال هؤلاء انتهاءً ببدعة المرجئة : (أما المرجئة فليسوا من هذه البدع المغلظة، بل قد دخل في قولهم طوائـ ـف من أهل الفقـ ـه والعبـ ـادة، وما كانوا يعدون إلا من أهل السنة، حتى تغلظ أمرهم بما زادوه من الأقوال المغلظة) ، ويلحق ؤلاء، بل هم أشد بدعة، (الحجاج إلى القبور، والمتخذون لها أوثانًا ومساجد وأعيادًا، فهؤلاء لم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم منهم طائفة تعرف، ولا كان في الإسلام قبر ولا مشهد يحج إليه، بل هذا إنما ظهر بعد القرون الثلاثة.. والبدعة كلما كانت أظهر مخالفة للرسول صلى الله عليه و سلم يتأخر ظهورها، وإنما يحدث أولاً ما كان أخفى مخالفة للكتاب والسنة، كبدعة الخوارج) ، وهكذا فإن غلظ البدعة ليس مقصورًا على بدع القرون الأولى، فإن بدع الشرك ظهرت بعد ذلك، وهي أشد وأغلظ وأعظم خطرًا.

إن الذين يعدون من أهل الأهواء والبدع، هم من اتصفوا بما يلي :

أ ـ أ م يجعلون ما ابتدعوه، قولاً يفارقون به جماعة المسلمين، يوالون عليه ويعادون.

ب ـ أ م ينازعون فيما تواترت به السنة.

و ذا يتميز أهل السنة عن أهل البدعة، فإن الذين وقعوا في البدعة (إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولاً يفارقون به جماعة المسلمين، يوالون عليه ويعادون، كان من نوع الخطأ، والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك، ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتهـ ـ ـا، لهـ ـم مقـ ـالات قالـوها باجتهـ ـاد، وهي تخـ ـالف ما ثبت في الكتاب والسنة، بخلاف من والى موافِقَه، وعادى مخالِفَه، وفرق بين جماعة المسلمين، وكفّر وفسق مخالِفَه دون موافِقَه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات)2.

---

1) المصدر السابق28/ 209.

2) المصدر السابق3/ 349.

وكذلك فإن أئمة المسلمين متفقون على تبديع من خالف في الأمور المعلومة بالاضطرار، عند أهل العلم بسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم كالأحاديث المتواترة عندهم في شفاعته وحوضه، وخروج أهل الكبائر من النار، والأحاديث المتواترة عندهم في الصفات والقَدر والعلو والرؤية، وغير ذلك من الأصول التي اتفق عليها أهل العلم بسنته، كما تواترت عندهم عنه، بخـــلاف من نـــازع في مســـائل الاجتهـــاد، التي لم تبلغ هذا المبلغ في تواتر السنن عنه، كالتنازع بينهم في الحكم بشاهد ويمين، وفي القَسامة والقُرعة وغير ذلك.

فمن كانت بدعته غليظة، ظاهرة المخالفة للسنة عند أهل العلم، وجبت عداوته بقدر بدعته، بل يرى شيخ الإسلام عقوبة من والاه، فيقول في معرض رده على الاتحادية، وينتظم معهم من كان مثلهم : (ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذب عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظّم كتبهم، أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو؟ أو من قال إنه صنف هذا الكتاب؟ وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم، ولم يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات، لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلْق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء، وهم يسعون في الأرض فسادًا، ويصدون عن سبيل الله)1.

أما ما كان دون ذلك من المسائل التي وقع فيها خلاف، فإنه لا يستوجب الفرقة والمعاداة، والحكم على المخالف من أهل البدعة والهوى، فقد ذكر ابن تيمية أن من مسائل الاعتقاد التي وقع فيها خلاف بين أهل السنة والأتباع، مسألة رؤية الكفار ربهم في الآخرة، فجمهور أهل السنة يرون أن الكفار محجوبون عنها على الإطلاق، ومن العلماء من يرى أنه يراه من أظهر التوحيد من منافقي هذه الأمة والكفار، في عرصات يوم القيامة، ثم يحتجب عنهم عقوبة لهم.

لكن أمام هذه المسألة، وغيـــرها من مثيلاتـــها تجب مراعاة الآداب التالية :

أ ـ (أن من سكت عن الكلام في هذه المسألة، ولم يدع إلى شيء، فإنه لا يحل هجره، وإن كان يعتقد أحد الطرفين، فإن البدع التي هي أعظم منها، لا يهجر فيها إلا الداعية دون الساكت، فهذه أولى.

ب ـ أنه لا ينبغي لأهل العلم أن يجعلوا هذه المسألة محنة وشعارًا، يفضلون بها بين إخوانهم وأضدادهم، فإن مثل هذا مما يكرهه الله ورسوله صلى الله عليه و سلم.

جـ ـ وكذلك لا يفاتحوا فيها عوام المسلمين، الذين هم في عافية وسلام عن الفتن، ولكن إذا سئل الرجل عنها، أو رأى من هو أهل لتعريفه ذلك، ألقى إليه مما عنده من العلم ما يرجو النفع

1) المصدر السابق2/ 132.

به، بخلاف الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، فإن الإيمان بذلك فرض واجب، لما قد تواتر فيها عن النبي صلى الله عليه و سلم، وصحابته وسلف الأمة).

5- لا يحكم بالهلاك جزمًا على أحد خالف في الاعتقاد أو غيره، ولا على طائفة معينة بأنها من الفرق الضالة الثنتين والسبعين، إلا إذا كانت المخالفة غليظة

لا يحكم على طائفة معينة بأنها من الفرق الضالة الاثنتين والسبعين التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه و سلم في الحديث، وأنه لا سبيل إلى الجزم بأنها واحدة منها، لأن (الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين لابد له من دليل، فإن الله حرم القول بلا علم عمومًا، وحرم القول عليه بلا علم خصوصًا) ، قال تعالى : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا)1.

وقـــال تعـــــــالى : (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيبًا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)2.

وقـــــال تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم)4.3

نعم ورد تعيين بعض الفرق عن إمامين من أهل السنة همـــا : يوسف بن أسباط5، وعبد الله بن المبارك، أنهما قالا : أصول البدع أربعة : الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة، فقيل لابن المبارك : والجهمية، فأجاب : بأن أولئك ليسوا من أمة محمد صلى الله عليه و سلم، وكان يقول : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.. وهذا الذي قاله، اتبعه عليه طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم، قالوا : إن الجهمية كفار، فلا يدخلون في الاثنتين والسبعين فرقة، كما لا يدخل فيهم المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام وهم الزنادقة.

---

1) الأعراف : 33.

2) البقرة : 168-169

3) الإسراء : 36.

4) مجموع الفتاوى3/ 346.

5) يوسف بن أسباط الزاهد، من سادات المشايخ، له واعظ وحكم. نزل الثغور مرابطا. قال ابن خبيق: قلت لابن أسباط: لم لا تأذن لابن المبارك يسلم عليك ؟ قال: خشيت أن لا أقوم بحقه، وأنا أحبه.قال شعيب بن حرب: ما أقدم على يوسف بن أسباط أحدا. وثقه ابن معين.وقال أبو حاتم: لا يحتج به.وقال البخاري: دفن كتبه، فكان حديثه لا يجئ كما ينبغي. تاريخ الإسلام9/ 169.

وروى المسيب بن واضح[1] أنه قال : (أتيت يوسف بن أسباط، فقلت : يا أبا محمد! إنك بقية ممن مضى من العلماء، وأنت حجة على من لقيت، وأنت إمام سنة، ولم آتك أسمع منك الأحاديث، ولكن أتيتك أسألك عن تفسيرها، وقد جاء هذا الحديث : (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة) ، فما هذه الفرق حتى نجتنبهم؟ فقال : أصلها أربعة...)[2]. فهذه الطوائف اشتهرت أقوالها المخالفة مخالفة غليظة للكتاب والسنة، وافترقت عن أهل السنة والجماعة، افتراقًا بيّنًا في الأصول من الدين مما ثبت بالضرورة، فساغ لهذا الإمام الحكم عليها بأ ا من الفرق الضالة الاثنتين والسبعين.[3]

ثانياً : معاملتهم بعدل وإنصاف :

فإن العدل فضيلة مطلقة ؛ لا تقييد في فضله ؛ فهو ممدوح في كل زمان وكل مكان ، وكل حال ، ممدوح من كل أحد ، مع كل أحد ، بخلاف كثير من الأخلاق ؛ فإنه يلحقها الاستثناء والتقييد . ولهذا اتفقت على فضله الشرائع والفطر والعقول ، وما من أمة أو أهل ملة إلا يرون للعدل مقامه وبالعدل تحصيل العبودية لله وحده ، وبه تعطى الحقوق وترد المظالم ، وبه تأتلف القلوب ؛ لأن من أسباب الاختلاف الظلم والبغي والعدوان ، وبه يقبل القول ، أو يعذر قائله ، وبه تحصل الطمأنينة والاستقرار النفسي .

ثم ينتج عن ذلك ازدهار العمران المادي والمعنوي ، ولهذا تلحظ تناسباً طردياً بين شيوع العدل وقوة العمران عند الأمم .

وكان العدل سبباً لإنزال الكتب وإرسال الرسل ، قال الله تعالى : "لَقَد أرسلْنا رسلَنا بِالْبيناتِ وأنزلْنا معهم الْكِتاب والْميزانَ لِيقُوم الناس بِالْقِسطِ وأنزلنا الْحدِيد فِيهِ بأس شدِيد ومنافِع لِلناس وليعلَم الله من ينصره ورسلَه بِالْغيبِ إِن الله قَوِي عزِيز"[4] .

وكان من أبرز سمات دعوة شعيب عليه السلام ـ بعد تقرير توحيد الله تعالى ـ إقامةُ القسط في الموازين والمكاييل ، قال الله تعالى : "وإِلَى مدين أَخاهم شعيبًا قَالَ يا قَومِ اعبدواْ الله ما لَكُم من

---

1) المسيب بن واضح بن سرحان.أبو محمد السلمي التلمنسي، وهي من قرى حمص.قال أبو حاتم: صدوق يخطيء كثيرا، فإذا قيل له لم يقبل.قال ابن عدي: وكان النسائي حسن الرأي فيه، ويقول: الناس يؤذوننا فيه. وذكر له ابن عدي عدة أحاديث مناكير، ثم قال: أرجو أن باقي حديثه مستقيم، وهو ممن يكتب حديثه. وسمعت أبا عروبة، يقول: كان المسيب بن واضح لا يحدث إلا بشيء يعرفه ويقف عليه.وقال السلمي: سألت الدارقطني عنه فقال: ضعيف.مات سنة ست وأربعين.وقيل: في غرة المحرم سنة سبع. تاريخ الإسلام4/ 455.

2) مجموع الفتاوى3/ 350.

3) أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية) للدكتور أحمد بن عبد العزيز ابن محمد الحليبي، في سلسلة (كتاب الأمة)1/ 38. بتصرف

4) الحديد :25.

إِلَـهٍ غَيره قَد جاءتكُم بينةٌ من ربكُم فَأَوفُواْ الْكَيلَ والْمِيزانَ ولاَ تبخسواْ الناس أَشياءهم ولاَ تفْسِدواْ فِي الأَرضِ بعد إِصلاَحِها ذَلِكُم خير لكُم إِن كُنتم مؤمِنِين"[1] .

فإذا كان هذا من أجل حفنة شعير أو قبضة حنطة فما بالك في مراد الله تعالى بالعدل في التعامل مع الآخرين والحكم عليهم ؛ مما ترخص الأموال فداء له وهو عرض المرء وكرامته ؟ ولهذا قال حسان :

أصون عرضي بمالي لا أدنسه   لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمال إن أودى فأكسبه   ولست للعرض إن أودي بمحتال

وكان للعادلين أعظم مكان ، وأهيب مشهد ؛ فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا "2.

لقد كان لأهل العدل هذا المقام لأنه ليس دعوى مجردة ، أو أمنية لا عزيمة معها ، أو شعاراً لا معاناة في تحصيله ؛ ولكنه أسباب تتراكم وتجتمع وجهود تبذل ؛ فمن حققها تحقق عنده العدل وإلا جار في تعامله مع الآخرين ، وفي حكمه عليهم دون أن يشعر .

وإذا أراد المرء أن يمتحن نفسه في العدل ، وأن يمحص دعواه الإنصاف فليتحقق في نفسه أموراً إن وجدها كان حرياً بوصف العدل ، وإن فقدها فهو على خطر :

فمنها : تحصيل العلم الشرعي ؛ فتحقيق المسائل التي يحكم ا على الآخرين ضروري لتحقيق العدل مع الناس ، ومن قصر في تحصيله فليس بمعذور أن يحكم أو يتعامل مع أحد بمعاملة يكرهها .

ومنها : التأني ، وأن يجعل للزمن مجالاً قبل الكلام في حق شخص أو مؤسسة ، وهذا التأني يكون في تخريج المناط وفي تحقيقه .

ومنها : العلم بواقع الحال ، من معرفة حال الشخص الذي نتعامل معه ، أو نحكم عليه من ناحية علمه وجهله بما فعله ، والأسباب والدوافع لذلك الفعل ، وأسباب المعذرة ، ومعرفة ما لديه من حسنات قد تغمر ما بدا منه من خطأ أو زلل .

فهذا حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه فعل أمراً عظيماً بتسريب خبر توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة لغزوها ؛ فتأنى النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله عن الفعل أولاً بقوله : يا

---

[1]) الأعراف :85.

2) رواه مسلم مشكاة المصابيح(3690).

حاطب ما هذا ؟ ، ثم سأله عن السبب ؛ بقوله : "ما حملك على هذا" ؟ وهذا يدل أن للأسباب والدوافع تأثيراً في الحكم ، ثم أعفاه من العقوبة ؛ حين وازن بين سيئاته وحسناته فقال : "وما أدراك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" .

ومنها : اتهام النفس ؛ فإنه بداية تلمس أسباب العدل ، والوقوف على ما يعين عليه ، ومتى كان المرء مزرياً على نفسه متهماً لها ، يتوقع منها الخلل والزلل والهوى كان أبعد الناس عن الوقوع في الظلم والعدوان .

وإذا استرخى عن استشعار ذلك حل محله ظن الكمال والكِـبر ؛ فيزين الشيطان له عمله ، ويزيده إغواء بأن يوهمه أن هذه الظنون هي الثقة بما ما معه من الحق ، والعزة على أهل الباطل .

ومن اتهم نفسه رأى نفسه في كل وقت محتاجاً إلى التعرف على أسباب العدل ، ورآها محتاجة إلى النصيحة والتقويم .

وإذا فرط في عمل القلب فقد وقع في الظلم والجور دون أن يعلم .

ومن أسباب العدل : أن ينظر إلى أعماله السابقة ، وأحكامه السالفة ، وكذلك أحوال الظلمة ؛ فكثير من الناس يكون جوره وظلمه بسبب غضبه وتوتره واضطراره إلى علاج الحالة في ضيق من الزمان أو المكان ، أو ضغط الأحوال والأشخاص الذين يحيطون به ؛ فإذا تجرد من هذه المؤثرات فقد يظهر له جور أو ظلم أو عدوان ؛ فإذا قومها فرأى فيها سداداً وتوفيقاً حمد الله تعالى عليه ، وإن رأى غير ذلك راجع نفسه وذاكرها ؛ حتى يقيمها على أمر الله ، ومن ترك تقويم الماضي ومراجعته عاد إلى جوره مرة أخرى دون أن يشعر .

ومن أسبابه : الشجاعة الأدبية مع من يخافهم أو يحبهم أو يرجوهم ؛ فهو قوي شجاع عند تكبير محبيه أو شماتة أعاديه ؛ فإن جرب من نفسه ضعفاً عندها وخوراً في مواجهة ذلك فهو محل للحيف والظلم ؛ فليكن على حذر .

ولهذا كانت البيعة العظيمة التي قال عنها عبادة بن الصامت رضي الله عنه : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالعدل أين كنا لا نخاف في الله لومه لائم .[1]

وتأمل في الشجاعة أمام المبغضين قول الله تعالى : "ولاَ يجرمنكُم شنآنُ قَومٍ على ألا تعدِلُواْ اعدِلُواْ هو أقْرب ِللتقْوى"[2] .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: (.. ومعلوم أننا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة ، مثل الملوك المختلفين علي الملك ، والعلماء والمشايخ المختلفين في العلم والدين، وجب أن يكون الكلام بعلم

[1]) رواه النسائي (4165) وهو صحيح ، وأصله في "الصحيحين" .
[2]) المائدة : 8.

وعدل ، لا بظلم وجهل ، وإن العدل واجب لكل أحد وعلي كل أحد في كل حال ، والظلم محرم مطلقاً لا يباح بحال قط ،قال تعالي : ولا يجرِمنكُم شنآنُ قَومٍ علَى ألا تعدِلُوا اعدِلُوا هو أقْربِ لِلتقْوى [1] ، وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار ، وهو بغض مأمور به ، فإن كان البغض الذي أمر الله به قد ى صاحبه أن يظلم من أبغضه ، فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو وى نفس فهو أحق أن لا يظلم ، بل يعدل عليه)2 .

والشجاعة وإن كانت خلقاً جبلياً إلا إنه يمكن اكتسابه بالتعويد والتربية ، وتدريب النفس عليه ؛ فيحصل لطالب هذا الخلق من الشجاعة ما ليس عند آخرين من الشجاعة التي جبلوا عليها ؛ بل أقوى منها ، وفي هذا المعنى يقول صلى الله عليه وسلم : "إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه" [3].

ومن أسباب العدل : تصور آثار الظلم وعواقبه في الدنيا والآخرة :

فالظلم والجور يدوران حتى يعودان إلى من فعلهما ، وبالظلم تشيع الفوضى ، وتنتشر الشحناء ، وتكون العقوبة في النفس والمال والولد .

ومن أسباب العدل : أن يجعل نفسه مكان من يتعامل معه أو يحكم عليه ؛ فإذا كان في مكانه أراد منه في معاملته أو حكمه أن يكون قائماً بالقسط مستكملاً أسباب العدل ؛ فإذا استشعر ذلك كان هو معه كذلك .

هذا وإن من لوازم العدل ومقتضياته في الحكم على أهل البدع جملة أمور :

1) الإنصاف في ذكر ما للمبتدعة من محامـد ومـذام، وقبـول ما عندهم من حق، ورد ما عندهم من باطل، وأن ذلك سبيل الأمة الوسط

ومن ذلك أيضا مدح أفعاله الحسنة وشكره عليها ، وهذا من العدل التي اتسمت به هذه الأمة حتى مع أعدائها من الكافرين ، فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يقول في يوم بدر عندما رأى عتبة بن ربيعة4 من المشركين على جمل أحمر : « إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب

---

[1]) المائدة : 8.

2) "منهاج السنة" (5/126، 127)

3) حديث جيد رواه الدارقطني عن أبي هريرة :جامع الأحاديث 38/ 307.

4) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية.كان موصوفا بالرأي والحلم والفضل، خطيبا، نافذ القول.نشأ يتيما في حجر حرب بن أمية.وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار (بين هوازن وكنانة) وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضت الحرب على يده.وكان يقال: لم يسد من قريش مملق إلا عتبه وأبو طالب، فانهما ساداد بغير مال. أدرك الاسلام، وطغى فشهد بدرا مع المشركين.وكان ضخم الجثة، عظيم الهامة، طلب خوذة يلبسها يوم " بدر " فلم يجد ما يسع هامته، فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالا شديدا، فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه الأعلام للزركلي 4/ 200.

الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا »[1] وقال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر : « لو كان المطعم بن عدي2 حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له »3. وعن المستورد القرشي أنه قال عند عمرو بن العاص4 : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تقوم الساعة والروم أكثر الناس » فقال له عمرو : أبصر ما تقول ، قال : أقول ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لئن قلت ذلك إن فيهم خصالاً أربعاً : إ م لأحلم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة وأوشكهم كرة بعد فرة ، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف ، وخامسة حسنة جميلة : وأمنعهم من ظلم الملوك" 5. وأما ما ورد عن علماء أهل السنة من ثناءٍ على بعض المبتدعة ومدحٍ لأفعالهم الحسنة وذكرٍ لها فكثير ، ومن بعض النماذج : قول شيخ الإسلام ابن تيمية – وذلك بعد ذكره أسماء جماعة من علماء الأشاعرة - : "ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة وحسنات مبرورة ، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف ،

---

[1]) رواه ابن أبي شيبة، والبيهقي وغيرهما :جامع الأحاديث 41/ 90.

2) المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، من قريش: رئيس بني نوفل في الجاهلية، وقائدهم في حرب (الفجار) بكسر الفاء وتخفيف الجيم (سنة 33 ق ه، 591 م) وهو الذى أجار رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف وعاد متوجها إلى مكة، ونزل بقرب (حراء) فبعث إلى بعض حلفاء قريش ليجيروه في دخول مكة، فامتنعوا، فبعث إلى (المطعم بن عدى) بذلك، فتسلح المطعم وأهل بيته وخرج م حتى أتوا المسجد، فأرسل من يدعو النبي صلى الله عليه وسلم للدخول، فدخل مكة وطاف بالبيت وصلى عنده، ثم إنصرف إلى م له آمنا.وهو الذى أجار سعد بن عبادة، وقد دخل مكة معتمرا، وتعلقت به قريش، فأجاره مطعم، وأطلقه.وكان أحد الذين مزقوا الصحيفة التى كتبتها قريش على بني هاشم.وعمي في كبره.ومات قبل وقعة بدر، وله بضع وتسعون سنة.وفيه يقول حسان من قصيدة: (فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا من الناس أبقى مجده اليوم مطعما). الأعلام للزركلي 7/ 252.

3) أخرجه "البخاري" 111/4(3139) و110/5(4024) و"أحمد" 80/4(16853) والحُميدِي (558).

4) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي أمير مصر يكنى أبا عبد الله وأبا محمد أمه النابغة من بني ع ة بفتح المهملة والنون أسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان وقيل بين الحديبية وخيبر وكان يقول أذكر الليلة التي ولد فيها عمر بن الخطاب وقال ذاخر المعافري رأيت عمرا على المنبر أدعج أبلج قصير القامة ولما أسلم كان النبي صلى الله عليه و سلم يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته وولاه غزاة ذات السلاسل وأمده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح ثم استعمله على عمان فمات وهو أميرها ثم كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر وهو الذي افتتح قنسرين وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية وولاه عمر فلسطين، أخرج بن أبي خيثمة من طريق الليث قال نظر عمر إلى عمرو يمشي فقال ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرا، وقال إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عن قبيصة بن جابر صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أبين قرآنا ولا أكرم خلقا ولا أشبه سريرة بعلانية منه وقال محمد بن سلام الجمحي كان عمر إذا رأى الرجل يتلجلج في كلامه يقول أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد وكان الشعبي يقول دهاة العرب في الإسلام أربعة فعد منهم عمرا وقال فأما عمرو فللمعضلات. قال يحيى بن بكير عاش نحو تسعين سنة وذكر بن البرقي عن يحيى بن بكير عن الليث توفي وهو بن تسعين سنة قلت قد عاش بعد عمر عشرين سنة وقال العجلي عاش تسعا وتسعين سنة وكان عمر عمر ثلاثا وستين. الوافي في الوفيات4/ 652.

5) رواه مسلم

لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداءً عن المعتزلة وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه ، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين ، وصار الناس بسبب ذلك ، منهم من يعظمهم ، لما لهم من المحاسن والفضائل ، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل ، وخيار الأمور أوساطها ..

وهذا ليس مخصوصاً ؤلاء ، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين ، والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ، ويتجاوز لهم عن السيئات ..."1

إن منهج أهل السنة والجماعة في الثناء والذم، قائم على الكتاب والسنة والإجماع، قال ابن تيمية : (وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، وهو أن المؤمن يستحق وعد الله وفضله والثواب على حسناته، ويستحق العقاب على سيئاته، وأن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليـ ـه ومـ ـا يعـ ـاقب عليـ ـه، وما يحمد عليه وما يذم، وما يحب منه وما يبغض منه)2 (والصواب أن يحمد من حال كل قوم ما حمده الله ورسوله، كما جاء به الكتاب والسنة، ويذم من حال كل قوم ما ذمه الله ورسوله، كما جاء به الكتاب والسنة) (ومن جعل كل مجتهد في طاعة، أخطأ في بعض الأمور، مذمومًا معيبًا ممقوتًا، فهو مخطئ ضال مبتدع).

قد يكون المبتدع رأسا في بدعته ، ومع ذلك يكون إماما في باب آخر من أبواب العلم ، فلا يهمل صوابه لأجل خطئه ، وإنما يدعى له بالهداية إن كان حيا ، وبالمغفرة إن كان ميتا ، إن علم من حاله أنه كان متأولا ، رغم ترأسه في بدعته ، فقد ينشأ في بلد أعلام السنة فيها غير ظاهرة ، وبدعة الاعتزال أو الإرجاء أو التأويل ، ظاهرة فيها ، فيتلبس ا ، ويدافع عنها ، وينافح عنها معتقدا أ ا هي الصواب ، كما عرف ذلك عن الرازي الشافعي ، رحمه الله ، فقد كان شديد التعصب لمذهب الأشاعرة في تأويل الأسماء والصفات ، ورغم ذلك أنصفه شيخ الإسلام ، رحمه الله ، بقوله : إنه كان ينصر ما يعتقده حقا ، أو كلمة نحوها ، فلم يكن ضالا معاندا ، وله وصية ذكرها ابن حجر ، رحمه الله ، في "لسان الميزان" ، تدل على حسن خاتمته ، وإن كان هذا لا يمنع ، كما سبق ، من وصفه بأنه رأس في بدعته ، بل وتشديد النكير عليه في المسائل التي خالف فيها أهل السنة والجماعة ، لأنه لا مداهنة في دين الله ، وعلى الجانب الآخر لا يهمل صوابه في أبواب العلم التي برع فيها ، فهو كغيره من أئمة الشافعية ، رحمهم الله ، إمام في الأصول ، يرجع إليه في معضلات المسائل الأصولية ، والله أعلم.

1) درء تعارض العقل والنقل1/ 283.

2) مجموع الفتاوى11/ 16.

وكذا الحال بالنسبة للزمخشري[1] ، غفر الله له ، فحاله أشد ، فهو من رؤوس المعتزلة ، الذين شحنوا كتبهم بالشبه والمعضلات ، ومع ذلك فهو إمام في اللغة ، لا سيما البلاغة ، وتفسيره الكشاف ، على ما فيه من ضلالات الاعتزال ، أصل في هذا الباب ، وكذا كتابه "الفائق في غريب الحديث" فهو أصل من أصول علم غريب الحديث ، أي الألفاظ الغريبة التي وردت في السنة ، ولا يدرك معاني هذه الألفاظ إلا غواص ماهر في بحور اللغة ، فلا يهمل صوابه فيما أصاب فيه من مسائل اللغة والبلاغة لأجل خطئه في مسائل أصول الدين ، وإنما يؤخذ صوابه ويجتنب خطؤه ، ويدعى له بالمغفرة ، لأن الظاهر من حاله أنه كان كالرازي ، رحمه الله ، تماما ، ينصر ما يراه حقا ، وقد نشأ في بيئة غلب عليها علم الكلام ، فهو حنفي متأخر ، وغالب متأخري الأحناف ، وخاصة في بلاد المشرق ، فارس وما وراءها ، من المعتزلة والماتريدية ، بل إن رؤوس الاعتزال في عهد الإمام أحمد ، رحمه الله ، كأحمد بن أبي دؤاد ، كانوا أحنافا ، ولعل السبب في ذلك تبني ، الإمام أبي حنيفة ، رحمه الله ، للرأي ، في الفروع دون الأصول ، حتى عد إمام أهل الرأي ، فجاء من بعده ، ممن انتسب إلى مذهبه في الفروع دون الأصول ، من وسع دائرة الرأي لتشمل الأصول والفروع ، فقال في دين الله برأيه فضل وأضل ، والله أعلم.

وإن كان الرازي ، إحقاقا للحق ، يمتاز عن الزمخشري ، بأنه رجع في آخر أيامه عن بدعه الكلامية ، إجمالا لا تفصيلا ، كما جاء في وصيته ، بينما الزمخشري ، غفر الله له ، لم يؤثر عنه مثل هذا الرجوع ، والله أعلم.

ثناؤه على بعض علماء المسلمين ممن لهم قدم راسخة، واعتذاره عن خطئهم، من أمثال القاضي أبي بكر الباقلاني، وأبي ذر الهروي[2]، وهما من علماء الأشاعرة :

قال عن القاضي الباقلاني : (فيه من الفضائل العظيمة، والمحاسن الكثيرة، والرد على الزنادقة والملحدين وأهل البدع، حتى إنه لم يكن في المنتسبين إلى ابن كُلاّب والأشعري أجل منه، ولا أحسن كتًبا وتصنيفًا، وبسببه انتشر هذا القول).

---

1) الزمخشري (467 - 538 ه = 1075 - 1144 م) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والاداب.ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الانكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره ،وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها.أشهر كتبه (الكشاف - ط) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة - ط) و (المفصل - ط) . الأعلام للزركلي 178/7.

2) أبو ذر الهروي (355 - 435 ه = 966 - 1044 م) عبد الله بن أحمد بن محمد الهروي، أبو ذر: حافظ للحديث، من علماء المالكية، أصله من هراة.قام برحلة واسعة وجاور بمكة أكثر من 30 سنة ومات بها.له تصانيف، منها، " مسانيد الموطأ "، و " فضائل مالك بن أنس " و " بيعة العقبة ". الأعلام للزركلي 4/ 66.

وقال عن الهروي : (أبو ذر فيه من العلم والدين، والمعرفة بالحديث والسنة، وانتصابه لرواية البخاري، عن شيوخه الثلاثة، وغير ذلك من المحاسن والفضائل، ما هو معروف به، وكان قد قدم بغداد من هراة، فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم، فتكلّم فيه وفي طريقته من تكلّم، كأبي نصر السجزي، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين، بما ليس هذا موضعه، وهو ممن يرجح طريقة الضبعي، والثقفي، على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث.. وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة، ويدلهم على أصلها، فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق، كما رحل أبو الوليد الباجي1، فأخذ طريقة أبي جعفر السمناني2 الحنفي، صاحب القاضي أبي بكر، ورحل بعده القاضي أبو بكر العربي، فأخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد. ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من مسائل أهل السنة والدين، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء، احتاجوا طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك : منهم من يعظّمهم لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوسطها، وهذا ليس مخصوصًا ؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين، والله يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات : (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)3 ، ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين، من جهة الرسول صلى الله عليه و سلم، وأخطأ في بعض ذلك، فالله يغفر له خطأه، تحقيقًا للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين، حيث قالوا : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)4 ، ومن اتبع ظنه وهواه، فأخذ

1) (ابو الوليد الباجي) (403 - 474 ه = 1012 - 1081 م) سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي: فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث.أصله من بطليوس () Badajoz ومولده في باجة () Beja بالاندلس.رحل إلى الحجاز سنة 426 ه، فمكث ثلاثة أعوام.وأقام ببغداد ثلاثة أعوام، وبالموصل عاما، وفي دمشق وحلب مدة.وعاد إلى الاندلس، فولي القضاء في بعض أنحائها.وتوفي بالمرية Almeria من كتبه (السراج في علم الحجاج) و (إحكام الفصول، في أحكام الاصول). الأعلام للزركلي 3/ 125.

2) أبو جعفر السمناني قاضي الموصل وشيخ الحنفية.سكن بغداد، وحدث عن: نصر بن أحمد المرجي، والدارقطني، وعلي بن عمر الحربي، وجماعة غيرهم.قال الخطيب: كتبت عنه وكان صدوقاً فاضلاً حنفياً يعتقد مذهب الأشعري، وله تصانيف.قلت-الذهبي -: توفي بالموصل وله ثلاث وثمانون سنة. تاريخ الإسلام 7/ 138.

3) الحشر : 10

4) البقرة : 286

يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صوابًا بعد اجتهاده -وهو من البدع المخالفة للسنة- فإنه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه).

ومن جميل إنصاف الشيخ دقة تقويمه لكتابي قوت القلوب وإحياء علوم الدين، وإنصافه في إثبات ما لهما وما عليهما، في إجابته لمن سأله عنهما، قال رحمه الله تعالى : (أما كتاب قوت القلوب، وكتاب الإحياء تبع له فيما يذكره من أعمال القلوب : مثل الصبر والشكر والحب والتوكل والتوحيد ونحو ذلك، وأبو طالب أعلم بالحديث والأثر، وكلام أهل علوم القلوب من الصوفية وغيرهم، من أبي حامد الغزالي، وكلامه أسد وأجود تحقيقًا، وأبعد عن البدعة، مع أن في قوت القلوب أحاديث ضعيفة وموضوعة وأشياء كثيرة مردودة، وأما ما في الإحياء من الكلام في المهلكات، مثل الكلام على الكِبر والعجب والرياء والحسد ونحو ذلك، فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في الرعاية، ومنه ما هو مقبول، ومنه ما هو مردود، ومنه ما هو متنازع فيه، والإحياء فيه فوائد كثيرة لكن فيه مواد مذمومة، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة، تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدوًا للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين، وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد الغزالي هذا في كتبه، وقالوا : مرضه الشفاء، يعني شفاء ابن سينا[1] في الفلسفة، وفيه أحاديث وآثار ضعيفة، بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية، العارفين المستقيمين، في أعمال القلوب، الموافق للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب، ما هو موافق للكتاب والسنة، ما هو أكثر مما يرد منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه).

ولأن أهل السنة يتبعون معهم العدل والإنصاف، فقد ذكروا بعض محامد أهل البدع والأهواء، يقول ابن تيمية رحمه الله : (والرافضة فيهم من هو متعبد متورع زاهد، لكن ليسوا في ذلك مثل غيرهم من أهل الأهواء، فالمعتزلة أعقل منهم وأعلم وأدين، والكذب والفجور فيهم أقل منه في الرافضة، والزيدية من الشيعة خير منهم، وأقرب إلى الصدق والعدل والعلم، وليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعبد من الخوارج، ومع هذا فأهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم، فإن الظلم حرام مطلقًا، بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء، خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا مما يعترفون هم به، ويقولون : أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا، وهذا لأن الأصل الذي اشتركوا فيه أصل فاسد، مبني على جهل وظلم، وهم مشتركون في ظلم سائر المسلمين، فصاروا

1) الحسين بن عبد الله ، فيلسوف ، صاحب تصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات ، أصله من بلخ ، له مؤلفات كثيرة ، وفيها اختلال في المعتقد لا يحتمل ، وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرا منها في كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل) وقد توفي عام 408هـ ، انظر سير أعلام النبلاء (17/ 531) والأعلام (2/ 241)

بمـ لة قطاع الطريق المشتركين في ظلم الناس، ولا ريب أن المسلم العالم العادل أعدل عليهم وعلى بعضهم من بعض.. والخوارج تكفّر أهل الجماعة، وكذلك أكثر المعتزلة يكفّرون من خالفهم، وكذلك أكثر الرافضة، ومن لم يكفّر فسق، وكذلك أكثر أهل الأهواء، يبتدعون رأيًا ويكفّرون من خالفهم فيه، وأهل السنــة يتبعــون الحــق من ر م الذي جاء به الرسول، ولا يكفّرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحــق وأرحــم بالخلــق، كمــا وصــف الله به المسلمين بقولــه : (كنتم خير أمة أخرجت للناس)1 ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : (كنتم خير الناس للناس) ، وأهل السنة نقاوة المسلمين، فهم خير الناس للناس).

ويقول في موضع آخر : (وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين، من الرافضة والجهمية وغيرهم، إلى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير، وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين، وهو خير من أن يكونوا كفارًا).

تفصيل الحكم على الصوفية والتصوف، بما يظهر الإنصاف : فقد بين رحمه الله تعالى، أنه وقع الاجتهاد والتنازع في طريق الصوفية :(فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا : إ م مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، وطائفة غلت فيهم، وادعوا أ م أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم، والصواب أ م مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين مــن قد يجتهــد فيخطئ، وفيهــم من يذنــب فيتــوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم، كالحلاج مثلاً، فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه من الطريق، مثل الجنيد بن محمد سيد الطائفة

---

1) آل عمران : 110

وغيره، كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمـــن السلمي[1] فـــي طبقات الصوفية، وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب[2]، في تاريخ بغداد.

(والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية، وأبو القاسم القشيري في الرسالة، كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهـــل الحديث، كالفضيـــل ابن عياض، والجنيد بن محمـــــد، وسهـــل بن عبـــد الله التستـــري[3]،

1) أبو عبد الرحمن السلمي: محمد بن الحسين بن خالد بن سالم بن راوية بن سعيد بن قبيصة بن سرافة، وقد أشتهر أبو عبد الرحمن، بنسبته إلى قبيلة والدته، أكثر من اشتهاره بنسبته إلى قبيلة والده. ومرد ذلك، في الأغلب الأقرب، أن السلميين - وهم قبيلة والدته - كان لهم شأن في نيسابور، ألف أبو عبد الرحمن في الحديث، وفي تفسير القرآن الكريم، وفي التصوف وانصرف يحدث الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أكثر من أربعين سنة، إملاء وقراءة، توفي سنة أثنتي عشرة وأربعمائة130 وكانت جنازته مشهودة. تاريخ الإسلام: ص 21 ح 218 52 تاريخ بغداد: ح 5 ص 8،7 53 تاريخ الإسلام: ح 21 ص 217 54 شذرات الذهب: ح 2 ص 372 55 سير أعلام النبلاء: ح 11 ص 55 وارجع إلى ترجمته في الطبقات الصوفية: ص 56 454

2) الحافظ أبو بكر الخطيب، البغدادي أحد الحفاظ الأعلام، ومن ختم به إتقان هذا الشأن. وصاحب التصانيف المنتشرة في البلدان.ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وقال أبو سعيد بن السمعاني في " الذيل " في ترجمته: كان مهيباً، وقوراً، ثقة، متحرياً، حجة، حسن الخط، كثير الضبط، فصيحاً، ختم به الحفاظ. وقال الحافظ أبو سعد بن السمعاني: وله ستة وخمسون مصنفاً، منها: " التاريخ لمدينة السلام " في مائة وستة أجزاء، " شرف أصحاب الحديث " ثلاثة أجزاء"وغيرها، وأظهر بعض اليهود كتاباً ادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة، وذكروا أنه خط علي رضي الله عنه فيه، وحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء فعرضه على الخطيب فتأمله ثم قال: هذا مزور.قيل له: ومن أين قلت ذلك؟ قال: فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح، وفتحت خيبر سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، ومات يوم بني قريظة قبل فتح خيبر بسنتين. فاستحسن ذلك منه، ولم يجرهم على ما في الكتاب.توفي رحمه الله سنة 463، تاريخ الإسلام 6/ 236.

3) سهل بن عبد الله التستري. الإمام العارف أبو محمد شيخ الصوفية.وكان من أعيان الشيوخ في زمانه، بعد مع الجنيد. وله كلام نافع في التصوف والسنة وغير ذلك. فنقل أبو القاسم التميمي في الترغيب والترهيب من طريق أبي زرعة الطبري: سمعت ابن درستويه صاحب سهل بن عبد الله يقول: قال سهل، ورأى أصحاب الحديث فقال: إجتهدوا أن لا تلاقوا الله إلا ومعكم المحابر.

وفي ذم الكلام ، بإسناد، عن سهل وقيل له: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت، ويصب باقي حبره على قبره.

قرأت على ابن الخلال، أنا ابن اللتي، أنا أبو الوقت، أنا شيخ الإسلام عبد الرحمن بنيسابور: سمعت الحسين الدقيقي يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول: من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث. فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة.

قلت- الذهبي - : هكذا كان مشايخ الصوفية في حرصهم على الحديث والسنة، لا كمشايخ عصرنا الجهلة البطلة الأكلة الكسلة.

وبلغنا أنه أتى إلى أبي داود السجستاني مصنف السنن، فقال: أريد أن تخرج لي لسانك هذا الذي حدثت به أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبله.فأخرجه له فقبله.ومن كلامه: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه.توفي سهل رحمة الله عليه في المحرم سنة ثلاث وثمانين، وعاش ثمانين سنة، أو جاوزها. ويقال: مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين، والأول أصح. تاريخ الإسلام 5/ 198.

وعمــرو بن عثمان المكي1، وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي2، وغيرهم، وكلامهم موجود في السنة، وصنفوا فيها الكتب، لكن بعض المتأخرين منهم كان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد، ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة، وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين، فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث، وهم خيارهم وأعلامهم، وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام فهؤلاء دو م، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة كهؤلاء الملاحدة) ، أي القائلين بوحدة الوجود، الملحدين في الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر.

وبين رحمه الله، منهجه في مناقشة ما ذكره أبو القاسم فقال : (اجتهدت في اتباع سبيل الأمة الوسط، الذين هم شهداء على الناس، دون سبيل من قد يرفعه فوق قدره، في اعتقاده وتصوفه على الطريقة التي هي أكمل وأصح مما ذكره، علماً وحالاً وقولاً وعملاً واعتقادًا واقتصادًا، أو يحطه دون قدره فيهما، ممن يسرف في ذم أهل الكلام، أو ذم طريقة التصوف مطلقًا، والله أعلم.. والذي ذكره أبو القاسم، فيه الحسن الجميل الذي يجب اعتقاده واعتماده، وفيه ا مل الذي يأخذ المحق والمبطل، وهذان قريبان، وفيــه منقــولات ضعيفــة، ونقول عمــن لا يقتدى م في ذلك، فهذان مردودان، وفيه كلام حمله على معنى، وصاحبه لم يقصد نفس ما أراده هو، ثم إنه لم يذكر عنهم إلا كلمات قليلة لا تشفي في هذا الباب، وعنهم في هذا الباب من الصحيح الصريح الكبير ما هو شفاء للمقتدي م، الطالب لمعرفة أصولهم، وقد كتبت هنا نكتًا يعرف ا الحال).

تأكيده على اتباع منهج العدل، في قبول قول المخالفين وآثارهم وروايا م وردها، وذلك تصديقًا لقول معاذ بن جبل رضي الله عنه : (اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافرًا - أو قال فاجرًا- واحذروا زيغة الحكيم، قالوا : كيف نعلــم أن الكافــر يقــول الحــق؟ قال : على الحق نور) ، وهو ما عبر عنه ابن تيمية بقوله : (والله قد أمرنا ألا نقول إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني، فضلاً عن

---

1) عمرو بن عثمان المكي الزاهد. شيخ الصوفية. قيل: توفي سنة سبع وتسعين، وقيل: غير ذلك. وذكر السلمي أنه مات ببغداد؛ وكان قد قدم من مكة. وقد ولي قضاء جدة، فما عاده الجنيد في مرضه. تاريخ الإسلام 5/ 274.

2) محمد بن خفيف الشيرازي أبو عبد الله، صحب رويما والجريري وابن عطاء وغيرهم. وهو شافعي المذهب.مات في رمضان سنة إحدى وسبعين وثلثمائة بشيراز، عن مائة وأربع سنين. طبقات الأولياء لابن الملقن ،1/ 49. بتصرف.

الرافضي، قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون مافيه من الحق).

ووضح شيخ الإسلام كيفية الاستفادة من هذا المنهج، في التعامل مـــع مـــرويـــات المخالفين وآثارهـــم، ممثـــلاً لهـــا بمـــا (جمعـــه الشيـــخ أبو عبـــد الرحمن السلمي ونحوه في تاريخ أهل الصفة، وأخبار زهاد السلف، وطبقات الصوفية، يستفـــاد منه فوائـــد جليلـــة، ويتجنب منه ما فيه من الروايات الباطلة، ويتوقف فيما فيه من الروايات الضعيفة، وهكذا كثير من أهل الروايات، ومن أهل الآراء والأذواق، من الفقهاء والزهاد والمتكلمين وغيرهم، يوجد فيما يأثرونه عمن قبلهم، وفيما يذكرونه معتقدين له، شيء كثير.. وأمر عظيم من الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله، ويوجد أحيانًا عندهم من جنس الروايات الباطلة أو الضعيفة، ومن جنس الآراء والأذواق الفاسدة أو المحتملة شيء كثير، ومن له في الأمة لسان صدق عام، بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الأمة، فهؤلاء هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى، وغلطهم قليل بالنسبة إلى صوا م، وعامته من موارد الاجتهاد التي يعذرون فيها، وهم الذين يتبعون العدل والعلم، فهم بعداء عن الجهل والظلم، وعن اتباع الظن وما وى الأنفس).

دفاعه عن بعض طوائف أهل الكلام، وتفضيله لهم على من دو م، لانتسا م إلى مذهب أهل السنة والجماعة، في ردهم على أهل البدع المشهورين بمخالفة السنة والجماعة، كالخوارج، مما يدل على إنصافه، قال رحمه الله : (ومعلوم باتفاق المسلمين أن من هو دون الأشعرية، كالمعتزلة والشيعة الذين يوجبون الإسلام ويحرمون ما وراءه، فهم خير من الفلاسفة الذين يسوغون التدين بدين الإسلام واليهود والنصارى، فكيف بالطوائف المنتسبين إلى مذهب أهل السنة والجماعة كالأشعرية والكرامية والسالمية وغيرهم؟ فإن هؤلاء مع إيجا م دين الإسلام وتحريمهم ما خالفه، يردون على أهل البدع المشهورين بمخالفة السنة والجماعة، كالخوارج والشيعة والقدرية والجهمية، ولهم في تكفير هؤلاء نزاع وتفصيل، فمن جعل الفيلسوف الذي يبيح دين المشركين اليهود والنصارى، خير من اثنتين وسبعين فرقة فليس بمسلم، فكيف بمن جعله خيرًا من طوائف أهل الكلام المنتسبين إلى الذب عن أهل السنة والجماعة).

وقال: (وأما الخوارج فهم معروفون بالصدق ، والروافض معروفون بالكذب . والخوارج مرقوا من الإسلام ، وهؤلاء نابذوا الإسلام)1 ..

1)الفتاوى (357/3)

.. (وأما القدرية المحضة فهم خير من هؤلاء بكثير ، وأقرب إلى الكتاب والسنة ؛ لكن المعتزلة وغيرهم من القدرية هم جهمية أيضاً ، وقد يكفرون من خالفهم ، ويستحلون دماء المسلمين ؛ فيقربون من أولئك) ..

.. (وأما المرجئة فليسوا من هذه البدع المغلظة ؛ بل قد دخل في قولهم طوائف من أهل الفقه والعبادة ، وما كانوا يعدون إلا من أهل السنة ؛ حتى تغلظ أمرهم بما زادوه من الأقوال المغلظة) .

وقال عن المعتزلة: (.. والذي عليه عامتهم تعظيم علي وعائشة ؛ فإ م يقولون : إن هؤلاء تابوا من قتاله ، وكلهم يتولى عثمان ، ويعظمون أبا بكر وعمر ، ويعظمون الذنوب ؛ فهم يتحرون الصدق ؛ كالخوارج ، ولا يختلقون الكذب ؛ كالرافضة ، ولا يرون أيضاً اتخاذ دار غير دار الإسلام ؛ كالخوارج ، ولهم كتب في تفسير القرآن ، ونصر الرسول ، ولهم محاسن كثيرة ..)1 .

إلى أن قال (.. والأشعرية ما ردوه من بدع المعتزلة والرافضة والجهمية وغيرهم ، وبينوا ما بينوه من تناقضهم ، وعظموا الحديث والسنة ومذهب الجماعة ؛ فحصل بما قالوه من بيان تناقض أصحاب البدع الكبار وردهم ما انتفع به خلق كثير) .

وذكر رحمه الله في شرح حديث الافتراق أصلين في تكفير الفرق ثم قال : (ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطنًا وظاهرًا ، لكن فيه جهل وظلم ؛ حتى أخطأ ما أخطأ من السنة ؛ فهذا ليس بكافر ولا منافق ، ثم قد يكون منه عدوان وظلم فيكون فاسقًا أو عاصيًا ، وقد يكون مخطئًا متأولاً مغفورًا له خطأه ، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه) أهـ 2 .

ومن تأمل "ميزان الاعتدال" للإمام الذهبي3 ، وجد فيه الإنصاف وتحقيق المطابقة بين اسمه ومعناه ، وكذلك "سير أعلام النبلاء" له وكيف لا ؟ وهو سليل مدرسة أبي العباس ابن تيمية . ومن ذلك قول الذهبي في مقاتل ابن سليمان "وهو متهم بالكذب والضعف في الرواية ، والنكارة في الحديث ، وقال ببدعة التشبيه ، حيث أثبت لله الصفات على سبيل تشبهه سبحانه بالمخلوقين ، وأفرط في ذلك حتى جعل الله مثل خلقه – قال : "كبير المفسرين" ونقل قول الشافعي : (الناس عيال في

---

1) الفتاوى (97/13)

2) الفتاوى (353/3)

3) الشيخ شمس الدين الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشيخ الأمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي حافظ لا يجاري، ولا فظ لا يباري، اتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الأ ام في تواريخهم والألباس، من ذهن يتوقد ذكاؤه، ويصح إلى الذهب نسبته وانتماؤه، ومن تصانيفه تاريخ الأسلام ، وتاريخ النبلاء، والدول الأسلامية، وطبقات القراء وسماه معرفة القراء الكبار على الطبقات،وغيرها كثير.. وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الأثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مائة،الوفي في الوفيات1/ 218.بتصرف.

التفسير على مقاتل) وقول ابن المبارك : (ما وجدت علم مقاتل بن سليمان إلا كالبحر) .
وقول الذهبي في ابن الباقلاني – وهو إمام المتكلمين ورأس الأشاعرة – (الإمام العلامة أوحد المتكلمين مقدم الأصوليين ... كان يضرب المثل بفهمه وذكائه ... وكان ثقة إماماً بارعاً ، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية ...) ومن عجيب أمره أن ورده في الليل عشرين ترويحة في الحضر والسفر فإذا فرغ منها كتب خمساً وثلاثين ورقة من تصنيفه .
وكذلك محمد بن شجاع وكان يضع أحاديث في التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث يسا م ا ، وكان يعادي الإمام أحمد أشد العداء ، ويقول بخلق القرآن ، ويقول : عند أحمد كتب الزندقة ، قال الذهبي : (وكان مع هناته ذا تلاوة وتعبد ، ومات ساجداً في صلاة العصر ويرحم إن شاء الله) وكذلك ثور بن يزيد الكلاعي الذي كان يرى القدر ، ومن أجل ذلك نفاه أهل حمص وامتنع الأوزاعي عن مصافحته وحذر منه سفيان الثوري وقال : (اتقوا ثورا لا ينطحنكم بقرنيه) قال الذهبي فيه : (المحدث الفقيه عالم حمص ... يقع حديثه عالياً في البخاري وهو حافظ متقن ، ثم نقل الذهبي كلام العلماء فيه ، وفيه : (ما رأيت شامياً أوثق من ثور . كان ثور أعبد من رأيت ، وكان ثور ممن أثبتهم ...) وليس المقصود ـذه النقولات تبرير الابتداع أو مدح أهله به والعياذ بالله ، وإنما المراد التدليل على توازن منهج أهل السنة والجماعة وإنصافهم ، إذ الحق غايتهم ، والحق منهاجهم والحق مرجعهم ، إليه يدعون ، وبنوره وبحكمه يعدلون ، ويصدق فيهم الوصف القرآني [وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون]
وقال الذهبي في ترجمة " أبان بن تغلب الكوفي" : شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته.وقد وثقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم، وأورده ابن عدى، وقال: كان غاليا في التشيع.وقال السعدي: زائغ مجاهر.فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع وحد الثقة العدالة والإتقان ؟ فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة ؟ وجوابه أن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق.فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة"2.1

---

1) ميزان الاعتدال5/1. أنظر :"الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية" . لمرعي الكرمي (ص 137- 140) وانظر : "حقيقة البدعة" للغامدي (2/350-365-152) و (120/1) بتصرف.

2) بالنسبة للمبتدعة الذين بدعتهم مكفرة. فللعلماء في روايا م ثلاثة مذاهب :

الأول : القبول مطلقاً وإن كانوا كفاراً أو فساقاً بالتأويل، إليه ذهب جماعة من أهل النقل والمتكلمين (الكفاية ص148)

الثاني : يقبل خبرهم إذا كانوا يعتقدون حرمة الكذب، وقد ذهب إليه جماعة من الأصوليين، كأبي الحسن البصري المعتزلي وفخر الدين (ص 102) الرازي والبيضاوي. (المعتمد في أصول الفقه - تحقيق د . محمد حميد الله - المطبعة الكاثوليكية بيروت 1385هـ ، ج2 ص617 -619)

وهكذا إمام أهل السنة من قبله أحمد بن حنبل ، لما قام ولاة بني العباس بسجنه وتعذيبه ، لما قال : إن القرآن منزل غير مخلوق ، فقد كان رحمه الله يدعوا لهم ويستغفر لهم ويصلي خلفهم . وتلك هي عين العدل والإنصاف ، ونصر المبتدع على الظالم وحمايته من الجائرين ، ورد شر الفاسقين والولاة الظالمين عنه ، كان دأباً قديما منذ عهد التابعين ، فقد نقل الذهبي في ترجمة عكرمة مولى ابن عباس : أنه كان "يرى رأي الخوارج ، فطلبه متولي المدينة ، فتغيب عند داود ابن الحصين حتى مات عنده" . وقد أخذ هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية وقرر شيئاً منه فقال : "ومعلوم أن شر الكفار والمرتدين والخوارج أعظم من شر الظالم ، وأما إذا لم يكونوا يظلمون المسلمين ، والمقاتل لهم يريد أن يظلمهم ، فهذا عدوان منه فلا يعاون على العدوان" فأين هذا من حال من يعين الظلمة والفسقة على المؤمنين المبتدعين .

2- تفضيله على من هو أكثر منه ضرراً :

وهذا من العدل ، وقد أخبر الله بفرح المؤمنين بانتصار الروم على الفرس ، وذلك لأنهم أهل كتاب ، والفرس من جنس كفار قريش . وهذا التفضيل موجود في كلام العلماء ، من ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من أن أهل الكلام أقرب إلى الإسلام من الفلاسفة من عدة وجوه ، وأن الجهمية شر من الخوارج وأن الأشعرية في جنس مسائل الصفات والقدر أقرب إلى السلف والأئمة من المعتزلة ، وأن بعض طوائف الابتداع الذين يثبتون بعض الصفات أفضل من المعطلة الذين ينفون الصفات ، وقال رحمه الله : "وليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعبد من الخوارج ، ومع هذا فأهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم ، فإن الظلم حرام مطلقاً ، بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض ، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض ، وهذا مما يعترفون هم به ، ويقولون : أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضاً ...

الثالث : الرد مطلقاً، وقد حكى النووي الاتفاق على أن المكفرين ببدعهم لا يحتج بهم ولا تقبل روايتهم(التقريب مع شرحه التدريب للسيوطي - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ج1 ص324) وما سبق ينقض قوله.

وقد حقق الحافظ رحمه الله هذه المسألة وأتى فيها بقول فصل موافق لما عليه أئمة الحديث ونقاده فقال - رحمه الله - : " والتحقيق أنه لا يرد كل مكفر ببدعته، لأن كل طائفة تدعي أن مخالفيها مبتدعة، وقد تبالغ فتكفر مخالفيها، فلو أخذ على الإطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف. فالمعتمد : أن الذي ترد روايته : من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة، وكذا من اعتقد عكسه، فأما من لم يكن بهذه الصفة وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعه وتقواه، فلا مانع من قبوله " نزهة النظر ص53..

ولا ريب أن المسلم العادل أعدل عليهم وعلى بعضهم من بعض" ا . هـ وهذا التفضيل ليس بإطلاق ، وإنما هو فيما وافق الحق فيه ، وبما قلّ من ضرره وشره بالنسبة لمن هو أسوأ منه ، فالتفضيل نسبة إضافية .2

3- أخذ كلام المبتدعة إن كان فيه خير وموافقة للشرع :

قد نقل ابن القيم في المدارج عن الإمام الشافعي فقال : قال الشافعي : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين ، سمعتهم يقولون : الوقت سيف ، فإن قطعته وإلا قطعك . ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل . قلت – يعني ابن القيم – يا لها من كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائلها ويقظته ، ويكفي في هذا ثناء الشافعي على طائفة هذا قدر كلما م) .

وإن بعض المتسننة -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية- قد يترك إثبات الحق إذا رأى أهل البدع يثبتونه ، وهذا غلط ، قال ابن تيمية : وسبب ذلك أن قلوب المثبتة تبقى متعلقة بإثبات ما نفته المبتدعة وفيهم نفرة عن قول المبتدعة بسبب تكذيبهم بالحق ونفيهم له ، فيعرضون عن ما يثبتونه من الحق ، أو ينفرون منه أو يكذبون به ، كما قد يصير بعض جهال المتسننة في إعراضه عن بعض فضائل علي وأهل البيت ، إذا رأى أهل البدعة يغلون فيها ، بل بعض المسلمين يصير في الإعراض عن فضائل موسى وعيسى بسبب اليهود والنصارى ...) وقال رحمه الله : (والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق ، وألا نقول عليه إلا بعلم ، وأمرنا بالعدل والقسط ، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني – فضلا عن الرافضي- قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله ، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق)

وهذا المسلك قد تميز به أهل الإنصاف ، قال ابن القيم : (فإن كل طائفة معها حق وباطل ، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق ، لا ما قالوه من الباطل ، ومن فتح الله له هذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب ويسر عليه فيها الأسباب وهذا هو دين الذين برئوا من التعصب المذموم ، وأحبوا الحق ودعوا إليه ورحموا الخلق ، وعلموا أن الحق ضالة المؤمن أنى وجده فهو أولى به من غيره . وقد جعل الإمام ابن القيم – وهو سليل هذه المدرسة المباركة – هذا من عاداته فقال : (عادتنا في مسائل الدين كلها ، دقها وجلها : أن نقول بموجبها ، ولا نضرب بعضها ببعض ، ولا نتعصب لطائفة على طائفة ، بل نوافق كل طائفة على ما معها من الحق ، ونخالفها فيما معها من خلاف الحق ، ولا نستثني من ذلك طائفة ولا مقالة ، ونرجوا من الله أن نحيا على ذلك ، ونموت عليه ، ونلقى الله به ، ولا قوة إلا بالله) .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري وغيره : (أن النبي صلى الله عليه وسلم وكله بحفظ زكاة رمضان ، فجعل يتصور الشيطان بصورة آدمي ويأخذ من الطعام ، وأبو هريرة يزجره ويقول : والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، والشيطان يتعلل بالحاجة والفقر ، فيخليه أبو هريرة ، حتى المرة الثالثة ، وقال الشيطان : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله ا . قلت : ما هي ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي [الله لا إله إلا هو الحي القيوم] حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح . فخليت سبيله . فلما أصبح أبو هريرة أخبر النبي ﷺ بالأمر فقال النبي ﷺ : (أما إنه قد صدقك وهو كذوب . تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة ؟ قال : لا . قال : ذاك شيطان) الحديث .

قال الحافظ ابن حجر : (وفي الحديث من الفوائد أن الحكمة قد يتلقاها الفاجر فلا ينتفع ا ، وتؤخذ عنه فينتفع ا ، وبأن الكذاب قد يصدق) ومن النماذج ، كلام ابن تيمية عند ذكره لكتب أبي عبد الرحمن السلمي . قال : (فالذي جمعه الشيخ أبو عبد الرحمن ونحوه في تاريخ أهل الصفة وأخبار زهاد السلف وطبقات الصوفية ، يستفاد منه فوائد جليلة ، ويجتنب ما فيه من الروايات الباطلة ، ويتوقف فيما فيه من الروايات الضعيفة ، وهكذا كثير من أهل الروايات من أهل الآراء والأذواق من الفقهاء والزهاد والمتكلمين وغيرهم ... ومن له في الأمة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الأمة ، فهؤلاء أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، وغلطهم قليل بالنسبة إلى صوا م ، وعامته من موارد الاجتهاد التي يعذرون فيها ، وهم الذين يتبعون العلم والعدل ، فهم بعداء عن الجهل والظلم وعن اتباع الظن وما وى الأنفس)

وفي ترجمة إبراهيم بن يوسف الباهلي ، نقل الذهبي في "الميزان" توثيق النسائي له ، وتوهين أبي حاتم وقوله : (لا يشتغل به) وعقب بقوله (هذا تحامل لأجل الإرجاء الذي فيه ، وقد قال ابن حبان : ظاهره الإرجاء ، واعتقاده في الباطن السنة) ولما سئل ابن تيمية عن كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي ، قال : (فيه فوائد كثيرة ، لكن فيه مواد مذمومة ، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد ... وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه ... وفيه أحاديث وآثار ضعيفة ، بل موضوعة كثيرة ، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترها م . وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة ، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة ...)1.

4- أن ينصروا على من ظلمهم ولو من أهل الحق :

1) "مجموع الفتاوى" (551/10-552) "ميزان الاعتدال" (76/1) "فتح الباري" (487/4-489) "حقيقة البدعة" للغامدي (365/2-369) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيمن رد على الجهمية في الفتنة: (وكان ممن انتدب للرد عليهم أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كُلّاب ، وكان له فضل وعلم ودين . ومن قال : إنه ابتدع ما ابتدعه ليظهر دين النصارى في المسلمين ـ كما يذكره طائفة في مثالبه ، ويذكرون أنه أوصى أخته بذلك ـ فهذا كذب عليه . وإنما افترى هذا عليه المعتزلة والجهمية الذين رد عليهم ؛ فإ م يزعمون أن من أثبت الصفات فقد قال بقول النصارى . وقد ذكر مثل ذلك عنهم الإمام أحمد في الرد على الجهمية ؛ وصار ينقل هذا من ليس من المعتزلة من السالمية ، ويذكره أهل الحديث والفقهاء الذين ينفرون عنه لبدعته في القرآن ؛ ويستعينون بمثل هذا الكلام الذي هو من افتراء الجهمية والمعتزلة عليه . ولا يعلم هؤلاء أن الذين ذموه بمثل هذا هم شر منه ، وهو خير وأقرب إلى السنة منهم)1 .

5- أن يستر ما لم يظهروه من المخالفات ، ولا يمتحنوا فيها :

جاء في سير أعلام النبلاء : أنه قام رجلٌ إلى البخاري ، فَقَالَ : يا أبا عبدِ اللهِ، ما تقُولُ ِفي اللفْظِ ِبالقُرآن، مخلُوق هو أم غَير مخلُوقٍ؟ فَأعرض عنه البخاري ولم يجِبه. فَأعاد علَيهِ القَولَ ، ثُم قَالَ ِفي الثالِثَةِ ، فَالْتفَت ِإلَيهِ البخاري، وقَالَ: القُرآنُ كَلام اللهِ غَير مخلُوقٍ، وأَفْعالُ الْعِبادِ مخلُوقَةٌ والامتِحانُ ِبدعةٌ 2.

6- أن لا ينفر من كتبهم التي ألفوها في غير المخالفة :

ويقولون بأنه كان ولا يزال أهل السنة والجماعة يتتلمذون على العلماء الذين عرفوا ببدع ومخالفات في توحيد الإلهية والأسماء والصفات والبدع العملية ، ويعتنون بكتبهم ويتهادو ا ؛ وربما شرحها بعضهم ؛ كالذي فعله الإمام ابن القيم في شرحه منازل السائرين للهروي والذي بين فيه أخطاءه بتلطف ، واعتذر له عن بعضها مما يعد مخالفة كبيرة .

7- أن يحسن م الظن ويلتمس لهم العذر في المخالفة ؛ ما أمكن ذلك .

وقال رحمه الله في فيما نسب إلى بعض المبتدعة من الشطحات ومستنكر الأقوال والأفعال ، ومواقف الناس منهم كما قال : (.. وقد يغلو كل واحد من هذين حتى يخرج بالأول إنكاره إلى التكفير والتفسيق في مواطن الاجتهاد ، متبعاً لظاهر من أدلة الشريعة ، ويخرج بالثاني إلى الإقرار بما يخالف دين الإسلام مما يعلم بالاضطرار أن الرسول جاء بخلافه ، إتباعاً في زعم لما يشبه قصة موسى والخضر، والأول يكثر في الموسوية ومن انحرف منهم إلى يهودية و الثاني يكثر في العيسوية ومن انحرف منهم إلى نصرانية .

1) مجموع الفتاوى (555/5)

2) سير أعلام النبلاء 311/10

والأول : كثيراً ما يقع في ذوي العلم لكن مقروناً بقسوة وهوى . والثاني : كثيراً ما يقع في ذوي الرحمة لكن مقروناً بضلال وجهل . فأما الأمة الوسط : فلهم العلم والرحمة ..)1 أهـ .

وقال: (وكان ابن فورك2 في مخاطبة السلطان قصد إظهار مخالفة الكرامية ، كما قصد بنيسابور القيام على المعتزلة في استتابتهم ، وكما كفرهم عند السلطان . ومن لم يعدل في خصومه ومنازعيه ، ويعذرهم بالخطأ في الاجتهاد ؛ بل ابتدع بدعة وعادى من خالفه فيها أو كفره : فإنه هو ظلم نفسه)3 ..

.. (وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق ويرحمون الخلق ، يتبعون الرسول فلا يبتدعون . ومن اجتهد فأخطأ خطأً يعذره فيه الرسول عذروه . وأهل البدع مثل الخوارج يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم ويستحلون دمه . وهؤلاء كل منهم يرد بدعة الآخرين ، ولكن هو أيضاً مبتدع ؛ فيرد بدعة ببدعة ، وباطلاً بباطل) .

وقال عن عقيدة وحدة الوجود: (.. وأما الجهال الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونه ، ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين ، الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس ؛ فهؤلاء تجد فيهم إسلامًا وإيمانًا ومتابعة للكتاب والسنة بحسب إيما م التقليدي ..).4

بعد كلامه عن تكفير المعين قال : (.. وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق ، وقد تكون عنده ولم تثبت ، أو لم يتمكن من فهمها ، وقد يكون عرضت له شبهات يعذره الله ا ؛ فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق ، وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان سواء كان في المسائل النظرية ، أو العملية . هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجماهير أئمة الإسلام ، وما قَسموا المسائل إلى أصولٍ يكْفُر بإنكارها ، ومسائل فروع لا يكْفُر بإنكارها ؛ فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول وبين نوع آخر

---

1) "الفتاوى" (378/10)

2) ابن فورك محمد بن الحسن بن فورك بالفاء المضمومة والواو الساكنة والراء المفتوحة والكاف أبو بكر الأصبهاني المتكلم وله تصانيف جمة في الكلام كان رجلا صالحا بلغت مصنفاته قريبا منماية ودعى إلى غزنة وجرت له مناظرات وكان شديد الرد على ابن كرام ثم عاد إلى نيسابور فسموه في الطريق قال أبو القسم القشيري : سمعت أبا على الدقاق يقول دخلت على أبي بكر ابن فورك رحمه الله عايدا فلما رآني دمعت عيناه فقلت له أن الله تعالى يعافيك ويشفيك فقال لي أتراني خايفا من الموت أنما أخاف مما وراء الموت ولما استوطن نيسابور بنى ا له مدرسة ودار واحيي الله تعالى به أنواعا من العلوم وظهرت بركاته على الفقهاء ا وكانت وفاته سنة ست وأربع ماية . الوفي في الوفيات1/ 289.بتصرف.

3) الفتاوى (95/27)

4) الفتاوى (367/2)

وتسميته مسائل الفروع فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة ، ولا عن التابعين لهم بإحسان ، ولا أئمة الإسلام ، وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع ..)1 .

قال: (وإنما المقصود هنا : أن ما ثبت قبحه من البدع وغير البدع من المنهي عنه في الكتاب والسنة أو المخالف للكتاب والسنة إذا صدر عن شخص من الأشخاص فقد يكون على وجه يعذر فيه ؛ إما لاجتهاد أو تقليد يعذر فيه ، وإما لعدم قدرته) أهـ2.

ثم قال: (ولكن لقولهم سر خفي وحقيقة باطنة لا يعرفها إلا خواص الخلق، وهذا السر أشد كفرًا وإلحادًا من ظاهره، فإن مذهبهم فيه دقة وغموض وخفاء قد لا يفهمه كثير من الناس.

ولهذا تجد كثيرًا من عوام أهل الدين والخير والعبادة ينشد قصيدة ابن الفارض ويتواجد عليها ويعظمها، ظانًا أنها من كلام أهل التوحيد والمعرفة وهو لا يعلم مراد قائلها، وكذلك كلام هؤلاء يسمعه طوائف من المشهورين بالعلم والدين، فلا يفهمون حقيقته" أ.هـ 3.

وقال رحمه الله عن بعض العلماء المناظرين في البدع الاعتقادية: (.. لكن لم يعرف هؤلاء حقيقة ما جاء به الرسول ، وحصل اضطراب في المعقول به ؛ فحصل نقص في معرفة السمع والعقل ، وإن كان هذا النقص هو منتهى قدرة صاحبه لا يقدر على إزالته ؛ فالعجز يكون عذرًا للإنسان في أن الله لا يعذبه إذا اجتهد الاجتهاد التام ، هذا على قول السلف والأئمة في أن من اتقى الله ما استطاع إذا عجز عن معرفة بعض الحق لم يعذب به) ..

.. (وأما من قال من الجهمية ونحوهم : إنه قد يعذب العاجزين ، ومن قال من المعتزلة ونحوهم من القدرية : إن كل مجتهد فإنه لا بد أن يعرف الحق ، وإن من لم يعرفه فلتفريطه ، لا لعجزه ، فهما قولان ضعيفان ، وبسببهما صارت الطوائف المختلفة من أهل القبلة يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً).4

وقال عن الذكر بتكرار لفظ الجلالة "الله" : (وما نقل عن أبي يزيد والنوري والشبلي وغيرهم من ذكر الاسم المجرد فمحمول على أنهم مغلوبون ؛ فإن أحوالهم تشهد بذلك ، مع أن المشايخ الذين هم أصح من هؤلاء وأكمل لم يذكروا إلا الكلمة التامة ، وعند التنازع يجب الرد إلى الله والرسول ؛ فليس فعل غير الرسول حجة على الإطلاق) 5.

---

1) الفتاوى (346/23)

2) المصدر السابق(371/10و372

3) المصدر السابق (379/2)

4) المصدر السابق (563/5)

5) المصدر السابق (567/10)

وقال: (وقل طائفة من المتأخرين إلا وقع في كلامها نوع غلط لكثرة ما وقع من شبه أهل البدع ، ولهذا يوجد في كثير من المصنفات في أصول الفقه وأصول الدين والفقه والزهد والتفسير والحديث من يذكر في الأصل العظيم عدة أقوال ويحكي من مقالات الناس ألوانًا ، والقول الذي بعث الله به رسوله لا يذكره لعدم علمه به لا لكراهته لما عليه الرسول).1

8- عذر المبتدع لا يقتضي إقراره على ما أظهره من بدعة، ولا إباحة اتباعه، بل يجب الإنكار عليه فيما يسوغ إنكاره، مع مراعاة الأدب في ذلك

فا تهد المبتدع لا يقر على إظهار البدعة والدعوة إليها، متى تبينت مخالفتها للكتاب والسنة، بل لا يجوز متابعته فيها، (نعم، قد يكون متأولاً في هذا الشرع، أي الذي ابتدعه، فيغفر له لأجل تأويله، إذا كان مجتهدًا الاجتهاد الذي يعفى معه عن المخطئ، ويثاب أيضًا على اجتهاده، لكن لا يجوز اتباعه في ذلك، كما لا يجوز اتباع سائر من قال أو عمل عملاً قد علم الصواب في خلافه، وإن كان القائل أو الفاعل مأجورًا أو معذورًا، وقد قال سبحانه وتعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبا م أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)2 ، قال عـدي بن حاتم3 للنبي صلى الله عليه و سلم : (يـا رسـول الله! ما عبـ ـ ـدوهم. قـ ـ ـال : (ما عبدوهم، ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم) فمن أطاع أحدًا في دين لم يأذن به الله، في تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب، فقد لحقه من هذا الذم نصيب).

ويؤكد رحمه الله، أنه لا يكون معذورًا من اتبع مخالفًا لأمر الله ورسوله صلى الله عليه و سلم مما هو ظاهر بين، فيقول : (والذي يصدر عنه أمثال هذه الأمور -أي المخالفة- إن كان معذورًا بقصور في اجتهاده، أو غيبة في عقله، فليس من اتبعه بمعذور، مع وضوح الحق والسبيل، وإن كانت سيئته مغفورة، لما اقترن ا من حسن قصدٍ، وعملٍ صالحٍ، فيجب بيان المحمود والمذموم، لئلا يكون لبسًا للحق والباطل).

---

1) المصدر السابق (484/5)

2) التوبة : 31

3) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد . أبو طريف الطائي . ولد حاتم الجود . وفد على رسول الله صلى الله عليه و سلم فأكرمه في شعبان سنة عشرة . ثم قدم على أبي بكر الصديق بصدقات قومه في حين الردة ؛ ومنع قومه وطائفة معهم من الردة بثبوته على الإسلام وحسن رأيه . وكان سرياً شريفاً تفي قومه خطيباً حاضر الجواب فاضلاً كريماً . قال : ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا اشتاق إليها ! وقال : ما دخلت على النبي صلى الله عليه و سلم قط إلا وسع لي أو تحرك ! ودخلت يوماً عليه في بيته وقد امتلأ من أصحابه فوسع لي حتى جلست إلى جنبه ،وتوفي رحمه الله سنة سبع وستين للهجرة وهو ابنماية وعشرين سنة .الوافي في الوفيات 1/ 2852.

إن (الأمور -الشرعية- تعطى حقها من الكتاب والسنة، فما جاء به الكتاب والسنة من الخبر والأمر والنهي وجب اتباعه، ولم يلتفت إلى من خالفه كائنًا من كان، ولم يجز اتباع أحد في خلاف ذلك كائنًا من كان، كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، من اتباع الرسول وطاعته... فإن كل أحد من الناس قد يؤخذ من قوله وأفعاله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم، وما من الأئمة إلا من له أقوال وأفعال -تبين مخالفتها للكتاب والسنة- فهو لا يتبع عليها، مع أنه لا يذم عليها).

أما ما (لم يعلم قطعًا مخالفتها للكتاب والسنة، بل هي من موارد الاجتهاد، التي تنازع فيها أهل العلم والإيمان، فهذه الأمور قد تكون قطعية عند بعض من بين الله له الحق فيها، لكنه لا يمكنه أن يلزم الناس بما بان له ولم يبن لهم... وقد تكون اجتهادية عنده أيضًا، فهذه تسلم لكل مجتهد ومن قلده... بحيث لا ينكر ذلك عليهم) ، وأما الذي لا يسلم إليه حاله فهو آتي المحرمات وتارك الواجبات، من غير تأويل سائغ أو عـذر مشـروع، فإنـه يجب الإنكـار عليه بحسب ما جاءت به الشريعة، من اليد واللسان والقلب، ويلحق به كل من أظهر مقالة تخالف الكتاب والسنة، فإنـهـا من المنكـر الذي أمر الله بالنهـي عنـه في قولـه تعالـى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)1.. أما من اشتبه أمره فيتوقف معه، فإن الإمام أن يخطئ في العفو، خير من أن يخطئ في العقوبة.

ثالثاً: التقيد بضوابط هجر هم :وهذا فيه جملة أمور :

1- مشروعية هجر المبتدع ،استثناء من أصل حرمة هجر المسلم وقد كثر تحذير السلف ، رحمهم الله ، من مجالسة أهل البدع ، وكان هذا منهجا عاما لهم في كل أمور الدين ، فالإنكار على المخالف أو المبتدع ، إن كان خلافه غير سائغ ، كان سمة ظاهرة فيهم ، أيا كان صاحب الخلاف أو البدعة ، وعليه تحمل الأقوال الشديدة التي أثرت عن بعض السلف في أئمة كبار لهم الفضل والسبق ، فلم يسكت السلف ، رحمهم الله ، كما تقدم ، عن أي بدعة ، بغض النظر عن إمامة صاحبها ، فالعالم قد يمدح من وجه ويذم من وجه ، وقد تكون المصلحة في ذم القول دون القائل ، وقد لا تتحقق المصلحة إلا بالتحذير من مجالسة القائل ، وتشديد النكير عليه ، بل وهجره وترك الرواية عنه تعزيرا له ، كما أثر عن أحمد ، رحمه الله ، في تركه الرواية عمن أجاب في فتنة خلق القرآن ، رغم أن ممن أجابوا أئمة ثقات ، ولكنه رأى المصلحة في تعزيرهم بترك الرواية عنهم ، وقد أفرد هذا المنهج بعلم مستقل يعرفه المشتغلون بعلم الحديث ، وهو علم الرجال ، أو الجرح والتعديل ، وكثرت أقوال أهل العلم فيه ، مفصلة حال نقلة الحديث : فمن مبتدع داع ،

1) آل عمران : 104

ومبتدع متبع ، ومتأول يعذر بجهله ومعاند مكابر لا يعذر ..... الخ ، وما كان ذلك منهم إلا احتياطا لدين الله عز وجل.

قال سفيان الثوري رحمه الله) : من أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إليها) ، أي إلى البدعة فلا يقدم على مجالسة أهل البدع إلا مخاطر بدينه ، ومن خاطر بدينه فلا يلومن إلا نفسه.

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر

وقال الفضيل رحمه الله : (من أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة ، ومن انتهر صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر .

فالإنكار على أهل البدع من آكد مهمات الدين ، بل إنه يندرج تحت باب حفظ الدين ، وهو آكد مقاصد الشريعة ، كما قرر ذلك الأصوليون ، والإنكار على أهل البدع وسيلة من وسائل حفظ الدين ، وللوسائل أحكام المقاصد ، فحفظ الدين واجب أصلا ، والإنكار على أهل البدع واجب تبعا ، لأن الأول لا يقوم إلا بالثاني ، والله أعلم .

وقال أبو الجوزاء[1] رحمه الله : (لئن تجاورني القردة والخنازير في دار أحب إلي من أن يجاورني رجل من أهل الأهواء).

فالقردة والخنازير أذاهم لا يتعدى الأمور الحسية ، وأما المبتدع فخطره أعظم ، لا سيما إن كان صاحب حجة وبيان ، فهو سلاح إبليس يغزو به القلوب ليفسدها ، ولا مصيبة أعظم من مصيبة الدين.

وسئل الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : (الرجل يصوم ويعتكف أحب إليك ، أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل)[2].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (أن تحذير الأمة من البدع والقائلين ا واجب باتفاق المسلمين)[3].

---

1) وس بن خالد الربعي البصري أبو الجوزاء من الطبقة الثانية من التابعين . قال : صحبت ابن عباس اثنتي عشرة سنةً فما بقي في القرآن آية إلا سألته عنها . ولم يلعن أبو الجوزاء شيئاً قط ولا أكل طعاماً ملعوناً . وكان يقول : لأن تمتلئ داري قردةً وخنازير أحب إلي من أن أجاوز رجلاً من أهل الأهواء ! وكان يقول : ما ماريت أحداً قط ولا كذبت أحداً قط . وكان يواصل في الصوم بين سبعة أيام ثم يقبض على ذراع الشاة فيكاد يحطمها . وقال ابن سعد : خرج أبو الجوزاء مع ابن الأشعث فقتل أيام الجماجم سنة ثلاث وثمانين للهجرة . أسند عن ابن عباس وعائشة وغيرهما الوافي في الوفيات 1/ 1316.

2) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (231/28) .

3) مجموعة الفتاوى (231/28) .

وقال أيضاً - رحمه الله - : (إن أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتال الخوارج و نهى عن قتال أئمة الظلم ، وقال في الذي يشرب الخمر : ((لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله))1 . وقال في ذي الخويصرة : ((يخرج من ضئضيء هذا أقوام يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين- وفي رواية : ((من الإسلام)) - كما يمرق السهم من الرمية ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة"2 ثم إن أهل المعاصي ذنوبهم : فعل بعض ما نهوا عنه : من سرقة ، أو زنا ، أو شرب خمر ، أو أكل مال بالباطل

وأهل البدع ذنوبهم : ترك ما أمروا به من اتباع السنة وجماعة المؤمنين ، فإن الخوارج أصل بدعتهم أنهم لا يرون طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه فيما خالف ظاهر القرآن عندهم ، وهذا ترك واجب . وكذلك الرافضة لا يرون عدالة الصحابة ومحبتهم ، والاستغفار لهم ، وهذا ترك واجب ...)3

2- لا يهجر ولا ينفر من شخصه بقول أو فعل . إلا بشرطين :

الأول : أن تكون مخالفته فيما لا يسوغ فيه الاجتهاد ، لأن هجر المبتدعة من جنس الجهاد في سبيل الله ، ولا تحل هذه العقوبة إلا بتحقق سببها الموجب لإيقاعها ، وإلا أصبحت عدواناً وظلماً

والثاني : أن يكون الهجر نافعاً في قطع فساد مخالفته أو التقليل منه ، أو زجر غيره عن مثل فعله . فإن لم يكن نافعاً وجب البقاء على هذا الأصل ؛ لزوال السبب المبيح للخروج عنه .

أما قول المخالف وفعله سواء كانا مبنيين على اجتهاد سائغ ، أو تقليد جائز ، أو على غير ذلك من المخالفة للقطعيات ؛ فإن بيان دين الله وتعليم العلم والدعوة إليه من أعظم القرب وأحسن الأعمال ؛ فكيف إذا كان هذا البيان دعوةً إلى أصل ، أو توضيحاً لضروري ؛ فإنه من أفضل الأعمال وأوجبها ، وإنما قد يراعى تأخير بيان بعض الأمور رعاية لمصلحة أعظم ، أو مفسدة أشد ؛ لمعنى في المخالف أو في غيره .

---

1) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (75/12) كتاب الحدود ، حديث رقم (6780) . ولفظه ((لا تلعنوه ، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله))

2) رواه البخاري مع اختلاف بسيط في بعض الألفاظ في صحيحه المطبوع مع فتح الباري (376/6) ، كتاب الأنبياء ، حديث (3344) . ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي (160/7-167) بألفاظ وطرق مختلفة .

3) مجموعة الفتاوى (20/ 103-105) .

وهذا هو الذي تميز به أهل السنة والجماعة وهو أ م جمعوا بين طرح منهجهم بجلاء لا يجاملون فيه أحداً من بيان مسائل الدين الكبار ، ومحاربة البدع قولاً وفعلاً ، وبين معاملة أشخاص المخالفين بما تقضيه الشريعة ، ويحقق مقاصدها بقواعد المصالح والمفاسد والعدل والإنصاف ، والرحمة الإحسان ، وعلى ذلك مضى الأئمة ، وكان من أبرز متأخريهم الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ فلا ينقضي عجبك من تبحره وطول نفسه في إيضاح مسائل الدين ونقض شبه المخالفين ، وهو مع ذلك حسن المعاملة للمخالفين تنظيراً وتطبيقاً .

4- أن يكون الهجر محققاً الغاية الشرعية ، والغايات الشرعية هي "حفظ الشريعة" من أن يزاد عليها أو ينقص منها ، فالمبتدع إذا وقر اتبع الناس بدعته ، وتركوا اتباع أهل السنة "والتنفير من البدعة "والتحذير منها "وزجر المبتدع "وتأديبه ليتوب "وتحذير الناس من تعاطي البدع " لئلا يصيبهم ما أصاب المهجور من عقاب .

فإن كان الهجر محققاً هذه المقاصد ، فهو هجر شرعي ، وإن لم يحققها فالتأليف أنفع من الهجر ، فجانب القوة والكثرة السنية وحال انتشار السنة في البلد ، يرجح الهجر للمبتدع ، وجانب القوة والانتشار والكثرة البدعية يرجح ترك الهجر وتحقيق المصلحة من خلال التأليف . قال ابن تيمية : (وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قو م وضعفهم ، وقلتهم وكثر م ، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله ، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفته كان مشروعاً ، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك ، بل يزيد الشر ، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته ، لم يشرع الهجر ، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر ، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف ، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين ...) والهجر لا بد أن يكون خالصا لله ، وأملاً في الإصلاح ، لا أن يكون ذلك لهوى النفس أو استيفاء من أحد أو عداوة دنيوية له . وما أكثر ما تفعل النفوس ما واه ، ظانة أ ا تفعله طاعة لله .

مراعاة المصلحة والمفسدة المترتبة على الهجر ، بحيث يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة ، حسب الأحوال والظروف المختلفة ، وإلا لم يكن العمل مشروعاً ولا مأموراً به . وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ما معناه (أن المصالح والمفاسد إذا تعارضت وجب ترجيح الراجح منها ، وإذا تزاحمت المصالح فلا بد من تحقيق أكمل المصلحتين ولو بتفويت أدناهما ، وإذا تزاحمت المفاسد فلا بد من دفع أعظم المفسدتين ولو بأخذ أدناهما ، فإذا كان يحصل ذا الهجر حصول معروف أو اندفاع منكر فهي مشروعة ، وإن كان يحصل ا من الفساد ما يزيد على فساد الذنب فليست مشروعة) ومن تطبيقاته لهذه القاعدة . ما رواه عنه تلميذه ابن القيم في شأن التتار الذين مر م ، وكانوا

يشربون الخمر ، فنهى عن الإنكار عليهم ، لما يترتب على تركهم لشرب الخمر من مفاسد هي أعظم من شرب الخمر ، فقال رحمه الله (إنما حرم الخمر ، لأ ا تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال ، فدعوهم) .

5- مراعاة حال المبتدع في الهجر:

فالمظهر للبدعة أو الداعي إليها ، يتعدى ضرره إلى غيره ، فيجب كفه والإنكار عليه ، ومعاقبته بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره . قال ابن تيمية : (ولهذا قال الفقهاء : إن الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة يعاقب بما لا يعاقب به الساكت) وقال أيضا : (وإذا كان مبتدعاً يدعوا إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة أو يسلك طريقاً يخالف الكتاب والسنة ويخاف أن يضل الرجل الناس بذلك : بين أمره للناس ، ليتقوا ضلاله ويعلموا حاله ...) وقال أيضا : (ولهذا كان الإمام أحمد وأكثر من قبله وبعده من الأئمة كمالك وغيره ، لا يقبلون رواية الداعي إلى بدعته ، ولا يجالسونه ، بخلاف الساكت .

وقد أخرج أصحاب الصحيح عن جماعات ممن رمي ببدعة من الساكتين ، ولم يخرجوا عن الدعاة إلى البدع ...) . وقال أيضاً : (... وهذا حقيقة قول من قال من السلف والأئمة : إن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهاد م ، ولا يصلى خلفهم ، ولا يؤخذ عنهم العلم ، ولا يناكحون . فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا ، ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية ، لأن الداعية أظهر المنكرات فاستحق العقوبة ... فالمنكرات الظاهرة يجب إنكارها بخلاف الباطنة ، فإن عقوبتها على صاحبها خاصة) وأما المستتر ببدعته ، فينكر عليه سراً ويستر عليه ، قال ابن تيمية : (فإن كان الرجل مستتراً بذلك ، وليس معلناً له ، أنكر عليه سراً وستر عليه ...) وقال أيضاً : (وأما من أظهر لنا خيراً فإنا نقبل علانيته ، ونكل سريرته إلى الله تعالى ، فإن غايته أن يكون بمـ لة المنافقين الذين كان النبي يقبل علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ...)

قال رحمه الله في كلامه عن هجر المبتدع: (.. فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد ؛ بل بطلان كثير من الحسنات المأمور ا لم تكن هجرة مأموراً ا ، كما ذكره أحمد عن أهل خراسان إذ ذاك : إ م لم يكونوا يقوون بالجهمية . فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة . وكان مدارا م فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ، ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوي . وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة ، فلو ترك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم . فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضر ا دون مضرة ترك ذلك الواجب : كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس . ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل) ..

.. (وكثير من أجوبة الإمام أحمد ، وغيره من الأئمة ، خرج على سؤال سائل قد عِلِم المسؤول حاله ، أو خرج خطاباً لمعين قد علم حاله ، فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وسلّم ، إنما يثبت حكمها في نظيرها) ..

.. (فإن أقواماً جعلوا ذلك عاماً ، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به ، فلا يجب ولا يستحب ، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات . وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية ، فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعية ..)1.

وقال رحمه الله في موضع آخر في نحو ذلك : (.. وإنما قررت هذه القاعدة ليحمل ذم السلف والعلماء للشيء على موضعه ..)2 .

وقال بعد ذكر بعض شطحات الصوفية: (وهذا يبين أن كل من أقر بالله فعنده من الإيمان بحسب ذلك ، ثم من لم تقم عليه الحجة بما جاءت به الأخبار لم يكفر بجحده ، وهذا يبين أن عامة أهل الصلاة مؤمنون بالله ورسوله ـ وإن اختلفت اعتقاداتهم في معبودهم وصفاته ـ إلا من كان منافقاً يظهر الإيمان بلسانه ويبطن الكفر بالرسول فهذا ليس بمؤمن ، وكل من أظهر الإسلام ولم يكن منافقاً فهو مؤمن له من الإيمان بحسب ما أوتيه من ذلك ، وهو ممن يخرج من النار ولو كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، ويدخل في هذا جميع المتنازعين في الصفات والقدر على اختلاف عقائدهم) ..

.. (ولو كان لا يدخل الجنة إلا من يعرف الله كما يعرفه نبيه صلى الله عليه وسلّم لم تدخل أمته الجنة ؛ فإنهم أو أكثرهم لا يستطيعون هذه المعرفة ؛ بل يدخلونها ، وتكون منازلهم متفاضلة بحسب إيمانهم ومعرفتهم ، وإذا كان الرجل قد حصل له إيمان يعرف الله به ، وأتى آخر بأكثر من ذلك عجز عنه لم يحمل ما لا يطيق ، وإن كان يحصل له بذلك فتنة لم يحدث بحديث يكون له فيه فتنة) . أهـ 3.

وقال: (وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم ؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله ؛ فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً ، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك ؛ بل يزيد الشر ، والهاجر ضعيف ، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته ، لم يشرع الهجر ؛ بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر) ..

---

1) المصدر السابق: (210/28)

2) المصدر السابق :(365/10)

3) المصدر السابق: (253/5)

.. (والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف ؛ ولهذا كان النبـي صلى الله عليه وسلّم يتألف قوماً ويهجر آخرين . كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلو م ؛ لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم ؛ فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلو م ، وهؤلاء كانوا مؤمنين ، والمؤمنون سواهم كثير ؛ فكان في هجرهم عز الدين ، وتطهيرهم من ذنو م ، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال تارة ، والمهادنة تارة ، وأخذ الجزية تارة ، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح) ..

.. (وجواب الأئمة كأحمد وغيره في هذا الباب مبني على هذا الأصل ؛ ولهذا كان يفرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع ؛ كما كثر القدر في البصرة ، والتجهم بخراسان ، والتشيع بالكوفة ، وبين ما ليس كذلك ، ويفرق بين الأئمة المطاعين وغيرهم ، وإذا عرف مقصود الشريعة سلك في حصوله أوصل الطرق إليه) 1.

6- مراعاة درجات البدعة ومراتبها ، فالبدع ليست على مرتبة واحدة ، فمنها ما هو كفر ، ومنها ما هو من الكبائر ، والمسوي في الهجر وغيره من الأحكام بين جميع البدع ، متجانف لظلم وعدوان . وعليه فلا بد أن تكون درجة الهجر وإيقاع العقوبة به متفاوتة تبعاً لهذه المراتب والدرجات التي تكون منها البدع . قال الشاطبي : (إن القيام عليهم بالتثريب أو الطرد أو الإبعاد أو الإنكار ، هو بحسب حال البدعة في نفسها من كو ا عظيمة المفسدة في الدين أم لا ، وكون صاحبها مشتهراً ا أو لا ، وداعياً إليها أو لا ، ومستظهراً بالاتباع وخارجاً عن الناس ، وكونه عاملاً على جهة الجهل أو لا ، وكل من هذه الأقسام له حكم اجتهادي يخصه ...)

والناس إزاء هذه المسألة وأشباهها من المسائل الاجتهادية إلى ثلاثة أقسام : طرفان ووسط ، فقسم غالي ، فبمجرد ما يرى من فرد أو طائفة بدعة ، يوقع أحكام الهجر وجمع مقالات السلف والعلماء في الهجر وي لها على الواقع في البدعة . فيجره ذلك إلى مفسدة أعظم من مفسدة البدعة التي تصدى لإنكارها . وقسم تجافى عن النظر والعمل ذه العقوبة الشرعية بحجة درء الفتن ووحدة صف المسلمين ، فيؤدي ذلك إلى انتشار سيئات أكبر من السيئات التي ا اتقى ايقاع عقوبة الهجر . وقسم وسط : آمنوا بشرعية العقاب بالهجر ، فإذا أرادوا تطبيقه طبقوه بفقه وعلم وحكمة وفق أحكامه وضوابطه الشرعية ، وإلا تركوه وعملوا على تحقيق المصلحة بالتأليف والنصح والتعاون .

---

1)) المصدر السابق: (206/28)

وليس في شيء مما ذكر من آداب التعامل مع المبتدعة دعوة إلى بدعة أو إقرار لمحدثة أو تفضيل لمبتدع ، وهذه هي الطريقة الوسط التي سار عليها أهل السنة في ظل سلطان الإسلام ودولته وقوته وعزة أهله .

وهي الواجبة الآن ، من باب أولى . في عصر غربة دين الإسلام بين أهله ، وفتور شرائعه في البلدان ، وانطماس آثار النبوة ، وانتشار الفتن ، وتأصيل الكفر ، وتنظير الفساد ، وقوة الفساق والمنافقين ، ولا قوة إلا بالله .1

رابعاً: لزوم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وإرشادهم إلى الحق ، وإبلاغهم الحجة ، وتفهيمهم إياها ، ودلالتهم بالحسنى إلى ما فيه صلاحهم ورشادهم ، وهذه ليست إلا للعلماء الراسخين .

فها هو موسى بن حزام شيخ البخاري والترمذي والنسائي ، كان في أول أمره ينتحل الإرجاء ثم أعانه الله تعالى بأحمد بن حنبل فانتحل السنة ، وكان يجلس معه ا الس الطوال مناقشاً له برفق وسكينة ، وحكمة وموعظة حسنة ، ثم مجالس أخرى علمه فيها السنن ، ثم مجالس أخرى بعث فيه همة عالية ، حتى وفقه الله للذب عن السنة ، وقمع من خالفها حتى مات . وكذلك عبد الرحمن بن صالح الأزدي ، وكان رافضياً يحدث بمثالب الصحابة وأمهات المؤمنين ، وكان يغشى مجالس الإمام أحمد ، فيقربه الإمام أحمد ويدنيه ، فقيل له فيه ، فقال : (سبحان الله ! رجل أحب قوماً من أهل بيت النبي ﷺ) فالإمام أراد بذلك أن يزيل عن قلبه غشاوة البدعة ، وعن بصره ضلالة الهوى .2

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والأمر بالسنة والنهي عن البدعة، هما أمر بمعروف و ي عن منكر، وهو من أفضل الأعمال الصالحة، فيجب أن يبتغى به وجه الله، وأن يكون مطابقًا للأمر، وفي الحديث من أمر بالمعروف و ى عن المنكر، فينبغي أن يكـ ـون عالمًا بمـ ـا يأمـ ـر بـ ـ ـه، عالمًا بما ينهى عنه، رفيقًا بما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه، فالعلم قبل الأمر، والرفق مع الأمر، والحلم مع الأمر، فإن لم يكن عالمًا لم يكن له أن يقفو ما ليس له به علم.. وإن كان عالمًا ولم يكن رفيقًا، كان كالطبيب الذي لا رفق فيه، فيغلظ على المريض فلا يقبل منه، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد، وقد قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : (فقولا له قولاً ليّنًا لعله يتذكر أو يخشى)3.. ثم إذا أمر أو ى، فلابد

---

1) "فتاوى ابن تيمية" (213/28) "معالم الانطلاقة الكبرى" لمحمد المصري (ص 154-160)
"حقيقة البدعة" للغامدي (339/2-346) و (369-374).

2) "حقيقة البدعة" للغامدي (349/2-350) و (80/1-81)

3) طه : 44

أن يؤذى في العادة، فعليه أن يصبر ويحلم، كما قال تعالى : (أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)1.. وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين في غير موضع، وهو إمام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فإن الإنسان عليه أولاً أن يكون أمره لله، وقصده طاعة الله فيما أمر به، وهو يحب صلاح المأمور، أو إقامة الحجة عليه.. فإن فَعلَ ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره، كان ذلك خطيئة لا يقبلها الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء، كان عمله حابطًا، ثم إذا رد عليه ذلك، أو أوذي، أو نسب إلى أنه مخطئ، وغرضه فاسد، طلبت نفسه الانتصار لنفسه، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله، ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذي، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه، وأنه على السنة، فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هـ ـ ـوى أن ينتصـ ـ ـر جـاهـ ـهـ ـ ـم أو رياستـ ـهـ ـم، وما نسـ ـ ـب إليـ ـهـ ـم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم، وإن كان مجتهدًا معذورًا لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن كان يوافقهم، وإن كان جاهلاً سيء القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالا م ومعادا م على أهواء أنفسهم، لا على دين الله ورسوله).

ودعا شيخ الإسلام ابن تيمية إلى سلامة النية، واتباع الإحسان في مراتب الإنكار، مع جميع المبتدعة مهما غلظت بدعتهم، ومنهم الرافضة، لقصد الإصلاح، فيقول : (وهكذا الرد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم، إن لم يقصد فيه بيان الحق، وهدي الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم، لم يكن عمله صالحًا، وإذا غلظ في ذم بدعة ومعصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد، ليحذرها العباد، كما في نصوص الوعيد وغيرها، وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيرًا، والمقصود بذلك ردعه، وردع أمثاله، للرحمة والإحسان لا للتشفي والانتقام... وهذا مبني على مسألتين :

إحداهما أن الذنب لا يوجب كفر صاحبه، كما تقوله الخوارج، بل ولا تخليده في النار ومنع الشفاعة فيه، كما يقوله المعتزلة.

الثاني : أن المتأول الذي قصده متابعة الرسول، لا يكفر ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل الاعتقـ ـ ـاد فكثيـ ـر من الناس كفّروا المخطئين فيهـ ـا، وهذا القـ ـول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا

1) لقمان : 17

يعرف عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع، الذين يبتدعون بدعة، ويكفّرون من خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية).

ويؤكد على مراعاة الأدب في ذلك، واتباع ما يؤدي إلى إصلاح النفوس واستقامتها، من جهة الاقتداء والقبول، ودفع ما يؤول إلى مفسدة أعظم، وتقديم الأهم فالأهم، ومراعاة المصالح، وفي هذا الشأن يدعو فيقول : (عليك هنا بأدبين :

أحدهما : أن يكون حرصك على التمسك بالسنة باطنًا وظاهرًا، في خاصتك وخاصة من يطيعك، واعرف المعروف وانكر المنكر.

والثاني : أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الإمكان، فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شر منه، فلا تدعو إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر منه، أو بترك واجب أو مندوب، تركه أضر من فعل ذلك المكروه، ولكن إذا كان في البدعة من الخير فعوض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان، إذ النفوس لا تترك شيئًا إلا بشيء، ولا ينبغي لأحد أن يترك خيرًا إلا إلى مثله أو إلى خير منه).

ثم قال : (وكثير من المنكرين لبدع العبادات والعادات، تجدهم مقصرين في فعل السنن من ذلك أو الأمر به، ولعل حال كثير منهم يكون أسوأ من حال من يأتي بتلك العبادات المشتملة على نوع من الكراهة، بل الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، فلا ينهى عن منكر إلا ويؤمر بمعروف يغني عنه، كما يؤمر بعبادة الله سبحانه، وينهى عن عبادة ما سواه، إذ رأس الأمر شهادة أن لا إله إلا الله، والنفوس خلقت لتعمل لا لتترك، وإنما الترك مقصود لغيره، فإن لم يشتغل بعمل صالح وإلا لم يترك العمل السيء أو الناقص، لكن لما كان في الأعمال السيئة ما يفسد عليها العمل الصالح، نهيت عنه حفظًا للعمل الصالح).

ومن الأصول المقررة أيضاً رعاية شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الأمر بالسنة والنهي عن البدعة، وتقديم الأهم فالأهم في ذلك ، حيث نبه الشيخ إلى أن حقيقة العلم تظهر من الآمر والناهي، في تقديم الأهم فالأهم عند ازدحام المصالح والمفاسد، أو تركه النهي في حال إذا كان الانتقال سيكون إلى ما هو أشد شرًا وفسادًا، وهذا يقع في الأعمال المختلفة التي فيها خير وشر، ويضرب أمثلة عملية لهذا الفقه، فيقول : (فتعظيم المولد واتخاذه موسمًا، قد يفعله بعض الناس ويكون فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه و سلم، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد، ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء : إنه أنفق على مصحف ألف دينار أو نحو ذلك، فقال : دعهم، فهذا أفضل ما أنفقوا فيه الذهب، أو كما قال. مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة، وقد تأول بعض

الأصحاب أنه أنفقها في تجويد الورق والخط، وليس مقصود أحمد هذا، وإنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة وفيه أيضًا مفسدة كُره لأجلها، فهـ ـ ـؤلاء إن لم يفعلوا هـ ـذا وإلا اعتاضـ ـوا بفسـادٍ لا صلاح فيه، مثل أن ينفقها في كتاب من كتب الفجور، من كتب الأسمار أو الأشعار، أو حكمة فارس والروم. فتفطّن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد، بحيث تعرف ما مراتب المعروف ومراتب المنكر، حتى تقدم أهمها عند الازدحام، فإن هذا حقيقة العلم بما جاءت به الرسل).

ومن الوقائع العملية التي يقدم فيها الأهم فالأهم، دفعًا لمفسدة أعظم، ما ذكره ابن القيم في هذا الشأن، مستشهدًا بفقـ ـه شيخـ ـه ابن تيمية : (إذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة، إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله، كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك.. وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو أو لعب أو سماع مكاء وتصدية، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيرًا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك.. وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب ا ون ونحوها، وخِفْت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر، فدعه وكُتبه الأولى، وهذا باب واسع، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية، قدس الله روحه ونور ضريحه، يقول : مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأ ا تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس، وسبي الذرية، وأخذ الأموال، فدعهم).

ومن الوقائع التي تراعى فيها المصالح، وتدفع فيها المفاسد، أو تقلل بحسب الإمكان، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة الصلاة خلف مظهر المنكر، إذا لم يمكن صرفه عن الإمامة (إلا بشر أعظم ضررًا من ضرر ما أظهره من المنكر، فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بتحصيل أعظم الضررين، فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومطلو ا ترجيح خير الخيرين، إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعًا، ودفع شر الشرين، إذا لم يندفعا جميعًا، فإذا لم يمكن منع المظهر للبدعة والفجور إلا بضرر زائد على ضرر إمامته، لم يجز ذلك، بل يصلى خلفه ما لا يمكن فعلها إلا خلفه، كالجُمع والأعياد والجماعة، إذا لم يكن هناك إمام غيره، ولهذا كان الصحابة يصلّون خلف الحجاج، والمختار بن أبي عبيد الثقفي، وغيرهما الجمعة والجماعة، فإن تفويت الجمعة والجماعة أعظم فسادًا من الاقتداء فيها بإمام فاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنهما لا يدفع فجوره، فيبقى ترك المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة).

ولما كان قَدر الإنكار مراعى فيه المصلحة، فإ ا قد تكون في استعمال القوة للقضاء على البدعة الغليظة، وإلى هذا وجه شيخ الإسلام ابن تيمية في التعامل مع (أهل البدع والضلال، والكذب والجهل، وتبديل الدين وتغيير شريعة الرسل -وأ م- أولى بأن يجاهدوا باليد واللسان بحسب الإمكان، وأ م فيما استحلوه من جهاد أهل العلم والسنة، من جنس الخوارج المارقين، بل هم شر من أولئك، فإن أولئك لم يكونوا يدعون إلى الشرك ومعصية الرسول، وظنهم أ م ينصرو م، ظن باطل لا ينفعهم).

وعلى العموم، فإن الإنكار على أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، وبيان حالهم، وتحذير المسلمين من باطلهم، ودفع أذاهم، واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، لا يجوز التساهل فيه أو التقصير نحوه، لما يترتب على ذلك من فساد القلوب وفساد الدين، وفي هذا يقول شيخ الإسلام : (ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم، واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل : الرجل يصوم ويصلي ويعتكف، أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلين، هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم، من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوا م على ذلك، واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء).

خامساً : مجادلتهم بالتي هي أحسن :

وهذا الأصل وإن كان تابعاً لما سبق ،إلا أن إفراده بالذكر مهم لبيان تناقض المنهج الداعي إلى البدعة مع نفسه ، وأن أهله ملزمون بالتناقض أو ترك البدعة.

وفي موقف ابن عباس وجداله للخوارج خير مثال على ذلك ، حيث قال لهم: أرأيتكم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم ، أترجعون؟ ، قالوا: وما لنا لا نرجع ، قال: أما أن علي (رضي الله عنه) حكّم الرجال في دين الله: فإن الله قال ـ عن صيد المحرم ـ: ((يحكُم بِهِ ذَوا عدلٍ منكُم)) ، وقال في المرأة وزوجها: ((فَابعثُوا حكَماً من أهلِهِ وحكَماً من أهلِها)) ، فصير الله ذلك إلى حكم الرجال ، فنشدتكم الله: أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وإصلاح ذات بينهم أفضل أو في حكم أرنب ثمنه ربع درهم وفي بضع امرأة؟ ، قالوا: بلى هذا أفضل ، قال: أخرجتم من هذه؟ ، قالوا: نعم. قال: فأما قولكم: قاتل ، ولم يسبِ ، ولم يغنم؛ أَفتسبون أمكم عائشة؟! ، فإن قلتم: نسبيها ، فنستحل منها ما نستحل من غيرها: فقد كفرتم ، وإن قلتم:

ليست بأمنا: فقد كفرتم ، فأنتم تترددون بين ضلالتين ، أخرجتم من هذه؟ ، قالوا: بلى. قال: وأما قولكم: محا نفسه من إمرة المؤمنين ، فإن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية قال: اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال أبو سفيان وسهيل ابن عمرو: ما نعلم أنك رسول الله ، قال رسول الله: اللهم تعلم أني رسولك ، امح يا علي ، واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، قال ابن عباس: فرجع من الخوارج ألفان ، وبقي بقيتهم.

ولقد كان لعمر بن عبد العزيز مع الخوارج موقفاً آخر حينما جادلهم فقالت طائفة منهم: لسنا نجيبك حتى تكفر أهل بيتك وتلعنهم ، وتتبرأ منهم ، فقال عمر: إنه لا يسعكم فيما خرجتم له إلا الصدق ، أعلموني: هل تبرأتم من فرعون ، أو لعنتموه ، أو ذكرتموه في شيء من أموركم؟ ، قالوا: لا ، قال: كيف وسعكم تركه ولم يصف الله عبداً بأخبث من صفته إياه؟ ، ولا يسعني ترك أهل بيتي ومنهم المحسن والمسيء والمخطئ والمصيب.

وقصة مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما ،دليل على قبول السلف توبة الداعي إلى البدعة ، وأن البدعة مهما غلظت، ذنب من الـذنـوب، ومـا مـن ذنب إلا ويغفـره الله تعـالـى، لقولـه تعالـى : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا)1 فهي (آية عظيمة جامعة، من أعظم الآيات نفعًا، وفيها رد على طوائف، رد على من يقول : إن الداعي إلى البدعة لا تقبل توبته، ويحتجون بحديث إسرائيلي، فيه (أنه قيل لذلك الداعية : فكيف بمن أضللت) ، وهذا يقوله طائفة ممن ينتسب إلى السنة والحديث، وليسوا من العلماء بذلك، كأبي علي الأهوازي وأمثاله، ممن لا يميزون بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة، وما يحتج به وما لا يحتـج به، بل يـروون كل ما في الباب محتجين به، وقد حكى هذا طائفةٌ قولاً في مذهب أحمد أو رواية عنه، وظاهر مذهبه مع مذاهب سائر أئمة المسلمين، أنه تقبل توبته كما تقبل توبة الداعي إلى الكفر، وتوبة من فتن الناس عن دينهم، وقد تاب قادة الأحزاب، مثل أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وغيرهم بعد أن قُتل على الكفر بدعائهم من قُتل، وكانوا من أحسن الناس إسلامًا، وغفر الله لهم، قال تعالـى : (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف)2.. وعمرو بن العاص كان من أعظم الدعاة إلى الكفر والإيذاء للمسلمين، وقد قال له النبي صلى الله عليه و سلم لما أسلم : (يا عمرو، أما علمت أن الإسلام يجب ما كان قبله؟)..

1) الزمر : 53

2) الأنفال : 38

ومن البدع الغليظة التي نص شيخ الإسلام ابن تيمية على قبول توبة التائب منها، بدعة سب الصحابة رضي الله عنهم، وبدعة الاتحادية ووحدة الوجود.

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله غلط من ذهب إلى أن توبة الداعي إلى البدعة لا تقبل، من جهة الدليل من الكتاب والسنة، فإن الله بين في كتابه أنه يتوب على أئمة الكفر، الذين أهم أعظم من أئمـــة البـــدع، فـقال تعالـــى : (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق)1. قال الحسن : (انظروا إلى هذا الكلام، عذّبوا أولياءه وفتنوهم، ثم هو يدعوهم إلى التوبة). وقال تعالى عن المشركين : (فإذا انسلخ الأشهر الحُرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم)2.. وقال تعالى : (قد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم)3.. وأما السنة فإ ا دلت على قبول توبة القاتل، كما في حديث (الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل هل له من توبة، فدلّ على رجل عالم، فقال : نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة).. والقتل من الذنوب الكبيرة، ثم إنه ليس في الكتـاب والسنـــة ما ينـافـي ذلك ولا نصوص الوعيد، بل علم يقينًا أن كل ذنب فيه وعيد، فإن لحوق الوعيد به مشروط بعدم التوبة، إذ نصوص التوبة مبينة لتلك النصوص، كالوعيد في الشرك وأكل الربا.

ومن قال : توبة الداعي غير مقبولة، فيعني : أن التوبة ا ردة تسقط حق الله في العقاب، دون حق المظلومين. ومن قال : البدعة لا يتاب منها، فيقصد بذلك : (أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسـوله، قد زين له ســوء عمـه فـرآه حسنًا، فهـو لا يتوب مادام يراه حسنًا، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه، أو بأنه ترك حسنًا مأمورًا به أمر إيجاب أو استحباب، ليتوب ويفعله، فمادام يرى فعله حسنًا، وهو سيء في نفس الأمر، فإنه لايتوب).

ومن قال : إن الله حجر التوبة على كل صاحب بدعة، فإنه يقصد : إنه (لا يتوب منها، لأنه يحسب أنه على هدى، ولو تاب لتاب عليه، كما يتوب على الكافر).

سادساً: التعاون معهم

---

1) البروج : 10

2) التـــوبــــة : 5

3) المائدة : 73-74

لأن البدع من جنس الذنوب وإن كانت أعظم إثماً وخطراً من المعصية التي ليست ببدعة ، والجامع بين البدع والمعاصي مطلق المخالفة ، قال ابن تيمية : (فلهذا يجب على كل ولي أمرٍ أن يستعين بأهل الصدق والعدل ، وإذا تعذر ذلك استعان بالأمثل فالأمثل وإن كان فيه كذب وظلم ، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، وبأقوام لا خلاق لهم ، والواجب إنما هو فعل المقدور) . وعلى هذا فإعانة الرجل المبتدع ليس بحرام ، كما قال ابن تيمية (وأما إذا كان للرجل ذنوب وقد فعل براً فهذا إذا أعين على البر لم يكن هذا محرماً) .

وقد قرر بعض أهل العلم أن الإعانة على المعصية قد تجوز لدرء مفسدة أعظم . قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام : (قد تجوز المعاونة على الإثم والعدوان والفسوق والعصيان ، لا من جهة كونه معصية ، بل من جهة كونه وسيلة إلى مصلحة ، وله أمثلة ، منها في افتكاك الأسارى ، فإنه حرام على آخذيه ، مباح لباذليه ، ومنها أن يريد الظالم قتل إنسان مصادرة على ماله ، فإنه يجب عليه بذل ماله فكاكاً لنفسه ، ومنها أن يكره امرأة على الزنا ، ولا يتركها إلا بافتداء بمالها أو بمال غيرها فيلزمها ذلك عند إمكانه) . وللتعاون مع المبتدع ضوابط . ومنها :

1- أن يكون التعاون معه في ا الات التي لا خلاف فيها . والمعنى أي في دائرة الحق الذي يقبله الشرع ، والخير الذي يحبه الله من علم وجهاد ودعوة ونحو ذلك . وقبول الحق الذي مع المبتدع والاستفادة منه ، نوع من التعاون معه .

وهكذا أخذ العلم عمن رموا البدعة هو من باب التعاون على البر والتقوى ، إذ لو ترك ذلك لأدى إلى ضياع كثير من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واندراس كثير من العلم الشرعي ، قال الإمام أحمد : (لو تركنا الرواية عن القدرية لتركناها عن أكثر أهل البصرة) وكتب التراجم ومصنفات الجرح والتعديل طافحة بالرواية عن المبتدعة . وقد نقل الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح عن ابن جرير قوله : (لو كان كل من أدعي عليه مذهب من المذاهب الرديئة ، ثبت عليه ما ادعى به ، وسقطت عدالته ، وبطلت شهادته بذلك ، للزم ترك أكثر محدثي الأمصار ، لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنه) وقال الذهبي (قد لطخ بالقدر جماعة ، وحديثهم في الصحيحين أو أحدهما، لأ م موصوفون بالصدق والإتقان).

هذا وقد تباينت أنظار العلماء تبايناً واضحاً، فمنهم من ذهب إلى رد رواية المبتدع رداً كاملاً ولم يقبلها سواء أكان هؤلاء من الغالين أم من غير الغالين، من الدعاة أ غيرهم، ومنهم من قبلها حتى من الغالين، والدعاة منهم، وسأذكر تفصيل ذلك حسب نوعي البدعة.

2- مراعاة المصلحة والمفسدة عند التعاون مع المبتدعة ، فإذا كان التعاون مع المبتدع يؤدي إلى حصول مصلحة أعظم من مفسدة بدعته ، أو درء مفسدة أكبر من مضرة محدثته ، تعين التعاون معه على قاعدة المصالح والمفاسد .

قال ابن تيمية (فإذا تعذّر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك ، إلا بمن فيه بدعة ، مضر ا دون مضرة ترك ذلك الواجب ، كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس)

الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، وهي ترجح خير الخيرين وتدفع شر الشرين. ولا يسوغ في هذه الشريعة دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع الضرر الخفيف بتحصيل ضرر عظيم. وهذا الضابط يراعى ــ مع ما سبق ــ في طريقة الإنكار والاحتساب وفي الاجتماع أو الاتفاق على شيء مخصوص، ولهذا كان الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ يصلون خلف الحجاج بن يوسف، والمختار بن أبي عبيد الثقفي وغيرهما؛ لأن تفويت الجمعة والجماعة أعظم فساداً من الاقتداء بإمام فاجر أو مبتدع(7). وعلى كل حال فالنظر للمصالح والمفاسد من أصول التعامل مع المبتدع، فينظر في العمل هل مصلحته راجحة بحيث يفضي إلى ضعف الشر، فيكون مشروعاً، أو أنه يزيد الشر، فلا يكون مشروعاً، وهذا بلا شك يتفاوت بتفاوت الأحوال والمصالح. وبعد: فهنا وقف القلم، وفي كل مسألة مما تقدم مجال للـقائلين، وموضــع بســط للمتنــاولين، ويكــفي مــن القلادة ما أحاط بالعنق .

وقال: (.. وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضياً بل وإماماً وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل ا فلا يمكن ذلك، بل هناك من يمنعه ذلك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها)1 .

وقال بعد ذكره وجهين لتغليط مقالات أهل البدع : (الثالث : أ م يخالفون ما اتفقت عليه الملل كلها وأهل الفطر السليمة كلها ؛ لكن مع هذا قد يخفي كثير من مقالا م على كثير من أهل الإيمان حتى يظن أن الحق معهم ؛ لما يوردونه من الشبهات ، ويكون أولئك المؤمنون مؤمنين بالله ورسوله باطنًا وظاهرًا ؛ وإنما التبس عليهم واشتبه هذا كما التبس على غيرهم من أصناف المبتدعة ؛ فهؤلاء ليسوا كفارًا قطعًا ؛ بل يكون منهم الفاسق والعاصي ؛ وقد يكون منهم المخطئ المغفور له ؛ وقد يكون معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه به من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه)2 .

---

1) مجموع الفتاوى:218/19

2)) المصدر السابق :(355/3)

عند ظهور البدعة وشيوع المخالفة : قال رحمه الله: (ومع هذا فقد يكثر أهل الأهواء في بعض الأمكنة والأزمنة ؛ حتى يصير بسبب كثرة كلامهم مكافئًا ـ عند الجهال ـ لكلام أهل العلم والسنة ؛ حتى يشتبه الأمر على من يتولى أمر هؤلاء ؛ فيحتاج حينئذ إلى من يقوم بإظهار حجة الله وتبيينها حتى يكون العقوبة بعد الحجة .. وإلا فالعقوبة قبل الحجة ليست مشروعة)1.

ومن ذلك أن يعاونوا في وجوه الخير ؛ إذا لم يوجد أمثل منهم ،كدعمهم في مراكز ومدارس أسلامية لا يعلمون فيها البدعة ، لاسيما في بلاد الكفر ، وقد لا يعتنون بمذهب السلف ، ولكنهم يحمون في هذا البلد هوية المسلم من الذوبان في الكفار ، أو يعنون بدعوة الكفار ، ويرى آخرون أن يكتفى بعدم عرقلة مشروعاتهم أو صد الناس عنهم ، أو تنفيرهم منهم مع عدم وجود البديل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير ، وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين ، وهو خير من أن يكونوا كفارًا . وكذلك بعض الملوك قد يغزوا غزوًا يظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثمًا بذلك ، ومع هذا فيحصل به نفع خلق كثير كانوا كفارًا فصاروا مسلمين ، وذلك كان شرًا بالنسبة للقائم بالواجب ، وأما بالنسبة إلى الكفار فهو خير .. ودخوله في حكم المسلمين خير من أن يبقى كافرًا ؛ فانتقل إلى خير مما كان عليه ..) أهـ 2.

ويرون أن لا يمنع ولا ينفر آحاد المسلمين من الالتحاق بمثل هذه المدارس أو الجماعات حتى وإن كان فيها بعض البدع والمخالفات إذا لم يوجد غيرها قال الإمام ابن تيمية بعد ذكره للطرق الصوفية ومجموعاتهم :

: (.. قد يقترن بالحسنات سيئات إما مغفورة ، أو غير مغفورة ، وقد يتعذر أو يتعسر على السالك سلوك الطريق المشروعة المحضة إلا بنوع من المحدث لعدم القائم بالطريق المشروعة علماً وعملاً ؛ فإذا لم يحصل النور الصافي بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف ؛ وإلا بقي الإنسان في الظلمة ؛ فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهي عن نور فيه ظلمة ؛ إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه ، وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية ؛ إذا خرج غيره عن ذلك ؛ لما رآه في طرق الناس من الظلمة) .

.. (وإنما قررت هذه القاعدة ليحمل ذم السلف والعلماء للشيء على موضعه، ويعرف أن العدول عن كمال خلافة النبوة المأمور به شرعا : تارة يكون لتقصير بترك الحسنات علما وعملاً، وتارة بعدوان بفعل السيئات علما وعملاً وكل من الأمرين قد يكون عن غلبة، وقد يكون مع

---

1)) المصدر السابق: (239/3)

2)الفتاوى 13/ 96

قدرة . فالأول: قد يكون لعجز وقصور، وقد يكون مع قدرة وإمكان . والثاني: قد يكون مع حاجة وضرورة، وقد يكون مع غنى وسعة، وكل واحد من العاجز عن كمال الحسنات. والمضطر إلى بعض السيئات معذور ..) .

إلى أن قال : (.. فهذا طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائما بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان)1.

3- ألا يتخذ المبتدع هذه المعاونة ذريعة لنشر بدعته ، أو سبباً لرجحان قوته ومركزه على قوة ومركز أصحاب العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة ، فإذا كانت المعاونة تؤدي إلى شيء من ذلك ، تعين تركها .

سابعاً:مشروعية عقوبة الداعي إلى البدعة بما يحقق الزجر والتأديب والمصلحة:

لأن ضرره متعد إلى غيره، بخلاف المسر فإنه تقبل علانيته، ويوكل سره إلى الله تعالى ،إذ الأئمة جوا منهج التفريق بين المبتدع الداعية وغير الداعية، في التعامل معهما، (فإن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهاد م، ولا يصلى خلفهم، ولا يؤخذ عنهم العلم، ولا يناكحون، فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا، ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية، لأن الداعية أظهر المنكرات فاستحق العقوبة، بخـلاف الكـاتم فإنـه ليس شرًا مـن المنافقين الـذين كـان النبي صلى الله عليه و سلم يقبل علانيتهم، ويكِل سرائرهم إلى الله، مع علمه بحال كثير منهم، ولهذا جاء في الحديث : إن المعصيـة إذا خفيت لم تضـر إلا صاحبها، ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضرت العامة، وذلك لأن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) (301).. فالمنكرات الظاهرة يجب إنكارها بخلاف الباطنة، فإن عقوبتها على صاحبها خاصة) (302).

وهذه العقوبة مقيدة بما إذا لم يكن الداعي متأولاً، وكانت بدعته غليظة، وأدت إلى كفه عن البدعة، وتنفير الناس منها.

وعلى العموم، (من قامت عليه الحجة استحق العقوبة، وإلا كانت أعماله البدعية المنهي عنها باطلة لا ثواب فيها، وكانت منقصة له خافضة له بحسب بعده عن السنة، فإن هذا حكم أهل الضلال، وهو البعد عن الصراط المستقيم، وما يستحقه أهله من الكرامة، ثم من قامت عليه الحجة استحق العقوبة، وإلا كان بعده ونقصه وانخفاض درجته، وما يلحقه في الدنيا والآخرة، من انخفاض م لته وسقوط حرمته وانحطاط درجته هو جزاؤه، والله حكم عدل لا يظلم مثقال ذرة،

1)الفتاوى 364/10

وهو عليم حكيم لطيف لما يشاء، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا : (له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون)1.

ولما كانت الغاية من عقوبة المبتدع الداعية كفّه عن بدعته وزجره، وابتعاد العامة عن متابعته، تنوعت العقوبة بما يحقق ذلك ويرعى المصلحة، فإنه قد يعاقب أحيانًا بالذم، وذكر ما فيه من فجور ومعصية، لينكشف حاله للناس. ويعلل شيخ الإسلام مشروعية هذه العقوبة فيقول : (لهذا لم يكن للمعلن بالبدع والفجور غيبة، كما روي ذلك عن الحسن البصري وغيره، لأنه لما أعلن ذلك استحق عقوبة المسلمين له، وأدنى ذلك أن يذم عليه لي جر، ويكف الناس عنه وعن مخالطته، ولو لم يذم ويذكر بما فيه من الفجور والمعصية أو البدعة لاغتر به الناس، وربما حمل بعضهم على أن يرتكب ما هو عليه، ويزداد أيضًا هو جرأة وفجورًا ومعاصي، فإذا ذُكر بما فيه انكف، وانكف غيره عن ذلك، وعن صحبته ومخالطته)[2].

وقد تقتضي المصلحة إيقاع عقوبة أشد على الداعية المبتدع، متى دعا إلى مفسدة عظيمة، وواجه الحق الظاهر، فيعاقب بالهجر أو التعزير أو القتل، إذا كان لا يرتدع إلا بإحداها، وإلى هذا أشار ابن تيمية في قوله : (فإن الحق إذا كان ظاهرًا قد عرفه المسلمون، وأراد بعض المبتدعة أن يدعو إلى بدعته، فإنه يجب منعه من ذلك، فإذا هجر وعزر، كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بصبيغ بن عِسل التميمي، وكما كان المسلمون يفعلونه، أو قُتل كما قَتل المسلمون الجَعد بن درهم، وغيلان القدري وغيرهما، كان ذلك هو المصلحة، بخلاف ما إذا ترك داعيًا، وهو لا يقبل الحق إما لهواه وإما لفساد إدراكه، فإنه ليس في مخاطبته إلا مفسدة، وضرر عليه وعلى المسلمين... والمقصود أن الحق إذا ظهر وعرف، وكان مقصود الداعي إلى البدعة إضرار الناس، قوبل بالعقوبة)[3]. ويقرر شيخ الإسلام أن القتل عقوبة تعزيرية، ذهب إليها الإمام مالك، وطائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهم، تشرع في حق (الداعية إلى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد، فإن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (أينما لقيتموهم فاقتلوهم) ، وقال : (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد).. وقال عمر رضي الله عنه لصبيغ بن عِسل : (لو وجدتك محلوقًا لضربت الذي فيـ ـه عينـ ـاك).. ولأن علي بن أبي طـالب رضي الله عنه طلب أن يقتل عبد الله بن سبأ، أول الرافضة، حتى هرب منه، ولأن هؤلاء من أعظم المفسدين في الأرض، فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قُتلوا، ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول، أو كان في قتله مفسدة راجحة، ولهذا ترك النبي صلى الله عليه و سلم قتل ذلك الخارجي ابتداءً، لئلا يتحدث الناس أن

---

1) القصص : 70.

[2])مجموع الفتاوى 15/ 286.

[3]) درء التعارض 3/ 374.

محمدًا يقتل أصحابه، ولم يكن إذ ذاك فيه فساد عام، ولهذا ترك علي قتلهم أول ما ظهروا، لأنهم كانوا خلقًا كثيرًا، وكانوا داخلين في الطاعة والجماعة ظاهرًا، لم يحاربوا أهل الجماعة، ولم يكن يتبين له أنهم هم)[1]. وعقوبة القتل لا تدل على ردة صاحبها، فهو إنما (يقتل لكف ضرره عن الناس، كما يقتل المحارب وإن لم يكن في نفس الأمر كافرًا، فليس كل من أمر بقتله يكون قتله لردته، وعلى هذا قتل غيلان القدري وغيره، قد يكون على هذا الوجه)[2] ، وتتم هذه العقوبة بعد اليأس من صلاح الداعي إلى البدعة، وإقامة الحجة عليه، كما فعل المسلمون مع غيلان، فإنهم (ناظروه وبينوا له الحق، كما فعل عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه، واستتابه ثم نكث التوبة بعد ذلك فقتلوه، وكذلك علي رضي الله عنه، بعث ابن عباس رضي الله عنهما، إلى الخوارج فناظرهم، ثم رجع نصفهم، ثم قاتل الباقين)[3]. كذلك فإن عقوبة الداعي، بأي نوع من العقوبات الزاجرة له ليست دليلاً على ما يلي :

أ ـ استحقاقه للإثم، فإنه قد يكون المعاقَب معذورًا، وفي هذا يقول شيخ الإسلام : (يعاقب من دعا إلى بدعة تضر الناس في دينهم، وإن كان قد يكون معذورًا فيها في نفس الأمر، لاجتهاد أو تقليد)[4].

ب ـ سلب العدالة منه، فإنه قد يكون المعاقَب عدلاً أو رجلاً صالحًا، (ومن هذا هجر الإمام أحمد الذين أجابوا في المحنة -أي محنة القول بخلق القرآن- قبل القيد، ولمن تاب بعد الإجابة، ولمن فعل بدعة ما، مع أن فيهم أئمة الحديث والفقه والتصوف والعبادة، فإن هجره لهم والمسلمون معه، لا يمنع معرفة قدر فضلهم، كما أن الثلاثة الذين خلفوا، لما أمر النبي صلى الله عليه و سلم المسلمين بهجرهم، لم يمنع ذلك ما كان لهم من السوابق، حتى قد قيل : إن اثنين منهما شهدا بدرًا، وقد قال : (كأن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ... فإن عقوبة الدنيا المشروعة من الهجران إلى القتل، لا يمنع أن يكون المعاقب عدلاً أو رجلاً صالحًا)[5].

أما غير الداعية ممن وقع في معصية أو بدعة، فإن حكمه حكم غيره من المسلمين، ولا أدل على ذلك مما وقع بين السلف من الصحابة والتابعين من اقتتال في الجمل وصفين، فإنهم كانوا (يوالي بعضهم بعضًا موالاة الدين، لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض، ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض، مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك)[6].

---

[1]) مجموع الفتاوى 28/ 500.
[2]) المصدر السابق 23/ 350.
[3]) درء التعارض 3/ 374.
[4]) مجموع الفتاوى 10/ 375.
[5]) المصدر السابق 10/ 377.
[6]) المصدر السابق 3/ 285.

المبحث الثاني : حكم قتال المبتدعة والبغاة من أهل القبلة

العلماء لهم في قتال من يستحق القتال من أهل القبلة طريقان : منهم من يرى قتال علي يوم حروراء ويوم الجمل وصفين كله من باب قتال أهل البغي وكذلك يجعل قتال أبي بكر لمانعي الزكاة وكذلك قتال سائر من قوتل من المنتسبين إلى القبلة كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومن وافقهم من أصحاب أحمد وغيرهم وهم متفقون على أن الصحابة ليسوا فساقا بل هم عدول فقالوا : إن أهل البغي عدول مع قتالهم وهم مخطئون خطأ المجتهدين في الفروع وخالفت في ذلك طائفة كابن عقيل وغيره

ولخص الإمام الجصاص[1] في أحكام القرآن في الكلام على آية (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) الآية . كلام أهل العلم في طريقة معاملة أهل التأويل من أهل الأهواء والبدع وذكر الأصل في سائر المتأولين من أهل المذاهب الفاسدة :

أ ـ أنهم ما لم يخرجوا داعين إلى مذاهبهم لم يقاتلوا وأقروا على ما هم عليه ما لم يكن ذلك المذهب كفرا ، فإنه غير جائز إقرار أحد من الكفار على كفره إلا بجزية وليس يجوز إقرار من كفر بالتأويل على الجزية لأنه بمنزلة المرتد لإعطائه جملة التوحيد والإيمان بالرسول ، فمتى نقض ذلك بالتفصيل صار مرتدا .

ب ـ ومن الناس من يجعلهم بمنزلة أهل الكتاب ، كذلك كان يقول أبو الحسن فتجوز عنده مناكحتهم ولا يجوز للمسلمين أن يزوجوهم ، وتؤكل ذبائحهم لأنهم منتحلون بحكم القرآن وإن لم يكونوا مستمسكين به كما أن من انتحل النصرانية أو اليهودية فحكمه حكمهم وإن لم يكن مستمسكا بسائر شرائعهم وقال تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) .وقال محمد في الزيادات لو أن رجلا دخل في بعض الأهواء التي يكفر أهلها كان في وصاياه بمنزلة المسلمين يجوز منها ما يجوز من وصايا المسلمين ويبطل منها ما يبطل من وصاياهم وهذا يدل على موافقة المذهب الذي يذهب إليه أبو الحسن في بعض الوجوه .قال البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق،في المتأولة الذين لم يخرجهم عن الإسلام ، فقال:وان كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الرافضة الإمامية أو الزيدية أو من بدع النجارية أو الجهمية أو الضرارية أو المجسمة فهو من الأمة في بعض الأحكام:وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين وفى ألا يمنع حظه من الفيء والغنيمة إن غزا مع المسلمين وفي ألا يمنع من الصلاة في المساجد وليس من الأمة في أحكام سواها وذلك ألا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة

[1]) الجصاص (305 - 370 ه = 917 - 980 م) أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص: فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها.انتهت إليه رئاسة الحنفية.وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. الأعلام للزركلي 1/ 171.

منهم إذا كانت على اعتقادهم ،وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج علينا ثلاث لا نبدؤكم بقتال ولا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا والله أعلم .)[1]

ج ـ ومن الناس من يجعلهم بمنزلة المنافقين الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فأقروا على نفاقهم مع علم الله تعالى بكفرهم ونفاقهم .

قال ابن تيمية : فإن كثيرا من الفقهاء يظن أن من قيل هو كافر فإنه يجب أن تجري عليه أحكام المرتد ردة ظاهرة فلا يرث ولا يورث ولا يناكح حتى أجروا هذه الأحكام على من كفروه بالتأويل من أهل البدع ، وليس الأمر كذلك فإنه قد ثبت أن الناس كانوا ثلاثة أصناف مؤمن وكافر مظهر للكفر ومنافق مظهر للإسلام مبطن للكفر اهـ 2 .

قال ابن تيمية : ولهذا كثيرا ما يكون أهل البدع مع القدرة يشبهون الكفار في استحلال قتل المؤمنين وتكفيرهم كما يفعله الخوارج والرافضة والمعتزلة والجهمية وفروعهم لكن فيهم من يقاتل بطائفة ممتنعة كالخوارج والزيدية ومنهم من يسعى في قتل المقدور عليه من مخالفيه إما بسلطانه وإما بحيلته ومع العجز يشبهون المنافقين يستعملون التقية والنفاق كحال المنافقين3 .

وذلك لأن البدع مشتقة من الكفر .

د ـ ومن الناس من يجعلهم كأهل الذمة ومن أبى ذلك ، ففرق بينهما بأن المنافقين لو وقفنا على نفاقهم لم نقرهم عليه ولم نقبل منهم إلا الإسلام أو السيف .

وأهل الذمة إنما أقروا بالجزية وغير جائز أخذ الجزية من الكفار المتأولين المنتحلين للإسلام ولا يجوز أن يقروا بغير جزية فحكمهم في ذلك متى وقفنا على مذهب واحد منهم اعتقاد الكفر لم يجز إقراره عليه وأجري عليه أحكام المرتدين ، ولا يقتصر في إجرائه حكم الكفار على إطلاق لفظ عسى أن يكون غلطه فيه دون الاعتقاد دون أن يبين عن ضميره فيعرب لنا عن اعتقاده بما يوجب تكفيره فحينئذ يجوز عليه أحكام المرتدين من الاستتابة فإن تاب وإلا قتل ، والله أعلم اهـ بحروفه .

هـ ـ ومنهم من جعلهم كالبغاة : قال الشوكاني في نيل الأوطار في باب قتال الخوارج وأهل البغي : قال الغزالي في الوسيط تبعا لغيره في حكم الخوارج وجهان :

أحدهما أن حكمهم حكم أهل الردة .

والثاني أنه كحكم أهل البغي ورجح الرافعي الأول .

1) أحكام القرآن للجصاص3/ 455.

2) الفتاوى 7/617

3) الفتاوى الكبرى 5/209

و ـ ومنهم من يجعلهم كالمسلمين :

قال القاضي عياض في الشفا والصواب ترك إكفارهم (أي الذين لم يعاندوا) ولإعراض عن الختم عليهم بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثا م ومناكحتهم وديا م والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملا م لكنهم يغلظ عليهم بوجع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم ، وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم ، فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال ذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما زاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأ م فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب.

قال ابن الأثير النهاية في غريب الأثر في حرف الدال ، وفي حديث الخوارج يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يريد أن دخولهم في الإسلام ثم خروجهم منه لم يتمسكوا منه بشيء كالسهم الذي دخل في الرمية ثم نفذ فيها وخرج منها ولم يعلق به منها شيء .

قال الخطابي1 قد أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج على ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم وقبول شهاد م ، وسئل عنهم علي بن أبي طالب فقيل أكفار هم . قال من الكفر فروا قيل أفمنافقون هم ؟ قال إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله بكرة وأصيلا ، فقيل ما هم قال قوم أصابتهم فتنة فعموا وصموا قال الخطابي فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين أراد بالدين الطاعة أي أنه يخرجون من طاعة الإمام المفترض الطاعة وينسلخون منها والله أعلم .

قال السعدي إن المتأولين من أهل القبلة الذين ضلوا وأخطؤوا في فهمهم ما جاء في الكتاب والسنة مع إيما م بالرسول واعتقادهم صدقه في كل ما قال وأن ما قاله كان حقا والتزموا ذلك لكنهم أخطؤوا في بعض المسائل الخبرية أو العملية فهؤلاء قد دل الكتاب والسنة على عدم خروجهم من الدين وعدم الحكم لهم بأحكام الكافرين وأجمع الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون ومن بعدهم من أئمة السلف على ذلك . كتاب الإرشاد في معرفة الأحكام .

أما عن حكم قتالهم فيقول ابن تيمية : إن قول أهل المدينة وأهل الحديث قتال من خرج عن الشريعة كالحرورية ونحوهم وأنه يجب اهـ2 .

---

1) أحمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي ، من ذرية زيد أخي عمر بن الخطاب.أبو سليمان، محدث ، فقيه وأديب ، لغوي توفي في (بست) عن سبعين عاما ،(ابن كثير) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل،"البداية والنهاية"تحقيق: أحمد أبو مسلم ، القاهرة ، دارالريان 1408، مج 236/11.

2) الفتاوى الكبرى : 599/4 .

قال ابن مفلح : يجب قتال الخوارج والبغاة إجماعا[1] ، ثم قال القاضي أجمع العلماء أن الخوارج وشبههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا على الإمام وخالفوا رأي الجماعة وجب قتالهم بعد الإنذار والإعذار قال تعالى (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) فإن استنظروه مدة ولم يخف مكيدة أنظرهم وإلا فلا ولو أعطوه مالا أو رهنا .

وقيل للقاضي يجوز قتال البغاة إذا لم يكن هناك إمام فقال نعم لأنه الإمام إنما أبيح له قتالهم لمنع البغي والظلم وهذا موجود بدون إمام اهـ .

قال ابن رجب في جامع العلوم : عند حديث ابن مسعود (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث)

فيؤخذ منه أن قتل المسلم لا يستباح إلا بإحدى ثلاثة أنواع ترك الدين وإراقة الدم المحرم وانتهاك الفرج المحرم فهذه الأنواع الثلاثة هي التي تبيح دم المسلم دون غيرها .

وأما سفك الدم الحرام فهل يقوم مقامه إثارة الفتن المؤدية إلى سفك الدماء كتفريق جماعة المسلمين وشق العصا والمبايعة لإمام ثان ودل الكفار على عورات المسلمين هذا هو محل النزاع وقد روي عن عمر ما يدل على إباحة القتل بمثل هذا وكذلك شهر السلاح لطلب القتل هل يقوم مقام القتل في إباحة الدم أم لا فابن الزبير وعائشة رأياه قائما مقام القتل الحقيقي في ذلك .

وكذلك قطع الطريق بمجرده هل يبيح القتل أم لا لأنه مظنة لسفك الدماء المحرمة وقال الله عز وجل (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) يدل على أنه إنما يباح قتل النفس بشيئين .

أحدهما بالنفس .

والثاني بالفساد في الأرض .

ويدخل في الفساد في الأرض الحرب والردة والزنا فإن ذلك كله فساد في الأرض وكذلك يكون شرب الخمر والإصرار عليه هو مظنة سفك الدماء المحرمة وقد أجمع الصحابة في عهد عمر رضي الله عنه على حده ثمانين وجعلوا السكر مظنة الافتراء والقذف الموجب لجلد الثمانين ولما قدم وفد عبدالقيس على النبي صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن الأشربة والانتباذ في الظروف قال إن أحدكم ليقوم إلى ابن عمه يعني إذا شرب فيضربه بالسيف وكان فيهم رجل قد أصابته جراحة من ذلك فكان يخبؤها حياء من النبي صلى الله عليه وسلم فهذا كله يرجع إلى إباحة الدم بالقتل إقامة لمظان القتل مقام حقيقته لكن هل نسخ ذلك أم حكمه باق وهذا هو محل النزاع .

---

1) الفروع : 148/6 .

ومن هذا الباب ما قاله كثير من العلماء في قتل الداعية إلى البدع فإنهم نظروا إلى أن ذلك شبيه بالخروج عن الدين وهو ذريعة ووسيلة إليه فإن استخفى بذلك ولم يدع غيره كان حكمه حكم المنافقين إذا استخفوا وإذا دعا إلى ذلك تغلظ جرمه بإفساد دين الأمة .

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بقتال الخوارج وقتلهم وقد اختلف العلماء في حكمهم فمنهم من قال هم كفار فيكون قتلهم لكفرهم ومنهم من قال إنما يقتلون لفسادهم في الأرض بسفك دماء المسلمين وتكفيرهم لهم وهو قول مالك وطائفة من أصحابنا وأجازوا الابتداء بقتالهم والإجهاز على جريحهم .

ومنهم من قال إن دعوا إلى ما هم عليه قوتلوا وإن أظهروه ولم يدعوا إليه لم يقاتلوا وهو نص عن أحمد رحمه الله وإسحق وهو يرجع إلى قتال من دعا إلى بدعة مغلظة ومنهم من لم ير البداءة بقتالهم حتى يبدءوا بقتالنا وإنما يبيح قتالهم من سفك دماء ونحوه كما روي عن على رضي الله عنه وهو قول الشافعي وكثير من أصحابنا .

وقد روي من وجوه متعددة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل رجل كان يصلي وقال لو قتل لكان أول فتنة وآخرها وفي رواية لو قتل لم يختلف رجلان من أمتي حتى يخرج الدجال خرجه الإمام أحمد رحمه الله وغيره فاستدل بهذا على قتل المبتدع إذا كان قتله يكف شره عن المسلمين ويحسم مادة الفتن .

وقد حكى ابن عبد البر وغيره عن مذهب مالك جواز قتل الداعي إلى البدعة فرجعت نصوص القتل كلها إلى ما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه بهذا التقدير ولله الحمد اهـ مختصرا[1] .

قال ابن تيمية في السياسة الشرعية في الفصل السابع المعاصي التي ليس فيها حد مقدر : وجوز طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما قتل الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وكذلك كثير من أصحاب مالك وقالوا إنما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الفساد في الأرض لا لأجل الردة .

وقال في الفصل الثامن في جهاد الكفار : إن الله تعالى أباح من قتل النفوس ما يحتاج إليه في صلاح الخلق كما قال تعالى (والفتنة أكبر من القتل) أي أن القتل وإن كان فيه شر وفساد ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أكبر منه فمن لم يمنع المسلمين من إقامة دين الله لم تكن مضرة كفره إلا على نفسه ولهذا قال الفقهاء إن الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة يعاقب بما لا يعاقب به الساكت وجاء في الحديث أن الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها ولكن إذا ظهرت فلم تنكر ضرت العامة ولهذا أوجبت الشريعة قتل الكفار ولم توجب قتل المقدور عليهم منهم بل

---

[1]) جامع العلوم والحكم ص28 باختصار .

إذا اسر الرجل منهم في القتال أو غير القتال مثل أن تلقيه السفينة إلينا أو يضل الطريق أو يؤخذ بحيلة فإنه يفعل فيه الإمام الأصلح من قتله أو استبعاده أو المن عليه أو مفاداته بمال أو نفس عند أكثر الفقهاء كما دل عليه الكتاب والسنة .

قال الشوكاني في نيل الأوطار في باب قتال الخوارج وأهل البغي : وفي أحاديث الباب دليل على مشروعية الكف عن قتل من يعتقد الخروج على الإمام ما لم ينصب لذلك حربا أو يستعد له لقوله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا خرجوا فاقتلوهم ، وقد حكى الطبري الإجماع على ذلك في حق من لا يكفر باعتقاده .

وفي جواز قتلهم وقتل المنفرد منهم بالبدعة لكن حسب المصلحة والقدرة

قال البخاري : باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ، ثم ساق بسند إلى أبي سعيد قال ثم بينا النبي صلى الله عليه وسلم يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل قال عمر بن الخطاب ائذن لي فأضرب عنقه قال دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل إحدى يديه أو قال ثدييه مثل ثدي المرأة أو قال مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم قال فـ لت فيه ومنهم من يلمزك في الصدقات . ومسلم ، ذكره النووي في شرح مسلم في كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفا م .

عن أبي سعيد الخدري قال بعث علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو باليمن بذهيبة في تربتها فقسمها بين الأقرع بن حابس الحنظلي ثم أحد بني مجاشع وبين عيينة بن بدر الفزاري وبين علقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب وبين زيد الخيل الطائي ثم أحد بني نبهان قال فغضبت قريش والأنصار وقالوا يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا فقال إنما أتألفهم فأقبل رجل غائر العينين ناتئ الوجنتين كث اللحية محلوق الرأس فقال يا محمد اتق الله قال من يطع الله إذا عصيته أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني فسأل رجل من القوم قتله فمنعه فلما ولى قال إن من ضئضئ هذا قوما يخرجون يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد . رواه النسائي في كتاب تحريم الدم باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس.

وعن شريك بن شهاب قال كنت أتمنى أن ألقى رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أسأله عن الخوارج فلقيت أبا برزة في يوم عيد في نفر من أصحابه فقلت له هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الخوارج فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني ورأيته بعيني أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقسمه فأعطى من عن يمينه ومن عن شماله ولم يعط من وراءه شيئا فقام رجل من ورائه فقال يا محمد ما عدلت في القسمة رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال والله لا تجدون بعدي رجلا هو أعدل مني ثم قال يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال فإذا لقيتموهم فاقتلوهم هم شر الخلق والخليقة ، قال النسائي شريك بن شهاب ليس بذلك المشهور .

قال ابن تيمية : علة القتل المروق بدليل أن الصحابة كانوا يرون قتل من علموا أنه من الخوارج وان كان منفردا لحديث صبيغ بن عسل ، وصح عن عمر أنه قال لصبيغ لما رآه يسأل عن المتشابه ، أما والله لو رأيتك محلوقا لضربت الذي فيه عينيك اهـ 1.

وقال ابن تيمية (عن الرافضة) .... فإن كانوا طائفة ممتنعة وجب قتالهم كما يقاتل المرتدون كما قاتل الصديق والصحابة وأصحاب مسيلمة الكذاب وإذا كانوا في قرى المسلمين فرقوا وأسكنوا بين المسلمين بعد التوبة والزموا بشرائع الإسلام التي تجب على المسلمين وليس هذا مختصا بغالية الرافضة بل من غلا في أحد من المشايخ وقال أنه يرزقه أو يسقط عنه الصلاة أو أن شيخه أفضل من النبي أو أنه مستغن عن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وأن له إلى الله طريقا غير شريعة النبي صلى الله عليه وسلم أو أن أحدا من المشايخ يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى وكل هؤلاء كفار يجب قتالهم بإجماع المسلمين وقتل الواحد المقدور عليه منهم وأما الواحد المقدور عليه من الخوارج والرافضة فقد روى عنهما اعني عمر وعلى قتلهما . اهـ 2.

والصحيح أن القتل له علتان بعد إقامة البينة وإقامة الحجة : أ ـ المروق من الدين ، وهي على الجواز والمصلحة والقدرة . ب ـ والمحاربة والخروج على المسلمين على الوجوب .

إذن حكم المتأولة من أهل البدع ليسوا سواء :

---

1) الصارم المسلول ص 183

2) الفتاوى 474/28

أ ـ فمن كان معروفا بنفاق أو زندقة فهذا حكمه حكم المنافقين إلا من كان يبطن ملة أخرى فهذا حكمه قد مضى .

ب ـ من كان يبطن ملة أخرى كالجهمية والرافضة ونحوهم فهذا حكمه حكمهم .

ج ـ من كان محبا لله ورسوله وعنده أصل الإسلام ، وتأول في غير المسائل الظاهرة إنما دون ذلك ، فهذا مسلم ، ولا يخرج عن الإسلام حتى تقام عليه الحجة فيفهمها وتزول الشبهة .

د ـ فان قامت الحجة لكن لم يفهمها وبقيت الشبهة ، تركوا مع المسلمين ، مع هجرهم والتحذير من ضلالهم ، ومجاهد م باللسان والفضح ، وتفريقهم حتى لا يتقووا .

هـ ـ فإن حاربوا وظلموا بعد النقاش أجريت عليه أحكام الخوارج ، وما فعله علي بن أبي طالب والصحابة .

ومع ذلك يجاهدون باللسان من فضحهم ، وبيان ضلالهم وتحذير الناس منهم ونحو ذلك .

و ـ من عاند منهم أجريت عليه حكم الكفر إما نفاقا أو ردة .

أما المتأولة من غير أهل الأهواء إذا حاربوا :

ففيهم قول الله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)[1] .

وعن أبي بكرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، رواه بخاري في كتاب الصلح وكتاب الفتن .

أما سيرة على والصحابة لأهل الجمل فتختلف :

قال الزيلعي في نصب الراية : فإن علي رضي الله عنه يوم الجمل قال ولا يقتل أسير ولا يكشف ستر ولا يؤخذ مال .

قال الزيلعي روى ابن أبي شيبة في آخر مصنفه حدثنا يحيى بن آدم ثنا شريك عن السدي عن عبد خير عن علي أنه قال يوم الجمل لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن .

حدثنا عبدة بن سليمان عن جويبر عن الضحاك أن عليا لما هزم طلحة وأصحابه أمر مناديه فنادى أن لا يقتل مقبل ولا مدبر ولا يفتح باب ولا يستحل فرج ولا مال .

[1]) الحجرات :9.

حدثنا حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن أبيه قال أمر علي مناديه فنادى يوم النصرة لا يتبع مدبر ولا يدفف على جريح ولا يقتل أسير ومن أغلق بابه أو ألقى سلاحه فهو آمن ولم يأخذ من متاعهم شيئا .

وهذا الأخير رواه عبد الرزاق في مصنفه في أواخر القصاص أخبرنا ابن جريج عن جعفر به وزاد وكان علي لا يأخذ مالا لمقتول ويقول من اغترف شيئا فليأخذه .

وفي تاريخ واسط لبحشل حدثنا محمد بن فرج بن كردي ثنا محمد بن الحكم بن عوانة ثنا أبي عن أبي مخنف عن علي بن أبي طالب أنه قال يوم الجمل لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم فلقد رأيتنا في الجاهلية وإن الرجل ليتناول المرأة بالجريدة أو الهراوة فيعير بها هو وعقبه من بعده .

وفيه حديث مرفوع رواه الحاكم في المستدرك والبزار في مسنده من حديث كوثر بن حكيم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تدري يا ابن أم عبد كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال لا تجهز على جريحها ولا تقتل أسيرها ولا تطلب هاربها ولا تقسم فيها ، وسكت الحاكم عنه ، وذكره عبد الحق في أحكامه من جهة البزار وأعله بكوثر بن حكيم وقال إنه متروك وكذلك قال الذهبي في مختصره متعقبا على الحاكم والله أعلم .

قال الزيلعي : على قول صاحب الهداية (روى أن عليا قسم السلاح فيما بين أصحابه بالبصرة وكانت قسمته للحاجة لا للتمليك) فقال الزيلعي روى ابن أبي شيبة في آخر مصنفه في باب وقعة الجمل حدثنا وكيع عن فطر عن منذر عن ابن الحنفية أن عليا قسم يوم الجمل في العسكر ما أجافوا عليه من كراع وسلاح .

ورواه ابن سعد في الطبقات في ترجمة محمد بن الحنفية أخبرنا الفضل بن دكين ثنا فطر بن خليفة عن منذر الثوري قال سمعت محمد بن الحنفية وذكر يوم الجمل قال لما هزموا قال علي لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبرا وقسم فيهم بينهم ما قوتل به من سلاح وكراع وأخذنا ما جلبوا به علينا من كراع أو سلاح .

وروى ابن أبي شيبة أيضا حدثنا يحيى بن آدم ثنا مسعود بن سعد الجعفي عن عطاء بن السائب عن أبي البختري[1] قال لما انهزم أهل الجمل قال علي لا تطلبوا من كان خارجا من العسكر وما كان

1) أبو البختري الطائي مولاهم الكوفي الفقيه العابد، اسمه سعيد بن فيروز.وثقه ابن معين وغيره.وكان مقدم القراء مع ابن الأشعث، فقتل في وقعة الجماجم، وكان نبيلاً جليلاً.قال حبيب بن أبي ثابت: اجتمعت أنا وسعيد بن جبير، وأبو البختري، فكان أبو البختري أعلمنا وأفقهنا رحمه الله. تاريخ الإسلام 2/ 225.

من دابة أو سلاح فهو لكم وليس لكم أم ولد وأي امرأة قتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشرا ، قالوا يا أمير المؤمنين تحل لنا دماءهم ولا تحل لنا نساءهم ؟ فخاصموه فقال هاتوا نساءكم واقرعوا على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم قال فخصمهم علي وعرفوا وقالوا نستغفر الله .

وقال الزيلعي على قول صاحب الهداية روى الزهري إجماع الصحابة ـ يعني أن لا يضمن الباغي إذا قتل العادل ـ قال الزيلعي روى عبد الرزاق في مصنفه في أواخر القصاص أخبرنا معمر أخبرني الزهري أن سليمان بن هشام كتب إليه يسأله عن امرأة خرجت من عند زوجها وشهدت على قومها بالشرك ولحقت بالحرورية فتزوجت ثم إ ا رجعت إلى أهلها تائبة قال الزهري فكتب إليه أما بعد : فإن الفتنة الأولى ثارت وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرا كثير فاجتمع رأيهم على أن لا يقيموا على أحد حدا في فرج استحلوه بتأويل القرآن ، ولا قصاص في دم استحلوه بتأويل القرآن ، ولا يرد مال استحلوه بتأويل القرآن إلا أن يوجد شيء بعينه فيرد على صاحبه وإني أرى أن ترد على زوجها وأن يحد من افترى عليها اهـ ما في نصب الراية .

وفي مصنف عبد الرزاق عن ابن عيينة عن أصحا م عن حكيم بن جبير عن عصمة الأسدي قال ش1 الناس إلي علي فقالوا اقسم بيننا نساءهم وذراريهم ، فقال علي عنتني الرجال فعنيتها وهذه ذرية قوم مسلمين في دار هجرة ، ولا سبيل لكم عليهم ما أوت الديار من مالهم فهو لهم ، وما أجلبوا به عليكم في عسكركم فهو لكم مغنم .

عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه أنه سمعه يقول : قال علي بن أبي طالب لا يذفف على جريح ولا يقتل أسير ولا يتبع مدبر وكان لا يأخذ مالا لمقتول يقول من اعترف شيئا فليأخذه .

---

[1]) بِكَسرِ الْهاء وسكُون الْمعجمة ، وللكُشمِيهنِي بِفَتحِ الْهاء وهما لُغتان ، والْمعنى ما دافَعتهم يقَال بهش بعض الْقَوم إِلَى بعض إِذَا تراموا لِلْقِتال ، فَكَأَنه قَالَ ما مددت يدِي إِلَى قَصبة ولَا تناولْتها لِأُدافِع بِها عني . وقَالَ ابن التين " ما قُمت إِلَيهِم بِقَصبةٍ " يقَال بهش لَه إِذَا ارتاح لَه وخف إِلَيهِ ، وقِيلَ معناه ما رميت وقِيلَ معناه ما تحركْت ، وقَالَ صاحِب النهاية : الْمراد ما أَقْبلْت إِلَيهِم مسرِعًا أَدفَعهم عني ولَا بِقَصبةٍ ، ويقَال لِمن نظَر إِلَى شيء فَأَعجبه واشتهاه أَو أَسرع إِلَى تناوله : بهش إِلَى كَذَا ، ويستعمل أَيضًا فِي الْخير والشر ، يقَال بهش إِلَى معروف فُلَان فِي الْخير وبهش إِلَى فُلَان تعرض لَه بِالشر ، ويقَال بهش الْقَوم بعضهم إِلَى بعض إِذَا ابتدروا فِي الْقِتال .فتح الباري 20/ 82.

عبد الرزاق عن ابن جريج عن يحيى بن العلاء عن جويبر قال أخبرتني امرأة من بني أسد قالت سمعت عمارا بعدما فرغ علي من أصحاب الجمل ينادي لا تقتلوا مقبلا ولا مدبرا ولا تذففوا على جريح ولا تدخلوا دارا من ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن .

عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي فاختة قال حدثني جار لي قال أتيت عليا بأسير يوم صفين فقال لي أرسله لا أقتله صبرا ، إني أخاف الله رب العالمين أفيك خير ؟ بايع وقال للذي جاء به لك سلبه .

عبد الرزاق عن ابن جريج عن أبي عاصم الثقفي عن أشياخ من قومه قالوا سمعنا عليا يقول أرأيتم لو أني غبت عن الناس من كان يسير فيهم بهذه السيرة .

عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال لما فرغ علي من قتال أصحاب الجمل قام رجل فقال حلت لنا دماء أهل البصرة وحرمت علينا أموالهم ونساؤهم ؟ فقال علي اسلتوا هذا حتى قالها مرتين أو ثلاثا، فقام إليه علي أرأي المتعلمين تريد؟ فقال الناس من هذا المتعلم ؟ قال فذهب الرجل .

عبد الرزاق عن معمر عن سماك بن الفضل وغيره قال كتب عمر بن عبد العزيز في مال كان ابن يوسف أخذه من ناس ما وجد بعينه فرده إلى صاحبه .

عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرني أبو بكر عن عمرو بن سليم أنه سمع ابن المسيب يقول : إذا التقت الفئتان فما كان بينهما من دم أو جراحة فهو هدر ألا تسمع إلى قول الله عز وجل (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) فتلا الآية حتى فرغ منها قال فكل واحدة من الطائفتين ترى الأخرى باغية .

وثمة خلاصة مفيدة لفقه المسألة قاله ابن تيمية في الصارم المسلول وما بعدها : فان قيل فلم لم يقتلهم النبي مع علمه بنفاق بعضهم وقبل علانيتهم ؟ قلنا إنما ذاك لوجهين : احدهما إن عامتهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم بالبينة بل كانوا يظهرون الإسلام ، ونفاقهم يعرف تارة بالكلمة يسمعها منهم الرجل المؤمن فينقلها إلى النبي صلى الله عله وسلم فيحلفون بالله أ م ما قالوها أو لايحلفون وتارة بما يظهر من تأخرهم عن الصلاة والجهاد واستثقالهم للزكاة وظهور الكراهية منهم لكثير من أحكام الله وعامتهم يعرفون في لحن القول كما قال تعالى (أم حسب الذين في قلو م مرض إن لن يخرج الله أضغا م ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) فاخبر سبحانه أنه لوشاء لعرفهم رسوله بالسيماء في وجوههم ثم قال (ولتعرفنهم في لحن القول) فاقسم على انه لابد إن يعرفهم في لحن القول ومنهم من كان يقول القول أو يعمل العمل فيـ ل القران يخبر إن صاحب ذلك القول والعمل منهم كما في سورة براءة ـ ومنهم

ومنهم ـ وكان المسلمون أيضا يعلمون كثيرا منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والأمارات ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) ثم جميع هؤلاء المنافقين يظهرون الإسلام ويحلفون أنهم مسلمون ، وقد اتخذوا أيمانهم جنة وإذا كانت هذه حالهم فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقيم الحدود بعلمه ولا بخبر الواحد ولا بمجرد الوحي ولا بالدلائل والشواهد حتى يثبت الموجب للحد ببينة أو إقرار ألا ترى كيف أخبر عن المرأة الملاعنة أنها إن جاءت بالولد على نعت كذا وكذا فهو للذي رميت به وجاءت على النعت المكروه فقال (لولا الإيمان لكان لي ولها شان) وكان بالمدينة امرأة تعلن الشر فقال لو كنت راجما أحدا من غير بينة لرجمتها ، وقال للذين اختصموا إليه (إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم إن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضي بنحو مما اسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار) فكان ترك قتلهم مع كونهم كفارا لعدم ظهور الكفر منهم بحجة شرعية ويدل على هذا انه لم يستتبهم على التعيين ، ومن المعلوم أن أحسن حال من ثبت نفاقه وزندقته أن يستتاب كالمرتد فان تاب وإلا قتل ولم يبلغنا أنه استتاب واحد بعينه منهم فعلم أن الكفر والردة لم تثبت على واحد بعينه ثبوتا يوجب أن يقتل كالمرتد ولهذا كان يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله فإذا كانت هذه حال من ظهر نفاقه بغير البينة الشرعية فكيف حال من لم يظهر نفاقه ؟ ولهذا قال (إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم) لما استؤذن في قتل ذي الخويصرة ولما استؤذن أيضا في قتل رجل من المنافقين قال (أليس يشهد إن لا اله إلا الله قيل بلى قال أليس يصلي قيل بلى قال أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم) فاخبر انه نهي عن قتل من اظهر الإسلام من الشهادتين والصلاة وان رمي بالنفاق وظهرت عليه دلالته إذا لم يثبت بحجة شرعية انه اظهر الكفر ، وكذلك قوله في الحديث الآخر (أمرت إن أقاتل الناس حتى يشهدوا إن لا اله إلا الله واني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) معناه إني أمرت أن أقبل منهم ظاهر الإسلام وأكل بواطنه إلى الله ، والزنديق والمنافق إنما يقتل إذا تكلم بكلمة الكفر وقامت عليه بذلك بينة وهذا حكم بالظاهر لا بالباطن وبهذا الجواب يظهر فقه المسألة1 .

قال ابن القيم : ولقد كان سيد الحكام صلوات الله وسلامه عليه يعلم من المنافقين ما يبيح دماءهم وأموالهم ويتحقق ذلك ولا يحكم فيهم بعلمه 2.

1) الصارم المسلول 3 / 673

2) في الطرق الحكمية 292/1

واسم النفاق منوط بالصفات والقرائن ، وخبر الواحد وكلاهما يفيد العلم ، و بما تكون أحكامه ماعدا العقوبة من قتل أو تعزير فبالظهور على الجواز والمصلحة ، وبالبينة على الوجوب لأنه حد ردة ، وأحكام البراء وعدم الصلاة تتبع العلم ، والردة بالإظهار للعامة والقتل بالبينة ، وبالنفاق يجوز القتل لكن منوط بالمصلحة وعدم المفسدة ، والإرث بالنصرة والإسم ، وقتل المرتد بالشهود لا الاستفاضة وهو حد واجب ويستتاب إما المنافق فلا يستتاب ، والمرتد من جحد أو ترك مع عدم الإخفاء والإعتذار ، وإذا شككنا هل هو منافق أو مرتد يغلب جانب النفاق لأنه اقرب إلى ظاهر الإسلام.

وهذه طريقة وهي التفريق بين الداعية وغيره ، قال ابن رجب في جامع العلوم : عند حديث ابن مسعود (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث) . ومن هذا الباب ما قاله كثير من العلماء في قتل الداعية إلى البدع فإ م نظروا إلى أن ذلك شبيه بالخروج عن الدين وهو ذريعة ووسيلة إليه فإن استخفى بذلك ولم يدع غيره كان حكمه حكم المنافقين إذا استخفوا وإذا دعا إلى ذلك تغلظ جرمه بإفساد دين الأمة .

وقد حكى ابن عبد البر وغيره عن مذهب مالك جواز قتل الداعي إلى البدعة فرجعت نصوص القتل كلها إلى ما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ذا التقدير ولله الحمد[1] .

---

[1] جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: 28 باختصار.

الباب الخامس
وجوب اجتماع أهل القبلة

الفصل الأول :الأدلة الشرعية في وجوب توحد أهل القبلة
الفصل الثاني : جهود علماء المسلمين في جمع "أهل القبلة"

الفصل الأول : الأدلة الشرعية في وجوب توحد أهل القبلة
المبحث الأول : الأدلة الشرعية في جوب اجتماع كلمة المسلمين

بني الإسلام على كلمتين : " كلمة التوحيد " والشهادة على أنه لا إله إلا الله ونفي ألوهية وربوبية كل موجود سواه ، و " توحيد الكلمة " والاعتصام بحبل الله المتين والنهي عن التفرق والتشتت ولقد بات واضحاً أن فُرقة المسلمين في جماعات وأحزابٍ متنافرةٍ متناحرةٍ داءٌ ينبغي له العلاج، وأن اعتصامهم ـ بحبل الله ـ جميعاً، وفي جماعةٍ واحدةٍ أمر لابد منه، وهو مطلب شرعي وواقعي لا خلاف عليه، وضرورة ملحة تفرضها حالة التشرذم والضعف والهوان الذي تعيشه الأمة، الأمة التي هانت على أمم الكفر والنفاق، فتكالبوا عليها من كلّ حدبٍ وصوبٍ ينتهكون حرما ا..!

ففي محكمات الكتاب الكريم ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم الآيات الكثيرة والأحاديث الصحيحة البليغة الآمرة بالاجتماع ، والناهية عن التفرق ، حتى أصبح هذا الأمر من البدهيات المستقرة عند كل مسلم ، ولو ذهبنا نستقصي شواهد الشريعة التي تفيد بمجموعها وآحادها وجوب اجتماع كلمة المسلمين لطال بنا المقام، لكن حسبنا فيما يأتي من إشارات ما يكفي كل طالب حق ألقى السمع وهو شهيد.

ويمكننا أن نوجز ذلك فيما يلي :

أ/ الأدلة من القرآن الكريم :

أولاً: أمر الله تعالى بالوحدة أمراً صريحاً:

قال الله تعالى : (واعتصِموا بِحبل اللهِ جمِيعاً ولا تفَرقُوا واذكُروا نِعمت اللهِ علَيكُم إِذْ كُنتم أعداءً فَألف بين قُلُوبِكُم فَأصبحتم بِنعمتِهِ إِخواناً وكُنتم على شفَا حفْرةٍ مِن النارِ فَأنقَذَكُم مِنها كَذَلِك يبين الله لَكُم آياتِهِ لَعلكُم تهتدونَ ، ولْتكُن مِنكُم أمةٌ يدعونَ إِلَى الْخير ويأمرونَ بِالْمعروفِ وينهونَ عن الْمنكَرِ وأُولَئِك هم الْمفْلِحونَ ، ولا تكُونوا كَالَّذِين تفَرقُوا واختلَفُوا مِن بعدِ ما جاءَهم الْبينات وأُولَئِك لَهم عذَاب عظِيم)[1] هذه الآية هي رائدنا في الدعوة إلى الوحدة وحفظ كيان أهل القبلة. قال القرطبي رحمه الله: "فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة"، ورحم الله ابن المبارك حيث قال:

إن الجماعة حبـل الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا[2]

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعاً " قال القرآن، وفي رواية قال:" حبل الله الجماعة"[3]

ويقول الله تعالى: (ولا تنازعوا فَتفْشلُوا وتذْهب رِيحكُم واصبِروا إِن الله مع الصابِرين)[4] ، ويقول الله تعالى : (والْعصرِ إِن الْإِنسانَ لَفِي خسرٍ إِلا الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ وتواصوا بِالْحق وتواصوا بِالصبر)[5] إلى غير ذلك من النصوص ؛ ولهذا أصبحت الجماعة والاجتماع على الخير والطاعة من ضروريات الدين ومحكماته ، والعبادات العامة كالصلاة ، والصوم والحج ، والأعياد وغيرها دليل عملي على ذلك .

1) آل عمران: 103 ـ 105

2) تفسير القرطبي :4/ 159.

3) قال الهيثمي : ورجال الأول رجال الصحيح والثاني منقطع الإسناد، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد3/ 144.

4) الأنفال: من الآية46

5) العصر: 1ـ3

وفي صحيح مسلمٍ عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إن الله يرضى لَكُم ثَلَاثًا، ويكْره لَكُم ثَلَاثًا، فَيرضى لَكُم أَنْ تعبدوه ولَا تشرِكُوا بِهِ شيئًا، وأَنْ تعتصِموا بِحبلِ اللهِ جمِيعًا ولا تفَرقُوا، ويكْره لَكُم قِيلَ وقَالَ وكَثْرةَ السؤال وإِضاعةِ الْمالِ))1.

ثانياً: أمره بتحصيل أمور لا يمكن أن تحصل إلا بالوحدة:

قال الله عز وجل: ﴿إِنما الْمؤمِنونَ إِخوةٌ فَأَصلِحوا بين أَخويكُم واتقُوا الله لَعلَّكُم ترحمونَ﴾ 2 ، وقال جل وعلا: ﴿فَاتقُوا الله وأَصلِحوا ذَات بينِكُم﴾ 3.

وعن أنس بن مالِكٍ رضي الله عنه أَن رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((لا تباغَضوا ولَا تحاسدوا ولَا تدابروا، وكُونوا عِباد اللهِ إِخوانًا، ولَا يحِلُّ لِمسلِمٍ أَنْ يهجر أَخاه فَوق ثَلَاثَةِ أَيامٍ))4.

وجعل الله عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وجعلهم إخوة ، وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف و اهم عن الافتراق والاختلاف، فكيف يجوز مع هذه لأمة محمد أن تفترق وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويعادى طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى"(5).

ومن تأمل أحكام الشرع وجد مظاهر كثيرة تؤكد على أهمية الاتفاق والاجتماع، وتقضي على الفرقة والشتات، فجمعت الناس في أنساكهم وصيامهم وصلا م: أن يشرعوا فيها في وقت واحد، ويختموها في وقت واحد، وشرع الاصطفاف للصلاة والتراص، و ى عن تفويت الجماعة في الصلوات، إلى مظاهر من تأملها وتشبع ا انقادت تطبيقاته لمسائل الاجتهاد على هذا النحو وقد اختار الشافعي رحمه الله أن من فاتته الصلاة في مسجد له إمام راتب أن يصلي منفرداً أو لا يصلي في المسجد جماعة ثانية لما فيها من تفرق الكلمة والاختلاف (6).

قال الشيخ أحمد شاكر7 معلقاً على ذلك: "والذي ذهب إليه الشافعي من المعنى في هذا الباب صحيح جليل ينبئ عن نظر ثاقب وفهم دقيق، وعقل دراك لروح الإسلام ومقاصده، وأول

---

1) أخرجه أحمد (367/2 ، رقم 8785) ، ومسلم (1340/3 ، رقم 1715) . وأخرجه أيضًا : مالك (990/2 ، رقم 1796) ، والبخارى فى الأدب المفرد (158/1 ، رقم 442) ، وأبو عوانة (165/4 ، رقم 6387) ، وابن حبان (182/8 ، رقم 3388) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (25/6 ، رقم 7399) .

2) الحجرات:10

3) الأنفال:1

4) رواه الإمام أحمد، وأصله في صحيح مسلم عن أبي هريرة

(5) مجموع الفتاوى:419/3.

(6) الأم: 136/1.

7) أحمد محمد شاكر (1309 - 1377 ه = 1892 - 1958 م) أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، من آل أبي علياء، يرفع نسبه إلى الحسين بن علي: عالم بالحديث والتفسير، مصري.مولده ووفاته في القاهرة.وأبواه من بلاد (جرجا) بصعيد مصر.سماه أبوه (أحمد، شمس الائمة أبا الاشبال) ! واصطحبه معه حين ولي القضاء في السودان (سنة 1900) فأدخله في كلية

مقصد للإسلام وأجلّه وأخطره: توحيد كلمة المسلمين وجمع قلو م على غاية واحدة: هي إعلاء كلمة الله، وتوحيد صفوفهم في العمل لهذه الغاية.. وهذا الشيء لا يدركه إلا من أنار الله بصيرته للفقه في الدين والغوص على درره والسمو إلى مداركه"(1).

فهذه الأدلة تأمر المسلمين بالأخذ بكل ما يزيد المحبة بينهم، والنهي عن كل ما يولد البغضاء في صفوفهم، وتأمرهم صراحة بأن يكونوا إخوة، ولا يمكن للمسلمين أن يكونوا إخوة إلا إذا كانوا متحدين، فإن الأخوة ضد الفرقة والاختلاف.

ثالثاً: النهي الصريح عن الافتراق والاختلاف الذي هو ضد الوحدة والاجتماع:

قال الله عز وجل: ﴿ وأَطِيعواْ لله ورسولَه ولاَ تنٰـزعواْ فَتفْشلُواْ وتذْهب رِيحكُم و صبِروآ إِن لله مع لصـٰبِرين ﴾2.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به و اكم عنه ولا تخالفوهما في شيء، ولا تنازعوا فتفشلوا، يقول: ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا، يقول: فتضعفوا وتجبنوا وتذهب ريحكم"3.

قال الشاعر:

وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجر إذا حضرت أيدي الرجال بمشهد

أخرج الطبري عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿ ولا تكُونواْ كَ لذِين تفَرقُواْ و ختلَفُواْ مِن بعدِ ما جاءهم لبينـٰت وأُولـٰئك لَهم عذَاب عظِيم ﴾4، قال: في هذا ونحوه من القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة فنهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله.

وذكر القرآن براءة الرسول صلى الله عليه وسلم من المفترقين، قال الله عز وجل: {إِن الذِين فَرقُوا دِينهم وكَانوا شِيعًا لَست مِنهم فِي شيءٍ } ، يقول القرطبي رحمه الله: {إِن الذِين فَرقُوا

(غوردون) وانتقل، وهو معه إلى الاسكندرية فألحقه بمعهدها (سنة (1904) ثم إلى القاهرة، وألحقه بالازهر ففاز بشهادة (العالمية) سنة 1917 وعين في بعض الوظائف القضائية.ثم كان قاضيا إلى سنة 1951 ورئيسا للمحكمة الشرعية العليا وأحيل إلى (المعاش) فانقطع للتأليف والنشر إلى أن توفي.أعظم أعماله شرح (مسند الامام أحمد بن حنبل - ط) خمسة عشر جزءا منه، و (عمدة التفسير - ط) أربعة أجزاء منه، في اختصارتفسير ابن كثير.ومن كتبه (نظام الطلاق في الاسلام - ط) لم يتقيد فيه بمذهب، و (أبحاث في أحكام - ط) و (الشرع واللغة - ط) رسالة في الرد على عبد العزيز فهمي باشا الذي اقترح كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية.وله تحقيقات مفيدة حلى ا هوامش (رسالة الامام الشافعي - ط) و (جماع العلم للشافعي - ط) و (لباب الآداب، لابن منقذ - ط) و (المعرب، للجواليقي - ط) ولم يخلفه مثله في علم الحديث بمصر. الأعلام للزركلي 1/ 253.

(1) تعليق على سنن الترمذي 431/1.

2) الأنفال:45

3) تفسير الطبري (15/10).

4) آل عمران:105

دِينهم } هم أهل البدع والشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة،(شيعًا) فرقًا وأحزابا، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض؛ فهم شيع، { لَست مِنهم فِي شيءٍ } فأوجب براءته منهم"1.

وهدد الله تعالى في كتابه العزيز باسوداد وجوه طوائف من المفترقين يوم القيامة ،كما قال الله تعالى: { ولَا تكُونوا كَالذِين تفَرقُوا واختلفُوا مِن بعدِ ما جاءَهم الْبينات وأُولَئِك لَهم عذَاب عظِيم }{ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فَأَما الذِين اسودت وجوههم أَكَفَرتم بعد إِيمانِكُم فَذُوقُوا الْعذَاب بِما كُنتم تكْفُرونَ }{ وأَما الذِين ابيضت وجوههم فَفِي رحمةِ اللهِ هم فِيها خالِدونَ } .

وعن زكَريا بن سلامٍ يحدثُ عن أَبِيهِ عن رجلٍ قَالَ انتهيت إِلَى النبِي ﷺ وهو يقُولُ: ((أَيها الناس علَيكُم بِالْجماعةِ وإِياكُم والْفُرقَةَ، أَيها الناس علَيكُم بِالْجماعةِ وإِياكُم والْفُرقَةَ)) ثَلَاثَ مِرارٍ، قَالَها إِسحاق.2

وعن النعمان بن بشير3 رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((الجماعة رحمة، والفرقة عذاب))4.

ثم إن محنة الفرقة من الأسباب المـباشرة في هلاك هذه الأمة كما في قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ هو القَادِر علَى أَن يبعثَ علَيكُم عذَاباً من فَوقِكُم أَو مِن تحتِ أَرجلِكُم أَو يلْبِسكُم شِيعاً ويذِيق بعضكُم بأْس بعضٍ انظُر كَيف نصرف الآياتِ لَعلَّهم يفْقَهونَ ﴾5.

ولذلك جعل الله من أخص صفات المؤمنين أنهم أولياء بعض قال الله عز وجل: ﴿ والْمؤمِنونَ والْمؤمِنات بعضهم أَولِياء بعضٍ يأْمرونَ بِالْمعروفِ وينهونَ عنِ الْمنكَرِ ويقِيمونَ الصلاَةَ ويؤتونَ الزكَاةَ ويطِيعونَ اللّه ورسولَه أُولَـئِك سيرحمهم اللّه إِن اللّه عزِيز حكِيم ﴾6.

ب / الأدلة من السنة المطهرة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))1 وقال: ((المسلم أخو المسلم)).

---

1) تفسير القرطبي 7 / 1508

2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني - مؤسسة قرطبة - القاهرة

قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لجهالة سلام والد زكريا 370/5.

3) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي يكنى أبا عبد الله وهو مشهور له ولأبيه صحبة قال الواقدي كان أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهرا وعن بن الزبير كان النعمان بن بشير أكبر مني بستة أشهر ..وكان من أخطب من سمعت ..ولما استخلف معاوية بن يزيد ومات عن قرب دعا النعمان الى بن الزبير ثم دعا الى نفسه فواقعه مروان بن الحكم بعد أن واقع الضحاك بن قيس فقتل النعمان بن بشير وذلك في سنة خمس وستين . الإصابة في تمييز الصحابة 6/ 440

4) أخرجه أحمد (4 / 278) و هو و ابنه عبد الله في " الزوائد " (4 / 375)والقضاعي (3 / 1)

5) الأنعام:65

6) التوبة:71

وحذرت الشريعة من الشذوذ ومفارقة الجماعة، ففي سنن الترمذي عن ابن عمر قَالَ: خطَبنا عمر بِالْجابِيةِ فَقَالَ: يا أيها الناس، إني قُمت فِيكُم كَمقَامِ رسول اللهِ ﷺفِينا، ثم ذكر خطبة جاء فيها ((علَيكُم بِالْجماعةِ، وإِياكُم والْفُرقَةَ، فَإِن الشيطَانَ مع الْواحِدِ، وهو مِن الِاثْنينِ أبعد، من أراد بحبوحةَ الْجنةِ فَلْيلْزم الْجماعةَ، من سرته حسنته وساءَته سيئَته، فَذَلِكُم الْمؤمِن))2.

وعن أبي الدرداء وقال ﷺ: ((ما من ثلاثة لا تقام فيهم الصلاة إلا وقد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية))3.

كما و ت الشريعة أن يهجر المسلم أخاه المسلم، وأمرت بإفشاء المسلمين بينهم، من أجل إشاعة المحبة، وأمرت بصلاة الجماعة ولم تعذر أحداً في التخلف عنها إلا في أشد الظروف، و ت أن يسافر الرجل وحده، وأن يبيت وحده.

جـ / دلالة العقل :

إن وجوب الوحدة بين المسلمين يستدل عليها بالعقل الصحيح مع النقل الصريح الصحيح لأن الاتحاد ذو منافع عديدة، وفوائد كثيرة.

فالعقلاء من كل ملة ونحلة في القديم والحديث اتفقوا على أن الوحدة سبيل العزة والنصرة، فهذا معن بن زائدة الذي وصفه الذهبي بقوله: أمير العرب أبو الوليد الشيباني أحد أبطال الإسلام وعين الأجواد يوصي أبناءه عند وفاته بقوله:

كونوا جميعا يا بني إذا اعترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا ... وإذا افترقن تكسرت آحادا

د / نماذج من السيرة العملية للرسول ﷺ :

لو سبرنا أقوال النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " وسيرته العملية نلمس منها اهتماماته الكبيرة بتوحيد الكلمة ولم الشمل ، فإن الوحدة هي دعامة القوة والرفاه ونيل السعادة ، كما أن التفرقة هي بؤرة الضعف والشقاء والاندحار .

ولنقتصر من سيرته وكلامه " صلى الله عليه وآله وسلم " على الأمور التالية :

أ . قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يثرب ، والأوس والخزرج يقودان جمله وشبا م يطوفون حوله وكانت القبيلتان هما الحجر الأساس لبناء الدعوة الإسلامية ، ولكن كان بين الطائفتين قبل اعتناق الإسلام حروب طاحنة أسفرت عن مصرع العديد منهم وكانت البغضاء والعداوة متفشية

---

1) أخرجه البخارى (863/2 ، رقم 2314) ، ومسلم (1999/4 ، رقم 2585) ، والترمذى (325/4 ، رقم 1928) وقال : حسن صحيح . والنسائى (79/5 ، رقم 2560)

2) أخرجه الترمذي (2 / 25) والحاكم (1 / 114) والبيهقي (1 / 91)

3) مسند الإمام أحمد وهو في صحيح الجامع حديث رقم : 5701.

بينهم ، وفي تلك الظروف هبط عليهم النبي ورأى ضرورة رأب الصدع وتقريب الخطى بين القبيلتين بل جعلهما أخوين متحابين ومتراحمين . فأول خطوة قام ا هي التآخي بينهما حسما لمادة الخلاف وإنساء للماضي[1]

ب . انتصر المسلمون على قبيلة بني المصطلق ، فبينا رسول الله على مائهم نشب ال اع بين رجل من الأنصار ورجل من المهاجرين ، فصرخ الأنصاري ، فقال : يا معاشر الأنصار ، وصرخ الآخر ، وقال : يا معشر المهاجرين ، فلما سمعهما النبي ﷺ قال : دعوها فإ ا منتنة .[2] يعني إ ا كلمة خبيثة ، لأ ا من دعوى الجاهلية ، والله سبحانه جعل المؤمنين إخوة وصيرهم حزبا واحدا ، فينبغي أن تكون الدعوة في كل مكان وزمان لصالح الإسلام والمسلمين عامة ، لا لصالح قوم ضد الآخرين ، فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية يعزر . فالنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " يصف كل دعوة تشق عصا المسلمين وتمزق وحد م بأ ا دعوى منتنة ، وكيف لا تكون كذلك وهي توجب ا دام دعامة الكيان الإسلامي .

ج . نزل النبي ﷺدار هجرته والتفت حوله القبيلتان : الأوس والخزرج ، فمر شاس بن قيس[3] - الذي كان يحمل في قلبه ضغنا للمسلمين - على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأوس والخزرج في مجلس يتحدثون فيه ، فغاظه رأى من ألفتهم وجماعتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية . فقال : قد اجتمع ملأ بني قيلة ذه البلاد ، لا والله لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم ا من قرار ، فأمر فتى شابا من اليهود كان معهم ، فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، ثم أذكر يوم بعاث ، يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلي[4] ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي[5] ، فقتلا جميعا . دخل الشاب اليهودي مجتمع القوم فأخذ يذكر مقاتلتهم ومضاربتهم في عصر الجاهلية فأحيى فيهم حميتها حتى

---

1) الدر المنثور : 2 / 287 ، تفسير الآية 103 من سورة آل عمران ، نقل عن مقاتل بن حيان قبيلتين من قبائل الأنصار ، إلى أن قال : فقدم النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " فأصلح بينهم .

2) ابن هشام : السيرة النبوية : 3 / 303 ، غزوة بني المصطلق .

3) شاس بن قيس اليهودي كان من أحبار اليهود حريصا على رد الناس عن الإسلام وكان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم، وأنزل الله في شاس بن قيس { يأهل الكتاب لم تصدن عن سبيل الله من آمن تبغو ا عوجا } وأنزل الله في الأنصار { يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين}.عيون الأثر 335/1.

4) حضير بن سماك الأشهلي أحد رؤساء الأوس. أبو أسيد بن حضير. ذيب سيرة ابن هشام1/ 170.

5) عمرو بن النعمان البياضي الأنصاري ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في جمهرة النسب وقال كان صاحب راية المسلمين يوم أحد انتهى والذي ذكره بن إسحاق أن صاحب لواء المسلمين يوم أحد مصعب بن عمير لكن اللواء غير الراية وكان لكل قبيلة راية وبنو بياضة قبيلة من الأنصار. الإصابة في تمييز الصحابة 4/ 694.

استعدوا للـ اع والجدال ، وأخذ الشاب يؤجج نار الفتنة . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين ، حتى جاءهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا معشر المسلمين ! الله ، الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله بالإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم من الكفر وألف به بين قلوبكم 1.

وقد تركت كلمة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " وقعا في نفوسهم ، حيث فطنوا إلى أ ا نزعة من نزعات الشيطان ، فندموا على وقع منهم ثم انصرفوا .

إن كلمة الرسول ، كشفت القناع عن الخدعة اليهودية ، وأطفأت نار الفتنة في مهدها ، ودخلت في القلوب المؤمنة وصير م إخوانا متحابين . هذه القصة وكم لها من نظير تعكس لنا المحاولات المستميتة التي يبذلها أعداء الإسلام بغية الإطاحة بوحدة المسلمين وتمزيق شملهم .

ولو كان في عصر الرسول شاس أو شاسان من اليهود ، ففي الوقت الحاضر المئات بل الألوف منهم جندوا قواهم الشيطانية ، وأثاروا النعرات الطائفية بين المسلمين من خلال طرح مسائل هامشية لتكدير صفوهم . إن أساليب الأعداء في إثارة الفتن لا تعد ولا تحصى ، ولهم مخططات مختلفة حسب تقتضيه الظروف والبيئات .

فالعقل يفرض على المسلمين رص صفوفهم ، وتوحيد كلمتهم بغية الوقوف أمام تلك الخطط والمؤامرات . إن مسألة التوحيد ونبذ الشرك من المسائل الهامة التي تعد الهدف الأسنى للأنبياء والمرسلين وكبار المصلحين .

فالتوحيد رمز الإسلام وعزة المسلمين، والمسلمون ملة واحدة يجمعهم إله واحد ، وكتاب واحد ، ودين واحد ، وشريعة واحدة

إنا لتجمعنا العقيدة أمة * ويضمنا دين الهدى أتباعا

ويؤلف الإسلام بين قلوبنا * مهما ذهبنا في هوى أشياعا

إن وحدة المسلمين السياسية هي نتاج طبيعي لوحد م العقائدية، ولقد قرر الرسول ﷺ هذه الوحدة منذ اللحظة الأولى لبناء الدولة الإسلامية فوضع منهاجاً حدد من خلاله هوية الأمة والدولة، وتوحد المسلمين على أساس الإسلام وقد عبرت الصحيفة التي كتبها الرسول ﷺ للمسلمين في المدينة عن هذا المعنى فقال: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب محمد النبي بين المؤمنين المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق م وجاهد معهم، أ م أمة واحدة من دون

1) انظر السيرة النبوية : 1 / 555 - 556 ، ط عام 1375 هـ .

الناس". وقال: "وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس". وقال: "وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله". وقال: "وإن سلم المؤمنين واحد".

فهذه العبارات التي وردت في الصحيفة تدل بشكل قاطع على الوحدة السياسية للمسلمين بوصفها أمة واحدة من دون الناس، ووحدة الصف تعني في الأصل أمة واحدة تحت سلطان واحد يحكمها بشريعة الله سبحانه وتعالى ، وهذا كان منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عهود الخلفاء الراشدين ، ثم عهود الأمم والدول الإسلامية المستقرة التي كانت تحكم المسلمين في مشرق الأرض وفي مغر ا ، ويدين لها بالطاعة أهل الإسلام كافة .

ولهذا جاء في السنة النبوية من الأحاديث ، والأحكام الصارمة في هذا ما يتعجب منه الإنسان ، منها على سبيل المثال قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من فارق الجماعة شبراً فمات فَمِيتةٌ جاهلية)1 وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له)2

والمعنى أن الرسول ﷺ قد بالغ في التحذير من الخلاف والفرقة ، والحث على الاجتماع والوحدة بحيث إن من خالف ذلك لقي الله ـ تعالى ـ يوم القيامة وليس له حجة ، (ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)3 وكذلك الحديث الثالث (إنه ستكون هنات وهنات ـ أي: أحوال وفتن ـ فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة ، وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)4

إن القومية ليست أساساً شرعياً يجمع المسلمين، فهو أساس يقوم على النعرات الجاهلية والعصبية، والرسول ﷺ يقول: "ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية"، وكذلك الوطنية فهي أساس غير شرعي يجمع المسلمين لأنه يعتمد على التراب كأساس جامع لمن يعيش فوقه، وهذا أساس غير فكري بل هو أساس غريزي لا يستند إلا إلى مظهر الدفاع عن النفس في حالة وجود عدو خارجي فلا يصلح للربط في حالة الاستقرار فضلاً عن كونه يخالف الإسلام بوصفه رابطة بين الناس.

إن التاريخ يشهد أن من أهم أسباب سقوط الدول على اختلاف عقائدها ومللها التفرق والاختلاف، سقطت الخلافة العباسية بعد أن تفرقت الدول الإسلامية في ذلك الوقت، فنشأت

---

1) متفق عليه عند البخاري (7054) ومسلم (1849) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ

2) أخرجه مسلم (1478/3 ، رقم 1851) . وأخرجه أيضًا : أبو عوانة (415/4 ، رقم 7153) ، والبيهقى (156/8 ، رقم 16389) .

3) رواه مسلم (1850) عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ

4) رواه مسلم (1852) عن عرفجة ـ رضي الله عنه ـ

الدولة البويهية، والمماليك، ودويلات الشام، ولم يبق للخلافة العباسية إلا مزع متفرقة متناثرة من العالم الإسلامي، فلما زحف المغول إلى بغداد لم يقف في وجه زحفهم غير أهل بغداد فقط، فأعملوا فيهم القتل حتى قتلوا أكثر من ثمانمائة ألف نسمة، كما قال غير واحد من المؤرخين.

وسقطت الدولة الإسلامية في الأندلس بعد أن أصبحت دويلات متفرقة متناحرة، لا هم لأحدهم سوى التلقب بألقاب الملك والسلطان حتى ولو كان على بقعة لا تجاوز حظيرة خراف.

مما يزهدني في أرض أندلس أسمـــاء معتضـد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ولم تسقط الدولة العثمانية إلا بعد أن تمزق جسدها إلى أشلاءَ متناثرة، وبعد أغرى الصليبيون الجدد بعض زعماء المسلمين بالانفصال عنها، وأحسنوا إتقان العمل بقاعدة: فرق تسد، وهاهو العالم الإسلامي اليوم منقسم إلى دويلات متناحرة، تعيش على هامش التاريخ، وتتجرع ألوان الهوان.

صوت الشعوب من الزئير مجمعا فإذا تفرق كان بعض نباح

إن ما ظفر به أعداء الأمة من سطو واستيلاء لا يرجع إلى خصائص القوة في أنفسهم بقدر ما يعود إلى آثار الوهن في صفوف أصحاب الحق، فالفرقة تجعل هلاك الأمة بيد أبنائها في سلاسل من الحروب في غير معركة، وانتصارات بغير عدو.

ألم تر أن جمع القوم يخشى وأن حريم واحدهم مبـاح

إن الغرب النصراني أدرك أن وحدة أي أمة من الأمم – سواه – خطر عليه، فأوروبا لم تستطع كتمان حلمها في تفكك الاتحاد السوفيتي الذي يمثل خطراً حضارياً، عسكرياً عليها، فساندت بكل قواها حركات التحرر التي قامت ا دويلاته، حتى استراحت من أحد مصادر القلق الذي كان يؤرق راحتها، وبقي لها عدو آخر هو التحدي الذي يمثله العالم الإسلامي.

إن العالم الإسلامي بتفرقه وتنازعه لا يشكل أي هاجس خوف لأحد، لكن العالم الغربي الصليبي يخشى أن يستيقظ المسلمون من نومهم، فيسارعوا إلى الأخذ بأسباب القوة، والعودة إلى الوحدة. وتجنباً لذلك فإنه يحاول بكل جهد أن يقضي على كل منفذ يمكن أن يسلكوه، فيعود م إلى سابق عزهم وسالف مجدهم.

وصدق الله عز وجل إذ يقول: ﴿إن تمسسكُم حسنةٌ تسؤهم وإن تصِبكُم سيئَةٌ يفْرحواْ بِها﴾[1].

قال قتادة: الحسنة هي الألفة والجماعة، والسيئة: الفرقة والاختلاف.

1) آل عمران:120.

إن الغرب النصراني يعمل جاهداً على تغذية كل سبب يغذي الفرقة بين المسلمين، ويكرس تباعدهم، ويزيد من تناحرهم.

لقد كثر الحديث عن دويلة في شمال العراق، وآخري في جنوب السودان،وحتى غربه في دارفور، ودويلات في جنوب لبنان، ولم يغمض لأوروبا جفن إلا بعد انقسمت البوسنة والهرسك، وبدأت بقع من اندونيسيا بالانفصال، وهكذا.

وفي المقابل ها هي أوروبا تسعى بكل ما تستطيع لتحقيق أكبر قدر من الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لقد سارعوا بعد أن طحنتم حروب ضروس في الحربين العالمية الأولى والثانية، إلى الاستعلاء على الخلافات الشخصية وتناسي أحقاد الماضي، وتجاوز الفوارق العقدية، وصهر حدود الفرقة.

إن هذه الحقائق عن المصالح التي تؤدي إليها الوحدة، وهذه المفاسد التي تدفعها من أدلة وجوب الوحدة، فالشريعة الإسلامية جاءت لتحصيل مصالح العباد في الدارين، وتحصيل هذه المصالح يكون بتحقيق أي أمر يجلب المصلحة، ويدفع المفسدة، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب.

وعليه فإن وجوب تحقيق الوحدة بين المسلمين ثابت بنصوص الكتاب والسنة المتضافرة المتآزرة، وهذا الوجوب ثابت أيضاً بالعقل والنظر الصحيح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعاً، وأن لا يتفرق، هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم، ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة أو خاصة، مثل قوله: ((عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة))، وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف، فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم ـ وان كان بعض ذلك مغفوراً لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه، أو لحسناته الماحية، أو توبته، أو غير ذلك ـ لكن ليعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام1

إنه مما يؤسف له أن نرى العالم يتجه إلى عولمة العالم، حيث عالم واحد تذوب بينه الحدود وتتلاشى بينه الفوارق، ونحن لا زلنا غارقين في خلافات تافهة، وصراعات سخيفة.

فتفرق الأعداء بعد مودة　　　صعب فكيف تفرق القرباء

إن الوحدة التي نطالب ا ونتطلع إليها، أن يجتمع العالم الإسلامي كله تحت راية واحدة، ودستور واحد، هذه الوحدة لا نحتاج معها إلى جامعة عربية، ولا إلى منظمة مؤتمر إسلامي.

1) رسالة خلاف الأمة في العبادات (ص 32-34).

إن مالا يدرك كله لا يترك جله، والأمر يحتاج إلى تدرج، والطريق طويل، لكن تنمية الوعي لدى الأمة بخطورة هذا الأمر وتنظيره بضوابطه أول الطريق، وعندئذ نقول:

حبذا العيش حين قومي جميعا لم تفرق أمورها الأهواء

المبحث الثاني :الأصول التي تعين على وحدة المسلمين واجتماعهم

أولاً : لا بد أن تتمحور هذه الوحدة حول كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، وإجماع الصحابة **رضوان الله غليهم، إذ يستحيل الاجتماع والاتفاق وفض النزاعات فيما بين الأطراف المختلفة المتنازعة، ثم لكل طرفٍ حكمه وموازينه ومرجعيته الخاصة به، المغايرة لمرجعيات وموازين الأطراف الأخرى، لذا كان لابد للمسلمين ـ العاملين المخلصين ـ أن يتفقوا ـ أولاً ـ على الحكم والمرجعية التي ترد إليها جميع النزاعات والخلافات التي كانت سبباً في اختلافهم وتفرقهم.**

ويسلّموا لما تمليه عليهم من قرارات وأحكام من دون أدنى اعتراض أو تعقيب.

وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، ولا يحتاج إلى كثير استدلال، فأصل كلمة الإسلام معناها الاستسلام لله بالتوحيد، فلا حظّ لنا في الإسلام إذا توحدنا على غير القرآن والسنة، قال الله عز وجل: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾1 فلم يأمر بمجرد الاعتصام وإنما أمر بالاعتصام حول حبل الله، وهو القرآن والسنة.

في مسند الإمام أحمد عن جابرٍ قَالَ: كُنا جلُوسًا عِند النبِي ﷺ فَخط خطاً هكَذَا أمامه فَقَالَ: ((هذَا سبِيلُ اللهِ عز وجل)) وخطين عن يمِينِهِ وخطين عن شِمالِهِ قَالَ: ((هذِهِ سبِيلُ الشيطَانِ)) ثُم وضع يده فِي الْخط الأَسودِ ثُم تلَا هذِهِ الْآيةَ: ﴿ وأن هـٰذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ 2.

ولقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول إنْ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر}(1) .

قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله.

وهذا أمر من الله، عز وجل، بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: { وما اختلفتم فيه من شيءٍ فحكمه إلى الله

---

1) آل عمران:103

2) الأنعام:153

(1) سورة النساء : 59 .

}1 فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال تعالى: {إِنْ كُنتم تؤمنونَ بِاللهِ والْيومِ الآخِرِ} أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم {إِنْ كُنتم تؤمنونَ بِاللهِ والْيومِ الآخِرِ} فدل على أن من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر.2

قال ابن القيم رحمه الله: "جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء الآخر"اهـ (2) .

وفي قوله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً}(3) .

قال رحمه الله : "أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كلّ ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع والمعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج؛ وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كلّ الانشراح، وتنفسح له كلّ الانفساح، وتقبله كلّ القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض" (4) .

<u>إما إجماع الصحابة</u> فلعدة أمور منها :

1) أنهم عاصروا نزول الوحي، وعرفوا أسباب نزوله، كما كانوا الأقرب والألصق بالنبي ε، يتلقون منه العلم مباشرة غضاً ندياً.. ومن كان كذلك لاشك أنهم يكونون الأفقه والأعلم بمراد الشارع ممن فاتتهم هذه الخاصية.

ومنها أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان قد رضي الله عنهم، وأثنى عليهم خيراً في كتابه العزيز، كما في قوله تعالى: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم}(4) .

---

1 الشورى:10

2 تفسير القرآن العظيم2/ 346

(2) اعلام الموقعين : 50/1 .

(3) سورة النساء : 65 .

(4) التبيان في أحكام القرآن : 270 .

(4) سورة التوبة : 100 .

والله تعالى إذ يرضى عن أحدٍ فهو يرضى عنه لسلامة دينه وفهمه واعتقاده لا لشيءٍ آخر، وهذا إنْ دل على شيءٍ فإنه يدل على أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان كانوا على درجةٍ عاليةٍ ـ لا يرقى إليها أحد بعدهم ـ من الالتزام والفهم الصحيحين لدين الله تعالى، مما أهلهم لهذا المقام العلي، وهو رضى الله تعالى عليهم..

وهذه خاصية لا يمكن الجزم بها لأحدٍ بعدهم؛ لأنها قضية غيبية لا يمكن البت بها إلا بدليل صريح صحيح.

قال ابن مسعود: إنّ الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ε، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآوه سيئاً فهو عند الله سيئ.(2) .

2) أن نصوص الكتاب والسنة ألزمتنا بفهم السلف الصالح لنصوص الوحي وبخاصة منهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

قال تعالى: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً}(1) .

وفي الآية دلالة، وهي أن مشاققة الصحابة واتباع غير سبيلهم ومنهاجهم هي مشاققة للرسول ε توجب على صاحبها اللعنة والعذاب.

قال ابن تيمية: "فإنهما متلازمان فكلّ من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وكلّ من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى"اهـ(2) .

وكذلك قوله تعالى: {قُل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين}(3)

وفي قوله: {أنا ومن اتبعني}، قال ابن عباس: يعني أصحاب محمد ε، كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم وكنز الإيمان، وجند الرحمن.

(2) أخرجه الطيالسي وأحمد وغيرهما بسند حسن، قال الشيخ ناصر في تخريج "الطحاوية": حسن موقوف .

(1) سورة النساء : 115 .

(2) مجموع الفتاوى : 38/7 .

(3) سورة يوسف : 108

وقال ابن مسعود: من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ε كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإ م كانوا على الهدى المستقيم.اهـ (4) .

وفي السنة فقد صح عن النبي ε أنه قال: (والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاثٍ وسبعين ِفرقة، واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار" قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: "الجماعة)(5) .

وفي رواية عند الترمذي، من حديث عبد الله بن عمرو: (وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملّة كلّهم في النار إلا ملّة واحدة"، قال: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي)(6) .

وقال ε: (سترون من بعدي اختلافاً شديداً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات فإنّ كلّ بدعة ضلالة)(8) .

نحن ننظر ابتداء إلى أن عقيدة التوحيد قادرة على جعل مـن يؤمن ا أمةً من دون الناس يحكمها منهج واحد، وتنتهي إلى غايات واحدة، كما أن تلك العقيدة بما يتبعها من أحكام ونظم تحدد أشكال التعامل بين هذه الأمة وبين غيرها من الأمم، وهذا كله يجعل تحقيق شكل من أشكال الوحدة بين شعوب العالم الإسلامي أمراً طبعياً بدهياً، ولا سيما أن غير المسلمين ينظرون إليهم على أن لهم من التجانس والتميز ما يجعلهم جميعاً في خندق واحد.

إن الانطلاق الراشد يؤمن ترابطاً عجيباً بين سائر بنى الأمة ومؤسسا ا، حيث تتمكن الأمة من حل كثير من المشكلات كما أ ا لا تتوهم العناء حينئذ من مشكلات لا وجود لها.

أننا نعتقد أن العقيدة الحقّة المنبثقة من التوحيد الخالص هي الخطوة الأولى لأي عمل وحدوي.

إن من لوازم هذا الضابط أن يكون الهدف من الوحدة مرضاة الله عز وجل، ومرضاة الله عز وجل يمكن تحقيقها من خلال هذه الوحدة إذا كنا نسعى لهذه الوحدة لأن الله أمر ا، ولأن ا تندفع مفاسد عظيمة عن المسلمين، وتجلب مصالح كثيرة.

إن السعي من أجل تحقيق الوحدة لا يجوز بحال من الأحوال أن يكون على حساب أصولنا الإسلامية، لأن التفريط في هذه الأصول أو الإخلال ا يغضب الرب جل وعلا أولاً وقبل كل شيء، ثم إن الوحدة بين المختلفين في الأصول غير ممكنة حساً وواقعاً.

---

(4) تفسير البغوي : 453/2 .

(5) صحيح سنن ابن ماجة : 3226 .

(6) صحيح سنن الترمذي : 2129 .

(8) صحيح سنن ابن ماجة : 40 .

إن الوحدة بين المسلمين لا تعني إغضاء الطرف عمن يمس عقيدتنا وأصولنا الثابتة بشيء من العبث والابتداع.

لقد أمرنا الله عز وجل بذلك قال الله عز وجل: ﴿وأن هـٰذَا صِرٰطِي مستقِيمًا فَٱتبِعوه ولا تتبِعواْ لسبلَ فَتفَرق بِكُم عن سبِيلِهِ ذَٰلِكُم وصىٰكُم بِهِ لعلكُم تتقُونَ﴾ 1 ، ﴿شرع لَكُم من ٱلدِينِ ما وصىٰ بِهِ نوحاً والذِي أوحينا إِليك وما وصينا بِهِ إِبراهِيم وموسىٰ وعِيسىٰ أنْ أَقِيمواْ الدين ولاَ تتفَرقُواْ فِيهِ كَبر على المشرِكِين ما تدعوهم إِليهِ﴾ 2.

أورد ابن كثير في تفسير هذه الآية قول ابن عباس السابق: (أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله).

قال البغوي: "وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم، وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معادة أهل البدع، ومهاجرتهم"3.

إن هذا الكلام قاله علماء سابقون عاشوا في وقت من أحلك أوقات الأمة وأشدها، في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

وفي الوقت الحاضر يقول سيد قطب رحمه الله: (بذلك أغلق الله سبحانه مداخل الشيطان كلها، وبخاصة ما يبدو منها خيراً، وتأليفاً للقلوب، وتجميعاً للصفوف، بالتساهل في شيء من شريعة الله، في مقابل إرضاء الجميع، أو في ما يقابل ما يسمونه وحدة الصف)[4].

بقي أن نذكر أمراً هاماً جداً، ألا وهي الأصول التي لا يجوز لنا أن نفرط فيها، ولا أن نتساهل فيها

وهذا أمر التبس على كثير من المسلمين، وانقسم الناس فيه إلى طرفين متضادين وقليل هم الذين هداهم الله للوسط الحق.

فطائفة جعلت كثيراً من الفروع الجزئية والخلافات الاجتهادية أصولاً كلية، فوالت من أجلها، وعادت بناء عليها، وأشعلت ألواناً من الفتن بين المسلمين.

ولقد جعل بعضهم البدع الجزئية في فروع العبادات الصادرة من بعض عوام الناس الذين فعلوها تقليداً وجهلاً، مثاراً للفرقة والاختلاف، وأساساً للولاء والبراء.

---

1) الأنعام:153

2) الشورى:13

3) البغوي (120/1).

4) في ظلال القرآن 2/ 382.

وعلى الطرف الآخر نجد فئاماً من الناس تساهلوا في نظرتهم لكثير من أصول الإسلام، وقواعده الكبار، فتراهم بحجة وحدة الصف يغضون الطرف عن كل مخالف ذي بدعة كلية.

كل يرى رأيا وينصر قولـه ولـه يعادي سائر الإخوان
ولو أنهم عند التنازع وفقـوا لتحاكموا لله دون تـوان
ولأصبحوا بعد الخصام أحبة غيظ العدا ومذلة الشيطان

أما الطائفة الوسط فهي الطائفة التي لم تضخم بعض الفروع فتجعلها أصولاً، وفي المقابل لم تتساهل في أصولها وتضيعها، والصواب أن الأصول التي نوالي عليها، ونجتمع حولها، ولا نقبل الإخلال بها، ولا التسامح فيها هي قواعد الإسلام الكلية التي يتحقق فيها شرطان اثنان:

الأول: أن تثبت بأدلة قطعية، ثبوتاً ودلالة.

الثاني: أن يبنى عليها فروع متعددة.

ثانياً : ضرورة أخذ الإسلام بشموله :

قال الله تعالى: {ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذُكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة}(3) . { فَنسواْ } على إثر أخذ الميثاق { حَظّاً } نصيباً وافراً { مما ذُكِرواْ بِهِ } في تضاعيف الميثاق من الإيمان بالله تعالى وغير ذلك من الفرائض ، وقيل : هو ما كتب عليهم في الإنجيل من الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم فنبذوه وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم وتفرقوا إلى اثنتين وسبعين فرقة { فَأَغْرينا } أي ألزمنا وألصقنا ، وأصله اللصوق يقال : غريت بالرجل غرى إذا لصقت به قاله الأصمعي ، وقال غيره : غريت به غراءاً بالمد ، وأغريت زيداً بكذا حتى غرى به ، ومنه الغراء الذي يلصق به الأشياء ، وقوله تعالى : { بينهم } ظرف لأغرينا أو متعلق بمحذوف وقع حالاً من مفعوله أي أغرينا { العداوة والبغضاء } كائنة بينهم 1.

أي تركوا نصيباً كبيراً مما أمرتهم به شريعتهم من وجوب ابتاعهم للحق وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم عن ظهوره " فكان تركهم لهذا النصيب العظيم مما ذكروا به سببا في ضلالهم وسوء عاقبتهم

وهذا مثل ضرب للمسلمين، أي إنكم إذا فعلتم فِعل النصارى، فنسيتم حظاً من الدين، وعملتم ببعضه وتركتم بعضاً آخر، فإنه سيصيبكم ما أصابهم من التفرق والتنازع والعداوة والبغضاء، وما

---

(3) سورة المائدة : 14 .

1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي 4/ 426

أصاب المسلمين ويصيبهم في هذه الأيام من تفرقٍ وتنازعٍ وضعفٍ وعداوةٍ فيما بينهم ما هو إلا بسبب أ م نسوا حظاً من الدين والتوحيد ـ بل حظوظاً ـ فعملوا ببعضه ونسوا بعضه الآخر!. ومن نتائج العمل ببعض الدين وترك بعضه الآخر حصول الحالقة؛ العداوة والبغضاء، والتفرق والتنازع والاختلاف فيما بين المسلمين بعضهم مع بعض.وإذا كان هذا جزاء من يبعض الدين؛ فيعمل ببعضه وينسى بعضه الآخر، فإن مفهوم المخالفة وهو العمل بمجموع الدين ـ من دون تفريط بأي جزئية من جزئياته ـ يقتضي الوحدة والائتلاف والرحمة والتكافل.

يقول الإمام ابن تيمية:"فأخبر الله -تعالى- أن نسيا م -يعني أهل الكتاب- حظاً مما ذُكروا به، وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به كان سبباً لإغراء العداوة والبغضاء بينهم، وهذا هو الواقع في أهل ملتنا، مثلما نجده بين الطوائف المتنازعة في أصول دينها وكثير من فروعه، ومثلما نجده بين العلماء والعباد ممن يغلب عليهم الموسوية، أو العيسوية -يعني: التشبه باليهود، أو التشبه بالنصارى- حتى يبقى فيهم شبه من الأمتين اللتين قالت كل واحدة ليست الأخرى على شيء -يعني كما قال الله -تعالى-:"وَقَالَتِ الْيهود لَيستِ النصارى علَى شيءٍ"1، وهكذا النصارى قالوا:"لَيستِ الْيهود علَى شيءٍ"2؛- ثم قال: كما نجد المتفقه المتمسك من الدين بالأعمال الظاهرة، والمتصوف المتمسك منه بأعمال باطنة، كل منهما ينفي طريقة الآخر، ويدعي أنه ليس من أهل الدين، أو يعرض عنه إعراض من لا يعده من أهل الدين- أي: إما يدعي هذا بقوله أو بفعله- فتقع بينهما العداوة والبغضاء، وذلك أن الله -سبحانه وتعالى- أمر بطهارة القلب، وأمر بطهارة البدن، وكلا الطهارتين من الدين الذي أمر الله به وأوجبه... فنجد كثيراً من المتفقهة والمتعبدة إنما همه طهارة البدن فقط ويزيد على المشروع اهتماماً وعملاً ويترك من طهارة القلب ما أمر به إيجاباً أو استحباباً، ولا يفهم من الطهارة إلا ذلك- يعني: طهارة البدن- ونجد كثيراً من المتصوفة والمتفقرة -أي : الفقراء- إنما همته طهارة القلب فقط حتى يزيد فيها على المشروع اهتماماً وعملاً، ويترك من طهارة البدن ما أمر به إيجاباً أو استحباباً، فالأولون -الذين هم المتفقهة- يخرجون إلى الوسوسة المذمومة في كثرة صب الماء، وتنجيس ما ليس بنجس، واجتناب ما لا يشرع اجتنابه، مع اشتمال قلو م على أنواع من الحسد والكبر والغل لإخوا م -ولا يقصد التعميم وإنما طائفة من الناس- وفي ذلك

مشا ة بينة لليهود، والآخرون -يعني: المتصوفة- يخرجون إلى الغفلة المذمومة؛ فيبالغون في سلامة الباطن حتى يجعلون الجهل بما تجب معرفته من الشر الذي يجب اتقاؤه، يجعلون ذلك من سلامة

---

1) البقرة:113

2) البقرة:113

الباطن، ولا يفرقون بين سلامة الباطن من إرادة الشر المنهي عنه وبين سلامة القلب من معرفة الشر المعرفة المأمور ا، ثم مع هذا الجهل والغفلة قد لا يجتنبون النجاسات ، ولا يقيمون الطهارة الواجبة مضاهاة للنصارى، وتقع العداوة بين الطائفتين بسبب ترك حظ مما ذكروا به، والبغي الذي هو مجاوزة الحد إما تفريطاً وتضييعاً للحق، أو عدواناً وفعلاً للظلم، والبغي تارةً يكون من بعضهم على بعض، وتارةً يكون في حقوق الله -تعالى- وهما متلازمان، ولهذا قال الله -تعالى- :"بغياً بينهم"1، فإن كل طائفة بغت على الأخرى فلم تعرف حقها الذي بأيديها، ولم تكُف عن العدوان عليها... فظهر أن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين، والعمل به كله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطناً وظاهراً.

وسبب الفرقة: ترك حظ مما أُمِر العبد به، والبغي بينهم.

ونتيجة الجماعة: رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه.

ونتيجة الفرقة: عذاب الله، ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول منهم"2

إن انشغال كثير من المسلمين ببعض الدين دون بعضه الآخر، وإهتمامهم بجانب من جوانب الدين دون الجوانب الأخرى، وفي حال تذكيرهم بتلك الجوانب سرعان ما يقللون من أهميتها قياساً لما هم عليه من عملٍ، أو يؤولو ا ويصرفو ا عن مدلولها الشرعي الصحيح! وهذا ما يقتضيه قوله تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما اكم عنه فانتهوا}(3) . أي جميع ما آتاكم به الرسول فخذوه، وجميع ما اكم عنه فانتهوا عنه، وليس بعضه دون بعض.

فنأخذ الإسلام أخذاً شمولياً؛ إسلام العلم والفقه، إسلام الجهاد والاستشهاد، إسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إسلام الدعوة والتبليغ، إسلام الزهد وتربية الأنفس، إسلام التميز والصبر والثبات، إسلام الاستسلام والانقياد والاتباع..

وهذه خِصال جميعها تصب في منهاج عملي واحد متماسك متكامل، من دون تفريق أو فصل فيما بينها، أو تقليل لشيءٍ من أهميتها، وذلك كلّه يكون وفق هدي وسنة المصطفى ε.

وعدم التقيد ذا الأصل يعود ـ في الغالب ـ إلى الخلل في التربية والتثقيف، وفي كيفية تلقي هذا الدين، والعمل له.

ورحم الله سيد قطب إذ يقول: بينما الطيبون السذج من المسلمين يروحون يشتغلون في سذاجة بلهاء ـ من تأخذه الحمية للدين منهم وللأخلاق ـ بالتنبيه إلى مخالفات صغيرة، وإلى منكرات صغيرة، ويحسبون أ م أدوا واجبهم كاملاً ذه الصيحات الخافتة، بينما الدين كلّه يسحق سحقاً

1) آل عمران:19

2) مجموع الفتاوى (1/12 ـ 17)

(3) سورة الحشر : 7 .

ويدمر من أساسه، وبينما سلطان الله يغتصبه المغتصبون، وبينما الطاغوت ـ الذي أمروا أن يكفروا به ـ هو الذي يحكم حياة الناس جملةً وتفصيلاً!(1) .
وقال: إن الأمر أكبر وأوسع وأعمق مما ينفق فيه هؤلاء الطيبون جهدهم وطاقتهم واهتمامهم.. إنه في هذه المرحلة ليس أمر تتبع الفرعيات مهما تكن ضخمة حتى ولو كانت هي حدود الله، فحدود الله تقوم ابتداءً على الاعتراف بحاكمية الله دون سواه، فإذا لم يصبح هذا الاعتراف حقيقة واقعة تتمثل في اعتبار شريعة الله هي المصدر الوحيد للتشريع واعتبار ربوبية الله وقوامته هي المصدر الوحيد للسلطة، فكلّ جهد في الفروع ضائع، وكلّ محاولة في الفروع عبث، والمنكر الأكبر أحق بالجهد والمحاولة من سائر المنكرات(1) .

ثالثاً: وضوح الرؤية لواقع الأمة، وتحديد الأولويات في العمل الإسلامي

مما يساعد على تحقيق وحدة المسلمين في جماعة واحدة، وضوح الرؤية لواقع الأمة، والاجتماع على أن قضية "من المعبود بحق في الوجود" هي قضية الدين كلّه، وهم الدعاة المخلصين العاملين، يجب اجتماع الجهود على أساسها، ولا يمكن التفريط ا، أو تجاوزها إلى ما هو دو ا ـ قبل حسمها مع الطواغيت كلّ الطواغيت وجميع من يشايعهم وينصرهم ويعبدهم ـ مهما كانت الأسباب الداعية لذلك.
ثم العمل من أجل قيام خلافة راشدة، واستئناف حياة إسلامية على منهاج النبوة.
وهذا أمر لا خلاف على وجوبه بين علماء الأمة قاطبة، لا يشذ عنهم إلا مرجف مغفل أو مغرض لا يريد أن تقوم للإسلام قائمة أو تعلو له كلمة.
قال النووي: أجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة.(3) .
وقال الماوردي: عقد الإمامة لمن يقوم ا في الأمة واجب بالإجماع.(4) .
وقال الهيثمي: اعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ε.(5) .
وقال القرطبي: ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة.(6) .

---

(1) في ظلال القرآن : 1034/2 .
(1) في ظلال القرآن : 951/5 .
(3) شرح صحيح مسلم : 205/12 .
(4) الأحكام السلطانية : 56 .
(5) الصواعق المحرقة : 17 .
(6) الجامع لأحكام القرآن : 264/1 .

ومن جهة فإن أهمية هذا الهدف تكمن في ارتباطه الوثيق ـ كسبب ـ بالهدف السابق وهو تعبيد العباد لربهم سبحانه وتعالى وحده، حيث أن الله تعالى ليزع بالسلطان المسلم ما لا يزعه بالقرآن، بل وإن كثيراً من الأحكام والواجبات الشرعية لا يمكن القيام بها إلا في ظل خلافة راشدة يعلوها خليفة راشد يذود عن الدين، ويسوس الدنيا بالدين.

قال ابن تيمية: يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها.

وقال الإمام أحمد: الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر المسلمين..

وإن الخلافة الإسلامية ـ على منهاج النبوة ـ قادمة وكائنة بإذن الله.

فها هو نبينا محمد ε يبشرنا، ونحن به مؤمنون مصدقون: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت)(1) . ونحن على أبوابها إن شاء الله.

وقال ε: (إن الله زوى ـ أي جمع وضم ـ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها)(2). وهذا لم يكن من قبل، لكنه سيكون بإذن الله..

وقال ε: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيزٍ أو بذُل ذليل، عزاً يعز اللهُ به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر)(3) . وهو كائن بإذن الله.

ومن تلبيس إبليس على كثير من خواص المسلمين فضلاً عن عامتهم، حيث يصرفهم عن الأهم بالمهم، وعن الواجب إلى المندوب، وعن المندوب إلى المباح، ولو أفلح في صرفهم عن المباح إلى المحظور فلا يقصر، وإن لم يفلح فهو غالباً ما يشغلهم في جزئية من جزئيات الدين إلى حد الإشباع والأطناب، وربما إلى حد الإفراط على حساب الأجزاء أو الشرائع الأخرى. مما يجعلهم يقعون في المحظور المشار إليه ـ عن قصدٍ أو غير قصدٍ ـ وهو العمل ببعض الدين دون بعض، والاهتمام بجوانب منه دون جوانب.

ومن ذلك كذلك أن يشتغل المرء في مسألة من المسائل الدينية مضيعاً وقته وعمره فيها، وعلى حساب بقية مسائل الدين الأخرى، حتى أنه يعرف بها وتعرف به، وكم من داعية تراه يدندن

(1) رواه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة : 5 .

(2) رواه مسلم وغيره، السلسلة الصحيحة : 2 .

(3) رواه ابن حبان في صحيحه وغيره، السلسلة الصحيحة : 3 .

حول مسألة معينة أو شعار معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يحمل إلى قبره، فيفاجأ حينئذٍ بما قدم لنفسه.

قال ابن القيم رحمه الله: فمن الناس من يتقيد بلباسٍ لا يلبس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشيةٍ لا يمشي غيرها، أو بزيٍ وهيئةٍ لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها، وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه، فهؤلاء كلّهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه، قد قيد م العوائد والرسوم، والأوضاع والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل، وم لتهم منها أبعد م ل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة والخلوة وتفريغ القلب ويعد العلم قاطعاً له عن الطريق، فإذا ذكر له الموالاة في الله والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عد ذلك فضولاً وشراً، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك أخرجوه من بينهم وعدوه غَيراً عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله.. (2) .

رابعاً : ترشيد النصح فيما بين المسلمين، ومراعاة ضوابط الاختلاف

إذ يستحيل اجتماع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم في وجوه الأعداء، ثم هم لأدنى خلاف فقهي ـ وما أكثر المسائل الفقهية المختلف فيها ـ يعلنون الحرب والمفاصلة، والولاء والبراء، وتحصل فيما بينهم البغضاء وا افاة والمعاداة!.

ومما يشتد له العجب أننا نجد من المسلمين ممن يعملون في حقل الدعوة أو الوعظ والإرشاد، قد يثيرون مشاكل ـ لها نتائج خطيرة على وحدة الصف وصفاء القلوب ـ لأدنى خلاف أو خطأ، يصدر عن مسلم، بحجة أ م يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأن الساكت عن الحق شيطان أخرس، بينما نراهم ـ رغبةً أو رهبةً ـ يلتزمون الصمت المطبق تجاه الكفر البواح، والمنكر الأكبر الظاهر، وبخاصة إن كان مصدره أئمة وطواغيت الكفر، حيث لا منكر ينكرونه، ولا معروف يأمرون به..!.

يقاتلون المسلمين على سنة من السنن، بينما تراهم يسالمون الطواغيت رغم تنحيتهم لشرع الله عن الحكم...

وكذلك ملاحظة بعض الناس ـ ممن ينتسبون إلى الدعوة والعمل الإسلامي ـ حيث يعقدون الولاء والبراء على أساس الإنتماء الحزبي أو المشيخي؛ فيوالون من يوالي الحزب أو الشيخ بغض النظر عن سلامة دينه وحسن سلوكه، ويعادون من يعادي الحزب ولو كان من أتقى أهل الأرض..!!.

---

(2) مدارج السالكين : 176 .

وهذا مما لا شك فيه أن مؤداه إلى مزيد من التفرق والتناحر والاختلاف، كما أنه مغاير لقوله تعالى: {أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين}(1). وقوله: {المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف}،{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}(2) .

قال ابن تيمية: من حالف شخصاً على أن يوالي من والاه، ويعادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون مثل هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان. (3) .

وثمة أمر يجدر تنبيه الإخوان عليه: وهو أنّ العدو الكافر يحرص دائماً على إشغال المسلمين بشبه ومسائل هامشية ـ عن أهدافهم العظمى ـ عديمة الفائدة، بل هي غالباً ما تفضي إلى البغضاء والتفرق والتنازع والاختلاف، وضعف الشوكة، وعلى مبدأ فرق تسد.. حتى لا تكاد شبهة تموت وينتهي أثرها، إلا وتجدهم يتبعونها بشبهات أشد أثراً على اجتماع الصف ووحدة كلمة المسلمين..

فلا نكونن نحن طعماً سهلاً لهذه الشبهات، نروج لها ونحييها بمعارك جدلية هامشية لا طائل منها، بعد أن تكون ميتة لا أحد يعلم بها.

ثم ليس من الشجاعة ولا من الحكمة والفقه أن نتناول فِتناً قديمة قد اندثرت ولا واقع لها في حياتنا، وقد كان لها رجالها الذين تصدوا لها، بينما نغض الطرف ونعمي العين ـ رغبةً أو رهبةً ـ عن فِتن معاصرة أهلكت البلاد والعباد، نحياها ونعيش آثارها، والأمة تصلى نارها صباح مساء..!.

والاختلاف أنواع، منه ما يمس الأصول والعقائد والتوحيد، وهذا نوع عليه يعقد الولاء والبراء، وعلى أساسه تحدد المواقف، ويرفع لواء الحرب، حيث لا يرجى من السكوت عليه دفع ضرر أكبر، لأنه هو ذاته يعتبر الضرر الأكبر والظلم الأعظم الذي لا يعلوه ضرر وظلم، كما قال تعالى: {إن الشرك لظلم عظيم}1. وقال: {والفتنة أشد من القتل}2.

---

(1) سورة المائدة : 54 .

(2) سورة التوبة : 67 - 71 .

(3) مجموع الفتاوى : 20/28 .

1) لقمان : 13

2) البقرة : 191

ومنه ما يمس الفروع دون الأصول، وأصحاب هذا النوع من الاختلاف على الغالب يكون عندهم ما يستوجب موالا م من وجه، ومجافا م من وجه آخر، فيعاملون على أساس ما عندهم من خير أو شر، واختلافهم مع الحق يعالج بالنصح وبالحكمة والموعظة الحسنة، وبشيءٍ من الرفق وبخاصة إن كان المخالف عنده مظنة دليل مرجوح أو أنه يقلد عالماً معتبراً، وشاهدنا أن هذا النوع من الاختلاف لا يجوز أن يشهر على أساسه السيف أو يؤدي إلى ا افاة المطلقة وقطع جميع حبال الود، وإنما الأمور بقدر..

ومنه ما يكون عن علمٍ واجتهاد معتبر، لمظنة دليل أو قياس يحتمل أوجهاً من الأفهام والاستنباطات المتباينة المتغايرة، كاختلافات سلفنا الصالح مع بعضهم البعض، وهذا النوع من الاختلاف ينبغي أن يعذر بعضنا بعضاً فيه، مع المحافظة على النصح الجميل الواعي ما أمكن الذي لا يؤدي إلى الشحناء والتباغض، ولو بقي كلّ طرف على رأيه المخالف للطرف الآخر..

فوحدة الأمة واجتماع كلمتها أصل من أصول الدين، لا يفرط به إلا لأصل أعظم منه وأوكد، هذا ما يقتضيه قوله ε: (وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)(1) . وقوله: (لا ما أقاموا فيكم الصلاة)(2) .

فلابد من أن ن ل الأمور منازلها، ونراعي قاعدة اعتبار الأولويات والأهم فالأهم وفق ضابط وميزان الشريعة، ونعطي كلّ شيء حقه من غير جنوح إلى إفراط أو تفريط.

وهنا ننبه أيضاً إلى خطورة الاشتغال بالتصنيف ، وهو داء أمم قبلنا، وداء كثير من الجماعات، فإذا رأيت من شخص ما لا يروق لك أو ما لا يعجبك سارعت بتصنيفه ووضعه ضمن جماعة معينة أو قائمة من القوائم المعدة سلفاً في عقلك، وكأنك فرغت منه وحاولت أن تضع حاجزاً بينك وبينه أن تتعاون معه ، وبينه وبين الآخرين أن يستفيدوا منه بأن تقول هذا من ا موعة الفلانية، أو من الطائفة الفلانية، أو من المدرسة العلانية ، وهذا يكون بغير علم أحياناً ، ويكون ببغي أحياناً كثيرة، ويتم دون أن تعرف ما عند هذا الإنسان على سبيل التفصيل ، ودون أن تعرف من نسبتهم إليه أيضاً ، والحكم في مثل هذا يتطلب تحقيق ثلاث صفات :

أولاً : أن تكون من أهل العلم والرأي والبصيرة والإنصاف .

ثانياً : أن تكون عالماً بما عليه هذا الشخص من الجمل والمبادئ العامة لتتمكن من الحكم فالحكم على الشيء فرع عن تصوره .

---

(1) متفق عليه .

(2) رواه مسلم .

ثالثاً : أن تكون عارفاً بالمدرسة أو الجهة أو الجماعة التي نسبته إليها ، وهذه الأمور مما تنقطع دو ا أعناق المطي ، لكن الكثيرين من أسهل الأمور عليهم إذا رأوا شخصاً وافق أو ظنوا أنه وافق جماعة أو فئة أو طائفة في جزئية معينة صنفوه أنه منهم ثم فرغوا منه وتركوه .

خامساً : نبذ التعصب والتجرد من أي انطلاق غير شرعي

سيبقى شعار توحيد المسلمين في جماعةٍ واحدةٍ شعاراً عزيز المنال، ولا واقع له. بغير هذا الشرط فلا بد أن تكون متابعة الحق وال ول عنده.أحب إلينا من أهوائنا، وآرائنا، وأحزابنا، وأشياخنا، وعشائرنا، ومن أنفسنا ومصالحنا الذاتية، فلا يمنعنا شيء من ذلك عن متابعة الحق ونصرته أين كان، مهما ترتب على ذلك من تبعات..ومتى كان الأمر على خلاف ذلك، فإن الاختلاف والتفرق متحققان

قال تعالى: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم}(1) .

قال الإمام أحمد رحمه الله: الفتنة هي الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم}.

وقيل له: إن قوماً يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان، فقال: أعجب لقومٍ سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته ويدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره! قال الله: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم}، وتدري ما الفتنة؟ الكفر، قال الله تعالى: {والفتنة أكبر من القتل}، فيدعون الحديث عن رسول الله ε وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي؟! (2) .

سادساً : الوحدة الإسلامية لا تنافي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **فإن الله عز وجل مع أمره لنا بالوحدة، أمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، بل إن الله عز وجل جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص خصائص هذه الأمة الإسلامية، قال الله جل وعلا: ﴿كُنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ**

---

(1) سورة النور : 63 .

(2) عن الصارم المسلول لابن تيمية : 56 .

عن المنكر وتؤمنون بالله﴾1 وقد ذكر الله عز وجل هذه الآية بعد قوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾2.

قال القرطبي رحمه الله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمله علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا بعد التناد"3.

فترك الأمر بالمعروف النهي عن المنكر إخلال بواجب من واجبات الإسلام العظام، وتعطيل لأحد شعائره الكبار.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو السبيل إلى الوحدة الحقة، المبنية على الكتاب والسنة، فبه نعرف مواطن الخلل فنتجنبها، وبه يحدث التكامل بيننا، وبه نزداد تمسكاً بمحور وحدتنا وعقيدتنا.

أخرج الطبري بسنده عن قتادة قال: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في حجة حجها رأى من الناس رعة، أي هيئة معينة، فقرأ هذه الآية: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾4 ثم قال: (من سره أن يكون من هذه الأمة، فليؤد شرط الله فيها)5.

عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً: ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه، فلا يستجاب لكم))6.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يسقط من أجل تحقيق الوحدة، بل هو سبيل تحقيق الوحدة، وإنما يسقط في أحوال ثلاثة هي: إذا تكاثرت الفتن، ولم يصبح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فائدة، والثانية: هي العجز الحسي، والثالثة: إذا أدى النهي عن المنكر إلى منكر أعظم منه، أو أدى الأمر بالمعروف إلى مفسدة أكبر من هذا المعروف الذي يؤمر به.

إن اجتماع الكلمة والولاء بين المؤمنين عامة مبني على أصل الإيمان ، وأصل الإسلام ، فكل من ثبت له الإسلام والإيمان ثبت له أصل الإخاء، والإيمان يزيد وينقص، وكذلك الإسلام يزيد وينقص ، فلكل مؤمن ومسلم من الحقوق العامة القدر الذي جاءت به النصوص الشرعية ،

1) آل عمران:110،

2) آل عمران:103

3) تفسير القرطبي (74/4).

4) آل عمران:110

5) تفسير الطبري (102/5).

6) أخرجه الإمام أحمد في المسند وهو حديث صحيح.

ويكمل الحق بكمال الإيمان وكمال الإسلام ، أما ما تراه خطأً يحتاج إلى تصحيح وتصويب؛ فإن الأخوة لا تمنع التصحيح والتصويب والاستدراك المشفق الرحيم الناصح ، والتصويب والتصحيح والاستدراك لا يمنع من القيام بالحقوق الأخرى ، وقد يجتمع في المرء الواحد إيمان ونفاق ، ويجتمع له ولاء وبراء، ولذلك يضرب العلماء ـ مثلاً ـ بالفقير السارق تقطع يده لسرقته ، ويعطى من الزكاة لفقره، ولا ينبغي إقامة أحد الأمرين أعني: (الولاء، والبراء) للمؤمن بتقويض الآخر ، بل يجمع بينهما كما جمع بينهما ربنا قال الله ـ تعالى ـ: (والْمؤمِنونَ والْمؤمِنات بعضهم أَولياءُ بعض)1 فأصل وأسس لقاعدة الإخاء الديني بين المؤمنين، فكل من صح له وصف الإيمان تم له وصف الأخوة، وهكذا الآية الأخرى (إِنما الْمؤمِنونَ إِخوةٌ)2 ثم أصل لقاعدة النصيحة والتصحيح بقوله - سبحانه وتعالى -: (تأمرونَ بِالْمعروفِ وتنهونَ عن الْمنكَرِ وتؤمِنونَ بِاللَّهِ)3 ، فالإيمان لا يمنع النصيحة والإصلاح، والنصيحة والإصلاح لا تمنع أداء حقوق الإخاء الديني بين المؤمنين .

إن التصحيح مطلب ، لكن بالرحمة والشفقة، وبقلب محب ناصح يتحرى الخير، ويؤثر حسن الظن،ويقدم العذر، ويحفظ حقوق الأخوة ،ويجب الحذر من حظوظ النفس الخفية التي قد تحدث فرحاً بالغلط الذي قد يقع من أخيك .

سابعاً : الأخذ بكل الوسائل التي تؤدي للاتفاق

ومن ذلك :

1) الإنصاف مع المخالف:

فإن الاختلاف في الرأي لا يمكن أن يكون مؤدياً إلى فتنة، أو مورثاً لفرقة إلا إذا صاحبه بغى أو هوى كما قال تعالى: (وما اختلَف الَّذِين أُوتواْ الْكِتاب إِلا مِن بعدِ ما جاءهم الْعِلْم بغْيا)(4).

---

1) التوبة: 71

2) الحجرات: 10

3) آل عمران: 110

(4) سورة آل عمران: 19.

والله تعالى مع أمره بعدم موالاة الكفار قال: (ولاَ يجرمنكُم شنآنُ قَومٍ على ألا تعدِلُواْ اعدِلُواْ هو أقْرب لِلتقْوى)(1). قال ابن تيمية: "وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به، فإن كان البغض الذي أمر الله به قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو هوى نفس فهو أحق أن لا يظلم"(2).

وإذا أنصف الإنسان حمله إنصافه على أن يعرف قدر الخطأ، فلا يعطيه أكبر من حقه، كما لا ينسى سابقة قائله، وظروفه التي حملته على فعله، ولا يغيبن عنك فعل حاطب بن أبي بلتعة وكيف أن عقوبته منع من ترتبها عليه مشهده العظيم يوم بدر، قال ابن القيم: "من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يحتمل منه ما لا يحتمل من غيره ويعفى عنه ما لا يعفى من غيره فإن المعصية خبث والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث.. وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم أن من له ألوف الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين وكما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحـد جاءت محاسنه بألف شفيع"(3)

وكذلك قد يكون العالم أو الداعية أو الأمير غير قائم بشيء من أحكام الشرع لعذر، فمن أنصف عذره، وقد ضرب ابن تيمية أمثلة لهذا فذكر النجاشي وأنه لم يعمل بكثير من شرائع الإسلام كالهجرة والجهاد والحج، كما أنه لم يحكم قومه بالقرآن لعدم استطاعته، وذكر مؤمن آل فرعون ويوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر، ثم قال: "وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضياً بل وإماماً وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكن ذلك، بل هناك من يمنعه ذلك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها"(4).

ومن أراد أن يتصور كيفية مراعاة الحال فليتأمل حديث الذي فقد دابته وهو في صحراء، فلما أيقن بالهلاك وجدها، فقال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح)(5). فلم يؤاخذ مراعاة للظرف الذي ألمّ به حال تكلمه.

2) مراعاة المصالح والمفاسد:

---

(1) سورة المائدة: 8.

(2) منهاج السنة النبوية: 127/5.

(3) مفتاح دار السعادة: 177/1.

(4) الفتاوى: 218/19.

(5)أخرجه البخارى (2325/5 ، رقم 5950) ، ومسلم (2105/4 ، رقم 2747) .

إن من قواعد الشريعة تحمل أدنى المفسدتين لدرء أعلاهما، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات وأكبر الأصنام ولا يغيرها، وترك المنافقين ولم يقتلهم مع ثبوت كفرهم لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

والتعامل مع كل مخالف منوط بهذه القاعدة، فلا يسوغ الرد عليه إذا ترتب على ذلك مفسدة أكبر. وقد نهى الله تعالى عن سب آلهة المشركين لما ترتب على ذلك مفسدة أعظم من مصلحة سبها، قال تعالى: (وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)(1). قال ابن القيم: "إن النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذ كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله"(2). وفي امتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن هدم الكعبة شاهد ظاهر لهذا.

وفي هذا المعنى يقول ابن تيمية: "إذا لم يحصل النور الصافي، بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف. وإلا بقي الإنسان في الظلمة فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه، وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية"(3). ولا يمكن تبين المصالح والمفاسد وحقائقها إلا لمشارك في الحال، أما الناظر من بعيد فإنه لا يتصور ذلك على وجهه.

ومراعاة المصالح والمفاسد يتضمن ملاحظة الوقت الذي يعيشه الإنسان، وهل سيتعلق بكلامه أهل الفساد ليكون ذريعة لمآرب سيئة، وهل سيفهم على وجهه أم لا. وذلك كله مبني على قاعدة كبرى، وهي أن الأعمال الشرعية ليست مقصودة لنفسها وإنما قصدت المصالح المترتبة عليها(4).

ومن ذلك قصة موسى -عليه الصلاة والسلام- لما ذهب إلى ربه وترك أخاه هارون مع قومه، وقال له:"اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ"5؛ فعبد بنو إسرائيل -من بعد موسى- عجلاً "وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ"6؛ فنهاهم هارون -عليه الصلاة والسلام- عن ذلك وقال: إنما هذا من الشيطان وإنما فتنتم به، وأمرهم باتباع موسى -عليه الصلاة والسلام-، ولكنه بقي معهم، فلما جاء موسى -عليه الصلاة والسلام-

---

(1) سورة الأنعام: 108.

(2) أعلام الموقعين: 4/3.

(3) الفتاوى: 364/10.

(4) انظر الموافقات: 385/2.

5) الأعراف:142

6) الأعراف:148

ورأى ما رأى غضب "وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه"1، وعاتبه على ذلك: "قالَ يا هارونُ ما منعك إذْ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري"2فكان موسى يعتب على هارون، ويطالبه بموقف آخر مختلف غير الذي فعل؛ فيقول له هارون:"يا بن أم لا تأخذْ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أنْ تقولَ فرقْت بين بني إسرائيلَ ولم ترقُب قَولي"3 أي: أنا نظرت إلى الموضوع من زاوية ثانية رأيت ألاّ أفرق هؤلاء، وأن أبقى معهم حتى تعود وترى فيهم رأيك وأمرك؛ ولهذا قال قتادة عند هذه الآية: قد كره الصالحون الفرقة قبلكم.

فهارون -عليه الصلاة والسلام- كان مأخذه الحرص على بقائهم واجتماعهم حتى يأتي موسى -عليه الصلاة والسلام- فيعالج الأمر بما يراه، مع أنه بذل لهم النصيحة والوسع، فهذا نموذج للاختلاف في معالجة بعض المواقف الطارئة أو المستجدة، أو ما يسمى -لدى الفقهاء- بالنوازل، حتى بين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

وذلك أنه اختلاف اجتهادي إجرائي مبناه على تحصيل مصلحة الإسلام العليا، وليس توحيد الله -تعالى- محل خلاف، بل هو دعوة الأنبياء جميعاً، ولا رفض الشرك وأهله محل خلاف، بل هو جزء من شهادة أن لا إله إلا الله، وإنما الاختلاف جرى في طريقة تحصيل أعلى المصلحتين، ودفع أعلى المفسدتين

ثالثاً: معرفة لغة المتكلم وحقيقة رأيه:

فإذا جهل الإنسان حقيقة قول المتكلم ومقصده من اصطلاحاته حمله على غير مقصوده، ولذا قال ابن تيمية: "وكثير من الناقلين ليس قصده الكذب، لكن المعرفة بحقيقة أقوال الناس من غير نقل ألفاظهم، وسائر ما به يعرف مرادهم قد يتعسر على بعض الناس ويتعذر على بعضهم"(4).

وقال السبكي: "كثيراً ما رأيت من يسمع لفظةً فيفهمها على غير وجهها فيغير على الكاتب والمؤلف ومن عاشره واستن بسنته.. مع أن المؤلف لم يرد ذلك على الوجه الذي وصل إليه هذا الرجل"(5).

ولما ذكر العلماء القوادح في باب القياس جعلوا منها استعمال اللفظ الغامض، وطالبوا المتكلم بإظهار المراد منه ليمكن إبطاله أو التسليم به.

1) الأعراف:150

2) طه: 92، 93

3) طه:94

(4) الفتاوى: 303/6.

(5) قاعدة في الجرح والتعديل: 93.

لعل من هذا الباب ما نقل أن الإمام أحمد قال: ما زلنا نلعن أهل الرأي ويلعنوننا حتى جاء الشافعي فخرج بيننا.

وقد طبق شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الضابط لما تناول قول الجنيد: التوحيد إفراد القدم من الحديث.. فقال: "هذا الكلام فيه إجمال، والمحق يحمله محملاً حسناً وغير المحق يدخل فيه أشياء.. وأما الجنيد فمقصوده التوحيد الذي يشير إليه المشايخ، وهو التوحيد في القصد والإرادة وما يدخل في ذلك من الإخلاص والتوكل والمحبة.. وهذا حق صحيح وهو داخل في التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه"(1).

رابعاً: التثبت:

فالاستعجال في إصدار الأحكام تصرف يوقع صاحبه في الزلل والخطأ، ولذا جاء الشرع بالأمر بالتثبت والتبين كما قال تعالى: (يا أيها الذِين آمنوا إِنْ جاءَكُم فَاسِق بِنبإٍ فَتبينوا أَنْ تصِيبوا قَوماً بِجهالَةٍ فَتصبِحوا علَى ما فَعلْتم نادِمِين) (2). وقال: (يا أيها الذِين آمنوا إِذَا ضربتم فِي سبِيلِ اللهِ فَتبينوا ولا تقُولُوا لِمن أَلْقَى إِلَيكُم السلام لَست مؤمِناً)(3).

والمراد بالتبين: التعرف والتبصر والأناة وعدم العجلة حتى يتضح الأمر ويظهر، وهذا يحصل في النقل والمنقول. فأما النقل فبالتحقق من صدق الناقل وسلامته، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((بئس مطية الرجل: زعموا)) (4).

قال الخطابي: "إنما يقال (زعموا) في حديث لا سند له ولا تثبت فيه، وإنما هو شيء يحكى على الألسن على سبيل البلاغ، فذم صلى الله عليه وسلم من الحديث ما كان هذا سبيله وأمر بالتثبت فيه والتوثق لما يحكيه من ذلك فلا يرويه حتى يكون معزياً إلى ثبت ومروياً عن ثقة" (5). ولعلماء الرواية تقدير رائق في عدم قبول رواية المبهم ولو أ م بلفظ التعديل كقول بعضهم حدثني الثقة أو من لا أ م (6).

ولذا قال ابن تيمية: "من أراد أن ينقل مقالة عن طائفة فليسم القائل والناقل، وإلا فكل أحد يقدر على الكذب"(7).

---

(1) الاستقامة: 92/1.

(2) سورة الحجرات: 6.

(3) سورة النساء: 94.

(4) سنن أبي داود: 4972، مسند أحمد: 119/4، بسند صحيح.

(5) معالم السنن: 130/4.

(6) انظر تدريب الراوي: 205.

(7) منهاج السنة: 413/2.

وأما المنقول فلا بد أن يتثبت الناقد أن المنقول لا وجه له في الصحة يقتضي قبوله، وهذا ما سبق في فهم كلام المتكلم وحقيقة مراده.

خامساً: التخلص من سلطة الأتباع:

فعصا الأتباع مرفوعة على متبوعهم كلما خالف رغبتهم، أو عدل عن تقرير أبوه، أو فتوى أخذ ا، والمتبوع يخشى منهم الإنكار عليه والانفضاض من حوله والتشنيع عليه، وهذه العصا تصد المتبوعين عن التآلف مع من سبق أن كان بينهم نوع خلاف والله المستعان.

سادساً: تعاو م فيما بينهم وتكميل بعضهم بعضا :

فأهل العلم والنصح يعلمون أن دين الله واحد وأنه كل لا يتجزأ، ويدركون أنه لا يستطيع أحد مهما أوتي من علم وقوة أن يقوم بالدين كله، لذلك فهم يسعون لإقامة دين الله، ونشره بين الخلق والأخذ به كله ،مدركين أن ذلك لن يتم إلا بالتعاون والتكاتف، والاستفادة من بعضهم البعض، فهذا يسد ثغرة الجهاد في سبيل الله، وهذا يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يقوم على نشر العلم وبثه بين الناس، وتربيتهم عليه،وهذا ينبري لتربية الشباب،والاهتمام بقضاياهم،وهذا ينبري للرد على الكفار والمبتدعة وأهل الأهواء،وهذا يشتغل بأمور الأخلاق والسلوك،وهذا يهتم بأحوال المسلمين، وهكذا دواليك.

فمع ذلك لا ينكر بعضهم على بعض طالما أن كل واحد يعمل ما في وسعه ومقدوره، فالكل على خير وهدى وسنة .

سابعاً : الأدب في الخلاف :

إن الخلاف مضيق لآراء الناس ومواقفهم .. وعند المضايق يذهب اللب .. وإذا ذهب اللب فلا تسأل عن ضياع حقوق المخالف بل ضياع الحق نفسه في أحيان كثيرة .

فالرأي الذي يعلنه الشخص مرآة لعقله وفكره أو أتباعه أو متبوعيه .. والسائد عند كثير من الناس أن المخالفة والنقد انتقاص لعقله وتسفيه لرأيه وعدوان على محبيه .. وحينئذ يبدأ العدوان على المخالفين .. وهو عدوان ظاهره فيه الرحمة : محبة الحق ، وباطنه فيه العذاب : محبة النفس والانتصار لها .

إن أخطر ما في العلاقة بالمخالف هو كثرة اضطراب الموازين في التعامل معه ؛ مما يؤدي إلى العدوان عليه وظلمه وبخسه حقه ، لاسيما إن كثيراً ممن يتكلم في مخالفه إنما يحدث نفسه ، أو يخاطب من هو على مثل رأيه ؛ فلا يسمع إلا ثناء المعجبين بقوله ؛ مما يزيده ضعفاً في بصيرته .

وقد نبه الحق تبارك وتعالى إلى مثل ذلك في قوله جل شأنه : "يا أيها الذِين آمنوا كُونوا قَوامِين ِللهِ شهداءَ ِبالْقِسطِ ولا يجرِمنكُم شنآنُ قَومٍ على ألا تعدِلُوا اعدِلُوا هو أقْرب ِللتقْوى واتقُوا الله ِإن الله خبِير ِبما تعملُونَ (8)" المائدة .

فأهل السنة قد يختلفون في بعض المسائل الاجتهادية، مع بقاء الألفة والمحبة والمودة فيما بينهم، ومن الأمثلة الرائعة ما أسنده ابن عبد البر إلى العباس بن عبد الملك العظيم العنبري أحد الثقات الحفاظ الكبار، وممن روى عن الإمام أحمد وشاركه في الرواية عن بعض شيوخه، قال :"كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي المديني راكباً على دابة ، فناظر في الشهادة – يريد الشهادة بالجنة للعشرة المبشرين ا – وارتفعت أصوا ما حتى خفت أن يقع بينهما جفا، وكان أحمد يرى الشهادة وعلي يأبى ويدفع، فلما أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه ."

وقد يحتاجون إلى الرد على بعض، ولكن في حدود الأدب واللياقة ، بعيداً عن الإسفاف والصفاقة أو التنقص والغيبة، لأن الله –عز وجل- أمرنا ألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فما الشأن مع المسلمين؟! بل مع خاصة المسلمين من العلماء والدعاة والمصلحين؟! فهم يدينون لله تعالى بسلامة قلو م وألسنتهم لإخوا م المسلمين.

قال الذهبي رحمه الله عن الإمام الشافعي رحمه الله: "ما رأيت أعقل من الشافعي! ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً، وإن لم نتفق

في مسألة"!!هذا هو منهج أهل السنة في الخلاف، لا كما يفعله بعض من خالف منهجهم ممن يمتحن طلبته وأتباعه بأن يكون لهم موقف معادٍ مع من خالفه، فإن لم يوافقه بدع وهجر.

وليس لأحد أن ينسب إلى أهل السنة مثل هذه الفوضى في التبديع والهجر، وليس لأحد أيضاً أن يصف من لا يسلك هذا المسلك الفوضوي بأنه مميع لمنهج أهل السلف، وفي مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله تعالى في جوابه لأهل البحرين: "كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله في قوله تعالى : "يا أيها الذِين آمنواْ أَطِيعواْ اللّه وأَطِيعواْ الرسولَ وأُولِي الأَمرِ ِمنكُم فَإِن تنازعتم ِفي شيءٍ فَردوه ِإلَى اللّهِ والرسول ِإن كُنتم تؤمِنونَ ِباللّهِ والْيومِ الآخِرِ ذَلِك خير وأَحسن تأْوِيلاً" 1، وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين، نعم من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافا لا يعذر فيه، فهذا يعامل

1) النساء:59

معاملة أهل البدع ."فإن في سلوك الأدب تخلصاً من آثار الخلاف السيئة ومنعاً لتضخمها وهذه الآداب كثيرة، منها:

(1) إحسان الظن بالمخالف، فقد أمرنا الله بذلك: (يا أيها الذِين آمنوا اجتِنبوا كَثِيراً مِن الظن إِن بعض الظن إِثْم)(1)، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً))(2).

(2) ومنها الخضوع للحق ولو نطق به الخصم كما قال الشافعي: "ما ناظرت أحداً إلا قلت: اللهم أجرِ الحق على قلبه ولسانه، فإن كان الحق معي اتبعني، وإن كان الحق معه اتبعته"(3). وشاهد هذا من المأثور قبول أبي هريرة لخبر الشيطان الكذوب، وما روى النسائي أن حبراً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون تقولون والكعبة فأمرهم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة.

(3) الستر على المخطئ فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الستر فقال: (ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) متفق عليه. ومن هذا أن يبين الخطأ دون التعرض لشخص المخطئ وهذا

ج أثري منقول في قول المصطفى في كثير من الأحوال: ما بال أقوام.

سابعاً: البحث في وسائل لتجاوز الافتراق:

فإن الاتفاق عمل وليس قولاً ومن اجتهد لبلوغه مع حسن القصد تيسر له أمره، كما قال تعالى: (والذِين جاهدوا فِينا لنهدِينهم سبلَنا)(4) ، وهذه وسائل مقترحة يمكن بتفعيلها تجاوز الفرقة، منها: إيجاد مرجعية تحكم في الخلاف وتفصل فيه ولابد لهذه المرجعية أن تكون سليمة الماضي، نظيفة السجلات حتى تكسب الاحترام والقبول.

وكذلك كثرة اللقاءات بين الأطياف المختلفة لتفعيل الود وكسر الحواجز المصطنعة بينهم بالمؤتمرات والندوات والحوارات والزيارات ونحوها.

ومنها: نشر الكلام عن أدب الخلاف وطريقة التعامل مع المخالف سواء عبر الكتابات والمشافهات، أو من خلال وسائل الإعلام، أو طريقة عملية في تربية النشء في محاضن الدعوة والتعليم.5

---

(1) سور ة الحجرات: 12.

(2) الدر المنثور للسيوطي: 99/6.

(3) قواعد الأحكام: 176/2.

(4) سورة العنكبوت: 69.

5) قواعد في التعامل مع المخالف ، هاني بن عبد الله بن محمد الجبير ، المؤتمر العلمي: العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق جامعة الخرطوم ـ ـ قسم الثقافة الإسلامية 23 ـ ـ 25 جمادى الأولى 1425هـ 10 ـ ـ 12/7/2004م

وهكذا إذا كانت الوحدة مبنية على هذه الأصول الكبار العظيمة، ووفق الفهم الشرعي السليم البعيد عن الانحياز فإنها تكون وحدةً راسخة ثابتة مستقرة لا تتغير بالمتغيرات؛ والمتفقون عليها بمأمن من الخلاف الذي يحدِث الفرقة والانشقاق، بينما بناء الوحدة على غير هذه الأسس أو عليها، ولكن مضافاً إليها شروط، وفروع، وتفاصيل، واجتهادات، ومفردات أخرى يجعل هذه الوحدة عرضةً للخلاف كلما مر جزء من الوقت، وكلما تنوعت الاجتهادات، وكلما كثر الناس، وكبرت عقولهم، واتسع علمهم، وبحثوا وحققوا.

وفي النهاية نود أن نقول: إن وحدة العالم الإسلامي ليس مطلباً فردياً أو شعبيّاً فحسب، ولكنه فرض عين على الأمة الإسلامية وفي مقدمتها حكامها، حيث يجب عليهم العمل الجاد والإرادة السياسية الأمينة في السير نحو تحقيق ذلك.

ونحن نرى أنه ليس من السهولة واليسر تحقيق ذلك، حيث سنجد الكثير من المعوقات التي تقف حيال تحقيق هذه الوحدة.

ولكن إذا خلصت النية لدى الحكام، وتذكروا دائماً واجبهم الوطني والإسلامي نحو أمتهم، وابتعدوا عن الارتماء في أحضان العالم الأجنبي وبعدوا عن التبعية السياسية والاقتصادية، وأصبحوا على قلب رجل واحد لأمكن لهم إقامة هذه الوحدة، وليتذكروا قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [**الأنبياء**: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** ﴾ [**المؤمنون**: ٥٢].

فعلى الدول الإسلامية التعاون والتنسيق فيما بينهم من أجل الوحدة، ولاسبيل لذلك إلا بالتكامل الاقتصادي بينها، وهو السبيل الوحيد والفعال لتحقيق الحلم المنشود على أن يتلافوا تجارب الماضي والتي كانت لا تعدو عن اتفاقيات مكتوبة في الأوراق وليست لها فاعلية في الواقع، خاصة وأن العالم حالياً قد دخل مرحلة جديدة من إعادة تشكيل النظام الاقتصادي والسياسي كما حدث من نتائج عن اتفاقية الجات في جولة أوروجواي، ولا تستطيع الدول الإسلامية مواجهة تلك التغيرات الدولية إلا بكيان اقتصادي كبير، حيث تستطيع أن تواجه باقي الكيانات الاقتصادية الأخرى.

إن الوحدة بين الدول الإسلامية تقضى على ظاهرة التناقض الاقتصادي بين الدول الإسلامية حيث توجد فوائض رؤوس أموال كبيرة لدى بعض الدول غير قادرة على استثمارها، ومن ثم يتم استغلالها لدى دول أجنبية غير إسلامية، بينما توجد دول إسلامية فقيرة لديها القدرة على استيعاب هذه الأموال في استثمارات إنتاجية جادة، تعود بالخير على أصحاب رؤوس الأموال وعلى الدول المستثمرة لها، وبالتالي على العالم الإسلامي أجمع، ومن ثم يزيد الإنتاج وترتفع الكفاءة الإنتاجية وتنخفض الأسعار، ويحدث طفرة تنموية كبيرة، وبذلك يقضي على ظاهرة البطالة التي تعم معظم العالم الإسلامي وتستطيع هذه الدول أن تقف على رجليها وأن تواجه التكتلات الأخرى ويصبح لها – حينذاك – كيان كبير في المحافل الدولية.

كما أن الوحدة بين الدول الإسلامية تنسق بين السياسات المالية

والنقدية والاقتصادية لهذه الدول، ومن ثم توحد هذه السياسات في إطار مصلحة شعوبها وأمتها وبذلك يُقضى على ظاهرة الصناعات الاستهلاكية الخفيفة والمتنافسة بين هذه الدول، وتتطور صناعاتها وإنتاجها إلى الصناعات الثقيلة المتقدمة.

وقد أنعم الله على هذه الأمة بالخير الكثير من الموارد الطبيعية والصناعية والبشرية والمالية، ومن ثم فتوجد لديها جميع مقومات عوامل النجاح في هذه الصناعات وهذا الإنتاج، ولا يبقى سوى النية الصادقة والعزيمة القوية والإيمان بالوحدة في ظل ديننا الحنيف، والله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ...﴾ [الأعراف: ٩٦].

ولا شك أن الوحدة بين الدول الإسلامية تعتبر ضرورة حتمية لإمكانية إدارة الصراع العربي الإسرائيلي والحد من الغزو الأمريكي للدول الإسلامية على نحو يحفظ كيان هذه الأمة ويحمي مصالحها ولا تضطر للدخول في أسواق غير إسلامية لا يستفيد منها العالم الإسلامي وذلك مثل فكرة السوق الشرق أوسطية والتي يعمل العالم الخارجي على إقامتها من أجل مصلحة إسرائيل، وذلك تحت ضغط هذه الدول.

هذا ولا ننسى الصراع الحضاري ما بين إسرائيل والأمة الإسلامية، والفروقات الكبيرة في تطور الإنتاج والإنتاجية وتطور التكنولوجيا والتقدم الصناعي والعلمي والثقافي، ولا يحد من هذه الفروقات سوى التكامل الاقتصادي والوحدة للدول الإسلامية، فلا يجوز للأمة الإسلامية أن تتكاسل في العمل الجدي والبحث العلمي وتطوير التكنولوجيا الحديثة بما يلائم حاجتها وظروفها حتى لا تستمر إسرائيل مركزاً متقدماً للحضارة الغربية داخل الأمة الإسلامية وتظل رأس حربة لهذه الدول، ومن ثم تعمل على استنفاذ طاقاتها بصفة مستمرة وتعوقها عن السير قدماً من أجل التقدم والرخاء والرفاهية لشعوبها.

ونود أن نشير في النهاية بأن مشاكل العالم الإسلامي سواء منها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية يمكن تذليلها والحد منها إذا ما توافرت الإرادة السياسية الحقيقية لحكام العالم الإسلامي وأخلصت النية لله ثم للوطن، وعملت على قيام الوحدة بينها بالأسلوب المناسب على أن يتم دعم هذه الإرادة السياسية بلمِّ الشمل لهذه الأمة وتناسي خلافاتها ومشاكلها.

وعلى الدول الإسلامية وأنظمتها السياسية أن تأخذ عبرة ودرساً يحتذى به من تجربة الوحدة الأوروبية حيث نشأ هذا الاتحاد عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة (السوق المشتركة للفحم والصلب عام ١٩٥١ والاتحاد الأوروبى عام ١٩٥٧ بمعاهدة روما) وجلست ألمانيا وإيطاليا مع فرنسا وهولندا وبلجيكا ولوكسمبورج على مائدة واحدة. أليس في ذلك درس لمن وعى أن مصلحة الشعوب والأمم فوق كل شيء، وأن أعداء الأمس أصبحوا أصدقاء ورفقاء اليوم من أجل تلك المصلحة. وأن ذلك العداء ما كان إلا سحابة صيف افتعلها حكام متهورون ومستبدون، وأن مصلحة هذه الشعوب وهذه الأمم فوق تلك الزعامات الزائفة والغير مخلصة لوطنهم. [1]

وهناك أسباب خارجية كثيرة أدت إلى الانقسام والفرقة بين المسلمين في العصر الحديث. وترجع هذه الأسباب في قدر كبير منها إلى الفترة التي هيمن فيها الاستعمار على بلاد العالم الإسلامي. وعندما رحل ترك مشكلات عديدة كان هو سببًا فيها مثل مشكلات الحدود ، وكانت القاعدة التي على أساسها خطط لسياساته هي مبدأ: " فَرق تسد ". ومن هنا عمل على إحياء العصبيات العرقية بين شعوب البلاد المستعمرة. وقام بنهب خيرات هذه البلاد ، وأدى ذلك إلى إفقارها وتخلفها الحضاري الذي لا تزال آثاره باقية حتى اليوم. ولا تزال معظم شعوب العالم الإسلامي تعانى من المشكلات التي خلفها الاستعمار.وقد انشغل المسلمون بالمشكلات الكثيرة التي خلفها الاستعمار وغفلوا عن تعاليم الإسلام في الوحدة والتضامن.ولكن الشعوب الإسلامية لا تزال تحن إلى وحدة جهودها ، وتضامنها فيما بينها ، وتجميع قواها في سبيل الخير لهذه الشعوب جميعها. ولا يزال المسلم في أي بلد إسلامي يشعر بآلام المسلمين في مناطق العالم المختلفة بوصفه جزءاً من الأمة الإسلامية. وهذا من شأنه أن يعمل على توفير أساس راسخ لمحاولات إعادة التضامن والوحدة بين أقطار العالم الإسلامي ، بمعنى توحيد الجهود والتكامل فيما بينها في ميادين الثقافة والاقتصاد والسياسة والأمن ، وتبادل الخبرات والمنافع ، وكل ما يعود على المسلمين بالخير ، مما يجعلهم أقدر على القيام بدور فعال في ترسيخ قواعد السلام والأمن في العالم كله.

[1])(شلبي)اسماعيل عبدالرحيم شلبي :أهمية وحدة الأمة الإسلامية ومعوقاتها: الطبعة الأولى ،مطابع رابطة العالم الإسلامي1427هـ - 2006م.الصفحات :52،(39-41).بتصرف

الفصل الثاني : جهود علماء المسلمين في جمع أهل القبلة

إن المصلحين من أمراء المسلمين وعلماءهم حريصون كل الحرص على وحدة المسلمين، ولمّ شعثهم، وجمع كلمتهم على الحق، وإزالة أسباب الـ اع والفرقة بينهم، لعلمهم أن الاجتماع رحمة والفرقة عذاب، ولأن الله –عز وجل- أمر بالائتلاف، و ى عن الاختلاف كما في قوله تعالى"يا أيها الذِين آمنواْ اتقُواْ اللّه حق تقَاتِهِ ولاَ تموتن إلا وأنتم مسلِمونَ *واعتصِمواْ بِحبل اللّهِ جمِيعًا ولاَ تفَرقُواْ 1، بخلاف الذين يسعون للفرقة بين المسلمين، ويبذرون بذور الشقاق في صفوفهم، ويحزبو م ويصنفون ويؤلبون بعضهم على بعض بدعاوى وأوهام بعيدة عن الحقائق، .
وخالية من التثبت.

إن مهمة القيام بتوحيد أهل القبلة ،من أعظم ما يوفق إليه أئمة الهدى من هذه الأمة ،وقليل ماهم ،سواء كان ذلك في صف الحكام ، أو عداد العلماء ،ولقد تخيرت من تاريخ العلماء والمصلحين في هذه الأمة ثلاثة أمثلة ، أولها يدل على مثل السلطان الأحق بالأمر من غيره ،فيترك ماله من السلطان حقناً لدماء المسلمين ،وجمعاً لكلمتهم وهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبطه : الحسن بن علي رضي الله عنه

والثاني مثال القائد الذي أدرك أهمية توحيد المسلمين مع نفي الخبث عنهم لمواجهة العدو،وهو صلاح الدين الأيوبي رحمه الله .

والثالث مثال العالم الذي جمع بين نشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ومحاربة المبتدعة المشوهين لصفاء الملة ،مع القيام على مهمة جمع صف أهل القبلة وتوحيد كلمة المسلمين لمواجهة الأخطار،وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

المبحث الأول :السيد الحسن بن علي رضي الله عنه

ثبت في صحيح البخاري وغيره عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال عن الحسن: " إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"2 ..فوقع هذا كما أخبر به

---

1) آل عمران:102-103

2) أخرجه البخاري (2 / 169 و 411 و 4 / 378) وأبو داود (4662) والنسائي (1 / 208) والترمذي (2 / 306) والبيهقي (6 / 165) والطيالسي (874) وأحمد (5 / 37 و 44 و 47 و 49 و 51) من طرق عن الحسن البصري عن أبي بكرة قال : " أخرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال : . ") فذكره وزاد : " ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين " . زاد أصحاب السنن : " عظيمتين " . وقال الترمذي : " حديث حسن صحيح " .

بعد موت الرسول بنحو ثلاثين سنة وهو سنة أربعين من الهجرة لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانتا متحاربتين بصفين عسكر علي وعسكر معاوية1 "2

قال ابن عبد البر : وتواترت الآثار الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الحسن بن علي : إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين3 ، ورواه جماعة من الصحابة ، وفي حديث أبي بكرة4 في ذلك : وأنه ريحانتي من الدنيا ، ولا أسود ممن سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدا5 . وعن أبي بكرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ، والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول : إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين6 ، فهذا الحديث فيه منقبة للحسن رضي الله عنه فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيد . قال ابن الأثير : قيل أراد به الحليم لأنه قال في تمامه : وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين7 . وجاء في تحفة الأحوذي " فيه أن السيادة لا تختص بالأفضل بل هو الرئيس على القوم والجمع سادة وهو مشتق من السؤدد وقيل من السواد لكونه يرأس على السواد العظيم من الناس : أي الأشخاص الكثيرة ولعل الله أن يصلح به بين فئتين - تثنيه فئة وهي الفرقة- 8 ، ووصفه عليه الصلاة والسلام للفئتين بالعظيمتين ، كما في راوية عند البخاري9 ، لأن المسلمين كانوا يومئذ فرقتين فرقة مع الحسن رضي الله وفرقة مع معاوية وهذه معجزة عظيمة من النبي صلي الله عليه وسلم حيث أخبر ذا فوقع مثل ما أخبر ، وأصل القضية أن علي بن أبي طالب لما ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي يوم الجمعة وليلة

---

1)) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي. أبو عبد الرحمن. أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية. صحابي أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة وشهد معه وقعة حنين قربه رسول الله ε وضمه إلى كتاب الوحي، أخذ الخلافة بعد علي بن أبي طالب τ لما تنازل له الحسن بن علي τ ومدة خلافته عشرون سنة بالشام ، توفي بدمشق عن ثمانين سنة ودفن ا وكانت وفاته في رجب سنة 60 هـ .

2) الفتاوى 6/ 91 .

3 مسند أحمد (51/5) والبخاري بنحوه (244/3) .

4) أبو بكرة الثقفي اسمه نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو.وقيل: نفيع بن مسروح..، وقد كان تدلى يوم الطائف من الحصن ببكرة، وأتى إلى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، وكني يومئذ بأبي بكرة.وسكن البصرة، فعن الحسن قال: لم يـ ل البصرة أفضل منه ومن عمران بن حصين.وكان أبو بكرة ممن شهد على المغيرة، فحده عمر لعدم تكميل أربعة شهداء، وأبطل شهادته، ثم قال له: تب لنقبل شهادتك، فقال: لا أشهد بين اثنين أبداً.وكان أبو بكرة كثير العبادة. وكان أولاده رؤساء البصرة شرفاً وعلماً وولاية.قال خليفة: توفي سنة اثنتين وخمسين، وقال غيره: سنة إحدى وخمسين.تاريخ الإسلام 2/ 51.

5 الاستيعاب (437/1) .

6 البخاري ، ـ فضائل الصحابة رقم 3746 .

7 النهاية في غريب الحديث (417/3) .

8 تحفة الأحوذي (277/1) .

9 رواه البخاري ، فضائل الصحابة رقم 3746 .

السبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة وبويع لابنه الحسن بالخلافة في شهر رمضان من هذه السنة وأقام الحسن أياماً مفكراً في أمره ثم رأى اختلاف الناس فرقة من جهته وفرقة من جهة معاوية ولا يستقيم الأمر ، ورأى النظر في إصلاح المسلمين وحقن دمائهم أولى من النظر في حقه سلم الخلافة لمعاوية في الخامس من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ، وقيل من ربيع الآخر وقيل في غرة جمادي الأولى وكانت خلافته ستة أشهر إلا أياماً وسمي هذا العام عام الجماعة وهذا الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم : لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين1 . فالحديث فيه علم من أعلام النبوة ، ومنقبة للحسن بن علي فإنه ترك الملك لا قلة ولا ذلة ولا لعلة بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة وعن سعيد بن أبي سعيد قال : كنا مع أبي هريرة جلوساً ، فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب ، فسلم علينا ، فرددنا عليه ، وأبو هريرة لا يعلم فمضى ، فقلنا : يا أبا هريرة هذا حسن بن علي قد سلم علينا ، فقام فلحقه ، فقال : يا سيدي ، فقلت له : تقول يا سيدي ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنه لسيد2 ، وعن جابر بن عبد الله أنه قال : من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة ، فلينظر إلى الحسن بن علي3 وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين في الجنة جمع غفير من الصحابة ، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك مرة بعد مرة ، أو في محافل جامعة ، وممن جاء عنهم ، عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وجابر بن عبد الله ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، ..وغيرهم4 .

ف ل عن الولاية وأصلح الله به بين الطائفتين وكان هذا مما مدحه به النبي صلى الله عليه و سلم وأثنى عليه ودل ذلك على أن الإصلاح بينهما مما يحبه الله ورسوله ويحمده الله ورسوله5 هذا مع كون الحسن بن علي رضي الله عنه خليفة ،صحت خلافته ببيعة صحيحة كما قال الحافظ بن كثير ـ رحمه الله ـ : والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة6 من طريق سفينة1 مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال : الخلافة بعدي ثلاثون سنة

1 فتح الباري (66/13) .

2 مستدرك الحاكم (169/3) وقال : صحيح ، وأقره الذهبي والطبراني رقم 2596 وقال الهيثمي في ا مع (178/9) رجاله ثقات .

3 صحيح بن حبان (421/15 ، 422) مناقب الحسن ، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية وذكر إسناده وقال لا بأس به .

4 روايات هذه الأحاديث في مجمع الزوائد (183/9) والمعجم الكبير (24/3) الدوحة النبوية الشريفة صـ 81 .

5) الفتاوى 1/ 194

6 البداية والنهاية (134/11) .

ثم تكون ملكاً ، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي2 . وقال شارح الطحاوية : وكانت خـلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً ، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر ، وخلافة الحسن ستة أشهر3 . وقال ابن حجر الهيثمي4 : هو آخر الخلفاء الراشدين بنص جده صلى الله عليه وسلم ، ولي الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة ، فأقام ا ستة أشهر وأياماً ، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقاً لما أخبر به جده الصادق المصدوق بقوله : الخلافة بعدي ثلاثون سنة5 ، فإن تلك الستة الأشهر هي المكملة لتلك الثلاثين ، فكانت خلافته منصوصاً عليها وقـام عليها إجماع من ذكر ، فلا مرية في حقيتها6 .

وأثنى النبي صلى الله عليه و سلم على الحسن ذا الصلح الذي كان على يديه وسماه سيدا بذلك لأجل أن ما فعله الحسن يحبه الله ورسوله ويرضاه الله ورسوله ولو كان الاقتتال الذي حصل بين المسلمين هو الذي أمر الله به ورسوله لم يكن الأمر كذلك بل يكون الحسن قد ترك الواجب أو الأحب إلى الله وهذا النص الصحيح الصريح يبين أن ما فعله الحسن محمود مرضي لله ورسوله وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يضعه على فخذه ويضع أسامة بن زيد ويقول : اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما وهذا أيضا مما ظهر فيه محبته ودعوته صلى الله عليه و سلم فإ ما كانا أشد الناس رغبة في الأمر الذي مدح النبي صلى الله عليه و سلم به الحسن وأشد الناس كراهية لما يخالفه 7

عن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرا ا، فقال له

---

1) سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم قيل كان اسمه مهران وقيل طهمان وغيرهما في واحد وعشرون قولا وكان أصله من فارس فاشترته أم سلمة ثم أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي صلى الله عليه و سلم وقد روى عن النبي صلى الله عليه و سلم وعن أم سلمة وعلي وعنه ولداه عبد الرحمن وعمر وسالم بن عبد الله بن عمر وأبو ريحانة وغيرهم قال حماد بن سلمة عن سعيد بن جهمان عن سفينة كنت مع النبي صلى الله عليه و سلم في سفر فكان بعض القوم إذا أعى ألقى على ثوبه حتى حملت من ذلك شيئا كثيرا فقال ما أنت إلا سفينة وكان يسكن بطن نخلة الإصابة في تمييز الصحابة 3/ 132.

2 البداية والنهاية (134/11) .

3 شرح الطحاوية صـ 545 .

4) ابن حجر الهيتمي (909 - 974 ه = 1504 - 1567 م) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الانصاري، شهاب الدين شيخ الاسلام، أبو العباس: فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته. الأعلام للزركلي 1/ 234.

5 الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (397/2) .

6 المصدر نفسه (397/2) .

7)) الفتاوى 446/3

معاوية، فكان والله خير الرجلين: أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس ؟ من لي بنسائهم ؟ من لي بضيعتهم ؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس، عبد الرحمن بن سمرة[1]، وعبد الله بن عامر بن كريز[2]، فقال: إذهبا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له، وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي ـذا ؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئا إلا قالا: نحن لك به، فصالحه، فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين * وقال البخاري: قال لي علي بن عبد الله: إنما ثبت لنا سماع الحسن بن أبي بكرة ـذا الحديث * وقد رواه البخاري أيضا في فضل الحسن وفي كتاب الفتن عن علي بن المديني[3]، عن سفيان بن عيينة[4]، عن أبي موسى وهو إسرائيل[5] بن موسى بن أبي إسحاق - ورواه أبو داود والترمذي من حديث أشعث، وأبو داود أيضا والنسائي من حديث علي بن زيد بن جدعان كلهم عن الحسن البصري عن أبي بكرة به، وقال الترمذي: صحيح، وله طرق عن الحسن مرسلا، وعن الحسن وعن أم سلمة به، وهكذا وقع

---

1) (ابن سمرة) (...- 50 ه =...- 670 م) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي، أبو سعيد: صحابي، من القادة الولاة.أسلم يوم فتح مكة، وشهد غزوة مؤتة، وسكن البصرة.وافتتح سجستان وكابل وغيرهما.وولي سجستان، وغزا خراسان ففتح ـا فتوحا، ثم عاد إلى البصرة فتوفي فيها. الأعلام للزركلي 307/3.

2) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي بن خال عثمان بن عفان وقال بن منده في الصحابة مات النبي صلى الله عليه و سلم وله ثلاث عشرة سنة كذا قال وهو خطأ واضح فقد ذكر عمر بن شبة في أخبار البصرة أن النبي صلى الله عليه و سلم وعلى آله وسلم وجد يوم الفتح عند عمير بن قتادة الليثي خمس نسوة فقال فارق أحداهن ففارق دجاجة بنت الصلت فتزوجها عامر بن كريز فولدت له عبد الله فعلى هذا كان له عند الوفاة النبوية دون السنتين وهذا هو المعتمد .الإصابة في تمييز الصحابة 16/5

3) ابن المديني (161 - 234 ه = 777 - 849 م) علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء الديني، البصري، أبو الحسن: محدث مؤرخ، كان حافظ عصره.له نحو مئتي مصنف.وكان أعلم من الامام أحمد باختلاف الحديث.ولد بالبصرة، ومات بسامراء. من كتبه " الاسامي والكنى " ثمانية أجزاء، و " الطبقات ". الأعلام للزركلي 4/ 303.

4) (سفيان بن عيينة) * (107 - 198 ه = 725 - 814 م) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدث الحرم المكي.من الموالي.ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي ـا.كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز.وكان أعور.وحج سبعين سنة.قال علي بن حرب: كنت أحب أن لي جارية في غنج ابن عيينة إذا حدث ! له (الجامع) في الحديث، وكتاب في (التفسير). الأعلام للزركلي 3/ 105.

5) إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني السبعي الكوفي الحافظ ولد سنة مائة وتوفي سنة إحدى وستين ومائة وسمع من جده روى عنه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة . قال ابن معين : ثقة وهو أثبت من شيبان في أبي إسحاق . وكذا وثقه غير واحد الوافي في الوفيات 1/ 1176.

الأمر كما أخبره به النبي صلى الله عليه وسلم سواء، فإن الحسن بن علي لما صار إليه الأمر بعد أبيه وركب في جيوش أهل العراق، وسار إليه معاوية، فتصافا بصفين على ما ذكره الحسن البصري، فمال الحسن بن علي إلى الصلح، وخطب الناس وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى معاوية، وذلك سنة أربعين، فبايعه الأمراء من الجيشين، واستقل بأعباء الأمة، فسمي ذلك العام عام الجماعة، لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد1

وتأكدت بذلك سيادة الحسن رضي الله عنه في الدنيا بهذا الصلح العظيم ،مع ماينتظره وأخاه السيد الحسين من عقبى السيادة في الجنة ،عن جابر بن عبد الله أنه قال : من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي2 ، وعن أبي سعيد الخدري قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين3 سيدا شباب أهل الجنة4 وقد نقل إلينا خبر سيادة الحسن والحسين في الجنة جمع غفير من الصحابة ، وما ذلك إلا لإعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك مرة بعد مرة ، أو في محافل جامعة5 ، وقد أثبتت الأيام ومرور الشهور والأعوام على رسوخ صفة السيادة في الحسن وقد بلغت ذروتها في توفيق الله له في عقد الصلح مع معاوية ، وجمع الأمة على كلمة سواء ، فقـد كان الحسن سيداً جليلاً ، ويعلمنا الحسن بأن السيادة لا تكون بالقهر وسفك الدماء ، أو أهدار الأموال والحرمات ، بل السيادة بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء ، فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة التي لا يستطيعها من فكر بالقوة وهو يملك طرفاً منها ، وقد صالح الحسن معاوية وحوله الألوف فيهم من هو طامع مدسوس ولكن فيهم الكثير من المخلصين الأوفياء ، فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم ، أو يخدش مسلم في هذا السبيل ، وإن الرئاسة للأقوام إن لم تكن لصيانتها وحياطتها وحفظها ، وترقيتها ،

1) البداية والنهاية 246/6

2 صحيح ابن حبان (421/15 ، 422) ، مجمع الزوائد (178/9) .

3) الحسين السبط (4 - 61 ه = 625 - 680 م) الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبد الله: السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء،ولد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين.وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرش الامويين.وذلك أن معاوية ابن أبي سفيان لما مات، وخلفه ابنه يزيد، تخلف الحسين عن مبايعته، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه،فأقام فيها أشهرا، ودعاه إلى الكوفة أشياعه (وأشياع أبيه وأخيه من قبله) فيها، على أن يبايعوه بالخلافة، وكتبوا إليه أنهم في جيش متهيئ للوثوب على الامويين.فأجابهم، وخرج من مكة مع مواليه ونسائه وذراريه ونحو الثمانين من رجاله.وعلم يزيد بسفره فوجه إليه جيشا اعترضه في كربلاء (بالعراق - قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح شديدة، وسقط عن فرسه، فقتله سنان بن انس النخعي (وقيل الشمر بن ذي الجوشن) وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق ..واختلفوا في الموضع الذي دفن فيه الرأس فقيل في دمشق، وقيل في كربلاء، مع الجثة، وقيل في مكان آخر، فتعددت المراقد، وتعذرت معرفة مدفنه.وكان مقتله رضي الله عنه يوم الجمعة عاشر المحرم. الأعلام للزركلي 243/2.

4) مستدرك الحاكم (166/3) وقد صح هذا الحديث من أوجه كثيرة .

5) الدوحة النبوية الشريفة صـ 81 .

فهي نوع من الطاغوت الأعمى والتهور الأحمق ، والمغامرة والمقامرة التي تجلب معها الدمار والخراب ، والإذلال واليباب ، وينتهي أصحا ا إلى غضب الله ، ولعنة التاريخ ، وهل تدافع أمواج الدماء البشرية عبر العصور والقرون إلا من الحرص على الرئاسة والسلطان والتكالب على الدنيا1 . وصدق في هذا الإمام الهمام ما قال الشاعر :

في روض فاطمة نما غصنان لم م ينجبهما في النيران سواها
فأمير قافلة الجهاد وقطب دائرة الوئـام والاتحـاد أبنـاها
حسن الذي صان الجماعة بعدما أمس تفرقها يحـل عـراها
ترك الإمامة ثم أصبح في الديار إمـام ألفتها وحسن علاها

وأعجب من ذلك حرصه على وحدة أهل القبلة من المسلمين حتى بعد وفاته ،فقد وصى - الحسن بن علي - أن يدفن عند النبي، صلى الله عليه وسلم، إلا أن تخاف فتنة فينقل إلى مقابر المسلمين، فاستأذن الحسين عائشة فأذنت له، فلما توفي أرادوا دفنه عند النبي، صلى الله عليه وسلم، فلم يعرض إليهم سعيد بن العاص، وهو الأمير، فقام مروان بن الحكم وجمع بني أمية وشيعتهم ومنع عن ذلك، فأراد الحسين الامتناع فقيل له: إن أخاك قال: إذا خفتم الفتنة ففي مقابر المسلمين، وهذه فتنة. فسكت، وصلى عليه سعيد بن العاص، فقال له الحسين: لولا أنه سنة لما تركتك تصلي عليه2.

المبحث الثاني : صلاح الدين الأيوبي

هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر صلاح الدين .

اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من (دوين) وهي بلدة في آخر أذربيجان وأ م أكراد روادية، والروادية بطن من الهذبانية، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد .

يقول أحمد بن خلكان3: قال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين إن على باب دوين قرية يقال لها (أجدانقان) وجميع أهلها أكراد روادية وكان شاذي ـ جد صلاح الدين ـ قد أخذ

---

1 المصدر نفسه صـ 94 .

2) الكامل في التاريخ : ابن الأثير 126/2 وانظر : الوافي بالوفيات 1662/1

3) ابن خلكان (608 - 681 ه = 1211 - 1282 م) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الاربلي، أبو العباس: المؤرخ الحجة، والادب الماهر، صاحب (وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان - ط) وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطا وإحكاما.ولد في إربل (بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة الشرقي) وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها.

ولديه أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج ما إلى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت ومات شاذي ا وعلى قبره قبة داخل البلد .

ولد صلاح الدين سنة 532هـ بقلعة تكريت لما كان أبوه وعمه ا والظاهر أ م ما أقاموا ا بعد ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة، ولكنهم خرجوا من تكريت في بقية سنة 532هـ التي ولد فيها صلاح الدين أو في سنة ثلاث وثلاثين لأ ما أقاما عند عماد الدين زنكي بالموصل ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب وذلك في أوائل سنة أربع وثلاثين .

يقول بن خلكان: أخبرني بعض أهل بيتهم وقد سألته هل تعرف متى خرجوا من تكريت فقال سمعت جماعة من أهلنا يقولون إ م أخرجوا منها في الليلة التي ولد فيها صلاح الدين فتشاءموا به وتطيروا منه فقال بعضهم لعل فيه الخيرة وما تعلمون فكان كما قال والله أعلم .

ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع ولما ملك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي دمشق لازم نجم الدين أيوب خدمته وكذلك ولده صلاح الدين وكانت مخايل السعادة عليه لائحة والنجابة تقدمه من حالة إلى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه تعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد

كانت معركة حطين المباركة على المسلمين في يوم السبت 14 ربيع الآخر سنة 583هـ في وسط ار الجمعة ورحل صلاح الدين طالبا عكا فكان نزوله عليها يوم الأربعاء وقاتل الصليبيين ا بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة 583هـ فأخذها واستنقذ من كان ا من أسارى المسلمين

ولما تسلم صلاح الدين عسقلان والأماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصد القدس المبارك واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل فسار نحوه معتمدا على الله تعالى مفوضا أمره إليه وكان نزوله عليه في يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة 583 وكان تسلمه في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن الكريم فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب كيف يسر الله تعالى عوده إلى المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى وكان فتحه عظيما شهده من أهل العلم خلق ومن أرباب الخرق والزهد عالم وذلك أن الناس لما بلغهم ما يسره الله تعالى على

وسافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام.وعزل بعد عشر سنين.فعاد إلى مصر فأقام سبع سنين، ورد إلى قضاء الشام، ثم عزل عنه بعد مدة.وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي فيها فدفن في سفح قاسيون.يتصل نسبه بالبرامكة. الأعلام للزركلي 1/ 220.

يده من فتوح الساحل وقصده القدس قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف أحد منهم وارتفعت الأصوات بالضجيج بالدعاء والتهليل والتكبير وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وخطب القاضي محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن الزكي .

توفي بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة 589هـ وكان يوم موته يوما لم يصب الإسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وغشي القلعة والملك والدنيا وحشة لا يعلمها إلا الله تعالى[1]

صلاح الدين والوحدة الإسلامية :

لقد سعي صلاح الدين سعياً دؤوباً لوحدة المسلمين على كلمة سواء من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاعتصام بهما ، وأثبت صلاحية الإسلام لتوحيد شعوب مترامية المسكن، مختلفة الأجناس، وصهرهم في بوتقة واحدة، ذلك لأن رابطة الإسلام هي أقوى وشيجة يقول الله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة)[2] ويقول تعالى : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)[3]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أن آل أبى فلان ليسوا بأوليائي أن وليّ الله وصالح المؤمنين ولكن لهم رحم أبلها ببلالها)[4].

إن رابطة البنوة قَصمت بين نوح عليه السلام وابنه عندما انعدمت رابطة الإيمان (إنه ليس من أهلك أنه عملٌ غير صالح)[5]، كذلك رابطة الأبوة بين إبراهيم عليه السلام وأبيه فصمت لما انعدمت رابطة العقيدة (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه أن إبراهيم لأواه حليم)[6]. كذلك لم ينفع أبا لهب وهو العربي القرشي رابطةُ النسب والقوم، وكان من الهالكين لكفره، لكن بلالاً الحبشي، وصهيباً الرومي، وسلمان الفارسي كانوا من خير أبناء هذه الأمة، وهكذا ضمت دائرة الإسلام العرب والفرس والأكراد والترك والبربر والهنود والصين والأفارقة وغيرهم، وجعلت منهم أمة واحدة من دون الناس كما قال عليه الصلاة والسلام، فكان لهم التاريخ الواحد، والمآثر الواحدة، والأفراح والأعياد الواحدة، ولغة الدين الواحدة، وسل التاريخ ينبئك!! فها هم أولئك المماليك الذين حموا هذه البقعة من بلاد الشام وبيت المقدس لم يكونوا من جنس العرب، وإنما كانوا من جنس التتار، ولكنهم قاتلوا حمية للإسلام، وهكذا حمى صلاح الدين هذه البلاد من اندثار العروبة

---

1)وفيات الأعيان أحمد بن خلكان، والقاضي بهاء الدين بن شداد صاحب كتاب "سيرة صلاح الدين" وبن الأثير في كتابه "الكامل"

2الحجرات آية 10.

3الأنبياء آية 92.

4رواه البخاري ومسلم.

5هود آية 36.

6التوبة آية 114.

والعرب واللغة العربية، وهو كردي لا عربي، ولكن حفظ لها عروبتها ولغتها حين حفظ لها إسلامها من غارة الصليبيين، وكان الإسلام في ضميره هو الذي كافح الصليبيين كما كان الإسلام في ضمير بيبرس والمظفر قطز.

كان "صلاح الدين" يحزن للوجود الصليبي في بلاد الشام ، ويبكى أَلَمًا لأن مدينة القدس لا تزال محتلة .. ولكن كيف السبيل إلى إخراج هؤلاء المحتلين ؟ كان "صلاح الدين" يعرف الإجابة التي تتلخص في عبارة واحدة هي "الوحدة الإسلامية".

وقد بدأ "صلاح الدين" حكمه بالعدل بين الناس ، وبإعداد الجند وتدريبهم أحسن تدريب ، وبث فيهم روح الجهاد والثقة في نصر الله لتحقيق حلم الوحدة الإسلامية.. وكانت البداية أن استنجدت به مدينة "دمشق" ، فتحرك إليها ، وتمكن من السيطرة عليها وضمها إلى" مصر" كما ضم "حماة" و"بعلبك" و"حلب" وهذه الوحدة الإسلامية استغرقت من "صلاح الدين الأيوبي" أكثر من عشر سنوات من الجهد الشاق والعمل الجاد من سنة (570هـ = 1174م) حتى سنة (582هـ = 1186م) ، وفى أثناء ذلك لم يدخل في حروب مع الصليبيين حتى تكتمل خطته في الإعداد لمحاربتهم .

وقد تمثلت وسائله لإقامة الجبهة الموحدة بقيادته في عدة أمور بالإضافة إلى اعتماده على المؤسسة العسكرية الأيوبية التي أوجدها .

حيث كان يصدر قرارات الأمان لكل من يستسلم بدون قتال على شرط أن تكون العساكر واحدة عند النصرة على العدو الخارجي كما حدث ذلك لحصن كيفا مثلاً.

وكان صلاح الدين يلقى بواسطة السهام رقاع يكتب عليها عبارات الترغيب والترهيب إلى داخل الحصون الممتنعة لدفع أهلها إلى طلب الاستسلام بعدما يحدث في صفوفهم اضطرابا نفسياً.

كان صلاح الدين يظهر للمدينة القوية الحصينة، بأنه إنما جاء يسكن بقر ا وأنه عازم على الاستقرار بجوارها، بعد أن يحاصرها دون أن يعمد إلى الهجوم المباشر عليها، مما يدفع بمن داخل الحصن أو المدينة إلى طلب الأمان أو السعي من أجل الوصول إلى الصلح لدفع فوات صلاح الدين الضخمة من قرب البلد، لأ ا إن استمرت البلد سوف تلحق أضراراً كبيرة به، وهذا هو الذي حصل فعلاً عن حصار الموصل في المرة الثالثة سنة 581هـ .

وفي بعض الأحيان كان صلاح الدين يقدم تنازلات ويمنح الأموال الوفيرة لأمراء بعض الحصون في سبيل فتح حصو م دفعاً، للقتال، كما حدث ذلك عند محاصرته حصن حارم وميافارقين.

وأحياناً أخرى كان صلاح الدين يقدم تنازلات ويمنح الأموال الوفيرة لأمراء بعض الحصون في سبيل فتح حصو م دفعاً للقتال، كما حدث ذلك عند محاصرته حصن حارم وميافارقين.

وأحياناً أخرى كان صلاح الدين يلجأ إلى الأساليب السياسية فيعمد إلى التحالف مع بعض الأمراء الآخرين ليضعف من قوى الخصم ويدفعه إلى طلب الاستسلام، وقد جرب صلاح الدين هذا الأسلوب بتحالفه مع عماد الدين أمير سنجار أخيه عز الدين مسعود أمير الموصل.

وبالأساليب السابقة وباستخدام الحرب أحياناً أخرى تمكن صلاح الدين من أن يتم الوحدة ويعد العدة ليبدأ بمرحلة التحرير.

تتمثل السمات العامة في جهود صلاح الدين الوحدوية في عدة أمور منها:

الكرم بالمال واحتقاره: ويظهر في كثرة ما وهب وأعطى لأتباعه وللوافدين عليه أو المستسلمين لحكمه، أو الموعودين منه بالعطاء، ومسامحته لجميع البلاد التي فتحها بديون الضرائب السابقة، وإلغاء المكوس والمظالم عدا الجبايات الشرعية، ولا شك أن ذلك لعب دوره في اجتذاب الناس إلى صفوفه وفي إسكات خصومه.

خلقه السمح: فكان يحارب المعادين لقيام الجبهة، فإذا هزمهم لم يسمح باللحاق م، ولا بقتل جرحاهم، ويطلق أسراهم ويتسامح أحياناً مع من يعرف أ م أعداؤه ولا يظهر ذلك بل يغض على بصيرة؛ لأنه يريدهم أن يكونوا بعد الخصومة حلفاء له.

إيمانه الإسلامي العميق: الذي كان يتمثل لا في العبادات فقط، ولكن في الإيمان بأن الجهاد فريضة عليه أولاً وعلى الآخرين، فهو لا يرضى إلا بحملهم عليه.

ترك الأمراء لإمارا م: أو إطعامها لقواده والمقربين أو للأعداء أحياناً لأنه لا يريد بعد ملك مصر وجنداً يقدمون له القوة اللازمة عند الطلب، وهذا ما يفسّر تنازلاته ومفاوضاته الدبلوماسية ومنحه الأمان لمن يعاديه.

لم يظهر في البيت النوري خاصة ولا في أمراء نور الدين الآخرين شخصية سواه قوية قادرة على أن تحقق المباديء الذي يعمل عليها نور الدين وأبوه من قبله.

محاولته بجانب كسب الجمهور الإسلامي: كسب رضي الخليفة العباسي الذي ظل يؤمن أنه مصدر الشرعية الروحية لجميع المسلمين فكان يواليه بالكتب تباعاً بمختلف المواقف يفسرها أحياناً، ويتهم خصومه أحيانا أخرى ويستأذن ثالثة ويبشّر رابعة دون انقطاع... وإذا نظرنا إلى صلاح الدين نجده قد ارتبط بالخلافة العباسية نتيجة ارتباطه بالزنكيين، فزعيم الزنكيين نور الدين محمود كان محباً للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله لاقتناعه بعقيدته السنية ولذلك فقد حرص على تأييده واحترامه، وبادله الخليفة مشاعره هذه بإرساله الخلع والتشريفات له، وحض أمراء الولايات على مساندته ضد الصليبيين ، من ذلك بدأ صلاح الدين علاقة جيدة مع الخليفة

العباسي حينما كان وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد[1] عام 567هـ/1171م وخطا صلاح الدين خطوة هامة في علاقته بالعباسيين حينما قطع الخطبة للخليفة الفاطمي وأقامها للعباسيين على منابر مصر، معبراً عن طاعته وولائه للخليفة العباسي ، ولما مات نور الدين محمود، واستغل الصليبيون حالة بلاد الشام المضطربة وهاجموها، أرسل صلاح الدين إلى الخليفة العباسي، يصور له الأوضاع في بلاد الشام السياسية، وهجوم الصليبيين على بلاد المسلمين، ويبين جهوده في إ اء الخلافة الفاطمية في مصر، وإعادة الخطبة للعباسيين وتصديه للصليبيين عندما هاجموا الإسكندرية في مصر، وأسباب ضمه لليمن وبعد هذه الرسالة المطولة التي عدد فيها إنجازاته التي تؤكد إخلاصه وولاءه للخليفة العباسي، طلب منه أن ينعم عليه بتقليد يشمل مصر والمغرب واليمن والشام، وكل ما تشتمل عليه ولاية نور الدين وكل ما يفتحه الله للدولة بسيوفنا، وسيوف عساكرنا ولم نقيمه من أخ وولد من بعدنا، تقليداً يضمن للنعمة تخليداً مع ما ينعم به من السمات التي يقتضيها الملك .

كانت هذه الرسالة من صلاح الدين وما نتج عنها نقطة تصب في بناء صرح دولة صلاح الدين، فقد استجاب الخليفة لمطالبه وأنعم عليه بحكم مصر والشام وقد رأى فيه الخليفة العباسي شخصية تملأ فراغ نور الدين محمود بعد وفاته، مما جعله يعترف له بالسلطنة لأنه أصبح في نظره الشخصية الوحيدة التي يمكن أن تدافع عن المسلمين وقد ساهم هذا التقليد وغيره، مثل إرسال دار الخلافة له عندما كان يحاصر حماه في عام 570هـ/1174م تحمل إليه التشريفات والتقليد والتمليك والتفويض، ساهم كل هذا في إضفاء المهابة على صلاح الدين أمام أمراء المسلمين وكذلك الصليبيين الذين أقلقهم صعود نجمه وهذه العلاقة الطيبة مع الخلافة العباسية، أفادت صلاح الدين في صراعه مع الأمراء المسلمين المناوئين له والمتطلعين للسلطة وخاصة الزنكيين لذلك كان دائماً ما يطلع الخلافة على إنجازاته وانتصاراته ويحيلها إلى مفهوم حرصه على الخلافة وولائه وانتمائه لها والمحافظ على وجودها ، وكانت العلاقة في عهد الخليفة المستضيء متميزة.

ولما توفي الخليفة العباسي المستضيء بالله وخلفه ابنه أبو العباس أحمد، الذي تلقب بلقب الناصر لدين، بايعه صلاح الدين وأرسل رسولاً إلى بغداد للتعزية بوفاة والده والتهنئة له بمناسبة توليه مهام الخلافة استمر في طاعته، ومراسلة الخليفة، وإطلاعه على إنجازاته وأعماله أولاً بأول وخاصة معركة حطين، وخاطبه قائلاً: الخادم يشرح من نبأ هذا الفتح العظيم، والنصر الكريم،وثق الخليفة بصلاح الدين، وقدر له هذا الإخلاص، في صور هدايا أرسلها له بعد فتح بيت المقدس، ومن جملة هذه الهدايا لوحاً منقوشاً عليه بعض الآيات والكلمات لتعليقه على باب بيت المقدس قال فيه: أجري هذا الفتح على يد محي دولته وسيف نصرته والقائم بطاعته، المخلص في عبوديته وا اهد

(1)

تحت رايته، يوسف بن أيوب، معين أمير المؤمنين. وقد حاول الوشاه الإيقاع بين الخليفة وصلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين ، يأتي الحديث عن ذلك في محله بإذن الله.1

وتلخص من كل ذلك إلى أن قوة صلاح الدين إنما كانت بالتلاحم بينه وبين الجماهير الإسلامية من خلال أعماله وجهاده وبوقوفه بالدفاع عن مطالب الجماهير المتمثلة في حماية دينها وعقيد ا والتصدي للغزاة وإذا حارب صلاح الدين بعض حكام المسلمين، فإنما حارب فيهم مصالحهم الشخصية الخاصة وسياد م وأنانيا م الصغيرة التي تدمر أحلام الناس لا أشخاصهم وقد قضى في إقامة الجبهة الإسلامية الموحدة اثني عشرة سنة (570هـ-582هـ/1174 – 1186م) وكانت طموحاته خلالها أضخم بكثير من قوى جسمه وأمراضه، فهو عملاق حربي وكتلة أمراض جسدية، وكان حبه للجهاد هو الذي ينسيه الآمه ويجعله يتجاوزها.

مما تحدثنا به الأحداث والوقائع ندرك بسهولة ويسر أن شخصية نور الدين وشخصية صلاح الدين قد تكاملت جهودهما في توحيد الأمة على الجهاد والتحرير وقد وفقهما الله لذلك وجاء صلاح الدين رحمه الله وهو قائد من قادة نور الدين زنكي2 وأمير من أمرائه ليكمل مسيرة نور الدين محمود في توحيد الأمة الإسلامية وجمعها على الإيمان والولاء لله ولرسوله والذين آمنوا

---

1) صلاح الدين الفارس ا اهد والملك الزاهد ص 145. صلاح الدين الفارس ا اهد ص 46 كتاب الروضتين (327/2). تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام ص 56. البداية والنهاية (553/16). الكامل في التاريخ (446/9 – 447). سير أعلام النبلاء (183/21).

2) العادل نور الدين (511 - 569 ه = 1118 - 1174 م) محمود بن زنكى (عماد الدين) ابن أقسنقر، أبو القاسم، نور الدين، الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر.وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم.كان من المماليك (جده من موالى السلجوقيين).ولد في حلب وانتقلت إليه إمار ا بعد وفاة أبيه (541 ه) وكان ملحقا بالسلاجقة، فاستقل.وضم دمشق إلى ملكه مدة عشرين سنة.وامتدت سلطنته في الممالك الاسلامية حتى شملت جميع سورية الشرقية وقسما من سورية الغربية، والموصل وديار بكر والجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وجانبا من اليمن.وخطب له بالحرمين.وكان معتنيا بمصالح رعيته، مداوما للجهاد، يباشر القتال بنفسه، موفقا في حروبه مع الصليبيين، أيام زحفهم على بلاد الشام.وأسقط ما كان يؤخذ من المكوس، وأقطع عرب البادية إقطاعات لئلا يتعرضوا للحجاج.وهو الذى حصن قلاع الشام وبنى الاسوار على مد ا، كدمشق وحمص وحماة وشيزر وبعلبك وحلب.وبنى مدارس كثيرة منها (العادلية) أتمها بعده العادل وبعض عارفيه.أخو صلاح الدين، و (دار الحديث) كلتاهما في دمشق، وهو أول من بنى دارا للحديث.وبنى الجامع (النوري) بالموصل، والخانات في الطريق، والخوانق للصوفية.وكان متواضعا مهيبا وقورا، مكرما للعلماء ينهض للقائهم ويؤنسهم ولا يرد لهم قولا، عارفا بالفقه على مذهب أبى حنيفة، ولا تعصب عنده.وسمع الحديث بحلب ودمشق من جماعة، وسمع منه جماعة.وكان يجلس في كل أسبوع أربعة أيام يحضر الفقهاء عنده ويأمر بإزالة الحجاب حتى يصل إليه من يشاء، ويسأل الفقهاء عما يشكل عليه.ووقف كتبا كثيرة.وكان يتمنى أن يموت شهيدا، فمات بعلة (الخوانيق) في قلعة دمشق، فقيل له (الشهيد) وقبره في المدرسة (النورية) وكان قد بناها للاحناف بدمشق.ولمحمد بن أبى بكر ابن قاضى شهبة كتاب (الدر الثمين - خ) في سيرته، ولابي شامة كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين - ط) في سيرته وسيرة السلطان صلاح الدين، ودولتيهما. الأعلام للزركلي 7/ 170.

والبراءة من أعداء الله ورسوله والمؤمنين وقتال الصليبيين وطردهم من بلاد المسلمين و ض بالأمة علمياً وشرعياً وجهادياً فأقام الحدود والقصاص والتعزير وقضى على الظلم والفساد ثم انطلق بعد أن هيأ الأمة الموحدة للجهاد في الشام ومصر والحجاز والعراق واليمن ليغزو الفرنجة ويطردهم من بلاد المسلمين وكان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله يعلن أنه أخذ كثيراً من أخلاق نور الدين وبخاصة عدله في الحكم وجهاده وقال رحمه الله في عدل نور الدين وأخذه عنه تعقيباً على عدل نور الدين مع من أساء إليه هذا هو الحق وكل ما ترى فينا من عدله فمنه تعلمناه ، وقال أبو شامة في تكامل الشخصيتين فلله درهما من ملكين قد تعاقبا على حسن السيرة وجميل السريرة وهما حنفي وشافعي، شفى الله ما كل عي، نور الدين أصل ذلك الخير كله مهد الأمور بعدله وهيبته في جميع بلاده، مع شدة الفتق واتساع الخرق، وفتح من البلاد ما استعين به على مداومة الجهاد، فهان على من بعده على الحقيقة سلوك تلك الطريقة، لكن صلاح الدين أكثر جهاداً وأعم بلاداً، صبر وصابر ورابط وثابر، وذخر الله له من الفتوح أنفسه وهو فتح الأرض المقدسة، فرضي الله عنهما أحقهما بقـول الشـاعر كم ترك الأول للآخر وقال عماد الدين الكاتب[1] في نور الدين وصلاح الدين : فهما جدداً الإسلام بعد دروسه وشيداً بنيان التوحيد بعد طموسه، ثم أيد الله الإسلام بعدهما بالملك الظاهر ركن الدين[2]

توحيد الأمة عن طريق القوة:

إن الوقائع والأحداث جاءت بأن المسلمين عند بدء الحروب الصليبية كانوا متفككين، وكانوا دولاً متنازعة، وإمارات متحاربة، فجاء نور الدين زنكي يجمع الأمة على الجهاد ويوحدهما بمخاطبتها بالدليل الشرعي في الوحدة والاعتصام بحبل الله والاجتماع على قتال الصليبيين لتطهير المقدسات وقد بينت الأحداث أن توحيد الأمة لا يقف عند أمنية الناس والشعوب، ولا عند

---

1) العماد الأصفهاني الكاتب أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله المعروف بابن أخي العزيز الملقب عماد الدين، الكاتب الأصبهاني.كان العماد المذكور فقيهاً شافعي المذهب، تفقه بالمدرسة النظامية زماناً، ولم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة م لته إلى أن توفي السلطان صلاح الدين، رحمه الله تعالى، فاختلت أحواله وتعطلت أوصاله، ولم يجد في وجهه باباً مفتوحاً، فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف، وقد ساق في أوائل " البرق الشامي " طرفاً من ذلك. وتقد في ترجمة ابن التعاويذي ما دار بينهما في طلب الفروة والرسالة والقصيدة وجوا ما.وكانت ولادته يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة، وقيل في شعبان، سنة تسع عشرة وخمسمائة بأصبهان. وتوفي يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق، ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر، رحمه الله تعالى. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان5/ 148.

2) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية (3) د. علي محمد محمد الصلابي .. بتصرف .

رغبتهم فيها، بل يتعداها إلى وجود حكام مخلصين مؤمنين موحدين يرغبون من كل قلو م بتوحيد الأمة ويترجم هذه الرغبة جهود عملية مضنية من هؤلاء الحكام، وجهاد مستمر يبذل فيه الأنفس والأموال، بل ويتعدى ذلك إلى استخدام أسلوب القوة والحرب مع دعاة الانفصال والتمزق والتفرقة وبغير هذا لا يقوم توحيد ولا وحدة، فلا غرور بعد هذه المقدمة الموجزة أن نجد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي وأسرة زنكي إجمالاً وكذلك الأسرة الأيوبية وفي مقدمتها صلاح الدين الأيوبي قد حملوا راية التوحيد، توحيد الأمة لتكون صفاً في وجوه أعدائها الغازين، ووحدوها على الجهاد في سبيل الله، لقد وحدوها وحزموا كل الحزم في سبيل توحيدها فقاتلوا قتالاً مريراً وحاربوا حروباً كثيرة حتى فتحوا البلاد وطوعوها وطوعوا أمراءها للوحدة، كان الخطاب لهؤلاء الأمراء واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار وكان حازماً كل الحزم، لا هوادة فيه ولا تراجع، أما الاستجابة للوحدة وإما العزل عن الحكم والإمارة ، وقد وجه صلاح الدين الأيوبي سنة 580هـ قبل حطين وقبل تحرير القدس خطابا إلى زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك[1] بإربل وما يجري معها من البلاد والقلاع وجاء فيه : إنّ الله مكن لنا في الأرض ووفقنا في إعزاز الحق وإظهاره لأداء الفرض، رأينا أن نقدم فرض الجهاد في سبيل الله، فنوضح سبيله، ونقبل على أعداء الدين وننصر قبيله وندعو أولياء الله من بلاد الإسلام إلى غزو أعدائه ونجمع كلمتهم في رفع العليا في أرضه على استـ ال نصره في سمائه، فمن ساعدنا على هذه الفريضة واقتناء هذه الفضيلة يحظى من عوارفنا الجزيلة بحسن الصنيعة ونجح الوسيلة، ومن أخلد إلى الأرض واتبع هواه وأعرض عن حق دينه بالإقبال على باطل دنياه فإن تاب ورجع قبلناه، وإن أصر على غوايته أزلنا يده وعزلناه.

وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه، فالمسلمون ليسوا أمة واحدة وليس لهم دولة واحدة تحكمهم وتدبر أمور حيا م ولكنهم فرق تفرقوا شذر مذر، قد آلت الأحوال م إلى أسوأ مما كانت في

---

1) الأمير علي كوجك التركماني، وهو زين الدين صاحب إربل.أحد البطال الموصوفين، والفرسان المذكورين. وكوجك معناه: لطيف القد؛ لقب بذلك لأنه كان قصيراً.وكان معروفاً بالقوة المفرطة والشهامة. قال ابن الأثير: فارق زين الدين علي خدمة صاحب الموصل قطب الدين مودود، وسار إلى إربل. وكان هو الحاكم في الدولةوكان قد أصباه طرش، وعمي أيضاً. فلما عزم على مفارقة الموصل إلى إربل سلم جميع ما بيده من البلاد إلى مودود، سوى إربل.وكان شجاعاً، عادلاً، حسن السيرة، سليم القلي، ميمون النقيبة، لم ينهزم في حرب قط، وكان جواداً، كثير العطاء للجند وغيرهم.مدحه الحيص بيص بقصيدة، فلما أراد أن ينشده قال: أنا ما أعرفك ما تقول، ولكن أعرف ما تريد. إنه يريد شيئاً. وأمر له بخمسمائة دينار وفرس وخلعة.ولم يزل بإربل إلى أن مات ا هذه السنة. ولما فارق قلعة الموصل وليها الخادم فخر الدين عبد المسيح مملوك أتاب زنكي.قال ابن خلكان: توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين.قال: ويقال إنه جاوز المائة؛ وهو والد مظفر الدين. تاريخ الإسلام 8/ 455.

الحروب الصليبية التي نتحدث عنها وأصبحت بلادهم بة لأعدائهم وخيرا م ليست لهم، بل وفرضت عليهم مناهج الأعداء وقوانينهم.

إن الإسلام يوجب على دعاة الوحدة أن يجاهدوا دعاة الفرقة ويحملوهم على ذلك إلى أن يذهب م ويؤتي بغيرهم والله غني عن العالمين .

لما رفض حاكم دمشق استقبال صلاح الدين كارهاً للوحدة والجهاد ضد الصليبيين لم يقبل أهل دمشق منه هذا التخاذل واستقبلوا صلاح الدين وجيش صلاح الدين وأصبح النفوذ والحكم لصلاح الدين ا اهد ومن معه وها هو ذا المملوك سرخك حاكم قلعة حارم من أعمال حلب قد امتنع عن تسليمها لصلاح الدين الأيوبي وقد راسله في ذلك توحيداً لقوة المسلمين في جهاد الصليبيين فأبى وأرسل الصليبيين ليحتمي م ضد صلاح الدين، فسمع من معه من الأجناد أنه يراسل الصليبيين، فخافوا أن يسلمها إليهم وقبضوه وحبسوه، وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الأمان والإقدام، فأجا م إلى ما طلبوا، وسلموا إليه الحصن.

الوحدة بين مصر والشام وأهميتها:

إن الاتحاد بين مصر والشام له أثره الحسن على المسلمين، فهذا يشكل جبهة حربية وقاعدة شعبية عريضة وقوية في التصدي للصليبيين إذا أرادوا غزو أي بلد من البلاد في مصر وفي الشام، فكان إذا اعتدي على أي بلد في مصر هبت جيوش الشام بمساعدة المعتدى عليهم في مصر وذلك إما بإرسال الجيش الشامي للقتال جانب المسلمين في مصر أو بالقيام بالجيش الشامي بفتح جبهة أخرى ضد الصليبيين لتفريق قو م وتخفيف الضغط على إخوا م وهكذا إذا حدث العدوان على أي بلد من بلاد الشام، يهب الجيش المصري بنجدة إخوا م على أرض الشام وسيرة صلاح الدين وضحت كيف كان يتعاون الجيش المصري مع الجيش الشامي للتصدي للصليبيين وبخاصة في فتح عسقلان والمدن الساحلية أو الدفاع عنها وقد تمكن صلاح الدين من تحقيق الوحدة أحياناً بالدبلوماسية، وبالتهديد والترهيب أحياناً أخرى، وبالعمل العسكري المحدود في بعض الأوقات، من تحقيق وحدة مصر وبلاد الشام والقسم الأكبر من بلاد شرق الفرات تحت سيادته وقيادته، وإلزام بقية القوى حتى حدود بلاد العجم بالمشاركة في الجهاد ضد الصليبيين وأتم ذلك دون تعطيل الجهاد، إذا استمرت العمليات العسكرية الهجومية بقيادته هو بنفسه أو بقيادة أمرائه من القاعدة الرئيسية في دمشق.

هذا وكان القاضي الفاضل[1] العالم الكبير المؤثر في دولة صلاح الدين وكان صلاح الدين يشاوره ولا يقطع أمراً دونه ولا يخفى عنه مكنونه ولا ضميره ولا مكنونه ، وكان قلم القاضي يحقق الانتصارات الإعلامية والسياسية والفكرية للدولة الأيوبية سواء في تواصله مع ا لخليفة العباسي، كما مر معنا أو التواصل مع الأمة الإسلامية من خلال موسم الحج وكان صلاح الدين يسند إليه مهام إدارية واجتماعية واقتصادية وأمنية بمصر فيقوم ا على خير مقام وكان يراسله ويستفتيه في كثير من الأمور وهذه بعض فصول كتب وردت من القاضي الفاضل صلاح الدين وهو بالشام.

صلاح الدين وتأديب الإسماعيلية:

نقم الشيعة الباطنية (الحشاشون) على صلاح الدين لأنه أسقط الخلافة الفاطمية، وتقدم لبلاد الشام لتوحيده، وضّمه إلى مصر مما يشكل ديداً لكيا م، فتعاون راشد الدين مع كل من الصليبيين والزنكيين للقضاء عليه ، وراشد الدين، كبير الإسماعيلية وطاغو م وهو أبو الحسن سنان بن سلمان بن محمد البصري الباطني، صاحب الدعوة ال ارية ، كان ذا أدب وفضيلة، ونظر في الفلسفة وأيام الناس وفيه شهامة ودهاء ومكر وغور. وقال عنه الذهبي : وكان سخطة وبلاء متنسكاً متخشعاً واعظاً وكان يجلس على صخرة لا يتحرك منه سوى لسانه، فربطهم وغلوا فيه، واعتقد منهم فيه الإلهية فتبا لهم ولجهلهم، فاستغواهم بسحر وسيمياء، وكانت له كتب كثيرة ومطالعة وطالت أيامه[2] ففي عام 570هـ/1174م عندما توجه صلاح الدين الملك الصالح إسماعيل إلى رشيد الدين، يطلب مساعدته وبذل له أموالاً كثيرة، وعدداً من القرى، ثمناً لقتل صلاح الدين والواضح أن مصلحة مشتركة قد جمعت الطرفين هي العداء صلاح الدين، أرسل رشيد الدين سنان جماعة من أتباعه الفدائيين إلى المعسكر الأيوبي فاكتشفهم أمير يدعى خمارتكين، فقتلوه، ووصلوا إلى خيمة صلاح الدين في جوف معسكره، وحمل عليه أحدهم ليقتله، فقتل دونه، واستبسل الباقون في الدفاع عن أنفسهم قبل أن يقتلوا جميعاً، ومن المستبعد أن يكون تحريض كمشتكين هو الدافع الأساسي والوحيد لرشيد الدين، للقيام بتلك العملية، لأنه كان يعمل لأسباب خاصة به، وهو أن صلاح الدين، منذ أن دخل بلاد الشام، أضحى العدو الرئيسي للحركة، لأنه كان يعمل على توحيد أهل السنة هناك الذي من شأنه أن يهدد كيان حركته[3].

1) عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج بن أحمد القاضي الفاضل محيي الدين أبو علي ابن القاضي الأشرف أبي الحسن اللخمي البيساني الأصل العسقلاني المولد المصري الدار صاحب ديوان الإنشاء ووزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . ولد في نصف جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمس مائة وتوفي سنة ست وتسعين وخمس مائة رحمه الله.الوافي في الوفيات1/ 2626.

2) سير أعلام النبلاء (185/21).

3) تاريخ الأيوبيين ص 97.

لم يتوقف رشيد الدين عن محاولات اغتيال صلاح الدين رغم فشل المحاولة الأولى، بل زاد تصميمه فأرسل في ذي القعدة عام 571هـ/أيار عام 1176م جماعة من أتباعه يتنكرون في زي الجنود، فدخلوا المعسكر الأيوبي أثناء حصار قلعة عزاز، وباشروا الحرب مع جند صلاح الدين واختلطوا م يتحينون الفرصة لقتل صلاح الدين وفيما كان الجند مشغولون بحصار القلعة، مر صلاح الدين بخيمة الأمير جاولي الأسدي لتشجيع الجند على مواصلة القتال، فهجم عليه أحد الإسماعيلية وضربه بسكينه على رأسه، إلا أن صلاح الدين كان يلبس خوذته الحديدية فوق رأسه، فعاد الرجل وضربه على خدّه فجرحه، فأمسكه صلاح الدين بيده وحاول تعطيله وهو مستمر في هجومه وضربه إلى أن أدركه الأمير سيف الدين يازكوج وقتله، ثم هجم فدائي ثاني على صلاح الدين، فتصدى له داوود بن منكلان وقتله، ثم هجم فدائي ثالث لتنفيذ المهمة، فاعترضه الأمير علي أبو الفوارس، وطعنه ناصر الدين محمد بن شيركوه وقتله وخرج رابع من الخيمة هارباً، فطارده الجند وقتلوه. وقد تسبب هذا الحادث المفاجئ في اضطراب صلاح الدين حتى أنه فحص جنوده جميعاً، فمن أنكره أبعده، ومن عرفه أقّره، وحرص حرصاً شديداً واتخذ تدابير احترازية صارمة وبالطبع، فقد كان للحادث أثر في نفوس الجند، حتى أ م توقفوا عن القتال أمام عزاز، وخاصة عندما أشيع أن صلاح الدين قد قتل، وعلى سبيل الاحتياط الشديد ضرب حول سرادقه برجاً من الخشب. وقد أرسل القاضي الفاضل ليطمئن الملك العادل أخا صلاح الدين فيها على أخيه، ويروي له تفاصيل الحادث الحقيقية 1

أرسل صلاح الدين إلى رشيد الدين سنان يتهدده فرد عليه زعيم الحشاشين ذه الأبيات:

يا للرجال لأمر هالَ مقطعه ما مر قط على سمعي توقعه

فإذا الذي بقراع السيف هددنا لا قام مصرع جنبي حين تصرعه

قام الحمام إلى البازي يهدّده واستيقظت لأسود البرّ أصبعه

وقفت على تفصيل كتابكم وجملِه، وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله، فبالله العجب من ذبابة تطن في أذُن فيل، وبعوضة تعد في التماثيل، ولقد قالها من قبلك قوم فدمرنا عليهم، وما كان لهم من ناصرين، أَلِلْحق تدحضون وللباطل تنصرون ؟ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، ولئن صدر قولك في قطع رأسي، وقلعِك لِقلاعي من الجبال الرواسي، فتلك أماني كاذبةٌ، وخيالات غير صائبة، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض، كما أن أرواح لا تضمحل بالأمراض، وإن عدنا إلى الظاهر وعدْنا عن الباطن فلنا في رسول الله أسوةٌ حسنة "ما أوذي نبي ما أوذِيت "2. وقد علمت

---

1) المصدر نفسه ص 98./ صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ص

2) روي بأسانيد ضعيفة من حديث أنس وبريدة وجابر، حديث جابر لفظه : " ما أوذى أحد ما أوذيت " قال الحافظ فى " الفتح " 7 / 166 : ذكره فى ترجمة يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر و يوسف ضعيف .

ما جرى على ء ته وشيعته، فالحال ما حال والأمر ما زال، وقد علمتم ظاهر حالنا، وكيفية رجالنا، وما يتمنونه من الفوت ويتقربون به من حياض الموت، وفي المثل: أو للبطّ تهدّو بالشطّ ؟ فهيّئ للبلايا أسباباً، وتدرع للرزايا جلباباً، فلأظهرن عليك منك، وتكون كالباحث عن حتفه بظلفه، وما ذلك على الله بعزيز، فكن لأمرنا بالمرصاد واقرأ أول النحل وآخر ص1.

بعد محاولات الاغتيال الفاشلة أخذ صلاح الدين بالاحتراز الشديد، حتى أنه ضرب حول سرادقه برجاً من الخشب ، وكان للحادث أثر بالغ في نفوس الجند الذين اضطربوا وتوقفوا عن القتال أمام عزاز، واضطرب أمر الناس أيضاً، حين شاع في البلاد أن صلاح الدين قد قُتل، فاضطر صلاح الدين، عندئذ إلى الطواف بين جنده ليشاهده الناس، كما أرسل القاضي الفاضل كتاباً إلى الملك العادل، أخي صلاح الدين، يطمئنه فيه ويروي له حقيقة الحادث2 وصمم صلاح الدين على أن يضع حداً لهذه الحركة التي وضح خطرها في بلاد الشام وجهز حملة عسكرية في شهر محرم عام 572هـ/شهر تموز عام 1176م، فحاصر حصو م ونصب ا انيق الكبار عليها وأوسعهم قتلاً وأسراً وساق أبقارهم وخرب ديارهم، وهدم أعمارهم وهتك أستارهم حتى شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود تكشي صاحب حماة، وكانوا قد راسلوه في ذلك لأ م جيرانه، فرحل عنهم وقد انتقم منهم ، ودمر قو م3.

وقد اضطر الحشاشون إلى التفاهم مع صلاح الدين بعد فشل محاولا م المتكررة لاغتياله، وعدم قدر م على التصدي لقواته، لذلك فضلوا وقوفه على الحياد على أن يكون عدواً مباشراً لهم. ومهما يكن من أمر، لم تشر المصادر التاريخية بعد إبرام الصلح، إلى أي احتكاك بين الطرفين وانفرد ابن الأثير برواية تشير إلى تعاو ما عندما طلب صلاح الدين من رشيد الدين سنان قتل ريتشارد قلب الأسد، وكونراد مونتفيرات صاحب صور، ووعده بدفع الأموال مقابل ذلك، لكن سنان خشي أن يتخلص صلاح الديـــن من أعدائه فيتفرغ للحشيشة ويقضي عليهم، لذلك اكتفى بقتل كونراد وعدل عن قتل ريتشارد4.

وما أشبه الليلة بالبارحة! فكما رزء المسلمون في القرن الخامس الهجري قبل فتح بيت المقدس بالحركات الباطنية كالعبيديين، والحشاشين، والنصيريين والدروز، فإننا اليوم مبتلون ذه الحركات وغيرها مما لم يكن في الماضي كالقاديانية والبهائية، وإذا كان الإمامان نور الدين زنكي

---

1) أول النحل "أتى أمر الله " وأخر " ص "ولتعلمن نبأه بعد حين".

2) كتاب الروضتين نقلاً عن تاريخ الأيوبيين ص 98.

3) موسوعة تاريخ العرب العصر الأيوبي ص 63. صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس

4) تاريخ الأيوبيين ص 88.

وصلاح الدين الأيوبي قد وفقا لإدراك خطر الدولة العبيدية على وحدة المسلمين ولم شعثهم، فإننا اليوم ينبغي أن نتصدى لهؤلاء بكل الوسائل الممكنة، ويجب أن نحذر من اعتبارهم في أي وحدة لأ م كالسوس ينخر من الداخل.

وها هو ذا صلاح الدين في الماضي قد شمر عن ساعد الجد وترك اللهو، وتقمص بلباس الدين، وحفظ ناموس الشرع، فحمل هموم الإسلام والمسلمين، ولم يهدأ له بال، ولم يذق طعم الراحة حتى لقي ربه، يصف صاحب كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين) صلاح الدين وهو ينقل الحجارة بنفسه لعمارة سور القدس فيقول: (ولو رأيته وهو يحمل حجراً في حجره، لعلمت أن له قلباً قد حمل جبلاً في فكره)

سيدرك النصر إن يأذن به صمـــد	**بعد امتحان بخير المال والولـــد**
ودولة الظلم لن تبقي إلى أمـــد	**وهل تدوم ومادامت إلى أحـــد**
ستشرق الشمس لا تجـزع لغيبتها	**ويبزغ الفجر فوق السهل والنجد**
وترجع القدس تزهو في مآذنــها	**وعد الإله الكريم المنعـم الصمد**

بعد أن أقام "صلاح الدين" دولة قوية واطمأن إلى وحد ا وتمسكها بكتاب الله وسنته انتقل إلى الخطوة الأخرى وهى قتال الصليبيين وطردهم من البلاد ، وبدأ في سلسلة من المعارك انتصر فيها ، ثم حقق النصر العظيم على الصليبيين في معركة "حطين" سنة 583هـ = 1187م)

خسر فيها العدو زهرة شباب جنوده ، ووقع في الأسر ملك القدس وكبار قادة الصيلبيين .

وترتب على هذا النصر العظيم أن سقطت المدن والقلاع التي أقامها الصليبيون في يد "صلاح الدين" ، مثل "طبرية" و"عكا" و"قيسيارية" و "نابلس" و"يافا" و"بيروت" .

وأصبحت الطريق ممهدة لأن يفتح "القدس" التي ظلت تحت أيدي الصليبيين لمدة تزيد على تسعين عامًا، فتقدم "صلاح الدين" إلى مدينة "القدس" وحاصرها حصارًا شديدًا حتى استسلمت وطلب حكامها الصلح ، ودخل "صلاح الدين" "القدس" في مشهد عظيم وفى يوم من أعظم أيام الإسلام وفرح المسلمون في كل مكان ذا النصر العظيم الذي أعاد لهم بيت المقدس: أولى القبلتين، ومسرى نبينا "محمد" -صلى الله عليه و سلم- ليلة الإسراء والمعراج في (27 من رجب 583 هـ = 2 من أكتوبر 1187م) .

المبحث الثالث : شيخ الإسلام ابن تيمية

هو الإمام المجتهد شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العبـــاس أحمـــد ابن عبد الحليـــم بن عبد الســلام بن عبـــد الله بن الخضـــر بن محمـــد ابن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني.

ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وستمائة، ونشأ في بيئة علمية، فكان جده أبو البركات عبد السلام ابن عبد الله، صاحب كتاب : (المنتقى من أخبار المصطفى صلى الله عليه و سلم)، من أئمة علماء المذهب الحنبلي، ووالده من علماء المذهب، اشتغل بالتدريس والفتوى، وولي مشيخة دار الحديث السكرية حتى وفاته.

انتقل مع أسرته إلى دمشق على إثر تخريب التتار لبلده حران، وهو ابن سبع سنين، وبدت عليه مخايل النجابة والذكاء والفطنة منذ صغره، فحفظ القرآن في سن مبكرة، ولم يتم العشرين إلا وبلغ من العلم مبلغه، ذكر ابن عبد الهادي في ترجمته : أن (شيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ، سمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير، وعني بالحديث، وقرأ ونسخ وتعلم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه، حتى فهم في النحو، والتقى بأبي حيان النحوي[1] فانذهل أبو حيان من فقهه وعلمه وتمكنه حتى في علوم اللغة العربية فمدحه بقصيدة مشهورة يقول فيها :

لما رأينا تقي الديـــن لاح لنا … داع إلى الله فـــرد ماله وزر
على محياه من سيما الألى صحبوا … خير البرية نور دونه القمـــر
حبر تسربل منه دهره حبـــــرا … بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شـــرعتنا … مقام سيد تيم إذ عصت مضر
كنا نحدث عند حبر يجيئ ـــــا … أنت الإمام الذي قد كان ينتظر

وأقبل على التفسير إقبالاً كليًا، حتى حاز فيه قَصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك، هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه) .

1) أبو حيان النحوي (654 - 745 ه = 1256 - 1344 م) محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الغرناطي الاندلسي الجياني، النفزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات.ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة.وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة.وتوفي فيها، بعد أن كف بصره. الأعلام للزركلي 152/7..

أفتى وله تسع عشرة سنة، وشرع في التأليف وهو ابن هذا السن، وتولى التدريس بعد وفاة والده، سنة 682هـ بدار الحديث السكرية، وله إحدى وعشرون سنة، حتى اشتهر أمره بين الناس، وبعد صيته في الآفاق، نظرًا لغزارة علمه وسعة معرفته، فقد خصه الله باستعداد ذاتي أهله لذلك، منه قوة الحافظة، وإبطاء النسيان، فلم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء إلا ويبقى غالبًا على خاطره، إما بلفظه أو معناه. ففي محنته الأولى بمصر، صنف عدة كتب وهو بالسجن، استدل فيها بما احتاج إليه من الأحاديث والآثار، وذكر فيها أقوال المحدثين والفقهاء، وعزاها إلى قائليها بأسمائهم، كل ذلك بديهة اعتمادًا على حفظه، فلما روجعت لم يعثر فيها على خطأ ولا خلل.

قضى حياته في التدريس والفتوى والتأليف والجهاد، فكانت تفد إليه الوفود لسماع دروسه، وترده الرسائل للاستفتاء في مسائل العقيدة والشريعة، فيجيب عليها كتابة.. ترك ثروة علمية تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه، وتكامل إدراكه لأطراف ما يبحثه واستوائه لديه، ومن ذلك مسائل علم الكلام ومباحث الفلسفة، فهو يناقش المتكلمين والفلاسفة بأدلتهم، وينقد مناهجهم، ويبطل حججهم بثقة وعلم، ذكر ابن عبد الهادي أن مصنفاته وفتاواه ورسائله لا يمكن ضبط عددها، وأنه لا يعلم أحدًا من متقدمي الأمة جمع مثل ما جمعه، وصنف نحو ما صنفه.

شارك في معركة شقحب، التي وقعت بين أهل الشام والبغاة من التتار، بقرب دمشق في شهر رمضان سنة 702هـ، وانتهت بانتصار أهل الشام ودحر التتار، الذين أرادوا بسط نفوذهم في الشام، وتوسيع سلطتهم على أطرافها، وقد ضرب ابن تيمية في هذه المعركة أروع مثال للفارس الشجاع.

وجاهد المخالفين من أهل الأهواء والبدع، مستعينًا بسلاح العلم، ومتحليًا في منازلتهم بالعدل والرحمة، فقد حاور أهل الكلام، مظهرًا منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، ومفندًا آراءهم بالحجة والبيان، وتصدى للفلاسفة وغلاة التصوف من أتباع ابن عربي وتلاميذه، فكشف أستارهم، وأبان عوار مسلكهم. اتبع مسلك الاجتهاد في المسائل العلمية (ففي بعض الأحكام يفتي بما أداه إليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة، وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور من مذاهبهم، وله اختيارات كثيرة في مجلدات عديدة أفتى فيها بما أدى إليه اجتهاده، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف).

كان منهجه قائمًا على اتباع الدليل، وغايته إظهار الحق والانتصار له، دون خوف من أحد ولا مداهنة فيه، فإنه(كان سيفًا مسلولاً على المخالفين، وشجى في حلوق أهل الأهواء المبتدعين، وإمامًا قائمًا ببيان الحق ونصرة الدين). من قرأ رسائله وتراثه العلمي، أدرك دقة وصف تلميذه الحافظ عمر بن علي البزار لمنهجه لما قال:(إذا نظر المنصف إليه بعين العدل، يراه واقفًا مع

الكتاب والسنة، لا يميله عنهما قول أحد كائنًا من كان، ولا يراقب في الأخذ بعلومهما أحدًا، ولا يخاف في ذلك أميرًا ولا سلطانًا ولا سوطًا ولا سيفًا، ولا يرجع عنهما لقول أحد، وهو مستمسك بالعروة الوثقى واليد الطولى، وعامل بقول الله تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)1 ، وبقوله تعالى : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله)2 ، وما سمعنا أنه اشتهر عن أحد منذ دهر طويل ما اشتهر عنه من كثرة متابعته للكتاب والسنة، والإمعان في تتبع معانيهما، والعمل بمقتضاهما، ولهذا لا يرى في مسألة أقوالاً للعلماء، إلا وقد أفتى بأبلغها موافقة للكتاب والسنة، وتحرى الأخذ بأقومها من جهة المنقول والمعقول).

توفي رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى، ليلة الاثنين، العشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، بقلعة دمشق محبوسًا، بعد مرض أصابه بضعة وعشرين يومًا، فاشتد أسف الناس عليه.. قيل : إن عدد من حضر جنازته يزيد على نحو خمسمائة ألف، وإنه لم يسمع بجنازة حضرها مثل هذا الجمع، إلا جنازة الإمام أحمد رحمه الله.

جهوده في توحيد اهل القبلة :

ولد ابن تيمية ونشأ في عصر يموج بالاضطراب السياسي والفكري، فقد تعرض المسلمون لهجمات التتار المتوحشين الذين كانوا يزحفون زحف الموت تسبقهم شائعات الرعب والخوف، فدمروا بغداد وقتلوا خليفتها ، ثم زحفوا على الشام حتى حاصروا دمشق ، ولم يدر بخلد أحد أن النصر عليهم من الأمور الممكنة ، فقد تغلغلت الهزيمة النفسية في أعماق المسلمين شعباً وولاة. كما سيطرت الانحراف العقائدي المريع على الخاصة والعامة، فقد كاد الناس أن ينسوا مذهب السلف الصالح، وانتشرت البدعة بين صفوف الجماهير،وعرضت العقيدة الإسلامية على طريقة علماء الكلام،وجمد الفقهاء على المذاهب وأوصدوا باب الاجتهاد، وكانت العصبية المذهبية على أشدها، وفي المساجد الكبرى توضع محاريب عدة ، لكل مذهب محراب.

هذه الأوضاع العقدية الفقهية كانت مستقرة سائدة لا يفكر أحد في كسر مألوفها والخروج عليها ، لأن مصير من يخالف هذه الأوضاع معروف : يرميه العلماء عن قوس واحدة ، ويحاربونه في نفسه ورزقه ، ويرفعون أمره إلى السلطان على أنه خطر يهدد البلاد والعباد ، وكان السلاطين في غالبهم جهلة لا يميزون بين حق وباطل ، وهكذا كان يضطهد المخلصون.

---

1) النساء : 59

2) الشورى : 10

نشأ ابن تيمية في هذه البيئة ، ودرس عيو ا ، وعرف بما آتاه الله من عقل واسع وشخصية فذة ، كيف يصدع بكلمة الحق في هذا ا تمع ، وكيف يرجع بالناس إلى الجادة المستقيمة . وكيف يحارب الخرافة والفلسفة ، بل وكيف يقود الجماهير في عصر ضعف فيه شأن السلطة واستفحل خطر أعدائها.

هذا ولما كان الله عز وجل قد أوجب على أهل الإسلام الدعوة والعمل في الإصلاح كل بحسبه وكل على قدر طاقته وعلى أهل العلم أعظم المسئولية وأكبر الأمانة .فإن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أدرك ذلك، وعلم أن الدين ليس انعزالاً في زاوية على عبادة، وتيقن أن العلم ليس في تصنيف كتاب، أو إلقاء درس فحسب، لا سيما وأنه ظهر في عصر يموج بالبدع والخلافات ،وإنه يجب على القائم لله تعالى في العباد بحجته أن يقوم بواجب الإصلاح من كل وجه ،حتى من جهة توحيد أهل الإسلام

ويمكننا إيجاز ما مكن شيخ الإسلام ابن تيمية من النجاح في توحيد المسلمين ، في أوقات النوازل والملمات في ثلاثة أمور هي : منهجه في اجتماع الكلمة والتعامل مع المخالفين ، وإحياءه الاجتهاد ، والرجوع إلى النصوص الشرعية ، ثم معاملة الناس بالخلق الرفيع الحسن .

أولاً : منهجه في اجتماع الكلمة والتعامل مع المخالفين .

لقد كان من منهج شيخ الإسلام ابن تيمية حرصه الشديد على تأليف القلوب واجتماع الكلمة، وإصلاح ذات البين، والحذر من أن يكون الخلاف في المسائل الفرعية العقدية والعملية، سببًا في نقض عرى الأخوة والولاء والبراء بين المسلمين.

يقول رحمه الله في هذا : (تعلمون أن من القواعد العظيمة، التي هي من جِماع الدين، تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول : (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم)1 ، ويقول : (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا)2 ، ويقول : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)3. وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف.. وأهل هذا الأصل، هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفُرقة)4.

---

1) الأنفال : 1

2) آل عمران : 103

3) آل عمران : 105

4) مجموع الفتاوى 51/28.

إن ابن تيمية ترجم هذا المنهج إلى علم وعمل، معتمدًا على الدليل الشرعي في بيان مفارقة البدعة للسنة، والحكم عليها وعلى أصحابها حسب درجتها، متوخيًا في ذلك الدقة المتناهية، حذرًا من الوقوع في الخطأ أو الزلل، ولاسيما ما يتصل بالتضليل أو التفسيق أو التكفير، ومتحريًا العدل في إنصاف المخالفين، وإثبات ما عندهم من حق أو باطل، وما لهم من محامد أو مذام، متجردًا في ذلك دون أن تدفعه الغيرة على السنة، والكراهة للبدعة، إلى الوقوع في الظلم أو الحيف في الحقوق، وقاصدًا الرحمة بالمخالفين، والإحسان إليهم، باذلاً في سبيل بيان الحق والهداية إليه كل ما يملك من جهد ووقت، أو ما يلائم من حكمة وموعظة حسنة وجدال بالتي هي أحسن، أو ما يؤدي إلى الزجر والردع، حسب ما تقتضيه المصلحة، أو يدفع المفسدة بأنجع وسيلة، مع تدرج في سلوك هذا بما يعيدهم إلى رشدهم، أو يكف أذاهم عن غيرهم، متقيًا الاعتداء أو التشفي، مريدًا الخير والإصلاح، مبتغيًا وجه الله تعالى وإعلاء دينه.

وبين الشيخ أن الخلاف في المسائل الفرعية العقدية والعملية، جرى بين الصحابة والتابعين من سلف الأمة، مع محافظتهم على هذه القاعدة، وأن العاصم من ذلك كان في رد النزاع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه و سلم، وابتغاء الحق وحده، فيقول مقررًا مسلكهم رضي الله عنهم : (وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)1. وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين.. نعم من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة، خلافًا لا يعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع، فعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قد خالفت ابن عباس وغيره من الصحابة، في أن محمدًا صلى الله عليه و سلم رأى ربه، وقالت : (من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله تعالى الفرية) ، وجمهور الأمة على قول ابن عباس رضي الله عنهما، مع أنهم لا يبدعون المانعين الذين وافقوا أم المؤمنين رضي الله عنها، وكذلك أنكرت أن يكون الأموات يسمعون دعاء الحي، لما قيل لها : إن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) ، فقالت : إنما قال : (إنهم ليعلمون الآن أن ما قلت لهم حق).. ومع هذا فلا ريب أن الموتى يسمعون خفق النعال، كما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال :

1) النساء : 59

(ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام)1 ، وصح ذلك عن النبي صلى الله عليه و سلم، إلى غير ذلك من الأحاديث.. وأم المؤمنين تأولت، والله يرضى عنها، وكذلك معاوية رضي الله عنه، نقل عنه في أمر المعراج أنه قال : (إنما كان بروحه) ، والناس على خلاف معاوية رضي الله عنه، ومثل هذا كثير).

وأما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط، ولو كان كـ ـل ما اختلف مسلمـ ـان فـ ـي شيء اجـ ـرا، لـم يبق بين المسلمين عصمـ ـ ـة ولا أخوة، ولقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، سيدا المسلمين، يتنازعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير.. وقد قال النبي صلى الله عليه و سلم لأصحابه يوم بني قريظة: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قُريظة)، فأدركتهم العصر في الطريق، فقال قوم : لا نصلي إلا في بني قريظة، وفاتتهم العصر. وقال قوم : لم يرد منا تأخير الصلاة، فصلوا في الطريق، فلم يعب واحدًا من الطائفتين، أخرجاه في الصحيحين، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهذا وإن كـ ـان في الأحكـ ـام، فما لم يكن من الأصول المهمة فهو ملحق بالأحكام.

أما الاختلاف فإنه قد يكون رحمة، وأهله معذورون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وال اع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يفض إلى شرٍ عظيم من خفاء الحكم، ولهذا صنف رجل كتاباً سماه:كتاب الاختلاف، فقال أحمد: سمه كتاب السعة، وإن الحق في نفس الأمر واحد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه، لما في ظهوره من الشدة عليه"(2). وقد وقع الخلاف بين السابقين من أفضل قرون هذه الأمة من الصحابة والتابعين ولم يوجب افتراقاً، ولذا لم يكن مذموماً ونقل الشاطبي جملة مما اختلف فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هو من محالّ الاجتهاد ثم قال: "وغير ذلك مما اختلفوا فيه، وكانوا مع ذلك أهل مودة وتناصح وأخوه الإسلام فيما بينهم قائمة فلما حدثت الأهواء المردية التي حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم، وظهرت العداوات وتحزب أهلها، فصاروا شيعاً؛ دل على أنه إنما حدث ذلك من المسائل المحدثة التي ألقاها الشيطان على أفواه أوليائه"(3).

وضابط التفرق أنه: تشتت الشمل والكلمة. وهو ذا يشل حركة ا تمع ويضعف المسلمين، ويمكن أعداءهم منهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا التفريق الذي حصل من الأمة

1) تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته ابن قيم الجوزية2/ 280

(2) مجموع الفتاوى: 159/14.

(3) الاعتصام: 231/2.

علمائها ومشائخها، وأمرائها وكبرائها، هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها.. وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا أصلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمةٌ والفرقة عذاب"(1).

أما الخلاف فإنه لا يذم متى كان في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد وإبداء الرأي، وهو ما لا يعارض قاطعاً من الكتاب والسنة وإجماع الأمة. سواء من مسائل العلم أو أوضاع الدعوة وأحوال العمل.

مع أن نبذ التفرق، حتى ولو كان على خلاف سنة النبي صلى الله عليه وسلم وارد إذا كان لقائله نوع تأويل كما حصل لابن مسعود رضي الله عنه لما أتم عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلاة بمنى أربع ركعات خلافاً لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فاسترجع ابن مسعود وقال: صليت مع رسول الله وأبي بكر وعمر بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان. ثم صلى أربعاً فقيل له: عتبت على عثمان ثم صليت معه أربعاً، فقال: الخلاف شر(2).

ويلخص ابن القيم المعنى الذي نريده بقوله: "وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لابد منه لتفاوت إرادا م وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغى بعضهم على بعض وعدوانه، وإلا إذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله؛ لم يضر ذلك الاختلاف، فإنه أمر لابد منه في النشأة الإنسانية.

ولكن إذا كان الأصل واحداً، والغاية المطلوبة واحدة، والطريق المسلوكة واحدة، لم يكن يقع اختلاف، وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة، فإن الأصل الذي بنوا عليه واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله، والقصد واحد، وهو طاعة الله ورسوله، والطريق واحد، وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل قول ورأي وقياس وذوق وسياسة"(3).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "المسلمون متفقون على جواز صلاة بعضهم خلف بعض، كما كان الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الأئمة الأربعة، يصلي بعضهم خلف بعض، ومن أنكر ذلك فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وقد كان في الصحابة والتابعين ومن بعدهم من يقرأ بالبسملة، ومنهم من لا يقرأ ا، ومع هذا فقد كان بعضهم يصلي خلف بعض، مثل ما كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وغيرهم يصلون خلف أئمة المدينة من المالكية وإن كانوا لا يقرؤون بالبسملة لا سرا ولا جهرًا. وصلى أبو يوسف خلف الرشيد وقد

(1) مجموع الفتاوى: 421/3.

(2) أخرجه البخاري مختصراً، وهذا اللفظ لأبي داوود في سننه بسند صحيح، رقم 1960.

(3) الصواعق المرسلة: 519/2.

احتجم، وأفتاه مالك بعدم وجوب الوضوء فصلى خلفه أبو يوسف ولم يعد... وكان أحمد يرى الوضوء من الحجامة والرعاف فقيل له: فإن كان إمامي قد خرج منه الدم ولم يتوضأ أصلي خلفه؟ فقال: كيف لا تصلي خلف سعيد بن المسيب ومالك؟"،

وأكد الشيخ على مراعاة الأخـــوة والمـــوالاة بين المسلمين، بحيـــث لا يؤثر عليها ما يقع من خلاف بسبب دواع اجتهادية، مبيّنًا أن العاصم من ذلك تقديم حق الله على حق النفس، وفي هذا يقول : (جعل الله... عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وجعلهم إخوة، وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين، وأمرهم سبحانه بالائتلاف، و اهم عن الافتراق والاختلاف، فقال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا)1 ، وقـــــال تعـــــالـــــى : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله)2 الآية، فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد صلى الله عليه و سلم أن تفترق وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة، ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى، وقد برأ الله نبيه صلى الله عليه و سلم ممن كان هكذا. فهذا فِعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين، واستحلوا دماء من خالفهم.. وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله، وأقل ما في ذلك أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه، وإن كان غيره أتقى لله منه، وإنما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله، ويؤخر من أخره الله ورسوله، ويحـب مـا أحبـه الله ورســوله، ويبغـض ما أبغضه الله ورسوله، وينهى عما ى الله عنه ورســوله، وأن يرضــى بما رضي الله به ورسوله، وأن يكون المسلمون يدًا واحدة، فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضلل غيره ويكفّره، وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسنة، ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين، فليس كل من أخطأ يكون كافرًا أو فاسقًا، بل قد عفى الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، وقد قال الله تعالى في كتابه، في دعاء الرسول صلى الله عليه و سلم والمؤمنين : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)3. وثبت في الصحيح أن الله قال : (قد فعلت) ، لاسيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الإسلام، مثل أن يكون مثلكم على مذهب الشافعي، أو منتسبًا إلى الشيخ عدي، ثم بعد هذا قد يخالف في شيء، وربما كان الصواب معه، فكيف يستحل عِرضه ودمه وماله؟ مع ما قد ذكر الله تعالى من حقوق المسلم والمؤمن).

ولعل أظهر ما يقوي وشيجة الأخوة بين المسلمين، ويحفظ تماسك جماعتهم، العمل بأحكام الولاء والبراء التي شرعها الله في كتابه، دون التفات إلى مناهج أخرى أو تعصب لطوائف، ذلك أن

1) آل عمــران : 103

2) الأنعام : 159

3) البقرة : 286

(الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقُرب، وأصل العداوة البغض والبعد، وهما أوثق عرى الإيمان كما أخبر الرسول صلى الله عليه و سلم : (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله).. وقد بين الشيخ أحكام الولاء والبراء، ولمن يكونان ويعطيان، فقال : (فأما الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة، فإنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه، وسلطانه كتابه، فمن كان مؤمنًا وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافرًا وجبت معادته من أي صنف كان، قال الله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)1...

ومن كان فيه إيمان وفيه فجور، أعطي من الموالاة بحسب إيمانه، ومن البغض بحسب فجوره، ولا يخرج من الإيمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي، كما يقوله الخوارج والمعتزلة، ولا يجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق في الإيمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة، قال الله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) إلى قولــه : (إنما المؤمنون إخوة)2 ، فجعلهم إخوة مع وجود الاقتتال والبغي).

كما لا يتنافى وجود الشر والمعصية والبدعة في شخص، مع استحقاقه للموالاة والإكرام بقدر ما فيه من خير وطاعة وسنة، وفي هذا يقول الشيخ : (وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له هذا وهذا).

وعملاً بمبدأ الولاء والبراء، فإن الشيخ يقرر : (أن الواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة، ويوالي المؤمنين، ولا يعاديهم، وإن رأى بعضهم ضالاً أو غاويًا وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك، وإلا فلا يكلّف الله نفسًا إلا وسعها، وإذا كان قادرًا على أن يولّي في إمامة المسلمين الأفضل ولاّه، وإن قدر أن يمنع من يظهر البدع والفجور منعه).. وهكذا على مقتضى اتباع الحق وإظهاره، خلا المبتدعة الملاحدة، فهؤلاء يجب البراء منهم، فإن الشيخ أنكر على من يعاون أو ينصر أهل الحلول والاتحاد، فقال : (ومن هؤلاء من يعاونهم وينصرهم على أهل الإيمان المنكرين للحلول والاتحاد، وهو شر ممن ينصر النصارى

1) المائدة : 55-56

2) الحجرات : 9-10

على المسلمين، فإن قول هؤلاء شر من قول النصارى، بل هو شر ممن ينصر المشركين على المسلمين، فإن قول المشركين الذين يقولون : إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، خير من قول هؤلاء، فإن هؤلاء أثبتوا خالقًا ومخلوقًا غيره، يتقربون به إليه، وهؤلاء يجعلون وجود الخالق وجود المخلوق) ، بخلاف أهل الصلاح والتقوى إذا وقعوا في بدعة متأولة وليست غليظة، فهؤلاء تجب موالا م ومحبتهم، لأن ما وقع منهم من قبيل الهفوة والزلة، التي لا تنسخ ما لهم من صلاح وتقوى، وقد وقع ذلك (من أكابر السلف المقتتلين في الفتنة، والسلف المستحلين لطائفة من الأشربة المسكرة، والمستحلين لربا الفضل والمتعة، والمستحلين للحشوش، كما قال عبد الله بن المبارك : رب رجل في الإسلام، له قدم حسن وآثار صالحة، كانت منه الهفوة والزلة، لا يقتدى به في هفوته وزلته).. فهؤلاء وأمثالهم معذورون، لأ م مجتهدون، لم يقصدوا فعل الحرام، ولا مخالفة السنة، فهم حين استحلوا ذلك لا يعتقدون (أنه من المحرمات، ولا أنه داخل فيما ذمه الله ورسوله، فالمقاتل في الفتنة متأولاً لا يعتقد أنه قتل مؤمنًا بغير حق، والمبيح للمتعة والحشوش ونكاح المحلل لا يعتقد أنا أباح زنا وسفاحًا، والمبيح للنبيذ المتأول فيه، ولبعض أنواع المعاملات الربوية وعقود المخاطرات، لا يعتقد أنه أباح الخمر والميسر والربا.. ولكن وقوع مثل هذا التأويل من الأئمة المتبوعين، أهل العلم والإيمان، صار من أسباب المحن والفتنة، فإن الذين يعظمو م قد يقتدون م في ذلك، وقد لا يقفون عند الحد الذي انتهى إليه أولئك، بل يتعدون ذلك ويزيدون زيادات لم تصدر من أولئك الأئمة السادة، والذين يعلمون تحريم جنس ذلك الفعل، قد يعتدون على المتأولين بنوع من الذم فيما هو مغفور لهم، ويتبعهم آخرون فيزيدون في الذم ما يستحلون به من أعراض إخوا م وغير أعراضهم ما حرمه الله ورسوله).

و ذا يتقرر أن الشيخ لا يرى الوقوع في البدعة عن شبهة أو تأول مبطلاً لحقوق المسلم، ومنها الموالاة، التي من معانيها المحبة والنصرة والحماية، بل هي ثابتة للمسلم المبتدع بقدر ما عنده من إيمان، فيحب بقـ ـدر ما فيه من صلاح، وينصر على من ظلمه، وإن كان فيه سوء، وفي هذا يقول رحمه الله : (ومعلوم أن شر الكفار والمرتدين والخوارج، أعظم من شر الظالم، وأما إذا لم يكونوا يظلمون المسلمين، والمقاتل لهم يريد أن يظلمهم، فهذا عدوان منه فلا يعاون على عدوان) ، مصداق قول الرسول صلى الله عليه و سلم : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) ، فما دام المبتدع مسلمًا، فإنه يثبت له هذا الحق.

وكان ابن تيمية قائمًا بميزان الحق، الذي صرح بوجوب الوزن به، وأنه الحد الفاصل بين منهج أهل السنة والجماعة، ومنهج أهل البدع والغواية في الكلام على الناس، قائلاً : (والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، كحال أهل البدع) (3).

ذلك أن الأصل حفظ جارحة اللسان من القول إلا حقًا، وحماية أعراض الناس من انتهاكها زورًا وبهتانًا، قال صلى الله عليه و سلم : (من كانَ يؤمن باللهِ واليومِ الآخرِ فليتق اللهَ وليقُلْ حقا أو ليسكُت) (4)، وقال صلى الله عليه و سلم : (بِحسبِ امرئٍ من الشر أن يحقِر أخاه المسلم، كل المسلِم على المسلم حرام، دمه ومالُه وعِرضه)1.

وقد حرم الله سبحانه أذية المؤمنين، أو إساءة الظن بهم أو غيبتهم، فقال سبحـانـه : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا)2. وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)3 ، وعظم القول في المسلم بغير علم، مرشدًا إلى إمساك اللسان عن الخوض في عرضه بغير حق، وموجهًا إلى تبرئة ساحته مما قيل فيه، إبقاء على الأصل : وهو عدالته من الجارح، وسلامته من القادح، قال تعالى : (إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك)4.

ثانياً : إحياؤه الاجتهاد ، والرجوع إلى النصوص الشرعية.

لقد أحيا ابن تيمية الاجتهاد ، والرجوع إلى النصوص الشرعية ، وتحكيم الدليل بقوله وفعله ، فلم يكتف بالهجوم على التقليد المتعصب فحسب ، بل زاول الاجتهاد ورجح في المسائل التي يبحثها ما يراه أسعد بالدليل غير مكترث لمخالفة رأي فلان أو فلان ،فأكسبه ذلك سعة في الإدراك والفهم

فقد كان أوسع أفقاً، وأبعد نظراً، وأرحب بالخلاف صدراً، وأكثر للمعاذير التماساً، لا يلزم الناس باجتهاداته، ولا يضلل كل من خالفه ، ولا يضيق عطنه في الأمور الاجتهادية التي تختلف فيها أفهام الناس، وكما أنه كان حريصاً على تصحيح الأخطاء والمناصحة حتى لا تضل الأمة، فهو كذلك كان يحرص على أن لا تفترق الأمة، . ولذلك لا نجد في تلاميذه وأتباعه من رواد هذه المدرسة ما نجده عند غيرهم من التعصب الممقوت وإن كانوا متبعين لمذهب معين كابن كثير

---

1) أخرجه أحمد (277/2 ، رقم 7713) ، ومسلم (1986/4 ، رقم 2564) . وأخرجه أيضًا : البيهقى (92/6 ، رقم 11276)

2) الأحـــزاب : 58

3) الحجرات : 12

4) النور : 1615.

والذهبي وغيرهما. بل نجد من مظاهر سعة الأفق عندهم بعدهم عن التعصب المقيت، والتقليد الأعمى والحزبية الضيقة

ومن هذا المنطلق ناقش القضايا المستجدة الحادثة التي توقف فيها العلماء وأعطى فيها الرأي المدعم بالدليل. إن مواقف الشيخ هذه سواء في العقيدة أو الفقه أو غيرها لم يخترع لها أصولاً جديدة وإنما استطاع أن يعمل أصول السلف ويطبقها على القضايا المستجدة فوسع دائرة المنهج ليستوعب تلك القضايا مع بقائه مربوطاً بأصول منهج السلف الأولى ، وكان لهذا الإتجاه أثر بالغ في حركة الوحدة التي قام ا . وهذا هو التجديد عند ابن تيمية -رحمه الله- وجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

ومن ذاك فتاويه المشهورة في (التتار) وقد كانت حالتهم وضعاً سياسياً طارئاً على المسلمين، لأن المتأخرين منهم المعاصرين لابن تيمية أسلموا وكان في جيشهم القاضي والمفتي ولكنهم يقاتلون المسلمين ويتحاكمون فيما بينهم إلى قانو م الخاص الذي وضعه لهم (جنكيز خان) وقد تحير العلماء فيهم ولكن ابن تيمية قال فيهم كلمة الحق.

وإن الأريب الناظر اليوم يجد أن ابن تيمية بقي حياً في واقعنا السياسي ، بل هو كما قال عنه مالك بن نبي[1] : »قدم الترسانة الفكرية التي استمدت منها كل الحركات الإسلامية التي جاءت بعده«.

لقد كان لفقهه وسعة اجتهاده يزاول بنفسه القيادة الحقيقية للأمة، وكان جديراً ا، لمواهبه النادرة العظيمة، واستجماعه لخصائص القائد ، فكان يدافع عن مصالحها ضد المستغلين ، ويحفظ حقوقها ضد المنتهبين ، ويدفع عنها كيد الكائدين.

ولعل من أعظم المواقف موقفه مع التتار حيث كان يحرض الناس على قتالهم ومنازلتهم ، ويباشر القتال بنفسه ، ويصدر الفتاوى التي تطمئن صدور الناس ، بل ذهب بنفسه إلى (قازان)[2] التتري وأنبه وقال:

---

1) مالك بن نبي (1323 - 1393 ه = 1905 - 1973 م) مالك بن نبي: مفكر إسلامي جزائري.ولد ا في مدينة قسنطينة.ودرس القضاء في المعهد الاسلامي المختلط.وتخرج مهندسا ميكانيكيا في معهد الهندسة العالي بباريز.وزار مكة، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره.باللغة الفرنسية نحو 30 كتابا جلها مطبوع.ترجم بعضها إلى العربية.وكان من أعضاء مجمع البحوث الاسلامية، بالقاهرة.وتولى إدارة التعليم العالي بوزارة الثقافة والارشاد القومي الجزائري (1964) وتوفي ببلده. الأعلام للزركلي 5/ 266.

2) غازان محمود بن أرغون بن ابغا بن هلاكو بن تولى بن جنكز خان السلطان معز الدين واسمه محمود ويقول له العامة قازان بالقاف عوض الغين المعجمة كان جلوسه على تخت الملك سنة 693 وحسن له نائبه نوروز الإسلام فأسلم في سنة 94 ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس وفشا بذلك الإسلام في التتار ولما ملك أخذ نفسه بطريق جده الأعلى جنكز خان وصرف همته إلى إقامة العساكر وسد الثغور وعمارة البلاد والكف عن سفك الدماء وكانت وفاته في 12 شعبان سنة 703

»إن أجدادك الوثنيين لم يجرؤوا على ما جرؤت عليه« وفازان لا يتكلم بل يطلب منه الدعاء ويذهب الشيخ إلى مصر لمقابلة السلطان الناصر ، ويكلمه كلاماً شديداً فيقول له : إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته ، أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه1.

وعلى الصعيد الداخلي كان ابن تيمية في جماعة من أصحابه الغيورين يمارسون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعزير المفسدين ويحرض السلطان على غزو بلاد النصيرية وتأديبهم2.

ثالثاً : معاملة الناس بالخلق الرفيع الحسن :

العلماء الربانيون هم من أحسن الناس أخلاقاً، وأكثرهم حلماً وسماحة وتواضعاً، وأحرصهم دعوة إلى مكارم الأخلاق، فيندبون الناس ويربون أتباعهم إلى أن يصلوا من قطعهم، ويعطوا من حرمهم، ويعفوا عمن ظلمهم، وينهون عن الفخر،والخيلاء، والبغي، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق،

ويأمرون بمعالي الأمور وينهون عن سفاسفها.

هذا ولقد تمتع شيخ الإسلام ابن تيمية بخصال عظيمة ، ما من شك أ ا كانت من أكثر المعينات في نجاح جمعه للمسلمين ومن أهمها :

أولا : سلامة صدره وتجافيه عن الأحقاد والضغائن :

قد كان شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في ذلك عجيباً فريداً فقد كان له خصوم من القضاة والعلماء، دبروا له المكائد، وحرفوا كتبه وحرفوا فتاويه، وتربصوا به عند الأمراء، وقالوا فيه كل إفك وباطل، ومع ذلك عفا عنهم وتجاوز وقال (سامحت وعفوت عن كل من آذاني إلا من آذى الله ورسوله) وكان القاضي ابن مخلوف المالكي3 قاضي قضاة المالكية من خصومه الأشداء، فكان قد أفتى فيه، وأفتى بأنه (حلال الدم) وسجنه أكثر من مرة فلما ظفر م شيخ الإسلام، و يأت له

بقزوين قال الذهبي كان شابا عاقلا شجاعا مهيبا مليح الشكل مات ولم يتكهل واشتهر أنه سم في منديل ملطخ تمسح به بعد الجماع فتعلل وهلك. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة1/ 415.

1) البداية والنهاية 14 / 14.

2) التجديد عند ابن تيمية، مجلة البيان ـ الأعداد 1 – 100،17/7.

3) علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري قاضي القضاة أبو الحسن المالكي حاكم الديار المصرية نيفاً وثلاثين سنة . حدث عن الشرف المُرسي وابن عبد السلام . وكان فيه مروءة واحتمال ورفق بالفقهاء وله دربة بالقضايا والأحكام . حكم بعد ابن شاس وولي بعده القاضي تقي الدين الإخنائي . وتوفي سنة ثمان عشرة وسبع مائة وله خمس وثمانون سنة .الوافي في الوفيات 1/ 3063.

الفرصة، أن ينتقم منهم عن طريق بعض الأمراء عفا عنهم وسامح ، ذُكر أن الناصر بن قلاوون[1] لما رجع إلى الحكم في مصر بعد خلعه، جلس معه، (وأخرج من جيبه فتاوى لبعض المشايخ من خصومه في قتله، واستفتاه في قتل بعضهم، قال : ففهمت مقصوده، وأن عنده حنقًا شديًا عليهم لما خلعوه، وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير[2]، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، أما أنا فهم في حِل من حقي ومن جهتي، وسكنت ما عنده عليهم. قال : فكان قاضي المالكية زين الدين بن مخلوف يقول بعد ذلك : ما رأينا أتقى من ابن تيميـ ـة، لم نبق ممكنًا في السعي فيه، ولما قَدِر علينا عفا عنا). ، وحتى لما أنكر على بعض المشاهد الصوفية ـ كانوا يطوفون بالقبور وينذرون لها ويتقربون إليها في مصر ، وفي الشام ، فمرة في بعض سفراته في مصر، أنكر على بعض الصوفية، فرفعوا به إلى السلطان، فسجن

1) الناصر بن قلاوون، بويع بعد قتل أخيه في العام المذكور، وعمره تسع سنين، وهذه سلطنته الأولى، واستقر نائبه في السلطنة الأمير كتبغا المنصوري، وفي الوزارة علم الدين سنجر الشجاعي مضافاً للأستدارية وتدبير الدولة، ثم قبض الناصر على جماعة من الأتراك الذين اتفقوا على قتل أخيه، ثم أمسكه (كتبغا) الشجاعي لما بلغه أنه يريد الفتك به ولقتله بعض أصحاب كتبغا المنصوري صبراً، واستبد كتبغا بأمر المملكة لصغر سن الناصر، ثم بدا له أن يخلعه ويتسلطن عوضه، فاتفق مع أكابر الأمراء على ذلك فوافقوه، وخلعوا الناصر في الحادي والعشرين من المحرم سنة أربع وتسعين و ستمائة، وسلطنوا:كتبغا، ثم عادالملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة ثانياً، وفيه يقول الوداعي: من السريع:

أَلمَلِك الناصِر قَد أَقبلَت ... دولته مشرقةَ الشمس

عادـإلىٰ كُرسِيه مِثل ما ... عاد سليمانُـإلى الكُرسِي

واستمر إلى أن تجهز لقتال التتار، فانكسر فرجع إلى مصر، ثم تجهز للقائهم أيضاً فكسرهم وهزمهم، ونصر الله الإسلام وأهله، ثم عاد إلى مصر فتنكر عليه صاحب سلال وأستاداره بيبرس الجاشنكير، ودام ذلك التكدر بينهم إلى أن أظهر في رمضان سنة ثمان وسبعمائة التوجه إلى الحجاز، وخرج من القاهرة، وتوجه إلى الكرك متبرماً منهما، وأعرض عن ملك مصر، فروجع في ذلك فأبى، فكانت مدته عشرين سنة، فاتفق الأمراء على سلطنة بيبرس الجاشنكير وسلطنوه، فتسلطن:بيبرس الجاشنكير .المرجع: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي:2/ 293.

2) المظفر بيبرس (000 - 709 ه = 000 - 1310 م) بيبرس الجاشنكير المنصوري، ركن الدين، الملك المظفر: من سلاطين المماليك بمصر والشام.شركسي الاصل، على الارجح.كان من مماليك المنصور قلاوون،ونسبته إليه.وتأمر في أيامه.وصار من كبار الامراء في دولة الاشرف خليل بن قلاوون.ولما تسلطن الناصر محمد بن قلاوون، بعد مقتل الاشرف، صار بيبرس (أستادارا) وتقلبت به الاحوال إلى أن ذهب الناصر إلى الكرك وخلع نفسه من الملك فألح القواد على بيبرس أن يتولى السلطنة.وخاف الفتنة، فتسلطن (سنة 708 ه) ولقب بالمظفر.وما كاد يستقر حتى جاءه من الكرك أن الناصر يستكثر من الخيل والمماليك، فبعث إليه يطلبها، فامتنع الناصر وسجن الرسول وخرج من الكرك، فشاع ذلك في مصر وكان أهلها يميلون إلى الناصر، وقد نفروا من المظفر وفر بعض قواد المماليك من مصر فلحقوا بالناصر، وقووا عزمه على الزحف، فدخل الشام وتقدم يريد مصر مهاجما، فتخلى أنصار المظفر عنه ومضوا لنصرة الناصر.وانتشرت الفوضى حول المظفر، وكان يكره سفك الدماء، فخرج من دار ملكه يريد مكانا يأوي إليه بمن بقي معه من مماليكه.وانتهى أمره بأن استسلم للناصر، فلما مثل بين يديه عاتبه الناصر على أمور بدرت منه، فاعتذر، وكان في يد الناصر وتر فطوق به عنق المظفر إلى أن خنقه.وكانت مدة سلطنته 10 أشهر و 24 يوما. الأعلام للزركلي 2/ 79.

هو وأخوه شرف الدين فجعل يدعو، عليهم، فقال: (لا تدع عليهم ولا تسبهم بل قل: اللهم هب لهم نوراً يهتدون به) يقول: لو عرفوا الحق لتأثروا وانتفعوا: لكن هؤلاء مساكين ليسوا على جادة السبيل، وليسوا على قصد السبيل، وليسوا بفقهاء في دين الله عز وجل، ولذلك أنكر على بعضهم كانوا يقسمون ويحلفون الأيمان المغلظة فإن حصل خلاف بين رجلين قالوا: اليمين تكون عند مشهد الحسين في مصر، وما في مصر لا قبر الحسين ولا رأس الحسين وإنما هذا من بقايا الدولة الفاطمية الباطنية فإذا أغلظ أحدهم اليمين، وابن تيمية ينفي وجود رأس ولا عضو للحسين في مصر بل يقول: دفن موضع ما مات رضي الله عنه

ومرة جاءه ابن القيم وقد ذكر هذه القصة ابن القيم في بعض كتبه، يبشره بهلاك خصم من خصومه الألداء الذي كان يتربص به، وكان يحقد عليه كثيراً، يبشره بأنه مات وهلك فغضب في وجه ابن القيم وانتهره وقال : (إنا لله وإنا إليه راجعون) وانطلق من ساعته إلى أهل بيت الميت وقد كان من خصومه فقال لهم : (عزاهم وأحسن عزائهم وقال اعتبروني خليفة لميتكم ونائباً عنه وأساعدكم في كل أمر تحتاجونه) حتى تعجب أهل الميت من هذه الأخلاق الجبارة وهم يعلمون شدة ذاك عليه رحمه الله ، وهكذا المسلم ينبغي أن يكون طاهر القلب على إخوانه المسلمين فإن الحسد والضغينة تأكل الحسنات كما تأكل النار الهشيم .

ابتلي رحمه الله في سبيل إظهار الحق وبيانه، ونصيحة المسلمين، فصبر، فقد وشي به لدى السلطان، وا م بالباطل زورًا و تاًنا، وسجن بسبب ذلك مرارًا، ليثنى عن منهجه، ويحال بينه وبين الناس، ولكنه قابل ذلك كله بالصبر على قَدر الله، والرضا بقضائه، والحِلْم على من آذاه، والعفو عنهم، ولا أدلّ على ذلك من رسالته التي بعثها من مصر إلى أهله وأنصاره في دمشق، يدعوهم فيها إلى تأليف القلوب وجمع الكلمة، وإصلاح ذات البين، ويحذرهم فيها من أذية مـن آذاه أو إهانتهـــم، يقـول فيهـا : (تعلمـون رضي الله عنكـم، أنـي لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين فضلاً عن أصحابنا بشيء أصلاً، بل لهم عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم، أضعاف أضعاف ما كان، كل بحسبه، ولا يخلو الرجل إما أن يكون مجتهـدًا مصيبًا أو مخطئًا أو مذنبًا، فالأول مشكور، والثاني مع أجره على الاجتهاد فمعفو عنه، مغفور له، والثالث فالله يغفر لنا وله ولسائر المسلمين، فنطوي بساط الكلام لهذا الأصل، كقول القائل : فلان قصر، فلان ما عمل، فلان أوذي الشيخ بسببه، فلان كان سبب هذه القضية، فلان يتكلم في كيد فلان، ونحو هذه الكلامات التي فيها مذمة لبعض الأصحاب والإخوان، فإني لا أسامح من آذاهم من هذا البـاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله...).

ثانياً: عفته وعدم تطلعه إلى ما في أيدي الناس:

عن سهل بن سعد الساعدي[1] رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس [2] وفي الحديث الأخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: شرف المؤمن صلاته بالليل و عزه استغناؤه عما في أيدي الناس[3] وقد كان ابن تيمية مثال العالم الذي لا يتأكل بالعلم، ولا يعيش بما يؤتيه الله عز وجل من بصيرة وفقه ولا يجعل هذا العلم سلماً إلى نيل المناصب والرئاسات ، قال في الكواكب الدرية (كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث فيهب ذلك بأجمعه ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه ولا يأخذ منه شيئاً ولا يحفظه إلا ليذهبه) وقال ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة وهي من (أحسن التراجم) عن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: (عرض عليه قضاء القضاة ومشيخة الشيوخ فلم يقبل شيئاً من ذلك ، وسنه تقريباً فوق الثلاثين عرضوا عليه هذه المناصب فأباها وترك الدنيا وقلاها)

وشيخ الإسلام ابن تيمية كان يقول : (أنا رجل ملة لست رجل دولة)[4] ، وكانوا يتهمونه أنه يطمع في الولايات كما زعم بعض خصومه ولهذا دخل على الملك الناصر فقال له مع أنه كان يحبه ويجله لكنه سمع أنه قد يكون له مجد وله مكانه وم له كبيرة في قلوب الناس وقال : (يا ابن تيمية بلغنا أنك إذا مكنت تطمع فيماً عندنا من السلطة والرئاسة فتبسم ابن تيمية وقال والله ما ملكك وملك آبائك وأجدادك يساوي فلسين عندي) . فهذا هو ابن تيمية رحمه الله الذي تفرغ للعلم، وانقطع للدعوة والإصلاح، وما خالط أمور الدنيا ولا قبل الأعطيات ولا الجوائز، وإذا أتته بذلها للفقراء والمساكين، لأنه يعرف أن من أكل اللقمة فإنه يتغير ويتأثر، وربما تزحزح عن بعض فتاويه

حرصه على جمع كلمة أهل القبلة أيام المحن والشدائد:

---

1) سهل بن سعد الساعدي أبو العباس الانصاري المدني، قال لنا الحكم بن نافع عن شعيب عن الزهري عن سهل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس عشرة، وقال لنا أبو نعيم: مات سنة ثمان وثمانين، وقال لنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني يونس عن ابن شهاب: قال سهل - وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس عشرة في زمانه. التاريخ الكبير4/ 98.

2) صحيح الترغيب والترهيب محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف – الرياض (3213)

3) ابن عساكر في " تاريخ دمشق " (4 / 99 / 1 و 8 / 37 / 1) (حسن) انظر حديث رقم : 3710 في صحيح الجامع

4) من روائع شيخنا العثيمين ـ رحمه الله ـ قوله: العلماء ثلاثة: عالم دولة، وعالم أمة، وعالم ملّة.. فالأول هو الذي يفتي للحاكم بما يريد. والثاني هو الذي يراعي أهواء العامة ورغبا م. والثالث هو الذي يفتي بما يوافق الكتاب والسنة، ويحفظ الملّة، رضي من رضي، وغضب من غضب، فهذا الذي تضرب له أكباد الإبل، وتثنى عنده الركب، وتصغي له الآذان.

وذلك أن التتار لما عزموا مرة أخرى على غزو الشام في سنة 700 من الهجرة بلغت الأخبار أهالي دمشق والمناطق المجاورة لها أن التتار عازمون على غزو الشام، و بُعث خبرا ما وكانت الشام تابعة (للحكم المملوكي) في مصر فطارت ألباب الناس، وارتعدت فلو م وفر الخلق إلى الجبال ،وبعضهم فر إلى مصر، فقام هو بدور (عظيم جداً) من حسناته الكبيرة في الإسلام، فأولاً حض الناس على الجهاد من خلال دروسه العلمية ومجالسه الدعوية ،وثبت الناس، وذكرهم بموعود الله عز وجل، وأخبرهم أن التتار مع وحشيتهم وهمجيتهم وجيوشهم الضخمة بالإمكان هزيمتهم وإذلالهم ثم خرج إلى السلطان في مصر يذكره بالوقوف مع أهل الشام، وأن يجهز العساكر المصرية للدفاع عن الشام فاسمع ماذا يقول له:

(إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن) يقول أيام الأمن والخيرات تأخذون الشام ولما وقعت الشدائد الآن، تريدون أن تتخلوا عنا!! لأن الأمة كانت تخاف من التتار،لا أحد يفكر كيف يقاتل هذه الأمة الهمجية الباطشة، المعتدية السافكة للدماء ،ولا تبالي، وهو تكلم عن هذه الأمة وهذه الفتنة التي حصلت للناس ووصفها وصفاً دقيقاً كما في مجموع الفتاوى ونقل ذلك ابن عبد الهادي تلميذه في (العقود الدرية) وصفها وصفاً طويلاً ووصف أحوال الناس وذكر المنافقين وكيف الناس تغيروا وشبهها (بغزوة الأحزاب) عندما حوصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة [وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً]1

فاسمع ماذا يقول : (ونزلت فتنة تركت الحليم حيراناً وأنزلت الرجل الصاحي، منزلة السكران، وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان) وقارنها بحال النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب وكيف أنهم حوصروا من كل جانب وتكلم المنافقون، وضعفت القلوب، واهتزت النفوس ، يقول: (وظن الناس بالله الظنونا، هذا يظن ألا يقف قدامهم أحد) يعني ما أحد يستطيع أن يواجه هذه الأمة الهمجية الباطشة وقالوا:

(إنهم سوف يستأصلون جند الشام وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكسروهم كسرة واحدة، وهذا يظن أن أرض الشام ما بقيت تسكن، ولن تكون مملكة إسلامية) يعني أن الناس ظنوا بالله الظنون الفاسدة يقول وهذا يظن وذلك يظن أن ما أخبربه أهل الآثار النبوية وأهل التحديث من مبشرات أمان كاذبة وخرافات لاغية ، يعني حتى أهل العلم يسوقون الأحاديث والبشائر للأمة المسلمة وأخبار التمكين، وأن العاقبة للمتقين، وأن العاقبة للصابرين يقول أصبحت عند بعض

---

1) الأحزاب:10-11

الناس أمان كاذبة وخرافات لاغية ، من شدة الفتن ووقع الهلع والفزع، الذي حل في قلوب أهل الشام ومصر، وهذه الموقعة العظيمة تسمى (موقعة شقحب) على وزن جعفر، باسم قرية قرب دمشق ، وقد وقعت في السنة الثانية بعد السبعمائة للهجرة ، وفيها انتصر المسلمون بقيادة شيخ الإسلام ابن تيمية وكانت في رمضان فأخذ الماء وشربه أمام الناس وأوصى الناس بالفطر حتى يكون أقوى لهم .

وكان يقسم بالله أنكم منتصرون فيقول له أمراء الأجناد قل إن شاء الله فيقول (إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً) يعني هذا الحكم وهذا النصر وهذا الفتح هو حقيقي، وهو حاصل مؤكد من الله عز وجل كما قال تعالى [وكان حقاً علينا نصر المؤمنين] وكان يتناول آيات من القرآن وهي قوله تعالى : (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله)1 فانظر إلى هذا الموقف العظيم الذي أبلاه في سبيل الدفاع عن الأمة وعدم التخلي عنها أيام الفتن وأيام الشدائد كالعلماء الذين يتركون الأمة تغرق وهم عنها مشغلون أو غافلون!!.

1) الحج:60

الخاتمـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـة

1) الخلاصة من معرفة معنى طرفي الإضافة " أهل القبلة" أ ا تعني : من يدين الله تعالى ا ويتعبد بالتوجه إلى الكعبة المشرفة قبلة المسلمين فأهل القبلة هم أهل الإسلام وأمة الإجابة، وإن كانوا من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم.

2) إن إضافة هذه الأمة ،إلى القبلة إنما هي إضافة إلى شعيرة عظيمة من شعائر الله تعالى التي نوع القرآن ذكرها في كثير من آيات القرآن الكريم . فللقبلة مكانة عظيمة في آي القرآن ، ولا أدل على ذلك من كثر ا وتنوع الأسماء التي تدل عليها وهي : القبلة ، البيت ، الكعبة ، مكة ، بكة، المسجد ، أم القرى، البلدة، البلد، والحرم.

3) حين تحدثت الآيات في مواضع عدة عن القبلة ،ربطت ذلك بالمنهج الحق ،والأصول التي يجب على أهل القبلة أن يلتفوا حولها ،وينطلقوا منها في علاقا م كلها فتحويل قبلة المسلمين إلى المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم هو الاتجاه الطبيعي المنطقي مع وراثة المسلمين لدين إبراهيم وعهده مع ربه مع ما في ذلك الاختصاص والتميز في التصور والاعتقاد؛ والاختصاص والتميز في القبلة والعبادة .

4) الأمة المسلمة اليوم في حاجة إلى التميز بشخصية خاصة لا تتلبس بشخصيات الجاهلية السائدة؛ والتميز بتصور خاص للوجود والحياة لا يتلبس بتصورات الجاهلية السائدة؛ والتميز بأهداف واهتمامات تتفق مع تلك الشخصية وهذا التصور؛ والتميز براية خاصة تحمل اسم الله وحده ، فتعرف بأ ا الأمة الوسط التي أخرجها الله للناس لتحمل أمانة العقيدة وتراثها فلن تختار قبلة غير قبلة رسولها التي اختارها له ربه ورضيها له ليرضيه؛ ولن ترفع راية غير رايتها التي تنسبها إلى ر ا؛ ولن تتبع منهجاً إلا المنهج الإلهي الذي ترمز له هذه القبلة المختارة :(وَلَئِن أَتيت الَّذِين أُوتواْ الْكِتاب بِكُلّ آيةٍ ما تبِعواْ قِبلتك وما أنت بِتابِعٍ قِبلتهم وما بعضهم بِتابِعٍ قِبلةَ بعضٍ ولَئِن اتبعت أَهواءهم من بعدِ ما جاءك مِن الْعِلْمِ إِنك إِذاً لمِن الظالِمِين)1

5) من آيات الكتاب العزيز آيات تحمل في معناها على "أهل القبلة " فتشمل حكمها بذلك كافة المسلمين، في حين أ م لا يدخلون " أهل القبلة " في معاني آيات أخرى.

---

1) البقرة :144-145. .

6) الأحاديث في ذكر "أهل القبلة" ليست كثيرة ، وكثير منها ليس صحيح السند عند أهل الحديث.وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذا المصطلح في بعض الأحاديث الصحيحة ،مثل حديث : من صلى صلاتنا واستقْبلَ قِبلَتنا،وحديث : إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين ؟ فالوا بلى.. الحديث

7) تكرر مصطلح "أهل القبلة " في كلام الصحابة والتابعين ، وهم يعنون ا كافة المسلمين.

8) أمارات الدخول في "أهل القبلة " من المسائل العظيمة التي عني علماء المسلمين بتحريرها والأمارات الأصلية التي تكفي بذا ا لإثبات حكم الإسلام لصاحبها ، النطق بالشهادتين، الإقرار بالإسلام ، الإتيان بالشعائر التعبدية كالصلاة والأذان ونحوهما . و الأمارات الفرعية ،التبعية للوالدين المسلمين أو أحدهما، والتبعية للدار. وشهادة رجل مسلم له، هذا بالإضافة إلى أمارات لا يحكم ا إلا بعد التثبت من إلقاء تحية الإسلام ، والهــ ــدي الظاهــر من الثيــ ــاب واللحيــة والشعر والعمامة وغيرها .

9) كل من كان ظاهره الإسلام ولا يعرف عنه نافض من نواقضه.فإنه يحكم بإسلامه ولا يجب البحث عن عدالته الباطنة إلا فيما تشترط له العدالة ، لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة.

10) المخالفون لأهل السنة في أمارات الدخول في أهل القبلة ، هم المنحرفون في حقيقة الإيمان ، وقد دخلت عليهم تلك البدع من أصل تصورهم للإيمان ، وأنه واحد لا يتجزأ ولا يتبعض وهما اتجاهان :الأول : الاتجاه الغالي بشقيه : الخوارج ،وأهل التوقف والتبين ، والثاني : الاتجاه المتراجع إلى حد التساهل وهم المرجئة.

11) لأهل القبلة حقوق شرعية انفَرد الشارِع بمعاِنيها ويجِب علينا التصدِيق ا والوقوف عند الإقرار ِبصحتها والعملُ بموجِبها وهي من أهم ما ينبغي أن يتعرف عليها المؤمن، وأن يعلمه المسلم.

12) من الحقوق الشرعية ما يختص بأهل القبلة ،وفي مقدمتها : موالاة من كان من "أهل القبلة " مع مناصر م في الحق ،لأن الإيمان هو الآصرة التي يتجمع حولها المسلمون، والنداء برابطة أخرى غير الإسلام كالعصبية المعروفة بالقومية ــ لا يجوز، ولا شك أنه ممنوع بإجماع المسلمين. وثمة حقوق لأهل القبلة على المسلم يجب بذلها من أهمها :المودة ، والنصرة ، ثم القيام بواجب النصح لهم، ومعاملة أهل القبلة بمكارم الأخلاق، مع كف الأذى عنهم، ومراعاة الحقوق الخاصة التي دعت إليها السنة،ثم لزوم الدعاء للمسلمين (أهل القبلة). وللمحافظة عليهما وضعت التشريعات التي جاءت لصيانتها.

13) إن تقسيم البدعة باعتبار حكمها وما يترتب عليها، من بقاء في الإسلام أو خروج عنه ، يعني بالنسبة لحكم المتلبس بها من المبتدعة أنهم على قسمين:
مبتدع كافر ليس من المسلمين (أهل القبلة) أصلا ،ومن هذا القبيل الطـوائـف المنتسـبون إلى أهل القبلـة وليسوا منهم وهو الذي عنده بدعة مكفرة .
ومبتدع يعد من المسلمين ولكنه ليس من أهل السنة في الأعم الأغلب
14) أهل الأهواء والبدع في المسائل الخفية إذا لم يعاندوا وبقيت الشبهة لم يكفروا وفسقوا بالإجماع.
15) ثمة قواعد أساسية في التعامل مع المبتدعة والحكم عليهم،أهمها : معاملتهم بعلم وتقوى، لا يلزم من وقوع الشخص في بدعة، ولا من انتسابه لطريقة مبتدعة أن يخرج عن أهل السنة، أن يكون التعامل بعدل وإنصاف، مع التقيد بضوابط هجر المبتدع ، مجادلتهم بالتي هي أحسن،و مراعاة المصلحة والمفسدة عند التعاون مع المبتدعة.
16) الخوارج وشبههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا على الإمام وخالفوا رأي الجماعة وجب قتالهم بعد الإنذار والإعذار قال تعالى :(فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)،إذ لا يجوز قتل النفس إلا بشيئين .أحدهما بالنفس .والثاني بالفساد في الأرض .
17) محكمات الكتاب الكريم ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم الآيات الكثيرة والأحاديث الصحيحة ،وإجماع المسلمين ، والعقل الرشيد كل ذلك يدل على ضرورة اجتماع "أهل القبلة ".
18) لا بد من الاهتمام بالأصول التي تعين على وحدة المسلمين واجتماعهم ، ومنها: الأخذ بكل الوسائل التي تؤدي للاتفاق، مع التنبيه إلى أن الوحدة الإسلامية لا تنافي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
19) إن المصلحين من أمراء المسلمين وعلمائهم حريصون كل الحرص على وحدة المسلمين، ولمّ شعثهم، وجمع كلمتهم على الحق، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم
20) المثل الأعلى في ذلك ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبطه : الحسن بن علي رضي الله عنه وصلاح الدين الأيوبي رحمه الله .مثال القائد الذي أدرك أهمية توحيد المسلمين مع نفي الخبث عنهم لمواجهة العدو، شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .مثال العالم الذي جمع بين نشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ومحاربة المبتدعة المشوهين ،لصفاء الملة ،مع القيام على مهمة جمع الصف وتوحيد كلمة المسلمين لمواجهة الأخطار .

وبعد.. فهذه الرسالة قد تمت بحمد الله ومنته و كرمه أضعها بين يدي قارئها، ولا أدعي الكمال فيها فلله الحمد على ما من به علي أولا و آخراً:

، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أن يجعل هذه الرسالة لوجهه خالصة، ولعباده نافعة، وأن ينفعني ا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن ينفعنا بما كتبنا وقرأنا وسمعنا.

(سبحانَ ربك رب الْعِزةِ عما يصِفُونَ وسلاَم علَى الْمرسلِين والْحمد لِلهِ رب الْعالَمِين)"1.

＊＊＊

1) الصافات: 180- 182.

توصيات البحث

أ) توصيات إلى زعماء أمة إلا سلام من "أهل القبلة":

بأن يتقوا الله في أعمالهم وأقوالهم، وأن يقدروا الظروف التي تمر م والأخطار المحدقة بأوطا م، وأن يعملوا جميعا على جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم باتباع دينهم وطرح الشعارات المنافية له، وأن يخضعوا كل شيء من أمرهم لإعلاء كلمة الله عز وجل أداء لرسالتهم وتحقيقا لعز م ورحمة للعالمين، وتحقيقاً لهذا الهدف في واقعنا اليوم فإني أدعوا نفسي وإياهم إلى ما يلي:

أولاً : سلامة الصدور والنفوس من الأغلال ، والأحقاد ، والكراهية ، والضغائن ، والبغضاء وأن يحل محلها التسامح والتغافر والتعاذر والرحمة والشفقة (محمد رسولُ اللهِ والذِين معه أشِداءُ علَى الكُفارِ رحماءُ بينهم)[1] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

ثانياً : التعاون على البر والتقوى ، وترك التعاون على الإثم والعدوان ، كما أمر الله ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

ثالثاً : العمل ما أمكن في خطوط متوازية ومتعاضدة غير متقاطعة ولا متعاندة ؛ لأن في الناس من لديه همة لإحياء شعيرة من شعائر الدين ، وفيهم من لديه همة لإحياء شعيرة أخرى ، وفي كل خير ، وافتعال الخصومة أو التعاند بين هذه الأعمال الإسلامية المختلفة قد يضيع كثيراً من الجهود ، ويهدر كثيراً من الطاقات ، ويقعِد الناس عن العمل ،

رابعاً : إحياء مبدأ النصيحة ، ومبدأ النصرة كما في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً ؛ أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال: (تحجزه أو تمنعه من الظلم ؛ فإن ذلك نصره)[2] ، وفي لفظ (تأخذ فوق يديه)[3] من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ ، وفي لفظ (تأخذ من نفسه لنفسه) أي : تأخذ منه ولا تنصره على الباطل ، ولا تواليه ولاءً مطلقاً عاماً في الخير والشر ، وفي الحق والباطل ، وإنما تكون معه على الخير

خامساً: الإجتماع على محكمات الشريعة كما يسميها العلماء ، التي أجمع عليها السلف الصالح ، وقبول الخلاف فيما اختلفوا فيه .

---

1) الفتح: 29.

2) رواه البخاري (6952) .

3) رواه البخاري (2444)

فنتفق ونجمع على ما اجمعوا عليه من محكمات الشريعة ، ونقبل الاختلاف فيما اختلف السلف الصالح فيه ؛ فإذا ثبت أن الصحابة رضي الله عنهم قد اختلفوا ، أو الأئمة من السلف الصالح فلا تثريب ولا غرابة أن يقع هذا الاختلاف فيمن كان بعدهم .

سادساً: ألا تكون الخلافات المذهبية في الفروع سببا للتفرق والتباعد بين المسلمين، وعلينا أن ننبذ التعصبات المذهبية التي يذمها الإسلام ويرفضها، وأن نلتزم بالتحاكم إلى الكتاب والسنة تطبيقاً لقول الله عز وجل: {فَإِنْ تنازعتم فِي شيءٍ فَردوه إِلى اللهِ والرسول إِنْ كُنتم تؤمِنونَ بِاللهِ والْيومِ الآخِرِ ذَلِك خير وأحسن تأويلا}[1]، وقوله تعالى: {وما اختلَفْتم فِيهِ مِن شيءٍ فَحكْمه إِلى اللهِ}[2]

ب) توصيات إلى مؤسسات الدعوة والتعليم:

أولاً: أن تقوم هيئات الدعوة الإسلامية ومؤسسا ا والجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي بجهود علمية نشطة في دراسة أوضاع "أهل القبلة" وتشخيص أسباب تفرقهم وتخلفهم وولاء بعضهم لأعدائهم وإتباعهم في مذاهبهم وسياستهم، وبيان سبل إصلاح هذه الأوضاع ودعوة المسلمين إليها شعوبا وحكومات للأخذ ا والعودة إلى ما يجب أن يكونوا عليه أمة مسلمة واحدة تقوم على التوحيد الخالص في العقيدة والعبادة، والسير على ج السلف الصالح خير القرون من الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان.

ثانياً: أن تعمل الحكومات الإسلامية على توحيد سياسة التعليم في جميع المراحل، والتقريب بين المناهج الدراسية وصبغها بالصبغة الإسلامية التي تحفظ للأمة خصائصها التربوية والتعليمية والعلمية المستمدة من الكتاب والسنة.

ثالثاً: أن يكون التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين ضمن ما يركز عليه في مناهج الثقافة الإسلامية في مختلف مراحل التعليم.

رابعاً: العناية في دراسة التاريخ والجغرافيا للأقطار الإسلامية باعتبارها أمة واحدة تترابط وتتفاعل أجزاؤها وتتكامل ثروا ا وطاقا ا ويتحد مصيرها.

خامساً: تشجيع تأليف الكتب وإعداد البحوث والدراسات لبيان حقيقة الإسلام وشرائعه والدعوة إليه ، وما يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية من تضامن ووحدة، ونشرها على أوسع نطاق باللغات المختلفة، وتيسير الحصول عليها.

---

1) النساء: 59.

2) الشورى:10.

جـ) توصيات إلى المؤسسات الإعلامية:

أن تتحمل أجهزة الإعلام في جميع الأقطار الإسلامية مسئوليتها تجاه أمتها، وأن تؤدي دورها كاملا في إبراز معاني التضامن والوحدة ومزاياهما وإظهار مساوئ الخلاف والفرقة، وتكوين رأي عام إسلامي يدرك خصائص أمته التي جعلها الله ا خير أمة أخرجت للناس، ويعي حقيقة تضامنها ووحد ا ويتجاوب معهما: وجدانا وعقلا وسلوكا في كل جوانب الحياة.

أسأل الله أن تكون هذه التوصيات خالصة لوجهه الكريم وأن يهيئ لها القبول، والأسباب، لتكون واقعا حيا في دنيا المسلمين.وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

فهرس الآيات القرآنية

سورة النساء :

سورة المائدة :

سورة إبراهيم :

رقم الآية	رقم الصفحة
37	40
35	45
13	120

سورة الحجر :

رقم الآية	رقم الصفحة
2	48
92	120
85	121

سورة النحل :

رقم الآية	رقم الصفحة
1	379
36	121
78	122
53	123
90	157
30	157

سورة الإسراء :

رقم الآية	رقم الصفحة
24-23	125
26	128
37	150
7	157
31	204
36	255
36	267

سورة الكهف :

رقم الآية	رقم الصفحة
71	65
5	152

سورة مريم :	
رقم الآية	رقم الصفحة
68	120
سورة طـــــه	
رقم الآية	رقم الصفحة
132	122
82-81	135
44	297
93-92	352
94	352
سورة الأنبياء :	
رقم الآية	رقم الصفحة
92	1
92	345
سورة الحج :	
رقم الآية	رقم الصفحة
78	21
26	41
29	41
33	41
27	49
78	123
78	146
60	398
سورة المؤمنون :	
رقم الآية	رقم الصفحة
52	9
53	197
سورة النور :	
رقم الآية	رقم الصفحة
3	45
2	145
27	172

سورة فاطر :	
رقم الآية	رقم الصفحة
43	177
سورة الصافات :	
رقم الآية	رقم الصفحة
182-180	402
سورة ص :	
رقم الآية	رقم الصفحة
27	121
88	379
سورة الزمر :	
رقم الآية	رقم الصفحة
31 53	49 302
سورة غافر :	
رقم الآية	رقم الصفحة
28	166
سورة فصلت :	
رقم الآية	رقم الصفحة
34	170
سورة الشورى :	
رقم الآية	رقم الصفحة
7 46 43 10 13 10 10	44 146 183 335 338 383 404
سورة الأحقاف :	
رقم الآية	رقم الصفحة

9	192

سورة محمد :

رقم الآية	رقم الصفحة
23-22	128
7	174
19	189

سورة الفتح :

رقم الآية	رقم الصفحة
29	78
9-8	124
29	170
29	403

سورة الحجرات :

رقم الآية	رقم الصفحة
17	60
10	137
10	138
9	138
13-12	149
12	180
12	181
6	252
12	253
10	325
10	349
6	353
12	356
10	369
10-9	389
12	391

سورة الذاريات :

رقم الآية	رقم الصفحة
58-56	122

سورة الطور :

رقم الآية	رقم الصفحة

رقم الآية	رقم الصفحة
2	104
16	123

سورة الطلاق:

رقم الآية	رقم الصفحة
4	**174**

سورة التحريم :

رقم الآية	رقم الصفحة
6	**126**
9	**144**
9	**166**

سورة الملك :

رقم الآية	رقم الصفحة
10	**178**

سورة الإنسان :

رقم الآية	رقم الصفحة
8	**51**
9-7	**151**

سورة النازعات :

رقم الآية	رقم الصفحة
40	**121**

سورة التكوير :	
رقم الآية	رقم الصفحة
9-8	**204**
سورة البروج :	
رقم الآية	رقم الصفحة
10	**303**
سورة البلد :	
رقم الآية	رقم الصفحة
2-1	**45**
سورة الضحى :	
رقم الآية	رقم الصفحة
10-9	**151**
سورة التين :	
رقم الآية	رقم الصفحة
3	**46**
سورة العصر :	
رقم الآية	رقم الصفحة
3-1	**325**
سورة قريش :	
رقم الآية	رقم الصفحة
3	**41**

فهرس الأحاديث النبوية

حرف الألف

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس ثبت المراجع

1) **القرآن الكريم.**

2) **(ابن أبي الدنيا)عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا أبو بكر:الصمت وآداب اللسان ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، 1410 تحقيق : أبو إسحاق الحويني.**

3) **(ابن أبي العز)علي بن أبي العز الحنفي :شرح العقيدة الطحاوية . ط6 المكتب الإسلامي بيروت - 1400 هـ.**

4) **(ابن الجوزي) أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد " نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر تحقيق / محمد عبدالكريم الراضي ، ط/ مؤسسة الرسالة _بيروت _ 1405ه**

5) **(ابن الجوزي)عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج : تلبيس إبليس الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، 1405 - 1985تحقيق : د. السيد الجميلي.**

6) **(ابن القيم) شمس الدين محمد بن أبي بكر :عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : دار الكتب العلمية – بيروت ، تحقيق : زكريا علي يوسف.**

7) **(ابن القيم) شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي" مفتاح السعادة" بيروت، دار الكتب العلمية.**

8) **(ابن القيم) شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي:الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ت/ علي محمد الدخيل الله، ط الأولى 1408هـ، دار العاصمة، الرياض.**

9) (ابن القيم)أحكام أهل الذمة، لابن القيم، ت/ الدكتور صبحي الصالح، ط الثانية 1401هـ/1981م، دار العلم للملايين، بيروت.
10) (ابن القيم)محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله :حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح
11) (ابن القيم)محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان
12) (ابن بطة)أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: دار الراية – الرياض الطبعة الثانية ، 1418تحقيق : د.عثمان عبدالله آدم الأثيوبي.
13) (ابن تيمية) أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم" مجموع الفتاوى" جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة ابن تيمية .
14) (ابن تيمية) أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم" منهاج السنة النبوية" بيروت ، دار الكتب العلمية.
15) (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس: تلخيص كتاب الاستغاثة : مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة ،الطبعة الأولى ، 1417 ،تحقيق : محمد علي عجال.
16) (ابن تيمية)أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الصارم المسلول على شاتم الرسول :: دار ابن حزم – بيروت الطبعة الأولى ، 1417 تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري .
17) (ابن تيمية)أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس:شرح العقيدة الأصفهانية : مكتبة الرشد – الرياض الطبعة الأولى ، 1415 تحقيق : إبراهيم سعيداي
18) (ابن تيمية)للشيخ أحمد بن عبد السلام بن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى 1404هـ، مطابع العبيكان.
19) (ابن حبان) محمد بن حبان بن أحمد التميمي : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الطبعة الثانيـة 1414هـ ـ 1993 م، مؤسسـة الرسالة ـ بيروت، تحقيق شعيب الأررناؤوط.
20) (ابن حزم) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري" الأحكام في أصول الأحكام" ط دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، 1405هـ، 1985م.

21) (ابن حزم) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبد الرحمن عميرة ، ط1 (شركة عكاظ ، 1402هـ).وكذلك نشر مكتبة الخانجي .

22) (ابن خلكان)أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: المحقق : إحسان عباس الناشر : دار صادر - بيروت

23) (ابن سيده) المحكم والمحيط الأعظم :المحقق: عبد الحميد هنداوي : دار الكتب العلمية - بيروت - 11 جزء - الطبعة الأولى.

24) (ابن عاشور) محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية ، تونس 1984 م .

25) (ابن عبد البر)أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: الناشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، 1387تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير .

26) (ابن عطية)أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي: المحرر الوجيز دار الكتب العلمية 2001 الطبعة رقم: 350/12.

27) (ابن قدامة)عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد:المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني : دار الفكر – بيروت ،الطبعة الأولى ، 1405

28) (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : البداية والنهاية، مكتبة المعارف ـ بيروت.

29) (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي" تفسير القرآن العظيم" ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت..

30) (ابن ماجه)محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: سنن ابن ماجه دار الفكر – بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

31) (ابن منظور)محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب: الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.

32) (ابن ميمون) محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون: منتهى الطلب من أشعار العرب/ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية/ فرانكفورت، 1982م.

33) (أبو البقاء) أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، الكليات ـ لأبى البقاء الكفومى ، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م. ،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري .

34) (أبو السعود) محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .
35) (أبو داود) سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي سنن أبي داود: دار الفكر تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد: تعليقات كمال يوسف الحوت ،والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
36) (أحسان) عباس: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ، ط دار صادر، بيروت، دار بيروت، 1385هـ/1965م.
37) (أحمد)بن حنبل أبو عبدالله الشيباني :مسند الإمام أحمد بن حنبل: مؤسسة قرطبة - القاهرة ،الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.
38) (أحمد) شاكر، محمد حامد الفقي ، مختصر سنن أبي داود، للحافظ المنذري، ومعه معالم السنن للخطابي، و تهذيب الإمام ابن القيم، ، طبعة مصورة، دار المعرفة بيروت 1400هـ.
39) (اطفيش) محمد بن يوسف اطفيش :تفسير اطفيش (تيسير التفسير). ط2 مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، نشر وزارة التراث القومي و الثقافة ، عمان من سنة 1982م إلى 1987 م.
40) (الأزهري) تهذيب اللغة، للأزهرى. تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين. الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة 1964-1967م.
41) (الأصفهاني): الحسين بن محمد:المفردات في غريب القرآن، الطبعة الثانية، 1420 هـ ـ 1999 م، دار المعرفة، بيروت، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني.
42) (الألباني) محمد ناصر الدين: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الطبعة الثانية 1405هـ ـ 1985م، المكتب الإسلامي ـ بيروت، إشراف محمد زهير الشاويش.
43) (الألباني) محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 1415هـ ـ 1995م، مكتبة المعارف ـ الرياض.
44) (الألباني) محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأثرها السيئ في الأمة، الطبعة الثانية 1420هـ ـ 2000 م، مكتبة المعارف ـ الرياض.
45) (الألباني) محمد ناصر الدين: صحيح سنن ابن ماجه الطبعة الثانية 1421هـ ـ 2000م، مكتبة المعارف ـ الرياض.

46) (الألباني) محمد ناصر الدين: صحيح سنن أبي داود، الطبعة الثانية 1421هـ ـ 2000م، مكتبة المعارف ـ الرياض.
47) (الألباني) محمد ناصر الدين:إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الطبعة الثانية 1405هـ ـ 1985م، المكتب الإسلامي ـ بيروت، إشراف محمد زهير الشاويش.
48) (الألباني) محمد ناصر الدين:صحيح الترغيب والترهيب - ط 2- المكتب الإسلامي- بيروت- 1406 هـ .
49) (الألباني) محمد ناصر الدين:صحيح الجامع الصغير وزيادته، الطبعة الثالثة، 1408هـ ـ 1988م ، المكتب الإسلامي ـ بيروت، أشرف على طبعه زهير الشاويش.
50) (الألباني) محمد ناصر الدين:صحيح وضعيف سنن الترمذي، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف الرياض، اعتنى به مشهور بن حسن آل سلمان.
51) (الألوسي) شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني دار إحياء التراث العربي – بيروت.
52) (البخاري) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي :الجامع الصحيح المختصر: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987 ،تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق
53) (البغوي)الحين ابن مسعود الفراء " تفسير البغوي (معالم التن يل)" تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، مروان سوار ط:2،بيروت، دار المعرفة 1407هـ 146/1.
54) (البقاعي) أبو الحسن إبراهيم بن عمر " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" دار المعارف / الهند- 1971م.
55) (التبريزي)محمد بن عبد الله التبريزي:مشكاة المصابيح . تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - ط 2 المكتب الإسلامي 1399 هـ .
56) التجديد عند ابن تيمية، مجلة البيان ـ الأعداد 1 – 17/7،100.
57) (الترمذي) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: الجامع الصحيح سنن الترمذي: دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ،الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها .
58) (الجبير) هاني بن عبد الله بن محمد الجبير فواعد في التعامل مع المخالف ، ، المؤتمر العلمي: العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق ، جامعة الخرطوم ـ ـ قسم الثقافة الإسلامية 23 ـ ـ 25 جمادى الأولى 1425هـ 10 ـ 2004/7/12م.

59) (الجزري)أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري:النهاية في غريب الحديث والأثر: المكتبة العلمية - بيروت ، 1399هـ - 1979م تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي

60) (الجوهري) اسماعيل بن حماد " الصحاح،تاج اللغة وصحاح العربية"تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا ، القاهرة1982م.

61) (الحاكم)أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، 1411 هـ ـ 1990 م، دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

62) (الحليبي)أحمد بن عبدالعزيز الحليبي : أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيميةكتاب الأمة -العدد : 55 - رمضان 1417 هـ - السنة السادسة عشرة.

63) (الحميدي) أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي مسند الحميدى مصدر الكتاب : موقع وزارة الأوقاف المصرية:

64) (الدارقطني) علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي سنن الدارقطني: الناشر : دار المعرفة - بيروت ، 1386 – 1966 تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني

65) (الدارمي)عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي: سنن الدارمي: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، 1407 تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ،الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها:

66) (الذهبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز :سير أعلام النبلاء، الطبعة التاسعة 1413 هـ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرق سوسي.

67) (الزبيدي) محمد مرتضى" تاج العروس من جواهر القاموس" مكتبة الحياة، بيروت.

68) (الزرقا) مصطفى أحمد: المدخل الفقهي العام: الناشر :مطبعة الحياة بدمشق 1383هـ.

69) (الزمخشري) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله ، الكشاف :مطبعة الحلبي ، 1385-1966.

70) (السعدي): عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376 هـ):تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الطبعة السابعة، 1418 هـ ـ 1997 م، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، لبنان.

71) (السفاريني)الشيخ محمد بن أحمد السفاريني: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية :. مطابع الأصفهاني- جدة 1380هـ .

72) (السندى)أبو الحسن لحنفي الشهير بالسندي:حاشية السندي على ابن ماجه دار الجيل الطبعة الثانية.
73) (ألشاطبي)أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ألشاطبي: الاعتصام، ، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة - بيروت
74) (الشبل)علي الشبل:التبصير في معالم الدين للطبري، ص217-219، ط/ الأولى 1416هـ الناشر دار العاصمة-الرياض.
75) (الشنقيطي) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" الرياض، دار الإفتاء،1403هـ .
76) (الشهرستاني)محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : الملل والنحل . تحقيق محمد سيد كيلاني طبع دار المعرفة بيروت 1404 هـ - 1984 م .
77) (الشوكاني) محمد بن علي "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير " دار الفكر للطباعة والنشر .
78) (الشوكاني)محمد بن علي بن محمد الشوكاني: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: إدارة الطباعة المنيرية : تعليقات يسيرة لمحمد منير الدمشقي.
79) (الشوكاني)محمد بن علي الشوكاني الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد،.طبع سنة1411 هـ،ونشرته دار الهجرة بصنعاء.
80) (الشيباني)محمد بن الحسن الشيباني : شرح كتاب السير الكبير: أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت 490هـ) - المحقق: محمد حسن الشافعي .
81) (الصفدي)الوافي بالوفيات ، أجزاء متعددة، كل جزء اعتنى بتحقيقه أحد الباحثين، تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية، سلسلة النشرات الإسلامية.
82) (الصلابي)علي محمد محمد الصلابي : صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية..
83) (الطبري) محمد بن جرير" جامع البيان عن تأويل آي القرآن" دار الفكر.
84) (الطيالسي)سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي :مسند أبي داود الطيالسي. دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ.
85) (العاملي) اء الدين بن حسين العاملي "الكشكول" :ضبط:محمد عبد الكريم النمري ،الطبعة رقم: 1: 1998: دار الكتب العلمية.
86) (الغامدي) سعيد بن ناصر الغامدي، حقيقة البدعة وأحكامها - مكتبة الرشد.

87) (الفيروزآبادي) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي" القاموس المحيط والقاموس الوسيط لما ذهب من كلام العرب شماطيط" بيروت ، دار الجيل .
88) (القاري)الملا على القاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح بمباي الهند.
89) (القرطبي) محمد بن أحمد الأنصاري " الجامع لأحكام القرآن" تحقيق: عبد الرزاق المهدي، مكتبة الرشد_ الرياض ط1420،2هـ.
90) (الكاساني)علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني ، بدائع الصنائع ، ط2(دار الكتاب العربي، بيروت ، 1402هـ) .
91) (الكليني) محمد بن يعقوب الكليني: أصول الكافي -دار التعارف - بيروت .
92) (اللالكائي) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (القسم الأول) ، تحقيق د. أحمد الغامدي، الرياض الطبعة الأولى. .
93) (اللويحق)عبد الرحمن بن معلى موضوعات خطبة الجمعة :الطبعة الأولى : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية
94) (الماوردي)أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (النكت والعيون)تحقيق: السيد عبد المقصود ،الطبعة رقم: الأولى: دار الكتب العلمية .
95) (الماوردي)أبو الحسن علي بن محمد الماوردي: أدب الدنيا والدين، ، علق عليه: علي مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الرابعة 1398هـ.
96) (المبرد)أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :الكامل في اللغة والأدب : تحقيق:أبو الفضل إبراهيم 2002 الطبعة رقم: 1 الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية.
97) (المطرز)أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيدبن علي بن المطرز: المغرب في ترتيب المعرب: مكتبة أسامة بن زيد – حلب الطبعة الأولى ، 1979 تحقيق : محمود فاخوري و عبدالحميد مختار.
98) المعجم الفلسفي : إصدار مجمع اللغة العربية : ط/ 1399هـ.
99) (المغربي) علي عبدالفتاح المغربي : الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، ط الأولى 1407هـ/1986م، مكتبة وهبه، القاهرة.
100) (المقدسي)شهاب الدين المقدسي : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ،ترجمة، تحقيق: محمد أحمد - محمد زيادة، الناشر :وزارة الثقافة والإرشاد القومي تاريخ النشر:01/01/1962 .

101) (المناوى): التوقيف على مهمات التعاريف - تحقيق محمد رضوان- دار الفكر ط أولى سنة 990 ا م .
102) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، : الندوة العالمية للشباب، ط. الرياض
103) (الميداني)أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري : مجمع الأمثال: دار المعرفة – بيروت تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد .
104) (النسائي) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي :سنن النسائي الكبرى: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1411 - 1991تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن..
105) (النسائي)أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ا تبى من السنن : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة الثانية ، 1406 – 1986،تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ،الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
106) (النسفي) أحمد محمود النسفي :تفسير النسفي (مدارك الت يل وحقائق التأويل) ، دار الكتب العلمية / بيروت .
107) (الهراس)عبد السلام الهراس :الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة ،: موقع الإسلام.
108) (الهيتمي)أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي إبن حجر الهيتمي : الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ،الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى ، 1997
109) (الهيثمي) الحافظ نور الدين الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: الحارث بن أبي أسامة / الناشر : مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة الطبعة الأولى ، 1413 - 1992تحقيق : د. حسين أحمد صالح الباكري.
110) (الواحدي): أبو الحسن علي بن أحمد (ت 468 هـ): الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، 1415 هـ، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، تحقيق صفوان عدنان داوودي: 140/1.
111) (جميل) صليبا : المعجم الفلسفي ، ط/1982م الناشر دار الكتاب اللبناني بيروت .
112) (سفر) بن عبد الرحمن الحوالي : ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، دار الكلمة: الطبعة الأولى (2000هـ .
113) (سيد) قطب " في ظلال القرآن" دار العلم للطباعة والنشر بجدة 99/1.

114) (شلبي)اسماعيل عبد الرحيم شلبي :أهمية وحدة الأمة الإسلامية ومعوقا ا: الطبعة الأولى ،مطابع رابطة العالم الإسلامي1427هـ -2006م.
115) (عاشور)سعيد عبدالفتاح عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ، ط 197م، مكتبة النهضة العربية، بيروت.
116) (عبد الرحمن عبالخالق) ،البرهان.. على أن تارك العمل -اختياراً- فاقد لأصل الإيمان وأن الكفر كما يكون بالقلب يكون بالعمل واللسان.
117) (عبد القادر) عطا : التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي ، ط/ الأولى 1407هـ الناشر دار الجيل – بيروت،
118) (عرفان) عبد الحميد :نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها. طبع المكتب الإسلامي بيروت 1394 هـ .
119) (عفيفي) د. عفيفي :فصوص الحكم لابن عربي، ط/ دار الكتاب العربي– بيروت.
120) (كرم) أمين :حقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي ط/ الأولى 1417هـ الناشر دار الأمين –القاهرة.
121) (مالك) بن أنس أبو عبدالله الأصبحي : موطأ الإمام مالك: دار القلم - دمشق ،الطبعة : الأولى 1413 هـ - 1991 م تحقيق : د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات العربية المتحدة ،مع الكتاب : التعليق المُمجد لموطّأ الإمام محمد وهو شرح لعبد الحي اللكنوي.
122) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : موقع الجامعة على الإنترنت http://www.iu.edu.sa/Magazine
123) (مسلم) بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري :صحيح مسلم : دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .